



٣٥ /

# الطبيعة في شعر ابن خضاعة الأندلسي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



٨٢١

١٠٠٢٨١٩

إعداد  
بومدين كروم

بإشراف  
د. عمر موسى باشا

الامداد

=====

الى كل محب لهذه الامة وساع باخلاص في خدمة  
تراثها وحنارتها اهدى هذا العمل المتواضع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

=====

### مقدمة

الطبيعة هي هذا الكون الفسيح ، بما فيه من ليل ونهار ، وسما\* وأرض ، بما في الليل من ظلام ، وقمر ونجوم ، وما في النهار من شمس مشرقة ، وضياء\* ساطع ، وما في الأرض من جبال وسهول ، ورياح ومروج ومقاربات ، وأنهار ومحار ، وما فضائهم الواسع من غيوم ورياح ونسائم وأمطار ، ورق وورد ، وما بث الله فيه من حياة وأحيا\* وحركة وسكون وتوازن وتناسق ، وجمال ، وما يعتره من تغير وتبدل ، وانبعثات وفناء\* . هي هذا كله ، بما ينطوي عليه هذا الكل من شمول واتساع ، وممان وأسرار . ثم ان الفنان ، وهو الانسان المتعمد على الألف والمادة ، بما وهب من احساس مرهف وشعور رقيق ، وذوق سليم ، مؤهل أهلية كافية لأن يحس بهذا الكون ، بكل مظاهره ومجاليه ، وأن ينفذ الى ما وراء هذه المظاهر والمجالي ليدرك ادراكا واعيا ما تنطوي عليه من أسرار ، وما تخفيه في أعماقها من ممان وألغاز ، ثم يفرز تلك التجربة المشعورية في عمل فني ، فيه من الطبيعة كواقع ، بقدر ما فيه من الذاتية كإحساسيه ومشاعر وروى

وسرديات ونارات وأضار .  
والطبيعة بهذه الصفة هي أم الفنون ، قل أن نجد عملا فنيا مهدها يخلو من عناصرها ومعطياتها ، وآثارها ، فقد كانت ولا تزال ، مطهمة الفنانين من شعراء\* ورسامين . وموسيقيين ، ينشدون في أحضانها وسائل فنهم ، ويجدون في نواهرها وأسرارها منبعا ثرا لإحساسيههم وأفكارهم وتصوراتهم ، وإن اختلفت تلك الأفكار والتصورات عمقا وضحاة ، تبعا لاختلاف مستويات التجربة الفنية عند كل منهم .  
وانطلاقا من هذه القيمة التي تحظى بها الطبيعة في بناء العمل الفني ، أولا ، ومن الحب لها - بحكم النشأة في ربوعها الفاتنة ، ثانيا - ، كانت رغبتني في دراسة الطبيعة في الشعر العربي ، والطبيعة في شعراء ابن خفاجة الاندلسي على الخصوص ، لاعتماده الطبيعة أساسا في الاعراب عن مشاعره ، وإحساسيه ، ونظاراته وأفكاره ، واشتهاره بذلك قديما وحديثا ، وكان لابد من التقديم لهذه الدراسة بمقدمات ضرورية بدأتها بمدخل أضأت به عصر الشاعر من حيث حيواته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ،

ثم أتيمته بالباب الأول ، وهو مختص بدراسة حياة الشاعر ، من حيث نشأته وثقافته ، وشخصيته ، وعلاقاته وأسفاره ، ويليه الباب الثاني ؛ وهو مخصص لربعة فصول ، وقد خصص لدراسة الطبيعة وتبويبها ، بكيفية سريعة ومكثفة ، فسي الشعر العربي منذ الجاهلية وإلى عصر ابن خفاجة ، ثم يأتي الباب الثالث ، وهو يهتم القصيد من هذا البحث ، لدراسة الطبيعة في شعر ابن خفاجة ، وقد وزعته على عشرة فصول : درست في الفصل الأول طبيعة شرق الأندلس وعلاقة الناعر بها ، وفي الفصل الثاني : الروضيات ، وفي الثالث : الشجريات والتفريات والزهريات ، وفي الرابع : الربا والهداج والجبال ، وفي الخامس : المائيات ، وفي السادس : الأواهر الكونية ، وفي الفصل السابع : الطبيعة الحية ، وفي الثامن : الطبيعة المصنوعة ، وفي الفصل التاسع : الماهية والأعراض الشعرية المترتبة ، ولخصت الفصل العاشر على الدراسة الفنية ، ثم أنهيت البحث بخاتمة ، أجعلت فيها ما توصل إليه البحث من نتائج .

وما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد ، أنني اقتضت الأصول أساساً في بحثي ، ثم استعملت بعد ذلك بكل ما عثرت عليه من مراجع ، مؤيداً أو مناقشاً ، وقد أكثر الرجوع إلى بعضها لأهميتها ، كما أنني لم أتبع منها واحداً بيمينه ، أو تنصر عليه دون غيره من مظاهر الدراسة الأدبية ، وإنما استعملت بأكثر من منهج ، بالمنهج الفني ، والمنهج التاريخي ، والمنهج النفسي ، وتوصلت بها مجتمعة في إبراز قيم عمل ابن خفاجة الفنية والشعرية .

والحقيقة أن هذا البحث لم يكن ليبرز بهذا الشكل ، ولم يكن ليميلخ نهايته على النحو المطالب لولا إرشاد كل من أستاذي الكريمين : الدكتور محمد رضوان الداية ، وأستاذ الأدب الأندلسي في جامعة دمشق ، الذي لم يدخر جهداً في مساعدتي وتوجيهي في معظم أقسام هذا البحث ، والدكتور عمر موسى باشا رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق ، والذي تفضل شكرها ، وقيل الإشراف على هذا البحث بعد أن حالت أمور دون استمرار الإشراف الأول ، فإليهما أقدم خالص شكري وتقديري ومن الله تعالى ألتبس العون والرشاد .

مدخل

الى

عصر ابن خفاجة

انتظمت بلاد الاندلس في سلك دولة واحدة ، قرّرها ، وولفت من القوة  
والخدمة مملعا ارتفعت منها البراءة ، الأكلع ، وظهرت لها أسباب الرقي والتقدم ،  
فاضحت قرطبة مركز اشعاع حضاري أثر يفدالية في طلاب المعلم الوافدين من الشرق  
والغرب ، حدث هذا كله في القرن الرابع ، في عهد عبد الرحمن الناصر ( ٣٥٠ هـ )<sup>(١)</sup>  
وابنه الحكم المستنصر ( ٣٦٦ هـ )<sup>(٢)</sup> والمنصور بن أبي عامر ، الذي استشهد  
بالحكم من دون هشام بن الحكم لصغر سنه<sup>(٣)</sup> . ولكن لم يكف هذا القرن يقترب  
من نهايته ، حتى انتثر سبيلك الخلافة ، وانعدم الامن ، واستشرت الفتن ،  
واحتدم الصراع على السيادة ، وجرت خطوب وأهوال فتت في عضد الدولة ومزقتها  
هزعا وأشجياتا ، وقد وصف ابن حبان طرفا من هذه الأحداث ، حين أرخ لمدة  
حكم أبي أيوب سليمان بن الحكم لقرطبة ، فقال :  
" وكانت كلها ، ( أي سنوات حكمه ) ، شدادا نكدات ، صعابا مشغومات ،  
كربها السهدا والباقعة ، شبيحة المنتهى والخاتمة ؛ لم يعدم فيها حيف ، ولا غورق  
فيها خوف ؛ ولا تم سرور ، ولا فقد صذور ، مع تنفير السيرة ، وخرق الهيبة ،  
واشمال الفتنة ، واعتلاء المعصية ، وظعن الأمن ، وعلول المخافة ؛ دولة كفاها  
نما أن أنشأها شانجه ، فقشمها أرمندا ، وثبتتها الجلالقة ، ومزقتها الافرنجة ،  
ودبرها فاجر شقي ، ووزر لها خبّ دني ، فتمخضت عن الفاقرة الكيسون ،  
وآلت بمن أتى بعدها الى ما كان أفضل وأدهس ، ما طوى بساط الدنيا ، وعقّى

(١) - جذوة المقتبس : ١٢

(٢) - نفسه : ١٣

(٣) - نفسه : ١٧ ، طبقات الامم : ١٠٢

رسمها ، وأهلك أهلها .<sup>(١)</sup> ولم يمد رسم الخلافة بعدئذ - الا شمارا  
 المحرر مرطليبا وشلاش في سنة ( ١٤٢٢ هـ ) بشوربة الجند من آخرها .  
 هو هشام بن محمد ( المتمد بالله ) ، وقيام حكم الجماعة بقيادة الوزير أبي العزم  
 جهور بن محمد بن جهور<sup>(٢)</sup> ، وطويت صفحة الحكم الأموي في الأندلس منذ  
 ذلك الحين ، وما رجع شعار الخلافة في أشبيلية باسم هشام بن الحكم الا اغلوبة  
 اخذتها صاحبها ابن هناد ، ليستأثر بالحكم ، ويرد أطماع الحموديين المضيقين  
 عليه ، والطالبيين به أيضا .<sup>(٣)</sup>

واستغل ضعف الخلافة في قرطبة رؤساء الطوائف ، وكبار الجند ، وأصحاب  
 العسرة ، والتفنة ، وقبرهم ، فاستغل كل بما تحت يده ، وأعلنوا انفصالهم  
 عن دار الخلافة ، ونوا الحصون ، واتخذوا المساكن ، وتنافسوا في أسباب الطك  
 ولمع كل منهم بما في يده . ثم حبا في التوسع والسيطرة<sup>(٤)</sup> ، فتشبت بينهم حروب  
 أهلك الحرث والنسل ، وعت أهل الأندلس تروها شديدا ، وعرف هؤلاء  
 في تاريخ الأندلس - بالطوائف ، وذلك لأن الأندلس قد انقسمت ،  
 بسببهم الى دويلات كثر ، ساسوها أسوأ سياسة ، وحكموا فيها أهواؤهم .

- 
- (١) - الذخيرة لابن بسام ١ / ١ : ٣٦ ، جذوة المقتبس : ١٧ وما بعدها .
  - (٢) - نفسه ١ / ٣ : ٢٥ ، وما بعدها ، جذوة المقتبس : ٢٨ - ٢٩ .
  - (٣) - نفسه ١ / ٢ : ١٧ - ١٨ ، ٢٧ - ٢٨ ، جذوة المقتبس : ٢٩ - ٣٠ .
  - (٤) - التبيين ( مذكرات الامير عبد الله ) : ١٨ ، أعمال الاعلام : ١٤٤ .

وأشملوا الفتن في جنباتها ، وقد اشتهرت منها دولة بني جهاد في قرطبة وهم من موالي  
الأمويين : حكموا الى سنة ( ٤٦٢ هـ ) ، حيث ضمت قرطبة الى حاضرة اشبيلية ،  
دولة العباديين ؛ وهي - قرطبة - أول دولة تسقط من دول الطوائف منذ قيامها  
مدة أربعين عاماً<sup>(١)</sup> . ودولة بني عماد اللخمين أصحاب اشبيلية ، وهي أخطر  
دول الطوائف وأقواها وأوسعها رقعة ، وأعلاها شأنًا ، حكموا اشبيلية سنسنة  
( ٤١٤ هـ ) ، بعد خروج بني حمود منها ، وظلوا في حكمهم لها الى سنة  
( ٤٨٤ هـ ) ، وجرت لهم وقائع مع جهرانهم من بني الافطس ، والحموديين وعلى  
رأسهم يحيى بن حمود ( الممتلي<sup>(٢)</sup> ) . وبنو الافطس أبناء بني سلعة ملكوا  
بطليبوس بأعمالها الكثيرة ووقعتها الواسعة من سنة ( ٤١٣ ) الى سنة ( ٤٨٨ هـ )<sup>(٣)</sup> .  
وهو ذى النون وهم من الموالي العامرية من أصل بهري ، واستقروا في عاصمة الثغر  
الاولى طليطلة ، التي توسعت رقعتها في عهد المؤمن بن ذي النون ، واتحدت  
شرقًا حتى بلنسية ، فتخوعت بذلك - مواردنا ، وكثرت أرزاقها ،  
ونسب الناس فيها بهدوء ورخاء الى حين . وحدثت في عهد يحيى بن ذي النون  
الحفيد " القادر " - ثورة أهلية عارمة ، اضطرت لها الى الفرار بأهله<sup>(٤)</sup> والتحصن  
بحصن " ويدة " ، واستدعى الاهالي " المتوكل بن الافطس " لحكم المدينة  
فدخلها وحكمها خمسة عشر شهرا خرج أثرها فارا الى بطليبوس ، ودخلها  
القادر مدعيا بالفونسوطك قشتالة ؛ وكان قد وعده بتولية المدينة له اذا بلغه

(١) - دول الطوائف : ٢٧

(٢) - الذخيرة ٢/١ : ١٢ وما بعدها . دول الطوائف : ٣٦-٣٣ .

(٣) - نفسه ٢/٢ : ٦٤١ ، نفسه : ٨٠ وما بعدها .

(٤) - المضرب ٢ : ١٣



أنه في دخولها ، بعد أن فتكوا نكتا شيما بمن خرج من الاهالي للدفاع عن المدينة ، ولم يكف ألفونسو عن المطالبة بها ، مضيقا ومشددا ، حتى آياس أهلها ، واضطربهم الى التسليم ، بعد حصار أجهدهم ، واستنفذت قواتهم ، وبعد أن أسلمهم طوك الطوائف ، الذين انكشفت نواياهم في التواطؤ مع العدو ومساعدته ، فدخل الفرنسيو المدينة في سنة ( ١٧٨٠ هـ ) وسام أهلها الخسيف ، والذل ، واستقر - ابن زي النون - بمحلة "ألفونسو" منفردا ، فقال الحرمة ، ليس دونه باب ، ولا دون حرمه مترولا حجاب . وخرجت للمهالبة ... منذئذ ... من يد المسلمين الى الأمام .<sup>(١)</sup>

وأما بنو هود فقد استقروا بسرقسطة عاصمة الشفر الأعلى - منذ وقت مبكر ، واستمروا في حكمها الى سنة ( ١٥٠٣ هـ ) .<sup>(٢)</sup> واستولى بنو زيري الصنهاجيين - كغيرهم - على قرطبة ثم على مالقة ولبيثوا فسي حكمهم الى سنة ( ١٤٨٣ هـ ) . كما ظهرت على الساعة - دويلات أخرى منها من لم تدر : كبنو حمود أصحاب مالقة و " الجزيرة الخضراء " ، وبنو برزال أصحاب قرطونة ، وبنو مزين فسي " شلب " ، ومنها بنو عمرت بمضى الوقت لبعدها عن صراعات الدول القوية وأطاعها ، كبنو زين أصحاب السبلة الذين حكموا الى سنة ( ١٤٩٧ هـ ) وبنو القاسم الفهري في " البوخت " ، وحكموا الى سنة ( ١٤٩٥ هـ )<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) - الذخيرة : ٤ / ١ : ١٤٩ : وما بعدها ، أعمال الاعلام : ١٨٠ - ١٨١ .  
دول اللوائف : ٤٤ : وما بعدها .
  - (٢) - دول الطوائف : ٢٥٤ : وما بعدها .
  - (٣) - الذخيرة : ٣ / ١ : ١٠٩ : وما بعدها - أعمال الاعلام : ٢٠٥ : وما بعدها .

وأما شرق الأندلس ، فقد كان يحواضره المتعددة ، بلنسية ، مرسية ، شطاطية  
 دانية ، الحرية ، والجزائر الشرقية ، ميورقة وضوارة ، وبابسة . . . من أضعف  
 ضائق الطوائف وأكثرها عزيمة لهجمات أنصارى المتتالية<sup>(١)</sup> ، وقد استقر في هذا الجانب  
 من الأندلس موالي السام من الفارين من فرطية بعد سقوط الدولة الدارمية ، فحكم  
 مجاهد منهم دانية والجزائر الشرقية زهاء ثلاثين عاماً ، وخلفه أئمة على اتبال للدولة  
 ومكت إلى سنة ( ٤٦٨ هـ ) ، حيث انتزع منه المقتدر بن هود ملكة دانية وضمها إلى  
 سرقسطة . وظلب لبيب منهم ، وبعده مقاتل على بلرلوشة<sup>(٢)</sup> ، ومبارك ومظفر على  
 بلنسية ، ونبيل على شطاطية ، وخيران على الحرية ومرسية وأوريولة<sup>(٣)</sup> ، وبعد موت  
 خيران العامري ومقتل زهير نائبه في معركة له مع أمير غرناطة جيموس بن ماكسن ،  
 أصبحت ألمرية تحت إمرة بني صراح التجهيبيين الذين ثاروا على عبد العزيز بن أبي  
 تار صاحب بلنسية وملكوها إلى سنة ( ٤٨٤ هـ ) ، كما ثار بنو طاهر عليه بمرسية  
 واستخلصوها لأنفسهم حتى سنة ( ٤٧١ هـ ) ؛ وقد أنهى سلالتهم محمد بن عمار ،  
 وزهر المتمد بن عباد ، الذي لم يلبث أن اقتكها منه عبد الرحمن بن رشيق الثالث ،  
 ونزل عنها بدوره للمرابطين في سنة ( ٤٨١ هـ )<sup>(٤)</sup> .

---

(١) - Histoire des Musulmans d'Espagne . t.3 : 131 - 132 .  
 (٢) - البيان المغرب ، ٣ : ٢٢٤ .  
 (٣) - أعمال الاعلام : ١٧١ ، تاريخ ابن خلدون : ٤ : ١٦٢ .  
 (٤) - الذخيرة . ٣/١ : ٢٥-٢٦ دول الطوائف : ١٥٦ وما بعدها .

وكان انقسام الاندلس الى هذه الدول المتعددة ، المتفاوتة الاماع والمشارب  
 سيء الأثر على حياة المسلمين كلهم في شبه الجزيرة ، ان لم يلبث أمراء تلك الدول أن  
 أممروا حروبا أهلية شاملة وطماعة ، استنزفت الطاقات ، وأوهنت المعزائم ، وجعلت  
 الاندلس الاسلامية داعما سائفا لمركة الاسترداد او الاستغلاب (Reconquist) ،  
 النصرانية التي رفع لواؤها حينئذ ؛ فاشبهية تحارب بلليوس ، وطلبيوس تحارب  
 طليطلة ، وطلبيطلة تحارب سرقسطة ، والحرية تعلن الحرب على غرناطة واشبهلية  
 تستنم الاستيلاء على غرناطة ، هذا فضلا عن الصراع ان اشربين الاخوة في اطار الدولة  
 الواحدة ، كما حدثت في سرقسطة بني هون<sup>(١)</sup> وغرناطة بني زيري ، وبلليوس بني الافلس ،  
 وليتهم وقفوا عند هذا الحد ، بل استعان بعضهم على بعض بالنصارى ، كما فصل كل  
 من المؤمن بن ذى النون وابن مود ، ان انتقم كل من الآخر ، التحالف مع طوك النصارى ،  
 طوك "قشتالة" و"نافار"<sup>(٢)</sup> . واستعان القادر بن ذى النون بالفونسو السادس  
 للاستيلاء على بلنسية ، كما اشترك كل من المستعين بن هوو والسيد الكمبيطور " في  
 في الاستيلاء على بلنسية أيضا ، وكان "السيد" بطبيعة الحال هو الفائز في النهاية .  
 واستعان المستنيد بن عباد كذلك بالفونسو السادس في السيطرة على مرسية ، ثم على  
 غرناطة ، فكشفوا بذلك على ضعفهم للمدو ، وألعمو على شراحتهم ، فكان أن اجتاحتهم

(١) - المصدر السابق ٢/١ : ٤٢٢

(٢) - دول الطوائف . ٩٧ - ٩٨ .

(١) قواته جميعا ، وارغمتهم على دفع جزى ثقيلة - كخيلة اولى لعملية الاسترداد -  
أرهبوا بها كاهل الرعية وأفقروها . وأحس الزاعون من أهل الاندلس بخيلورة الموقف  
فاستصرخوا - عامة وخاصة - يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابدين الفتية ، ودافع  
لواء الجهاد في المغرب ، واشتد نفيهم على أمراءهم بعد أخذ دلميطلة ، فانظر  
هؤلاء إلى الاستنجاد ، وأرسلوا رسلهم إلى العدو ، يعرضون الأمر على يوسف بن  
تاشفين (٢) ، فأجاب الأمير يوسف صريح هؤلاء ، لا تسبق ذلك مع دعوته إلى  
الجهاد ، وجاز الجواز الأول سنة ( ٤٧٤ هـ ) وخاض معركة الزلاقة (٣)  
قرب بالمليوس - بالاشتراك مع جيوش الدول الاندلسية متحدة ، وكان النصر  
فيها ساحقا على جيوش النصارى بقيادة النونسو السادس ، لم ينح منها إلا  
القليل ، ورجع بعدها أمير المسلمين إلى المغرب لساعه بخير وفاة ابنه أبي بكر  
سير (٤) ثم جاز الجواز الثاني يرسم الجهاد في سنة ( ٤٨١ هـ ) وقصد  
شرق الاندلس ، وانضمت إليه جيوش أمراء الطوائف ، فحاصرت القوات مجتمعة  
مدينة لبيدا ( L e b i d o ) وشنوا الغارات عليه بالتداول . ولكن  
دون جدوى لحصانته ومنعته ، واستصرخ النصارى المعتصمين بالحصن سلطانهم  
فهب لنجدتهم ، وأغلق الحصن وأحرقه ، وكانت جيوش المسلمين قد تنحنت عنه  
فأضت المنطقة بعد ذلك شهرا ، واستراحت من غاراته ، وقبل انصراف أمير

المسلمين إلى العدو (٥)  
وجه جيشا بقيادة محمد بن تاشفين إلى بلنسية لمواصلة الجهاد ، عرف أمير  
المسلمين في جوازيه قوة هؤلاء الأمراء ، وانكشف له منهم أثناء حصار لبيدا من تنافسهم  
وحقد عم على بعضهم ، وسألهم لمدد والاسلام (٦) ما جسه يجوز جوازه الثالث في سنة

- 
- (١) - Histoire des Musulmans d'Espagne t.3 : 118  
(٢) - مذكرات الأمير عبد الله : ١٠٣ - الحلل الموشية : ٣٨ ، دول الطوائف : ٤٠  
(٣) - السروض المعنار : ٢٨٨ - الحلل الموشية : ٥٢ - ٢٦ .  
(٤) - الحلل الموشية : ٦٦ - ٧٠  
(٥) - المصدر نفسه : ٦٦  
(٦) - مذكرات الأمير : ١٤١ .

( ٤٨٣ هـ ) لحربهم والثغناء عليهم ، وكان استعشى نقيهاً الاندلس في ذلك فرأى منهم ومن عامة الاندلس كل تأييد ، فاتجه - بعد الرجوع من الليطلة ، وكان حاصراً وعات في أطرافها - الى غرناطة ، فاستنزل صاحبها عبد الله بن بلقين ، ثم الى مالقة ، وكان بها تميم بن بلقين أخو عبد الله ، ورجع الى مراكش . وفي سنة ( ٤٨٤ هـ ) وجه جيوشه الى الاندلس لاستنزال ملوك الطوائف ، فأخضعهم الواحد تلو الآخر ، ولم يبق منهم غير المستميين احمد بن هود صاحب سرقسطة لعمده وأظهاره الخضوع والاعتراف بالدولة الجديدة من جهة ، ولكونه من جهة ثانية أدى بجهته ، وبالمالك النصرانية المحيالة به ، فترك حاجزاً بينهم وبين بقية بلاد الاندلس ، ولكن أهل سرقسطة تقموا على ابنه عبد الملك .. لضعفه وداخلته النصارى .. وأخرجوه ، وأسستدعوا عامل علي بن يوسف ، فدخلها في سنة ( ٥٠٣ هـ )<sup>(١)</sup> وصارت الاندلس - اثر ذلك - ولاية موحدة ، تابعة لامارة مراكش . دار الملك يمثلها أمراء يمينهم أمير المسلمين منهم من لتونة . وتوفي أمير المسلمين يوسف في سنة ( ٥٠٠ هـ ) وخلفه ابنه علي بن يوسف ، وكان قد أخذ له البيعة في سنة ( ٤٩٦ هـ ) في جوازه الراجع الى الاندلس برسم التجول والنظر في مصالح المسلمين<sup>(٢)</sup> ، فحكم الى سنة ( ٥٢٧ هـ ) حيث توفي وخلفه ابنه تاشفين الذي هلك في حربه مع الموحدين في سنة ( ٥٣٩ هـ )<sup>(٣)</sup> ، وانتهاه ولايته ، يبدأ عهد جديد بالاندلس

المغرب في مجلس المغرب ٤: ٤٣٧

أعمال الاعلام : ١٧٥

(١) - الحلل الموشية : ٧١ = ٧٦

(٢) - الحلل الموشية : ٧٧ - ٧٨

(٣) - المصدر السابق : ١٣٤

• • •

واستقلت بلنسية رسمياً عن قرطبة - مقر الخلافة - منذ بدأ الصراع على الخلافة في بداية القرن الخامس ، وإن كانت مستقلة - حقيقية - منذ وقت مبكر ، إذ لم يكن لها شأن يذكر في تاريخ سياسة بني أمية في الأندلس<sup>(١)</sup> ، استولى عليها مجاهد العباس في بداية الأمر ، ثم انفرد بحكمها اثنان من الفتيان العاصرية ، هما " مبارك " و " مظفر " ، ساساها معا إلى أن مات مبارك وثار أهل بلنسية " بمظفر " وولوا عليهم فتى يدعى " لمبيب الدمشقي " ولكن لم يلبث هذا الأخير في الحكم مدة طويلة ، فقد اضطر إلى الفرار ، والاحتباء " بنهمدة " ملك برشلونة النصراني . خوفاً من تقوية العامة عليه ، لانصرافه وداخلته المدو ، ولنفس السبب نقم عليه أهل طرطوشة ، بعد أن ولوه أسربلادهم ، فقتلوه ، واستقدموا ابن هود ليهلك المدينة ، ولكنهم اضطردم بمجاهد العاصم الدلماع فيها ، ونشبت بينهما حرب موجباء ، ثم آل الأمر في تلك النواحي - بعدئذ إلى حفيد المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر<sup>(٢)</sup> ، فعلم إلى أن توفي في حدود سنة (٤٥٢ هـ) وخلفه ابنه عبد الطك (المظفر) ، وكان ضعيفاً ، مخلوعاً على أمره ، وحكم إلى سنة (٤٥٧ هـ) حيث أنزله صهره المأمون ابن ذي النون عن بلنسية ، وأتاب عليها أبا بكر بن عبد العزيز الكاتب ، وقيمت ولاية تابعة للليطلة مدة حياة المأمون ، وبعد موته مباشرة ، أن في سنة (٤٦٢ هـ) أعلن أبو بكر استقلاله ، وحكم إلى سنة (٤٧٨ هـ) . وقد ساد فترته الأمن ، لمدله وحسن تدبيره<sup>(٣)</sup> ، وتولى الحكم بعده ابنه أبو عمرو عثمان ابن أبي بكر ، لكن القادر بن ذي النون ، انقض عليه - مدعوماً بقوات الفونسو

---

(١) - دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٤ : ١١٩

(٢) - الذخيرة ٣/١ : ٢٠-٢١ ٢٤٩٠ وما بعدها .

(٣) - البيان المخرب ٣ : ٣٠٣-٣٠٤ - الحلة السيرة : ٢ : ١٢٩

السادس - وأخذ منه بلنسية كهدية موعود به ، مقابل المديونة التي تنازل له عنها سنة (٤٧٨ هـ) <sup>(١)</sup> ، ولم يطل حكم القادر بلنسية ، فقد قرف أهلها سيرته ، ذكره واحياة الذل في نال - اسمه النصرانية ، فثاروا عليه في سنة (٤٨٥ هـ) بقيادة القاضي احمد بن جحاف ، وقتل القادر ، وانتهت أمواله ، وفي هذه الفترة وجه ابن هود - احمد بن يوسف المستعين - صاحب سرقسطة أنطار \* رذريق الفارس النصراني المفامر المصروف بـ " السيد " - الى بلنسية ، وأمدته بالأموال وانمتاد ، لهوى في نفسه ، فحمل " السيد " على المدينة حملات عنيفة وشدد الخناق عليها بناراته المتكررة ، فنسف زروعها ، وضيق أرزاقها ، وتحكم - بعد اعمال الحيلة - من دخولها ، وعاشت جيوشه فيها فسادا ؛ وكانت نهاية ابن جحاف مأساة تزلزلت لها الجزيرة ، وذلك بأن أحرقه حيا مع جطة من الأعيان . على مر أن من أهله الذين نجوا من نفس المصير بصعوبة . وتصبح بلنسية - بدءا من سنة (٤٨٨ هـ) <sup>(٢)</sup> ولاية نصرانية تستمر الى سنة (٤٩٥ هـ) حيث افتكها الجيوش المرابطية من أيدي النصارى ، وحررتها من سيطرة جبروتهم . وذلك أن المسلمين بشرقي الاندلس قد استخرجوا - كغيرهم - يوسف بن تاشفين ، وأنفذوا اليه الرسل في ذلك ، لاشتداد وطأة النصارى على ذلك الاقليم لضعفه ، فكان أن وجه - استجابة للأمر - الى بلنسية جيشا بقيادة داود بن عائشة ، وأردفه بجيش آخر بقيادة محمد بن تاشفين ، بعيد الانتهاج من فتح حصن لييط مباشرة ، وكان ابن جحاف قد استعان بهم - بالمرابطين - في ثورته على القادر بن ذي النون والحامية النصرانية ، ولكن السيد شرط عليه ابعاد المرابطين مقابل الكف عن المطالبة

(١) - الذخيرة ٣ / ١ : ٩٣

(٢) - نفسه : ٣ / ١ : ٩٧ وما بعدها . البيان المضرب ٣ : ٣٠٥

- أعمال الاعلام : ٢٠٣ - ٢٠٤ - دول اللوائف :

٢٢٢ وما بعدها .

بلنسية ، فأهدمهم ابن جحاف ، إلا أن السيد فدرهه . واستولى على المدينة  
وأما مرسية فقد دخلت تحت إمرة المرابطين منذ سنة ( ٤٨١ هـ ) أي منذ القاء  
التيغز على صاحبها والثائر بها عبد الرحمن بن يثرب أثناء محاصرة حصن ليهيل ،  
ودانت سلاطمة لحكم المرابطين في سنة ( ٤٨٥ هـ ) ، وتبعثها شقورة ودانية  
في نفس العام ، واشتد حصار المرابطين لبلنسية ولاحقوا قوات السيد \* بها ،  
والحواف في طلبها ، فأضلرت \* خمينا \* - زوجة السيد - أن تفادى المدينة  
فخرجت منها ، بعد تنفيذ أمر ألفونسو بتخريبها ، واضرام النار فيها<sup>(١)</sup> . وأما  
السيد فكان قد توفي قبيل ذلك أي في سنة ( ٤٩٢ هـ )<sup>(٢)</sup>  
ودخل المرابطون بلنسية في سنة ( ٤٩٥ هـ ) بقيادة محمد مزدلي فجددوا  
بناها ، وعاد إليها أهلها ، فرجمت إليها الروح الاسلامية من جديد . ثم تداول  
الاصرف فيها - بعدئذ - من عمال المرابطين ، ابو عبد الله بن عائشة ( القائد )  
وأبو بكر ابراهيم بن تيفلويت ، واهو الطاهر تميم بن يوسف ، وعبد الله بن فاطمة ،  
واهو عبد الله مسند بن الساج ، واهو ابراهيم بن يوسف الحسروفي بان تاعيشت<sup>(٣)</sup> ، وشهرام ،  
فانضموا لسياسة المرابطين الولائية ، وانسجما مع حركة الجهاد المستمرة .

- 
- (١) - الذخيرة ٣ / ١ : ١٠٠-١٠١ - البيان المخرّب ٣ : ٣٠٦  
الروض المعمّار : ٩٧ - دول الطوائف : ٣٥٨
- (٢) - أشباخ : ١ / ١١٥
- (٣) - قيام دولة المرابطين : ٣٥٥ .



## الحياة الاقتصادية

تميزت الاندلس منذ القديم - والى الآن - بكثرة وديانها وأنهارها ، وصلاحية قسم كبير من أراضيها للزراعة بأنواعها ، وقد أسهم المسلمون بدور كبير في توسيع هذه الأراضي وتنميتها . وتصريف المياه إليها ، ولم يكتفوا بهذا المصدر الطبيعي المهم ، بل تنهبوا - أيضا - لثروات طبيعية أخرى ، سواء منها الحيوانية أو المعدنية ، فاعتنوا بتربية الحيوانات ، ونقبوا عن المعادن ، وأفادوا منها في بناء نهضة حضارية رائدة في القرون الوسطى ، وكان لموقع الاندلس المهم ، بين أوروبا وأفريقيا أثره الفعال في تعميق هذه النشاطات الحضارية وتنويعها : ولكي يتضح ذلك ، ينبغي أن نلقي نظرات اجمالية على قطاعات الاقتصاد الحيوية من زراعة ، وصناعة ، وتجارة معتمدين في ذلك على ما جاء في كتب الجغرافية والتاريخ من أخبار عن هذه الفترة .

\* ١ \*

### الزراعة :

اشتهر الاندلسيون بحبهم لبلادهم ، وحياسمهم بها حيا ما شديدا ، استمر معهم حتى بعد خروجهم منها ، وما ذلك الا لانهم بذلوا جهدهم في اصلاحها واعمارها ، فخذت جنة في أعينهم لم يفارقوها الا مرغمين ، استصلحوا الاراضي ، فحولوها الى بساتين وحقول . وشقوا إليها سواقي تعدها بماء الأنهار ، وغطوا المرتفعات بأنواع الأشجار والكروم ، وذلك بطرق فنية علمية لم تزل تشهد على براعتهم حتى الآن ، وتؤكد نبوغ علماء الزراعة الاندلسيين وتقدمهم في هذا المجال ، والذين برز منهم في القرن الخامس ابو عبد الله بن بصال الطليطلسي صاحب كتاب " الفلاحة " وأبو عبد الله محمد بن مالك الطخفري الفرناني في أواخر هذا القرن ، وله كتاب سماه " زهر البستان ونزهة الانهان " ، وابن العوام الاشبيلي في القرن السادس ، وله كتاب في الفلاحة أيضا - وكلا الكتابين " الفلاحة لابن بصال ، والفلاحة لابن العوام يمتازان بنزعة علمية قوية ، وباستيمانه لمختلف

المسائل والتفنون الزراعية غير بعيد عن مستوى الزراعة الحديثة ، وهو أثر من آثار  
الدافع الملحي الواضح الذي اتخذته التفنون الزراعية على يد علماء الزراعة الاندلسيين .<sup>(١)</sup>  
وقد ظهر أثر هذا النوع واضحا من خلال الكمية الكبيرة من الأوعان التي تناقلتها كتب  
الجغرافيا والتاريخ لهذه الفترة ؛ فكورة بلنسية " ذات مسافة بعيدة ، وسانفها لأهلها  
عظيمة ، جمعت البر والبحر ، والزرع والنسرع ، ولها السهل والجبل . . . وجميع  
أقاليمها وحبالها منتشرة بالكروم وأشجار التين والزيتون<sup>(٢)</sup> وهي على نهر جاري ينتفع  
به ويسقي المزارع ولها عليه سياتين وجنات وعمارات متصلة<sup>(٣)</sup> " وجزيرة شقر . . . حسنة  
البقاع كثيرة الأشجار والثمار والأنهار<sup>(٤)</sup> . وأما جيان " فقد جمعت تناهي  
الطيب الأرض ، وكثرة الثمر والطراد العيون " ، وأرض كورة البيرة<sup>(٥)</sup> ، سقيا ،  
غزيرة الأنهار ، كثيرة الثمار ، ملتفة الأشجار ، يحسن فيها شجر الجوز وقصب<sup>(٦)</sup>  
السكر " . وجزيرة " بايسة ، جزيرة حسنة كثيرة الكروم والاعناب<sup>(٧)</sup> ، وجزيرة  
منورقة " من أخصب بلاد الله تعالى أرجاء ، وأكثرها زراعا وورقا وماشية ، وهي على  
انتقالها من البلاد مستغنية عنها ، يصل فاضل خيرها الى غيرها ، ان فيها عن  
الحنارة والتكن والتحصن وعظيم الهادية ما يفنيها ، وفيها من الفوائد ما فيها<sup>(٨)</sup> ،  
ومدينة سرسطة الطيب البلدان بقعة ، وأكثرها ثمر ، لكثرة الفواكه في بساتينهم  
حتى لا يقوم ثمنها بمؤونة نقلها لرخصها<sup>(٩)</sup> ، واشتهرت اشبهلية كذلك بطيب

(١) - مجلة الحربي ع : ١٤٤ / ١٩٧٠ : ٨٤-٨٨ - المغرب ٢ : ٩٠

(٢) - فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، قطعة منه : ١٦

(٣) - صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس : ١٩١

(٤) - نفسه : ١٩٢

(٥) - فرحة الانفس : ١٥ الروض المصطار : ١٨٣

(٦) - نفسه : ١٤

(٧) - الادريسي : ٢١٤

(٨) - رسالة الشقندي : ٥٩

(٩) - الادريسي : ١٩٠ - الروض المصطار : ٣١٧

ترتبتها وكثرة مياهها ، وجبلها المعروف بجبل الشرف ذي البقعة الشريفة ،  
والترية الكريمة ، والخنصرة الدائمة ، لا تكاد تشمس منه بقعة لا لتضاريف  
زيتونه . واشتباك غصونه <sup>(١)</sup> .

وقد ساعد على هذا النماء الزراعي سياسة المرابطين في البناء الحكوس غير المشروحة  
وتوفير الأمن ، واقتلاع المخلصين من الجند أراغبي لاستثمارها ، فكان أن أقبل  
الفلاحون على الأراغبي ، ومنموها من وقتهم وجهدهم ، وصيروها جنات خضراء ،  
بانسة الثمار ، غزيرة العلاء <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

### الصناعة والتجارة :

ازدهرت صناعة السفن في مناطق متعددة من شرق الأندلس ، في طرطوشة  
ودانية ، ولقنت ، وبيجة ، والمرية ، وكان لهذا الازدهار دورا إيجابيا في ترويج  
الصناعات المختلفة وتلويحها ، فلمعت المرية بصناعاتها الكثيرة ، كان بها من  
طراز الحرير ثمانية المراز ، يعمل بها الحلل والديباج ، والسفلاطون ، والاصهباني  
والجرجاني ، والستور المكلفة ، والثياب المعينة ، والخمر ، والعتابي ،  
والمعاجر ، وصنوف انواع الحرير . . . ويصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد  
الى سائر الصناعات ما لا يحصى ولا يكيف . . . وادبها تقصد مراكب البحر من الاسكندرية  
والشام كله . ، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتعرج منهم في  
الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وأدخارا ، وعدت - لأهميتها - في أيام  
المرابطين مدينة الاسلام .

واشتهرت بلنسية بأسواقها وتجاراتها ، ونسجها الذي يسفر لا قمار المغرب ،  
وبرخاوة الاسمار وكثرة الخيرات <sup>(٥)</sup> ، وشاطبة بصناعة الورق الذي لا يوجد له نظير  
بمعمور الأرض . وهم المشارق والمغرب <sup>(٦)</sup> ، و " جيان " بالحرير ، لتربية

(١) - الروض المعطار : ٥٩ : ٣٣٩٤

(٢) - الاستقصا . في اخبار دول المغرب الأقصى : ٣ : ٧٣-٧٤ ، قيام دولة المرابطين :  
٤٠٤ - ٤٠٥

(٣) - الادريسي : ١٦٠-١٦٦ - فرحة الانفس : ١٤

(٤) - الادريسي : ١٦٦ - نفسه : ١٤ ، الروض المعطار : ٥٣٨ - قيام دولة المرابطين (٤٠٠-  
٤٠١)

(٥) - الادريسي : ١٦١ - فضائل الأندلس وأهلها : ٥٩ - الروض المعطار : ٩٧ .

(٦) - ال... : ١٠١ : ٤١ ، Encyclopedie de l'Islam , t.4



الصحراء<sup>(١)</sup> ، وكان لموقع الأندلس والمغرب الجغرافي ، دوره في تلوهر عطية  
التسويق على نطاق واسع ، ان كانت موانئها تشهد حركة تجارية دولية نشطة .  
وبازدياد هذه الحركة التجارية الدولية ، ازادت الثقة بالدينار المرابلي  
فكبرت قيمته ، وراج في الاسواق ، متى كان يصبح عملة دولية ؛ وقد انعكس  
هذا النشاط الاقتصادي على المجتمع الأندلسي في مدته المختلفة ، وفي غالب  
الاحوال ، وخاصة في ظل الاستقرار والامن الذي وفرته الدولة المرابلية - في صدر  
حكمتها وعز سبلانها ، بالرفاهية والرخاء<sup>(٢)</sup> .

---

(١) - قيام دولة المرابليين : ٤٠٠ - ٤٠٦ .

(٢) - نفس الشيء : ٤٠٣ - السري ( مجلة ) ٢٧٦٠ع / ١٩٨١ : ١٠٨ - ١١٢ .

(٣) - الاستقما : ٣ : ٧٣ - ٧٤ .

## الحياة الاجتماعية

بلغت أندلس في القرنين الخامس والسادس مستون حضارياً راقياً في كافة مجالات الحياة ، صن علوم وسنائع وفنون ؛ الأمر الذي كان من شأنه أن يفتحي مطالب المجتمع الأندلسي كله ؛ إلا أن انقسام الأندلس إلى دويلات متناقضة ومتصارعة قد حرم غالبية الرعية نعيم ذلك التطور ، وجعلها مصدر جباية تفنن ملوكها في استبدادات أساليبها ، وذلك لفرضين :

الأول : لدفع غرامات سنوية ثقيلة فرضها عليهم ظهرو المدد والنصراني في ذلك الحين مستغلاً فرقتهم ونزاعهم وانصرافهم عن وسيلة بقائهم واستمرار وجودهم ، عن الجهاد الذي انعكس مفهومه في عهدهم ، وتحول إلى حروب أهلية ، تعلن لأتفه الأسباب بدلاً من أن يكون سداً بين بلاد الإسلام وأطماع النصارى المتوشحين .

الثاني : لتفالية النفقات التي اقتنتتها عملية التنافس المستمرة بين أولئك الملوك في قناياها مشوية ، استدعتها شهوة الملك ، والظهور بمظهر العظمة والتسلط فقد أقبلوا على تشييد القصور ، وإنشاء الحدائق والمنتزهات ، والاسراف في الحفلات وإقامة المجالس اللامعية ، كما سارعوا إلى اقتناء كل غال ونفيس من وسائل التزيين والترفيه ؛ فروى أن الممتدح بن عباد ( - ٤٦١ ) صاحب اشبيلية ، أنه " كان يحتفظ بسرب من الحنظايا يضم سبعمائة أو ثمانمائة امرأة ، وأنه كان ينفق أموالاً عظيمة على الأبخية الشامخة ولا سيما القصور والقلاع ، مهملًا

(١) - (في عاقل ذلك) - المساجد اتصالاً شديداً . ووصف أساميل بن ذي النون

المنتزب على الليلة " بالهزل بالمال ، والكلف بالاساك ، والتتخير في الانفاق (٢) ، كما وصف ابنه المأمون بالاسراف في تشييد القصور السنادرة ، والهدخ في إقامة الحفلات والافراح (٣) . ومن عجيب ما يروى عنه أنه دخل عليه - بعد هجوم البلاغية

(١) - الذخيرة ٢/١ : ٢٦ - أشباح ١ : ٤٣

(٢) - نفسه ٤/١ : ١٤٣ .

(٣) - نفسه ٤/١ : ١٢٦ وما بعدها .

فرناند وعلی مطقة بطليوس وعياثيه فيها سبيا وتخريبا ، فوجد في حالة من  
الغضب شديدة ، فظن أنه قد ساء ما حل بطليوس ، الا أنه اكتشف - بعدئذ -  
أن مصدر ذلك الغضب كله هو تهاون الصنائح ومماطلته في بناء القصر العجيب الذي  
كلف بإنشائه<sup>(١)</sup> .

وأما أبو العزم بن جمهور ، على الرغم مما وصف به من حسن السياسة والتدبير ،  
والتخفيف من الحكوس ، فقد كان أيضا - مهتما بنفسه ، جمع مالا كثيرا ، وحاطه  
ببخل شديد ومنع خالص . وينطبق الوصف نفسه على ابن رزين صاحب السهلة  
مع زيادة ولعه بالجواري ، ولهته في شرائهن ولو بأرفع الاسعار ، يحكى أنه  
اشترى جارية أبي عبدالله المتلب بن الكتاني ، بعد أن أحجمت الطول عنها  
لفلا سعرها ، فأعلاه فيها ثلاثة آلاف دينار فطكها . . . ، وللهن بكل  
جهة ، وجعل ذلك ديدنسه ، حتى اجتمع عنده منهن مائة وخمسون

حنيفة<sup>(٢)</sup> . وهذا غيظ من فيض ، والا فقد عت هذه الظاهرة طوك الطوائف لم  
يشذ منهم أحد ، وكان تشييد القصور ، وجمع الأموال والنفائس ، واقتناء  
وسائل البذخ والترف \* موضة \* اجتاحت مصر كله ، وكان أثرها على الرعيمة  
سسي \* المواقب ، ثقيل التبعات . واما بلنسية وما حولها ، فقد كانت  
الحياة فيها حادة وعادية لهسالية الجيش فيها . واعتماد اكثر أهلها على  
الزراعة والتجارة والتي رخصت فيها أسعار البضائع لوفرتها ، ولكن هذا الاستقرار  
لم يكن مطردا ، فقد تعرضت بلنسية بأعمالها - لفتن وخطوب حرمت أهلها  
نعمة ذلك الاستقرار ، وأصابهم ما أصاب غيرهم من سكان الاندلس ، بل أكثر .

(١) - المصدر السابق : ٤ / ١ : ١٤٧-١٤٨ .

(٢) - نفسه : ٣ / ١ : ١١١-١١٢ - ابن خفاجة : ١٧ .

انتمت بلنسية في عهد مبارك ومظفر السامريين صدر جباية عظيمة ، \* بلغت  
 مائة وعشرين ألف دينار في الشهر ، سبعين ببلنسية وخصمين بشالبة ،  
 تستخرن بأشد المنف من كل صنف \* (١) ، فوعدت الرعية من جراه ذلك فسي  
 بلاء عظيم حتى اضطر أكثرها \* للبس الجلود والحصر ، وأكل البقل والحشيش  
 واضطر غيرهم للجلاء عن مشاهم ، والتخلي عن قراهم (٢) . كل ذلك ومبارك ومظفر  
 لاهيان \* قد انتمسا في النسيم الى قم رؤوسهما ، وأخذوا الى الدعة ، وسارعا  
 في قناء اللذة ، حتى أربوا على من تقدم ، وتأخر (٣) ثم خفت الوطأة قليلا - على  
 أهل بلنسية ، بعد أن حكىها عبد العزيز بن أبي عامر ( ٤٥٢ - ) ، ولم تتحسن  
 حالتهم كثيرا في عهد ابنه عبد الطلك ( المظفر ) ، الذي كان \* منهمكا في الشرب  
 غاربا عن الإخصال المحمودة مع رقة الديانة ، ونقص المروءة ، وكثرة الاستهمال  
 والانحطاط في مهاوي اللذات لا يصنع ( كذا ) لوعظ واعظ ، ولا يقبل لنصح ناصح  
 لكنهم نعموا بنوع من الاستقرار والرخاء في عهد أبي بكر بن عبد العزيز ( ٤٧٨ هـ ) ،  
 فقد وصف بالعدل وعسن السياسة والتدبير ، وبعده توالى حملات النصارى  
 على بلنسية ، واشتد حصار \* السيد \* لها في سنة ( ٤٨٧ ) . فعاشت  
 - إبان ذلك - محنة قاسية ، فقد \* هلك أكثر الناس جوعا وأكلت الجلود والدواب  
 وغير ذلك . . . وكثير الغلاء ، وتفشى الوباء ، وفتك فيهم الجوع  
 حتى اقبلوا على الجيف من بني آدم يترمقون بها .  
 (٦)

(١) - الذخيرة ٣، ١ : ١٥-١٧

(٢) - نفسه : ١٩

(٣) - نفسه : ١٨

(٤) - البيان المصرب ٣٤ : ٣٠٢

(٥) - نفسه : ٣٠٤

(٦) - نفسه : ٣٣-٣٩



ولم تسلم المدن والقرى التابعة لها ، فقد تعرضت شقرا ، وشاطبة المهجمات معاملة انتسفت فيها الزرع وروعنا الانفس ، وتفلب " السيد" على بلنسية ، فأذل أهلها ، وأذاقهم مرارة الحرمان ، فهجر أكثرهم من وطنه ، ولم يمودوا اليها الا بعد أن أخرج المرابطون النصارى منها راغمين ، فكانت فرحتهم بهذا الانتصار كبيرة ، رغم ما أصاب المدينة من الحرق والهدم على أيدي النصارى أثناء خروجهم منها في سنة ( ٤٥٤ هـ ) .

وانعكس انصراف ملوك الطوائف عن الجادة ، انعكاسا سيئا على الرعية ، فندب اليها الفساد ، وتفشت فيها عوامل الانحطاط والتدني ، فصار شرب الخمر أمرا عاديا ، وانتشرت مجالس اللهو والرقص والدرج هنا وهناك ، فقد ذكر ابن سنيدي أن وادي اشبيلية لم يكن " يخلو من مسرة " ، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ، لانه عن ذلك ولا منتقد ، مالم يؤد السكر الى شر وعريسة<sup>(١)</sup> . وأن بأهذة \* من اصناف الملاهي والرواقر المشهورات بحسن الانباج والنعمة ، فانهم أخذوا خلق الله تعالى باللعب بالهسيوف والدف واخراج القروي والمرابط والمتوجه<sup>(٢)</sup> . وانسحب ذلك على غيرها من الاماكن والمدن وساعد على انتشاره انقلاب حركة الجهاد وتمليل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد نكبت الرعية في حياتها كما يقول ابن حبان - في هذا القرن - بفساد طحها فالمرء قاسدون ، والفقهاء أعتهم صموت عنهم ، صدوف عما أكد الله عليهم من التبين لهم ، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم ، خائض في أهوائهم ، وبين مستشعر مخافتهم أخذ بالتقية في صدقهم ، وأولئك هم الأقلون فيهم<sup>(٣)</sup> .

(١) - فئائل الاندلس وأهلها : ٥١

(٢) - نفسهم : ٥٦

(٣) - الذخيرة ٣/١ : ١٨٠ - ١٨١ - البيان المغرب . ٣ : ٢٥٤

\* أهذة : مدينة صغيرة أندلسية ، تقرب من بهاسة وهي على مقربة من النهر الكبير وبها مزارع وغلات .

الا أن هؤلاء الفقهاء انقلد قد تمركوا ، وتمركت معهم العامة ، فمالت قلوبها الى غير ملوكها .

وكان دخول المرابطين الى الاندلس في أواخر القرن الخامس نقطة تحول في حياة الاندلس كلها ، فقد توحدت ، وأصبحت ولاية تايمة لمراكش دار الامارة ، يمثلها أمراء يمينهم أمير المسلمين ، كلهم من لمتونة ، يمارسون سلطة شبيهة مطلقة على الكور التي كلفوا بتدبير شؤونها ، وسارت الأمور على مايرام بين الاندلسيين وحكامهم الجدد ، سعية وتقديرا ، وتعاوننا مشتركا ، ونيانا موازنا بتسيير انجهااد والاصلاح المستمرة ، وقد أسهمت مراقبة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وابنه علي ابن يوسف ، في صدر ولايته ، والفائهما المكوس والضرائب غير المشروعة فسي تميميق هذا التكافل الاجتماعي الرقيق .<sup>(١)</sup>

لكن حدثت بعض ظواهر عكرت صفو هذه العلاقة ، وكادت أن تقلبها الى خندها ، فقيام دولة المرابطين على أساس ديني خول للفقهاء استلام مركز الصدارة في السلطة ، خاصة وأنهم هم الذين شهدوا لدخول المرابطين ، فكان أن كثروا كثرة مذهلة ، وظهروا بكيفية لم يكونوا قادرين عليها من قبل ، وكان إيثار أمير المسلمين عليهم على غيرهم ، وعدم بته في الأمور الا باستشارتهم<sup>(٢)</sup> ، قد أطلق سلطتهم ، فاجتهدوا بأراء شبهتوا بها على أهل الاندلس الذين اعتادوا الاندلس في زمن الطوائف ، وكان اقبالهم على الدنيا وجمع الأموال مثار نقمة فئة من أهل الاندلس ، وعلى رأسهم المشركاء الذين هجروهم باقناع الكلمات ، حتى أن شاعرنا ابن خفاجة لم يسمت عنهم فقال فيهم :

(١) - الانيس المطرب : ١٦٢ ، قيام دولة المرابطين : ٤٠٢

(٢) - المصعب : ١٧١ .

درسوا العلوم ليطلبوا بهجد المهيم  
في أخذ مال مساجد وكنائس<sup>(١)</sup>  
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة

وكان بروز المرأة اللاتينية في السياسة الاندلسية ، ومشاركتها في الحياة  
بكيفية لم تصهد لها الأندلس من قبل ظاهرة أخرى ، انعكست على الوجود المراهطي  
في الأندلس ، فقد استوليين - كما يقول المراكشي ، ولعله قد بالغ - على  
الأسواق ، وأسندت اليهمن الأمور ، وصارت كل امرأة من أكابر المتونة ومسوفة  
مشتدلة على كل مفسد وشهير وقاطع سبيل ، وصاحب خمر وماخور . وقد اشتهرت<sup>(٢)</sup>  
سهبين مريم بنت ابراهيم وكانت كما يقول ابن دحية : فاضلة<sup>(٣)</sup> ، وقد  
مدحها ابن خفاجة<sup>(٤)</sup> وحموا مدوحة الأعشى التطيلي<sup>(٥)</sup> ، كما تفرش غيرهن  
من نساء الامراء والوزراء - لنفوذهن - لاطراء الشعراء ومدحهم . وأسهمت  
ظاهرة الشعور بالخلية والتفوق لدى المراهطي ، واستغلال اللثام - شعار المراهطين -  
من طرف العبيد وأصحاب الأهواء لقضاء المآرب والتعدي على الاموال والأعرار<sup>(٦)</sup> ، في  
تسبب الشعور بالحب الى كراهية عصبية بخيطة ، كما كان لفتور مراقبة السلطة العليا  
للولاة في الأندلس ، أن مال هؤلاء الى الاستقرار ، وخففوا من حركة الجهاد  
وركن بمنهم الى الدعة ، وعقد المجالس اللاهية ، فقرروا الشعراء والمفنين<sup>(٧)</sup> ،

- 
- (١) - الديوان : ٣٦٦
  - (٢) - المصعب : ١٧٧ - قيام دولة المراهطين : ٤١٦ - ٤١٧
  - (٣) - الحلب : ٢٠١
  - (٤) - الديوان : ٤٦
  - (٥) - الديوان : ١٦ - ١٨
  - (٦) - ثلاث رسائل في الحسبة : ٢٨
  - (٧) - قيام دولة المراهطين : ٤٢٢ - ٢٣

واستشهدوا فيهم الشهادة ، نالوا الى الاموال بجهنمونها ، وسلطوا الجهاد على الرعية  
وأجدثوا فيها الوانا من المكوس تحسيفوا بها الأمة ، وأرمقوا بها كاهلها ، حتى  
أن ابن خفاجة اشتكى غير مرة من هؤلاء الممال<sup>(١)</sup> ، وأن ابن عبدون قد هاله  
ما رأى من الفساد ، فصور ذلك كله في رسالته ، التي تعد خطوة رائدة في  
مجال الاصلاح الاجتماعي في القرنين الخامس والسادس ، وقال في عبارة ختامية تفيض  
تشاؤما وبأسا : . . . . . وبالجملة فان الناس قد فسدت أديانهم وانما . . .  
الدنيا الفانية والزمان على آخره . . . فكان نتيجة لذلك أن هانوا على عدوهم  
وزالت تلك الهيبة التي كانت لهم في القلوب ، فأخذ النصارى منهم سرسطة في سنة  
( ٥١٢ هـ ) وثار عليهم قرطبة في سنة ( ٥١٥ هـ ) وكان لظهور المهدن وثورته  
عليهم في المغرب بدءا من سنة ( ٤١٤ هـ ) وانصرافهم لمحاربتهم واهمالهم الاندلس  
أثر كبير في ذلك المهبوط السياسي والاجتماعي الذي أصاب الاندلس بعد ذلك<sup>(٢)</sup> ، فقد  
تشعبت ثورتهم بين المدن والقرى ، وكثرت عليهم الفتن والشوارج ، واقتسموا  
المدن وحالتهم هذه ، فصدتهم بقواته ، واستولى على أجزاء كبيرة من البلاد ، وعلى الرغم  
من بذله كل من أبي الطاهر تميم و تاشفين بن علي من بعد ، من  
جهود في تهدئة الأحوال ، وكبح جماح الفتن ، فان قلوب أهل الأندلس قد مالت  
الى القوة الجديدة ، قوة الموحدين ، التي انتصرت في عدوة المغرب على المرابطين  
فاستصرخوها ، وثاروا بالمرابطين في بلادهم ، حبا في الادالة وتبديل الملوك  
- كما يقول ابن الخطيب - وقل أن رأوا ايسالة أنفع أو أجزأ في قتال العدو  
من لمتونة<sup>(٤)</sup> . وتفرق شرق الاندلس ، وعاش فترة لبواطف جديدة ، منذ ثورته  
على المرابطين في سنة ( ٥٣٤ هـ ) ، وبقي على تلك الحال الى أن دخل تحت  
طاعة الموحدين في سنة ( ٥٦٧ هـ ) .

- 
- (١) - ديوان ابن خفاجة : ١٧٠ ، ٢٤٥ - المصعب : ١٤٨ - أمياخ : ١ : ٢٠٧  
(٢) - ثلاث رسائل : ٦٠  
(٣) - المسجب : ١٧٧  
(٤) - اعمال الاعلام : ٢ : ٢٦٥ .

## الحياة الفكرية

ازدهرت العلوم والآداب في قرطبة في القرن الرابع الهجري ازدهارا عظيما ؛ فقد كانت كما يقول ابن بسام : " قرارة أهل الفضل والتقوى ، ووطن أولي العلم والنهي ، وتلب الأقاليم ، وينبوع متفجر المعلوم ، وقبة الإسلام وحصرة الامام ، ودار صواب العقول ، وستان شجرة الخواطر ، وحرر دور القرائح ، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر ، وفرسان النظم والنشر ، وبها أنشأت التأليفات البراعة ، وصنفت التصنيفات الفائقة (١) . . . ، وخاصة في زمن خلافة الحكم المستنصر بالله ( ٣٦٦ هـ ) فقد كان عالما مثقفا ، سحبا للعلم موثرا لادله ، مولدا بالكتب ، يسع منها مالم يحجمه أحد من الملوك قبله هناك ، أرسل في طلبها إلى الأقاليم ، واشتراها بأغلى الأثمان ، ونفق ذلك عليه وحمل إليه (٢) فكان هذا العصر لذلك عمرا ذهبيا في جميع مجالات الحياة ، وفرلما بعدد من عصور رصيذا ضخما من الكتب ، وعددا جبا من العلماء الذين وزعتهم الفتنة في أرض الأندلس والمغرب وغيرها ، فأثروها بتأليفهم ، وتلاميذهم الذين غدوا نجوما تألقت بهم سماة القرنين الخامس والسادس ، وازدانت بهم مجالس أمراء الطوائف فيما بعد (٣) ، فقد صارت كل مملكة - بعد انحلال الخلافة - قرطبة جديدة في رسوم الطق ، وأبهة السلطان ، والاقبال على أهل العلم والأدب والفن ، والسبالفة في أكرامهم وتقديرهم . - على اختلاف في درجة هذا الاقبال على هذا العلم او ذاك باختلاف ميول هؤلاء الأمراء ، والتي كان لها دور كبير في نوعية

(١) - الذخيرة ١/١ : ٣٣

(٢) - جذوة المقتبس : ١٣

(٣) - ايسوال أليب المتنبهي ( دراسة في التاريخ الأدبي ) ، د . ر . بلاشير : ٥٥٢ .

لأنه، الاختلاف كما وكيفا . فقد برزت إشبهية في ميدان الأدب من شعر ونثر ، وكان  
المستشرق بن عباد شاعرا ، وكان المعتمد ابنه - كما يقول المراكشي - غريب  
الأدب ، شعره كأنه الحلال المنشورة ، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب  
ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس ، وكان مقتصرًا من العلوم على الأدب ،  
وما يتعلق به وينضم إليه <sup>(١)</sup> وكان سخاء بني عباد واغداقهم على الشعراء والأدباء  
هو الذي جعل ابن سنيذ يفتخهم بذكره ويجعل من أياهم أعيادا <sup>(٢)</sup> فكثير  
لذلك قصادهم ، وأهمهم كبار شعراء المرصكين زيون ، وابن عمار ، وابن اللبانة ،  
وابن حمديس ، وعبادة القزاز ، وعبد الجليل بن وهبون ، وغيرهم . وقد نبأفس  
أسرة بني عباد الشاعرة ، أسرة أخرى ، اشتهرت بميولها الأدبية والشعرية ،  
تلك هي أسرة بني صباد أصحاب المرية : فقد كان المعتمد ونوه من الشعراء ،  
وكان كما يقول ابن بسام :

\* رجب الفناء بيسزل المطايا ، حلما عن الدهاء والدهاء ، طافت به

الأنال ، واتسع في مدحه المقال ، وأعلت إلى حضرة الرجال ، ولزمه جملة من فحول  
شعراء الوقت كابي عبد الله بن الحداد ، وأبي الفضل ابن شرف ، وابن عبادة  
- المعروف بابن القزاز - وابن شهيد ( أبو حفص عمر ) وغيرهم من لم يخلق  
بسواه سببا ، ولا شد إلى غير ذراه كورا ولا قتباً <sup>(٣)</sup> .

ولم يقتصر ابن صباد في مجلسه على الأدب وحده كما فعل المعتمد ،  
بل تجاوزه ، فقد في كل يوم جلسة مجلسا يتلوا رثبه الفنهاء والخوارج في كتب  
التفسير والحديث <sup>(٤)</sup> . كما انضم إلى مجلسه أبو عبيد البكري ( - ٤٨٧هـ )

(١) - المصجب : ١٠٦ .

(٢) - فضائل الأندلس وأهلها : ٣٢ .

(٣) - الذخيرة ١/٢ : ٧٣٣ .

(٤) - الحلة السيرة ٢ : ٨٢ -

الجغرافي المشهور<sup>(١)</sup> . وأما المنظر صاحب بطلينوس ، فقد كان : " أديب ملوك  
عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم " بالتذكرة"  
والمشتهر اسمه أيضا بكتاب المنظر ، في خمسين مجلدة ، يشتمل على علوم وفنون  
من مغازي وسير ، ومثل وغيره ، وجميع ما يختص به علم الأدب ، أهناه في  
الناس خالدا .<sup>(٢)</sup> وكان عالما أكثر منه شاعرا أو كاتباً ، وكان يتتبع  
الشعراء ويمسك أعظماهم ، ويتفقد هم انتقادا شديدا ، ويرى أن من لم  
يصل بشعره إلى درجة شعر المتنبي أو شعر الممرى فالسكوت أولى به<sup>(٣)</sup> . وواصل  
ابنه عمر المتوكل حماية هذا النشاط الملي والأديبي ، مشاركا هو أيضا في المنشور  
والمنظوم<sup>(٤)</sup> ، يؤثر مجالسة العلماء والشعراء على كل ماعداها<sup>(٥)</sup> . وقد برز في  
دولتهم الشاعر الناثر المجيد عبد المجيد بن عبدون ، وهو الذي خلف آثارهم  
بمرتبة المشهورة ، وهو القبطونية : أبو بكر بن عبد العزيز البطلينوسي  
وأخوه أبو محمد وأبو الحسن ، وكلهم شعراء ، وابن البيهق البطلينوسي  
ومن كتابهم أبو بكر عبد المنيز بن سعيد البطلينوسي ، وأبو بكر بن قزمان - عم  
ابن قزمان الزجاج - وأبو عبد الله محمد بن أيمن وغيرهم<sup>(٦)</sup> . وأتت ساحة  
إسماعيل بن ذي النون صاحب طليطلة من الشعراء والادباء لبخله وتقتيره ؛  
فما عدت إليه مائة ، ولا حطت أحدا نحوه ناقة ، ولا عرج عليه أديب

- 
- (١) - دول الطوائف : ١٦٧ .
  - (٢) - الذخيرة ٢/٢ : ٦٤٠ - ٦٤١ .
  - (٣) - نفسه : ٦٤١ .
  - (٤) - المغرب ١ : ٦٤١ .
  - (٥) - أشباخ : ١٠٢ .
  - (٦) - الذخيرة ٢/٢ : ٦٦٨ ، ٧٥٣ ، ٧٧٤ ، ٦٥٢ - دول الطوائف : ٨٨ .

ولا شاعر ، ولا احتدحه ناظم ولا ناثر ، ولا استخرج من يده درهم في حق ولا باطل ، ولا حذلي أحمد منه بدلائل<sup>(١)</sup> . وأما المأمون ابنه ، وطى الرشيد بن اشتهاه بالبخل ، وما أيضا . فقد احتفل بلاطه على العديد من الشعراء والكتاب منهم ابن شرف القيرواني ، وابن خليفة المصري ، وإبوالفضل البغدادي ، وابن أرفع رأسه الوشاح اللطيطي المشهور ، كما الفت له بشر الكتب ، وأهدى له ابن حيان أحد كتبه التاريخية<sup>(٢)</sup> . وكان نصيب ابن رزين صاحب السهلة من أهل الادب مثل نصيب اسماعيل بن ذي النون ، فقد كان - على حد قول ابن بسام : " ضيق الفناء ، جهم اللقاء ، آخذق الناس بحرمان من قصده . . . وكان الشاعر اذا وفد عليه ، او مثل بين يديه ، أخذ يناقشه الحساب ، ويفلق دونه الالهواب ، وينتحبه بضروب نقده ، ويصعب عليه من شأبيب برده ، حتى يخرج بين الحائط والهاب ، ويرضى من الخنيممة بالاياب<sup>(٣)</sup> . ولم يشتهر عن بني القاسم أصحاب الهونت نشاط يذكر في المجال العلمي والادبي ، الا أن ابن حزم وصف مجلد سهم بأنه حافل بأصناف الآداب ، وآهل بأنواع العلوم<sup>(٤)</sup> . كذلك كان أبو زيري في غرناطة قليلي الاهتمام بالادب والاحتفال بأهله ؛ وقد ذكر صاحب البيان المضروب وزير ، سيوس بن ماكسن ابن الدائرلة اليهودي ، ووصفه بالتأرف والادب كما عده ابن الخليل من اعلام الآداب والافراد<sup>(٥)</sup> ، وكان أبو اسماعيل ، كما يذكر ابن حيان - من أكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاء . . . وكان دائم التفكير ،

(١) - الذخيرة ٤ / ١ : ١٤٣ -

(٢) - المضروب ٢ : ١٨ ، ١٢ - تاريخ الادب الاندلسي عصر اللوائف والمرايطين : ٧٥ -

(٣) - الذخيرة ٣ / ١ : ٤٩ - ٥٠ -

(٤) - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٥ -

(٥) - البيان المضروب ٣ : ٢٦٤ - ٢٦٥ - الاحاطة ١ : ٤٤٠ -



بمسألة للكتب<sup>(١)</sup> . ووزير هذا شأنه ، قد يكون - بلا ريب - مقصد الشعراء  
الساحين ، وقد اشتهر منهم الاخفش القهذافي<sup>(٢)</sup> . وأما قرلجة ، فلم يعد لها  
ذلك البريق الهذاب ، وتلك الحركة العلمية النشيطة ، فقد بزتها بلاغات جديدة  
في تلك الحركة الثنافية المتنوعة في القرن الخامس ، ومع ذلك فلم يكن بلاطه بني  
جمهور يظلمون شاعر مجيد او كاتب لامع ، وقد انجبت قرلجة من الشعراء ابن زيدون  
وولادة بنت المستكفي ، ومن الكتاب والعلماء ابن هبان المؤرخ ، وأبوالحسن بن سراج ،  
وابن حزم القرطبي ، الفقيه الاصولي والعالم المتفنن في شتى المصارف والفنون  
وغير هؤلاء كثير . واما اذا اتجهنا شرقا الى مرسية ، في عهد أميرها عبد الرحمن  
ابن الحامر ، فستجدنا مقصد الشعراء والكتاب ، لاسيما<sup>(٣)</sup> وأن أميرها ، فارس  
من فرسان الكتابة ، وامام من أئمتها المتفنين في ميادينها . وما زاد من الاقبال  
عليه جوده وكرمه ، حتى أن ابن عمار انتجعه في بداعة أمره<sup>(٤)</sup> . ولم يكن  
للشاعر الادبي حظ كبير في سرقطة بني هود اذا ما قورن بحظ الدراسات  
الفلسفية والرياضية التي شهدت تطوراً ملحوظاً في ذلك الوقت ، فقد كان المقنن  
من العلماء ، شغوفاً بالفلسفة والرياضة والفلك ، كما كان ابنه المؤمن قائماً على  
المعلوم الرياضية وله فيها تأليف مثل \* الاستمهال \* و \* المناظر \*<sup>(٥)</sup> ، وقد  
وزر له من الكتاب المشاهير ابو عمرو بن القلاس ، وابوالفضل بن حسداي  
وابوالملوف بن الدباغ ، كما نشأ ابن باجة الفيلسوف الرياضي في حضرتهم ،  
وعاش المفكر السياسي ابوبكر الطرطوشي صاحب \* سراج الملوك \* في ظل دولتهم

(١) - الاحاطة ١ : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٢) - المقرب : ٢ : ١٨٢

(٣) - الذخيرة ٣/١ : ٢٥

(٤) - نفسه : ٢٥

(٥) - تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٦٣ .

(١)

رنا من الزمان ، وقصد هم من المداح ابن خير التاييسي وابراهيم بن مهلى الخرسوني ،  
وطبخت باسماهم كتب ، منها كتاب في المروءة لنصر بن عيسى (٢) . وتميز ابو الجيوش  
مجاهد صاحب دانية والجزائر الشرقية بتعلمه عن علوم الشريعة ، فقد ذكره ابن حيان  
فقال انه كان " يباين سائر الطوك في زمانه بخلال من الفضل ، من اشرفها العلم  
والمصرفه انلذان لم يكن في الاحرار ولا في الموالي اثبت قدما منه فيها ، يكاد يربي على  
مقلديها من اكابر العلماء في وقته ، لاسيما علم العربية ، فانه تحقق به الى ما يتصرف  
من علم القرآن ، قراءته ومعانيه وغريبه وتفسيره ، قد عني باللب ذلك من صباه الى اكتوبره  
فكان في النهاية من البصرية ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت  
اليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع بفنائهم جماعة من مشيختهم وشهسور طبقتهم ،  
كابني عمرو المقرئ ، وابن عبد البر ، وابن ميمر اللخوي ، وابو الحسن بن سيدة ،  
فشاع العلم في حضرته حتى نشأ في جواريه وفنانيهم ، فكان له من المصنفين  
عدة يقومون على قراءة القرآن ، ويشاركون في فنون من العلم ، يجملونه بها ويشرفون  
دولته (٣) ، الا أنه وعلى الرغم مما وصفه به ابن حيان من أنه كان أديب طوك عصره  
لم يكن للشعر في فناء دولة ، فقد كان " من أزهد الناس في الشعر وأحرمهم  
لأمله ، وأنكرهم على منشدته ، ولا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة ، كاشفا لما زاغ  
فيه من لفظة وسرقة ، فلا تسلم على نقده فافية ثم لا يفوز المتخلص من  
ضماره ، على الجهد لديه ، بتلائل ، ولا يحظى منه بتلائل ، فأقصر

(١) - المغرب : ٢ : ٤٥٠ - ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٢) - التكملة : ٢ : ٧٤٦ .

(٣) - أعمال الاعلام : ٢ : ٢١٧ - ٢١٨ .

لشعره الفاضل على الملوك ، وبغلا الشعر من ذكره <sup>(١)</sup> . وفي جزيرة مورقة جرت  
 المناظرة بين ابن حزم القرطبي ، وأبي الوليد الباجي بين يدي واليها من قبل مجاهد ،  
 أبي العباس أحمد بن رشيق الكاتب البار والمعلم الأديب <sup>(٢)</sup> .  
 واستمرت هذه الحركة العلمية مع ابنه علي بن مجاهد - أقبال الدولة - فقد كان  
 هو أيضا محبا للعلم والسلام يتذوق الشعر وينتظمه .

وحظيت ملكة بلنسية بفترات من الأمن والاستقرار ، في عهد عبد العزيز المأمون  
 (- ٤٥٢ هـ ) ثم في عهد ابن وزيره أبي بكر بن عبد العزيز <sup>(٣)</sup> ، ساعدت على نشوء  
 مراكز علمية ذات شأن ، أقامها العلماء الوافدون على بلنسية من شتى نواحي الأندلس  
 وكان الطابع العلمي هو الخائب على أكثر هذه المراكز إن لم نقل على كلها في النصف  
 الأول من القرن الخامس عشر <sup>(٤)</sup> . أن عبد العزيز المأمون قد أتحف مجلسه بأربعة من  
 مشاهير الكتاب سماهم الناس الذبايح الأربع ، وهم : ابن طائوت وابن عباس ، وابن  
 عبد العزيز المعروف بـ " ابن روض القرطبي " ، وابن التاكرنسي . . . . . ولم تحسب  
 الحركة الأدبية العامة بالأهمية والرواج إلا في النصف الثاني منه ، والسما بعد حكم  
 المرابطين لبلاد الأندلس ، فقد كان أبو بكر بن عبد العزيز (- ٤٧٨ هـ ) عالما ،  
 حازما ، فقيها عادلا ، متمردا للفتيا <sup>(٥)</sup> ، " ماضي البراعة ، مشهور البراعة ، متمردا  
 بالأدب ، ينسل إليه من كل صوب " <sup>(٦)</sup> . وإذا فقد كان المجال خصبا

---

(١) - الذخيرة ٣ / ١ : ٢٣  
 (٢) - الحلة : ٢ : ١٢٨ - ١٢٩ .  
 (٣) - Encyclopedie de l'Islam t.4 : 1128  
 (٤) - الذخيرة : ٣ / ١ : ٢٥٠  
 (٥) - البيان المخرّب : ٣ : ٣٠٣ .  
 (٦) - - فرائد المعيان : ١٨٦

أسماء المنشأ أهل العلمي بفرسهم وخاصة المعلوم الشريفة والذرية التي برز فيها علماء كبار  
كأبي عمر بن يوسف بن عبد البر ( - ٤٦٣ ) في الحديث ورجاله . وعلي بن خلف  
ابن بلال السمرقندي بن النجم ( - ٤٧٤ ) في الحديث أيضا ، وفي الخرافات  
أحمد بن داود المقرئ\* ( - ٤٦٦ ) وفي الفقه والحديث أبو الوليد الباجي ( - ٤٧٤ )  
وأبن بلال البكري ( - ٤٥٤ م ) ، وأبو الطرف بن أبي تميم ( - ٤٧٥ ) وفي  
اللغة تمام بن غالب بن عمر المعروف بابن التبان ( - ٤٣٦ ) وإسماعيل بن سيدة  
والد أبي الحسن بن سيدة وتوفي بعد الأرمائة . . . وغير هؤلاء\* .

هذه جملة نصوص ، بل هي جملة من الحقائق ، تلقي الضوء على الحياة  
الفكرية بتفرعاتها في عصر اللواتف أوردنا هنا لنستدل بها على (١) :

\* أن الحركة الفكرية لم يصبها ما أساب الناحية السياسية والاجتماعية من انهيار  
ومحيط ، فقد نمت وازدهرت على نحو يدعو إلى الإعجاب في تلك الفترة القلقة  
من حياة الأندلس المسلمة .

\* وأن البيئة الاجتماعية الأمازيغية كان لها الدور الفعال في ذلك التباين الواضح  
والتنوع السبب في الدراسات التي اشتهرت بها كل دولة .

\* وأن الشعر لم يكن له بين تلك الاهتمامات مجال يذكر إلا في ثلاث بلاطات :  
بلاط بني الألفس في بعلبوس ، وبلاط بني صمادح في المريجة ، وبلاط بني  
عباد في أشبيلية ، وقد وجد الشعر في هذا الأخير ميدانا فسيحا ، وتربة خصبة  
وجد حكاما شعراء ، يتذوقون الشعر ويثيرون عليه ، فكان من الهداية ، أن  
تكون أشبيلية قبلة الشعراء من كل صوب ، لا سيما المنتجعون منهم ، فينال بنوعباد  
تبعاً لذلك - شهرة واسعة ، وبنامها عريضا ، وسمة طيبة في أوساط  
الشعراء والأدباء الذين استألفوا بأهلهم ، وآثروهم بحبهم وتقديرهم ، بل وتقديرهم ،

---

(١) - قارن هذا بـ : تاريخ الأدب الأندلسي عصر اللواتف والمراهمطين : ٧١ - ٨٠ .

وكان لهذا الظاهرة أثرها السلبي على العصر التالي : نصر المرابطين ، من حيث القيمة التاريخية على الأقل ؛ ففي الوقت الذي تميز فيه هؤلاء الصمراة وغيرهم للإعلاء من شأن مدوحهم ، وصاحب نعمتهم المعتمد ، توجهوا بللائة على المرابطين عامة ، ويوسف بن تاشفين خاصة ، واستغلوا جهله بالعربية ، وعدم فهمه العميق لمعانيها ، فلفقوا حكايات ، ونسجوا قصصا ، ضمنوها وقائع ممتدة دعاهم اليها روح انتقامية عيانية ، وحقد دفين على هذا الذي عكر صفوهم ، وحرصهم نعمة ذلك الفردوس المعتمدى . وقد أورد الشقندي في رسالته بعضا من تلك الدفيعالات ، مستعينا بها في اثبات فضل بلده الاندلس على عدوة المغرب ، ولا يخفى - على ذي عقل - افتقار هذه الرسالة ، وغيرها في بابها - الى الموضوعية والانصاف العلمي . ونحن لم يؤلمنا ايراد الشقندي لها ، فهي تناسب موضوعه ، وتملأ فراغا من رسالته ، ولكننا نأسف لان ما أورد الشقندي أمثله من الباطنين كسلمات بنوا عليها أحدا ما جانب الصواب في كثير من الاحيان فقد وصف " دوزي " - بناء على ذلك - المرابطين بالجهل والهمجية (١) كما جعل " بالثنيا " عصر سيادتهم على الاندلس عصر تأخر وانكماش للثقافة الاندلسية (٢) ، ولم ير فيه " عرشية غوث " أبي شبي " ينمي الادب بل عدّه محنة سادت على القيم الجمالية في الاندلس (٤) الى غير ذلك من الآراء (٥) التي يظهر تلذذها واضحا كلما رجعنا الى كتب التراجم الحافلة بأسماء العلماء والادباء الذين نبهوا في هذا العصر . وتسمنوا صهوة الشهرة ، وتركوا آثارا تدل على تقدمهم وتبريزهم . وهي حقيقة فرضت نفسها

(١) - فضائل الاندلس واسمها : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) - *Historie des Musulmans d'Espagne* ٤٧ : ٤٣٧ ١٥٥

(٣) - تاريخ الفكر الاندلسي : ١٢١ .

(٤) - مع شمراة الاندلس والعتني : ١٣١ ح .

(٥) - أبو الطيب العتني : ٥٠٥ - تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ٢ : ٢٣٩ ، ٢٥٠ .

على " غرثية غومث " وجعلته يرد آراء " دوبي " ، ويعدل عن آرائه المتطرفة  
الى آراء اكثر اعتدالا في كتابه " الشعر الاندلسي " ونحن نعترف - بحق -  
أن مسحة من الفتور أصابت النواحي الأدبية بعامة - والشعر على الخصوص ،  
وأن وهج القصور الذي كان يذكي الشاعر الرسمية قد زال الى حين ، ولكن لذلك  
أسبابه : فالاستقرار وهو من أهم عوامل ازدهار الثقافة كان شبه معدوم عند  
السلالة التي كانت لا تستقر على حال ، استجابة لحركة الجهاد المتواصلة ،  
ودخول المرابطين الى الاندلس ، واحداثهم ذلك التفسير المراسم الشامل في بنية  
المجتمع الاندلسي ، والذي تطلب شعرا يواكب المرحلة شكلا ومضمونا ، وهو ما يعسر  
تعميقه في الواقع في بداية أية دعوة من الدعوات ، ولا ننكر أنه وبدت بوادر ، ولكنها  
لا تمتد اذا قيست بذلك الكم الهائل من أشعار الذين وصفهم يوسف بن تاشفين  
على حد قول الشنقندي " بمريدي الخبز " (١) . وأدوار الشعراء ، في  
بلاطات الملوك ، ومواقفهم المستخذية من تصرفاتهم ، ونفخهم فيهم روح الكبرياء  
والفرور ، ربما هي التي جعلت امير المسلمين ينظر اليهم نظرتة الى ملوكهم ، ويحطهم  
مسؤولية ما حدث بالامة من وهن ، وتخاذل ، جبراً عديها على اقتحام حماها ، فحرمهم  
كما حرم ملوكهم متاع تلك الحياة اللادية . والحقيقة ، كما يقول " غرثية غومث "  
" أن الشعر الاندلسي لم يمت في عصر المرابطين ، وكل ما حدث أنه كيف نفسه  
بما يلاءم الظروف الجديدة التي احاطت به " (٢) . فلم يمت وقت الويل ، حتى  
عادت الحياة الى مجراها الطبيعي ، واحتل الشعر مركزه ضمن الاختصاصات الاخرى  
في عهد خلفاء يوسف بن تاشفين الذين لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة  
القاير ، وأصبحوا أقرب الى الاندلسيين منهم الى الافارقة ، ففقدوا المجالس ،

(١) - فضاء الاندلس وأهلها : ٣٣

(٢) - الشعر الاندلسي : ٥٧

(٣) - نفسه : ٥٨ - قيام دولة المرابطين : ٤٤٤ - ٤٤٥ .

واستمعوا الى الشهوراء ، بل وشاركوهم في ندوة ونظمه ، كما حفلت دواوين  
 انشائهم بالكتاب البارعين ، فنشطت الحركة الادبية - تبعا لذلك - وانبعثت  
 فيها حياة جديدة ، وكان للاستقرار والامن الذي عم الاندلس في معظم مدة حكمهم  
 دوره في تمهيق هذه الحركة الادبية والعلمية ، وتوسيع نشاطها ، كما فسح المجال  
 للتعان الاجتماعي بين بلاد المغرب والاندلس على نحو أشد فاعلية (١) .

وكان قيام دولة المرابطين على أساس المذهب المالكي ذا اثر في تمهيق الدراسة  
 في اصوله وشروعه ، وبروز علماء جلة في فقه المالكية كان لهم دور في دولة المرابطين  
 واثار فعال في توجيه سياستها في الاندلس والمغرب ، واشتهر منهم في الاندلس  
 أبو الوليد بن رشد الجد ( - ٥٢٠ ) . تولى منصب قاضي الجماعة . وأبو عبد الله  
 ابن حديد ( - ٥٠٨ ) وأبو بكر بن العربي ( - ٥٤٣ ) . وفي المغرب لمع اسم  
 القاضي عياض اليعقوبي ( - ٥٤٤ ) وكانت له حظوة في دولة المرابطين ، وسحمة  
 حسنة بين العامة والخاصة ، لفقته ، وتأليفاته الحسنة في الفقه والسيرة وعلم  
 الرجال ، كما برز في علم الرواية والمحدثين كل من أبي علي الصديقي ( - ٥١٤ )  
 وأبي علي الغساني ، وأبي عمران بن أبي تليد ( - ٥١٢ ) ، وهم اندلسيون ،  
 وغير هؤلاء كثير . وأما الفلسفة وعلم النجوم فلم يحظيا بالمناية الكافية ، لاجتماع  
 أكثر الفقهاء ومن ورائهم العامة ، ويساند هم الحكام في أغلب الأحيان ، على حرمانها  
 وملاحقة كل من اشتغل بهما ، بدوافع شتى ، من أندرها الانطلاق في ذلك من دافع  
 الدرس على إيمان الأمة متمن تنفسي الشكوك والريب المغنمية بالعامة من المسلمين  
 الى الزندقة والالحاد ، وهي ظاهرة قديمة في الأندلس ، وكان لميول السلطان

والأمم والجماعات في الأندلس من فنن وصراعات داخلية وخارجية أثر في استمرارها  
 (١) ، ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد ، بل نجدهم يقفون في وجه  
 كل مذهب فقهي غير المذهب المالكي (٢) ، خاصة المذهب الحنفي لاعتماده الرأي  
 أساسا في تفرير المسائل واستنباط الأحكام ولعل ابن حمدين - قاضي  
 الجماعة - وغيره ممن أفتوا بوجوب حرق كتاب الإحياء قد استندوا إلى هذا الأساس  
 مضافا إليه حشو صاحب "الإحياء" كتابه بالكثير من الأحاديث الواهية والضعيفة ،  
 ومع ذلك فقد كان لهذه الأهمية مذكرون من بين الفقهاء أنفسهم ، فضلا عن  
 الخوارج الذين ظلوا - مستغفبين - يهتمون بدراسة الفلسفة والتعمق في  
 مسائلها ، فخلفوا لنا رسائل ذات قيمة كبرى ، وفي مقدمة هؤلاء الفيلسوف  
 الموسيقي الشاعر أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة ( ٥٣٢- ) صاحب كتاب  
 " النفس " " وتدير التوحد " ، ورسالة " الوداع " وغيرها ، كما أثر  
 عنه مؤلف مهم في الموسيقى ، كان عليه الاعتماد في الأندلس (٥) .  
 وقد وزر ابن باجة للامير المرابطي ابن تيفلويت ، ورثاه بعد موته ، كما نبغ  
 في هذا الاختصاص ، صديق ابن خفاجة ، وربما استأذنه ، ابن السيد محمد  
 البطليوسي ( ٥٢١- ) وله كتاب في " المسائل والأجوبة " ، وأبو الصلت  
 الداني ( ٥٢٨- ) وبالك بن وميم ، وكان من أئمة الفلسفة المنريين إلى علي  
 ابن يوسف (٦) ، وأبو الحلاء بن زهير مدوح ابن خفاجة ، وأدرك هذا العصر

- 
- (١) - تاريخ علماء الأندلس : ت : ١٢٠٤ - طبقات الامم : ١٠٢-١٠٣  
 - فضائل الأندلس : ١١-١٢ ، البيان المغرب : ٢ : ٢٤٢-٢٤٣ .  
 (٢) - تاريخ الفكر الأندلسي : ٢٢٣-٢٢٤ .  
 (٣) - الحلل الموشية : ١٠٤-١٠٥ - الاستقصا : ٢ : ٧٥ .  
 (٤) - فضائل الأندلس وأهلها : ١١-١٢ .  
 (٥) - نفسه : ٢٧ - المغرب : ٢ : ١١٩ .  
 (٦) - قيام دولة المرابطين : ٤٣٦ .



شاهبا ابن طفيل (٥٨١-) صاحب "حي بن يقظان" ، وابن رشد الحفيد ،  
 فيلسوف الاندلس وابيهم في رده . وضع في الرياض: ابراهم الداني وكان  
 اوسع في العلم الرياضي (١) ، وابو عبد الله بن عائشة صديق ابن خفاجة ،  
 وابن مسعود (٥٢٦-) وجابر بن أفلاح الاشبيلي (٢) وغيرهم .  
 وأما علم الطب ، فقد شجع لضرورة ، فتقدمت دراسته ، وظهر فيه اطباء  
 نالوا شهرة واسعة منهم ابو العلاء عبد الملك بن زهر (٥٢٥-) وابنه ابومروان  
 ابن ابي العلاء بن زهر (٥١٦-) ، وقد جمع الى البراعة في صناعة الطب ،  
 البراعة في الأدب واللغة وفن التوشيح (٣) ، ومنهم أيضا ابن باجة ، ويعد من الأفاضل  
 في صناعة الطب (٤) ، وابو الصلت الداني (٥٢٦-) الذي بلغ في صناعة  
 الطب مبلغا لم يصل اليه غيره من الاطباء (٥) ، وابن طفيل (٥٨١-) ، وابوعامر  
 ابن يثيق الشاذلي الشاعر تلميذ أبي العلاء بن زهر ، وغيرهم .  
 وأما الدراسات اللغوية ، فقد كانت تدين الاندلسيين ، أولهما من عنايتهم  
 القدر الكافي لمصطلحاتها المباشرة بالدراسات النحوية والنقوية ، فهلفت في هذا  
 العصر مستون عاليا ، ومنفدت فيها كتب ذاع صيتها ، ويرز في هذا الميدان ابن السيد  
 البطليوسي ، واحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري ، ومحمد بن أظب  
 ابن أبي الدوس ، وعبد المجيد بن عبدون ، وفي النحو : ابن الباندر النرناطي  
 (٥٤٠-) ، ومحمد بن حكيم بن محمد بن باقي الجذامي ، وابن الطسراوة  
 والسهيلى (٥٨٣-) وغيرهم .  
 ولم يتخلف علم التاريخ عن سير هذه الحركة العلمية وتقدمها ، فهناي هو أيضا

(١) - عيون الانباء : ٥٠١ .

(٢) - ابن خفاجة : ٢٢ .

(٣) - عيون الانباء : ٥١٢-٥٢٢ .

(٤) - نفسه : ٥١٦ .

(٥) - نفسه : ٥٠١ .

باهتمام العلماء ، وقولت مصنفاتهم فيه بالقبول والتشجيع ، واشتهر منهم ابن بسام  
 ( - ٥٤٢ ) صاحب " الذخيرة في معاصر أهل الجزيرة " وابن خاقان ( - ٥٢٣ )  
 أو ٥٣٥ صاحب قلائد السقيان ، ودمع الأنفس ، ومحمد بن خلف بن علقمة  
 ( - ٥٠٣ ) صاحب " البيان الواضح في الطم الفادح <sup>(١)</sup> ، وأبو بكر يحيى بن الصيرفي  
 الخرنابي ( - ٥٥٧ ) <sup>(٢)</sup> وله مؤلف قصره على الدولة النونية ، واشتهر في  
 علم الجغرافية ابن غالب الخرنابي ( محمد بن أيوب ) صاحب فرحة الأنفس ،  
 والشريف الإدريسي صاحب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " كما أدرك  
 هذا العصر الجغرافي الأندلسي الشهير أبو عبيد البكري ( - ٤٨٧ ) صاحب  
 " المسالك والممالك " .

وأما الأدب فقد بلغ بشقيه الشعر والنثر درجة عالية في هذا العصر ، ونسبغ  
 فيه الكثير من شاعري أهل الكتاب وشعراء " فمن الأديباء ابن بسام ( أبو الحسن  
 علي الشيباني ) ، وأبو نوح الفتح بن خاقان ، ومن الكتاب : عبد المجيد  
 ابن عدون ، وأبو عبد الله بن أبي الخصال ( - ٥٤٠ ) وأخوه أبو مروان  
 ابن أبي الخصال <sup>(٣)</sup> ، وأبو الحسن غلام البكر ، وأبو القاسم بن السقاط ،  
 وأبو بكر بن القصيرة ( - ٥٠٨ هـ ) . واشتهر من الشعراء ابن خفاجة ، وابن اخته  
 ابن الزقاق ، والأعمى التليسي ، وأبو الملت الداني ، كما بلغ فن  
 التوشيح نهايته القصوى علي يد الأعمى التليسي ، وابن بقي ،  
 وأبي بكر بن الأبيش ، وأبي مروان بن زهر وغيرهم ، كما لمع في ميدان الزجل

- 
- (١) - التكملة ١ : (١١) - (١٢)  
 (٢) - المغرب ٢ : ١١٨ مع الهامش .  
 (٣) - المغرب : ٢ : ٦٦ - ٦٨ .  
 (٤) - المعجب : ٢٢ - عيون الأنباء : ٥٢١

ابو بكر بن قزمان ( ٥٥٤ - ) إمام الزجالين في عصره (١) .

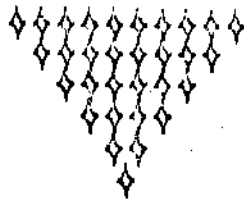
وإذا وسد هذا المرز الحويج للحياة الفكرية في الاندلس - في عصر الأيواف  
والمرابطيين - نرى أنه من الشلل في الحكم تحميل المرابطين وهدمهم ما أصاب  
الحركة العقلية في عصرهم من غبن وتضييق ، أبرز مظهر لها حرق كتاب "الإسماء"  
لابي حامد الفزالي ، مع أنهم لم يكونوا في هذا الا مؤيدين ، وان السبب  
الرئيسي في الحادث افتاء بعض فقهاء الاندلس وعلى رأسهم ابن حمد بن بوجوب  
ذلك ، لكرامية توارثوها للفلسفة ودعاتها منذ زمن بنعبيد ، أو ما أصاب  
الحركة الأدبية من فتور ، لأنهم أرادوا منها أن تثبت موقفا آخر يتلاءم والواقع  
الجديد في تلك الفترة الحرجة من حياة الاندلس الاسلامية ، وهو أمر كان يمكن وقوعه  
لو أنها كانت تتدلى من أرضية متينة ، وتجربة شعورية عميقة ، غير أنها لم تكن  
كذلك في أغلبها ، وكان الشعر لا ينمو أو ينشط الا في جوار البهة السلطانية ،  
ووجه القصور ، ولا ازدهار له في غير هذه الأجواء .

(١) - ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض : ٢ : ٢١٦ ، المضرب ١ : ١٦٧

المسالك الأولى

في حياة الشاعر وشخصيته

---



ولد أبو اسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري في جزيرة "شقر" من اعطال بلنسية في سنة ( ٤٥١ هـ ) ، وهو وقت من أشد أوقات شبه جزيرة الاندلس حرها وأكثرها فتنا واضطراباً<sup>(١)</sup> ، لكن بلنسية ، في عهد أبي بكر بن عبد العزيز خاصة ، فقد نعمت - كما ذكرنا<sup>(٢)</sup> - بفترة من الأمن والاستقرار قضى خلالها ابن خفاجة لفولة ناعمة ، ونشأ نشأة هادئة طامئة ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً ، فلم يكد يبلغ السادسة والعشرين من عمره حتى بدأت الحياة في بلنسية تأخذ مجرى جيداً ، وتتحو منحن لم تعهده في سابق عهدها ؛ فبدأت تشهد حوادث دامية ، ومعارك طاحنة ، تشمل نارها الجماع المطالك المجاورة ، أو هجمات النصارى المتتالية ، والتي تطورت إلى حصار طويل المدة ، أتلغ الانفس والأموال ، وقلب الحياة الملائمة الهادئة إلى جو من الرعب والقلق ، عجل برحيل الكثير من أهالي المملكة ، ونفس غير البقية التي آثرت البقاء ، حيا في الوان ، واستماتة في الدفاع عنه ، لكن قوتها الراهنة لم تكن لتحمي أهلها أمام هجمات النصارى وحصارهم القاسي ، فلم يفتأ هؤلاء أن استولوا على المدينة ، فعاثوا فيها فساداً ، وحكموا فيها أهواهم وآراءهم ، ولهبخادروها إلا بعد أن اشتدت عليهم وطأة الجيوش المرابانية في سنة ( ٤٩٥ هـ ) في جو أشربنا إلى هوله وروعته<sup>(٣)</sup> هذه الفترة العصيبة في حياة بلنسية أثرت - بلا ريب - في حياة ابن خفاجة الشاب ، وتركت بصماتها في نفسه الرقيقة واضحة جليلة ، فقد أرغمته على مغادرة وطنه . وصرح صباه ، إلى مناطق أخرى غريبة عليه ، حيث لا صديق يؤمنه ، ولا مجالس للهوتتام ، وحتى إن أقيمت فبمذاهب مغتلف ، تفسده الغربة ، وصره المنين .

وقد نشأ ابن خفاجة محباً للمعلم ، ولعل لاسرته في هذا الميل أثر ، لما وفرته له من أسباب مادية ومعنوية كانت أكبر عون له على تحصيل العلوم والتفرغ للبحث ، والمواظبة على حضور مجالسها دون أن يشغله عنها شاغل ، تلقى تعليمه الأول في بلده شقر ، ثم لم يلبث أن تطلع إلى ما وراء هذا الوان الصغير ، فقصده شاطبة ومرسية وبلنسية ، فحضر مجالسها العلمية ، وأفاد منها فوائد جمة ، فقد جال رايا عمران بن أبي تليد ، الفقيه الأديب الشاعر ( ٥١٧ هـ )<sup>(٤)</sup>

(١) - التكلية ١ : ١٤٣ - ١٤٤ - ابن خفاجة : ٧ .

(٢) - انظر هذا البحث : ٩

(٣) - نفسه : ١٠ - ١١

(٤) - الصلوة ٢ : ٦١٠

في أبي علي السدقي (١) القاضي الصدث ( - ٥١٤ هـ ) بمرسية ، وروى عن أبي بثر عتيق بن أسد  
 حافظ الاديب ( - ٥٣٨ هـ ) ، كما تلمذ على الاستاذ ابي اسحق بن صواب ، وكان من أهل  
 معرفة بالعربية واللغة والاداب ، كثير التنقل بهدف التعليم ، استقر بالعدة الأخيرة وتوفي  
 (٢) وقد ارتبها ابن شاذان باستاذة هذا وأخيه ، فهو لا يترتب فرصة تمر دون أن ييلفه سلامه ،  
 أن يرسل اليه ، مجدد العهد به ، فقد كان شوقه اليه قويا ، لو باشر العبر لا نفجر ، او باشر  
 بجمود لفارق العمود (٣) . وتخصيص هذا الاستاذ بالذكر دليل على أن أثره في تلمذه كان قويا  
 وربما كان سببا فاعلا في تحول اهتمام ابن شاذان الى الادب ، وتفتق موهبته الشعرية . ودرس  
 عنده على قاضي شاذان ابي يوسف بن علي بن طحمة وهو واحد رواة شعره ، عنه أشدده ابن  
 شاذان (٤) . كما درس العلوم الرياضية ثم لم يلبث ان رغب عنها وزهد فيها بابيات قالها (٥) ، وهي  
 الابيات التي وقف عندها اسد الباحثين (٦) ، وحكم على ابن شاذان بضحالة الثقافة ، والتزويد  
 في الحب السلم ، وعدم الحذر عليه ، وهو حكم تالهر مخالفة واضحة اذا وتفنا على المناسبة التي  
 لبت فيها تلك الابيات ، وكذلك على الابيات التي قالها الشاعر نفسه في الدر على طلب العلم  
 التالي به (٧) . كما يمكن أن يكون قد حضر - في اثناء تروده على بلنسية - في السرايى بحمص  
 بن السيد البعلبوسى ( - ٥٢١ هـ ) فقد كان «هذا الاخير عالما بالاداب واللغات مستبحرا فيها ،  
 قدما في معرفتها واتقانها ، يهتم الناصر اليه ويقروون عليه ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم ،  
 يربد التلقين ، ثقة ضاهيا» (٨) فقد وعفه عن نفسه بالاستاذ ، كما جرت بينهما مخالجات شعرية (٩)  
 يمكن أن يكون حضر في هذه المجالس ، وأخذ عن غير هؤلاء الاعلام ، فشرق الاندلسي  
 مصره كان في أوج نشاطه العلمي . ولعل اختلاف من ترجموا له ، في النظر اليه ، وان اجتمعوا  
 على شاعريته ، أكبر دليل على طول باعه ، ومشاركته في فنون العلم المختلفة . فقد ذكره ابن سميذ  
 في باب السلماء (١٠) .

- (١) - التكملة ١ : ١٤٣ : الصلة ١ : ١٤٤ - ١٤٦ .  
 (٢) - نفسه ١ : ١٤٣ .  
 (٣) - الديوان : ٦٣ .  
 (٤) - الصلة ٢ : ٩٩ .  
 (٥) - الديوان : ١٦٤ .  
 (٦) - ابن شاذان الاندلسي ، عبد الرحمن جبير : ٢٨ - ٢٩ .  
 (٧) - الديوان : ٢٦٢ - .  
 (٨) - الصلة ١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ .  
 (٩) - الديوان : ٩٨ .  
 (١٠) - المنرب : ٣١٧ .

لسهرابي عن ابن الزبير في صلة الحملة " ان لابن خلفا جرة تأليف لثوية " (١) ، ونسبته العفسي  
 ستة والفخامة وذكر ان له تأليفا في اللغة غيرها (٢) . كما وصفه ابن بسام بالاديب (٣) ، وعده  
 عاقان في التلائد من نهباء الادباء وفحول الشعراء (٤) ، وعده صاحب المأرب - أيضا - من  
 الشعراء (٥) . ولمشاركته في علم الحديث عده ابن الابار من جملة اصحاب ابي علي الدقيقي ،  
 وراسه لانرافه على هذا العلم فقال : انه " حدث في دهوان شعره عن ابي بكر بن أسد  
 ، ولم يكن الحديث شأنه ، ولو عني به لا مكنته الرواية عن العذرة وغيره من شيخ ابي علي (٦) .  
 ابن خلفا جرة انصرف عن تلك العلوم بعد أن أخذ قسطه منها ، وما لبث بجمعه الى الادب ، شعره  
 ، وانتخب على كتبه وداوونه المتوفرة ، فكان ان صادفت هوى في نفسه ، فأنزل عليها انبال  
 يد النهم ، فقال فيها الكثير ، قرأ شعر الرضي السوسي ، ومهيار الديلمي ، وعبد المحسن  
 صوري ، والمتني ، وابي تمام والبحتري ، والسعدي وابن الرومي وابي نواس وغيرهم .  
 لا يحتمل أن يكون قد اطلع على اشعار السنوسي - وان لم يبرح بذلك - فقد كان شعره معروفا  
 في الازد من القرن الرابع الهجري عن طريق ابي الحسين بن الفارس الرازي ، الوافد على السنوسي  
 الله (٧) . كما يدل ديوانه على اطلاع واسع في اشعار الجاهليين والاسلاميين (٨) ، والتمام - ذي  
 بال - بالنقد الادبي واتجاهاته ، وعليه العروض والبلاغة ، وغيرها من العلوم التي أفادته في تكوين  
 ثقافته الادبية وتمكينها . هذا ، ولم يقتصر الشاعر همه على شاعر واحد بقلده ويترسم اريته ، وانما  
 اعجب بشعراء كثير ، وذكر لنا اسما بعضهم ، وجميعهم من شعراء العصر العباسي ، وذكر لنا بلفظ  
 صريح انه تأثر باراقي بعضهم في بداءة تجربته الشعرية ، فقد تمتع شعر الشريف الرضي ، ومهيار  
 الديلمي ، وعبد المحسن السعدي ، وأخذ بما في اغزلهم من وقعة ، ورزعة ، وما في الفاظهم من  
 شافية (٩) . كما أعجب بأريقة ابي الناب المتني في لف الغزل بالحماسة (١٠) ، ولكنه عرف كيف

- (١) - بغية الرزاة ١ : ٤٢٢
- (٢) - الوافي بالوفيات ٦ : ٨٣
- (٣) - الذخيرة ٢ / ٣ : ٥٤١
- (٤) - التلائد : ٢٦٦
- (٥) - المأرب : ١١١
- (٦) - المعجم : ٥٨ ، التكلية ١ : ١٤٣
- (٧) - فهرست ابن خبير : ٤٠٨
- (٨) - الديوان : ٦٠ ، ٢١ ، ٤٨ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣
- (٩) - نفسه : ٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤
- (١٠) - نفسه : ١٦

يؤات تلك السمايات في تكوين الربة خاصة به ، واشتهر بها ، وتركت آثارها واضحة في الشعر من الشعر في حياته وبعد موته .

(( ٣ ))

ولقد اسعفته ثقافته الادبية بالقول - في مصرى الدفاع عن مذهبه الفني - ببعض الاراء النقدية وهي نظرات ، وان لم يشد فيها عن الطلوف في النقد الادبي المصري القديم ، الا أنها تدل على تلمذ الشاعر من شعاعته ، وسعة الادب ، وسلامة ذوقه ، فالشعر - في نظره - يتألف من مدحى ولفظ وهووش وحرف وروي (١) وتتديمه المعنى على اللفظ له دلالة وتيمته ، ناعمة اذا وتفننا على تدمره من زلية الجزالة السائدة في عصره ، فهو يرى أن الكلام لا يكون جزلا في كل موقف ، وانما يختلف باختلاف الموضوعات ، رثة وجزالة ، ولينا وثورة ، وتليه ، فاللفظ يتلاءم ومعناه ، يتزيا بزيه ، ويتمتع بسماته ، وفي الغزل ينبغي أن يكون مرصفا دقيقا ، واما في المدح فيدون توبا جزلا ، ويكون غير ذلك في الهزل - (٢) .

وهو يقول بالوحدة النسبية ، كبديل للوحدة الموضوعية ، يلتزم ، وذا في قوله : " فلعل نائلا يتيل : ما لرب هذا الشعر ما رش حتى تغزل ، ولا جد حتى هزل ، ثم تغلى بالمدح فأتسى بالمعاصر في الآخر ؟ ، فله واب عنه : أنه لما نان بين المادح والمدوح اشتراك في معنى هذا الرثاء واشتياك ، ولا اجتماعهما في حلة يعنى تلك العبارة ، افقت الشعر بالرثاء على جهة من المساواة والتسوية ، ثم اردت بالمدح على نحو من التأمير والتسليية ، ولما أشار الى المبدلوي عليه من محاب ، ويرجع اليه من أوساب ، انلقا عليه الكلام في ذلك انكفاء ، فانهرق عنه كوم عشرة ورفاء " (٣) ، وفي مصرى الدفاع عن شعاعته وفته ، والشعر من الانتقاس والنقد ، يقول بفسرة التشييل ، وهي عوده تعنى عدم ما ابنة العقبنة للكلام ، أو الفعل للقول ، أي تعنى الكذب ، ومن ثم قلب من وراء قوله " إني فعلت أو " إني صعدت " ثم من العقبنة ، وانما شو ضرب من

(١) - الدجوان : ٩ -

(٢) - نفسه : ١١ - ١٢

(٣) - نفسه : ٢٠٢ - ٢٠٤



الاساليب - تجاوز في صناعة الشعر لافي صناعة النثر (١) . والقول بفكرة التخييل في الشعر قاده الى القول بشي " اخر هو الرمز ، فما أورد في شعره من أسماء اعلام وقاع وما تنقسم اليه من صفات ، ليست الا أسماء جردت من صميماتها الحقيقية ، وأغرقت من صمتها الإحلي ، واضحت أقرب الى التخييل منها الى الحقيقة والصدق . " فهي انما جي " بها على أنها عبارات تشبيب ، ومثالات تضرب ، تدل على ما جرت سبيلها من غير أن يمس بذكرها ، وتوسل في الكلام ، يكتفى بها دلالة عليها وعبارة ، ويستحسن اليها " إشارة " (٢)

والشعر عنده " صناعة " ولكنها تعتمد على حوافز وميول طبيعية ، اي على موهبة . وهي بذرة الابداع الفني ، ولكنها لا تنمو ، وتترعرع ، وتوتق أكلها ، الا اذا تصهدت بالتصحيح والتثقيف ، وقولت بما يلزم من العناية والترويض والتروية (٣) . كما أن عطية الابداع " لا تارود جيونها في نظيره وانما تصرف خيالها في تدبيرها الى الجودة ، وقد يهبط الى درك النصف ، وقد يأتي وسالاً ، فيما لدرجة المعاناة الشعرية وأواعية المواد التعبيرية . " فالشعر ، وان أعتدل به واعتدل فيه ، ليس بغلو جيد من سقاي ، وانقسام الى طرفين ووسال ، فان الانهال باخرة تكل ، والمواد من الفساذ وقوات تقل " (٤) . ونفس التقسيم نجده عند قدامة تثيرها ، فهو أيضاً يمد الشعر صناعة ، والصناعة اي صناعة . " لها طرفان ، احدهما غاية الجودة ، والاخر غاية الرذالة ، وحدود ما بينهما تسمى الوسائل " (٥) .

عنه الذمات فان بها الشاعر ، مستمداً فيها على الموروث من أراء النقاد ونظراتهم ، الجأته اليها ضرورة الدفاع عن مذهبه الشعري ، وأريته التي ارتضاها لنفسه ، واما الشي " الذي اختس به ، وبرز فيه ، فهو جعله الأبيجة مدداً أساساً لاستعاراته وتشبيهاته ، ومعينا لا ينضب لصوره ومعانيه ، وما ذلك الا لان الأبيجة الجميلة ملكت عليه مشاعره وإحساسه فانبرى يرسم مشاهدتها ، ويصور ملامحها بتفاعل حي ، ومشاركة وجدانية صادقة ، وهي الظاهرة التي شهرته في عصره ، ولفتت انظار المؤرخين والشعراء اليه ، فصرف قدره أولئك ، وانتفى اثره الكثير من هؤلاء .

(١) - الديوان : ١٠ - ١١

(٢) - نفسه : ٢٠٤

(٣) - نفسه : ١٦١

(٤) - نفسه : ؟

(٥) - نقد الشعر : ١٨

الفصل الثاني

في شخصيته وحياته الاجتماعية

( ( ١ ) )

ان المتأمل في ديوان ابن خفاجة - يذوق التأثر عن عطية التعمير والتبديل ، والزيادة والنقص التي أحدثها الشاعر في شعره عند سماعه ، ويغض التأثر ، أيضا ، عن عدم ترتيبه ترتيبا زمنيا الا في الغادر - يلاحظ أن الشاعر مرّ بمرحلتين في حياته تختلفان اختلافا بينا ، فكرا وتصورا ، مرحلة الشباب ومرحلة الشيخوخة .

فقد عاش المرحلة الأولى من حياته ، عيشة لهو ومخيب ، وفسق وسجون ، يغازل النساء مسن جوار وتينات ، بل يغازل الغلمان أيضا ، ويشرب الخمر ويحقد لها المجالس ، ويوم مجالس القهقهة والبارب ، كذا ، وقد كان المعبثر في نظره " مدا ما أحمر ، يستبه غلام أهور " ( ١ ) ، وان " شغل المعبثر انما هو في صرخة الصرغ ، وجرا الذيل في منزل القصف " ( ٢ ) . فتلك هي الحياة ، وذلك هو المعيش ، مجالس اللهو وتمتد وموافق لنقلة سادرة تنام ، واهتبال للفرغ ، وانتشار للذات بأنواعها . وهو بهذه النظرة انما يجسد سريرة سيا عن الحياة الاجتماعية في تلك الفترة من تاريخ كورة بلنسية ، فترة حكم ابي بكر بن عبد العزيز ( - ٤٧٨ هـ ) فقد كان عادلا ، ولكن عدله لم يفتد ون تبار اللهو والتفسخ الاجتماعي التي اجتاحت الاندلس ، بمكم مشاركتة الحكام في هذه سلوكهم ، وساهمة العلماء في ذبوعه - الا القليل - بمسئتهم ومشاركتهم في أغلـب الامعان . وهي ظاهرة فأن لها الشاعر نفسه ، فأعرب عنها ، مسوقا بها انحرافه ولهوه قائلا :

لعمري لو أوضحت في منهج التقى      لكان لنا في كل حالمة نهيمسج

فما يستقيم الامر والملك بجائر      وهل يستقيم الظل والمود معوج (٣)

( ١ ) - الديوان : ١٢٥

( ٢ ) - نفسه : ٢٤٢

( ٣ ) - الديوان : ٣٦٩

وقد زين لابن خفاجة تلك الحياة الطابخة امور ، منها الالتفات الى ما ورثه من أهله  
 من شعاع كانت تدركه مالا ونيرا ، لما وفر عليه الكثير من الوقت ، وساعده على أن ينضم بفترة  
 من الفراغ الى مهلة سادفت هدوا نسبيا في حياتها نسبة السياسية ، وجو مساعدا للانضمام  
 في اللذات والمتع ، فكان ما كان من سلوكه الاجتماعي في شبابه . وقد لاحظ مدقته الفتح  
 ابن خاتان هذه الناحية من حياته فسجلها في تلامذه قائلا : \* كان في شبابه مخلوع الرسن  
 في ميدان مجونه ، كثير الوسوسن اسن صفا الانتهاك وحجونه ، لا يبالي بمن التبر ، ولا بأي  
 نار اقتبر<sup>(١)</sup> . ولئن هذه الحياة الهسه الهادئة من عمر الشاعر مرت كأن لم تكن ، وخلفة في  
 نصر الشاعر حيننا مرا ، وأنبا موجعا ، فقد أفان الشاعر اثرها من غفلته ، وثاب اليه رشده ،  
 وأقلع عن غبه ، وودع تلك الحياة اللاهية ، وأقبل على حياة جديدة ملوها الابهان والتنبون ،  
 والزهد والصفاء ، والاعمال الواعي بما يجرى حوله من احداث وما يعانیه بلده من أزمات  
 بما شهده من مشارك الماحنة ، وما امتلأت به ساعاته من بحث وأشلاء التتلى ، وما شهده  
 من مصار ، وانتشاش وتضريب ، ومعى احداث ، كانت ثقيلة بهز ذلك القلب الحساس والتأثير  
 وبتقوة ، وفي تلك النسبة المرفعة ، وبالتالي ، نقلها من جوالي جو آخر ، ومن سلوك حياتي  
 الى امر مثاير ، ولكن الشاعر ، ذكر في ديوانه غير مرة أن السبب في ذلك التحول  
 الواضح في حياته الاجتماعية والنفسية ، انما هو الشيب ، الذي أشمل رأسه بياضا ، وأعلمه  
 بترب الرهيل . وقد أهدر ابن خاتان بهذا التحول في سلوك الشاعر فسجله بقوله : " الا انه  
 نسك اليرم نسك أدبته وقرى عن ارسال زأره في اعتاب الهوى عينه " (٢) . ولشئنا حس ، ونحن  
 نقرأ شعره ، وفي الرغم من ذلك التحول السلوي المهم ، أن جو المرحلة الاولى من حياته ظل قويا  
 جارفا ، قد فرس وجوده في عالم الشاعر النفس ، وأجبره على العنن الدائم الى تلك الحياة ،  
 والمهين المستمر بلذاتها وروعة سحرها وبعمالها .

(١) - تلامذ العقبان : ٢٦٦

(٢) - نفسه : ٢٦٦

وقد وصف الضبي الشاعر بنصيب الهجاء (١) ، ولنا - في ديوانه دليلان على ذلك ، ولكنهما جاءا في مصر دافع الشاعر عن فنه ، وما يدل على أن هذه الناعرة لم تكن أسيلة في ليلته ، ولم يكن لها جذور عميقة في نفسية السالمة ، والا فقد كان الشاعر يخفي الدليل ، لا يفتها ، أيب العشرة حسن المعاملة ، جذابا ، المتف حوله الكثير من الأصدقاء والسديد من الأصحاب .

(( ٢ ))

ويأمر لنا ابن مفاجاة - من خلال ديوانه ، ومن خلال الأخبار التي حفلتها لنا كتب التراجم عن حياته ، انما ان مرهف العمر ، دقيق الشعور ، شديد التأثر ، قوي الانفعال ، يهتز للمسات ، ويؤثر بها الى كل ما يوجد فيها ، سليم الذوق ، انتقائيا ، فقد روى الضبي أنه كان يأتي الى المجالس التي يبيع الناكهة فيساومه ، فاذا سمى له عددا أو وزنا تقدمه من ثلثه الدود أو الوزن على شراء أن ينتار ما أحب بيده \* (٣) . والاعرة الانتقاء هذه صفة لازمة في عباته العامة والعامة ، فهو كما ينتقي ما يناسبه من الطير والماعز ، ينتقي اصداقاه أيضا ، ولما ينتقي في ميدان الفن اللفظة الرقيقة ، والصور الموحية والاسلوب الملائم ، ينتقي الشعراء الذين يتناسون واحساسه المرهف ، يتأثر آرائهم ويخسج على منازلهم . ولعله في هذا الانتقاء ، لم يقتصر على الاعجاب بالاراق الفنية لهؤلاء الشعراء ، بل تعداه الى صفاتهم النفسية والاجتماعية أيضا ، لما بينه وبينهم من تلاقح واتفاق ، فقد كان المتلقي قوي الشفعية ، طموحا بالحب ولا باليب ، كما كان الشريف الرضي عفيفا ، عالي الهمة ، الموحا الى المطالي ، لا يتقبل سلة من احد ولا جائرة \* (٤) ، ما قوى شخصيته ، وعين احساسه بذرامته ، وتمتسه الانسانية ، ونقى في اعلاقه تلك الهمة الرغيمة (٥) ، والنزاهة النفسية التي حالت بينه وبين أن يستهزأ بالأمم ندره متجسما أو مستئيلا (٦) . وقد تركت هذه الناعرة أثرها في تجربة الشاعر

(١) - بنية الطتير : ٢١٧

(٢) - الديوان : ١٠ ، ١٩ ، ٣٥٢

(٣) - بنية الطتير : ٢١٧

(٤) - تاريخ الادب العربي : عمر فرى ٣ : ٥٤ - ٦٠

(٥) - بنية الطتير : ٢١٧ ، الديوان ٣٢٤٠

(٦) - الديوان : ٣٢٤٠ ، ٨ ، التكلية : ١ : ١٤٣

الغنية ، غير أن هناك ظاهرة أخرى ، لا تقل عنها أهمية وتأثيرا في نسبة الشاعر وفنه ، فهو  
عاش ضرورة لم يتزوج قط (١) . وهي تمسيتها لها شأنها في التأثر الضوئي على ذلك التوتر النفسي  
الحداد الذي أزعجته ، وأتق مضجعه ، وألجأه إلى التلميح ، يبيها شكواه ، ويشركها في  
آلامه وأحزانه . وهو لا يتحدث ، كما أن المصادر لا تحدثنا على أهله وأسرته ، إلا في النادر ؛  
فقد رتب الشاعر في ديوانه ابن أخته له توفي بالمدونة ، على خلاف في ما أورده ابن خاتمة ،  
وما جاء في الديوان في مناسبة هذا نصيدة (٢) ، ما تذكر مصادر ترجمة الشاعر ابن الزمخشري ،  
انه ابن أخت ابن خناجة ، وهو الآخر توفي قبل خاله بفترة قصيرة ، وما فيما يتعلق بنسبه  
فلا نجد أكثر من أنه : ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خناجة " الهواري " (٣) ، مع  
انعدام أي خبر عن حياته وشخصياتهم \* .

\* ونجد عند الضبي ( ٥٩٩ هـ ) انه " ابراهيم بن الفتح بن عبد الله بن خناجة ، ابواسحاق  
الخناجي " ، وأغلب كتب التراجم المتأخرة تنقل عنه ، ولكن بإضافة " أبي " ، إلى التبع ،  
فتسير النسبة كالتالي : ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خناجة الخناجي ابواسحاق ،  
ويشرد ابن الأبار في كتابه " التكملة " بالمعجم " بذكر عبد الله بدل عبد الله وبإضافة نسبة  
الهواري إلى سلسلة نسب الشاعر ، ولعل غارضية غومت اعتد ، هذه النسبة في تنويره أصل ابن خناجة  
البربري ، علما بأن بيوتات بربرية تنتمي إلى هوارية ، عاشت قريبا من بلنسية ، وكان لها شأن  
في تاريخ الأندلس عموما ، وفي عصر طوب الطوائف خصوصا ، منهم بنو بني النون في اللبالية ،  
وبنورزين في " السهلة " كما عرفت سابقا من أعمال بلنسية عائلة بربرية من الهامة هي عائلة بني  
عمرة ، وهذا البروك نسبة " الهواري " التي أضافها ابن الأبار . ولقد لنا لورجنا إلى مسورة  
انساب الصرب لابن عزم ، والعلة السيرة لابن الأبار ، والبيان الصرب للمراكشي ، لوجدنا  
أخبارا تتعلق بفرع من فروع بني خناجة ، وهم بنو الأغلب بن سالم بن عقال بن خناجة التصبي ،  
وكانوا أصحاب قوة ومنعة ، طنوا القيروان وأربلس النرب ، ومقلبة جزءا من القرن الثاني ،  
وتراية القرن الثالث الهجري وفي نهايته ضعفت قوتهم ، وانتهى ملكهم في إفريقية على يد  
عبد الله الشيمي ، كما انتهى ملكهم في مقلبة أيضا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد

(١) - التكملة ١ : ١٤٣

(٢) - الديوان : ٢٦٧ ، القلائد : ٢٧١ - ٢٧٢

(٣) - التكملة ١ : ١٤٣

هذه الثلاثة في حياة الشاعر كان من الممكن ان تدفعه الى الزواج ، وهو سهل عليه ، ولكنه لم يفعل ، لماذا ؟ لا ندري يقينا ، وربما كان السبب في ذلك شدة اعتزازه بحريته ؛ رأى في الزواج ما في اي عمل آخر من تنبهد وانفعال ، وتسلل لسوره ولهبة ثقافات سارت بوفرة احساسه .

ان مذابحة بلنسية قد تحريت سرهما ، مما يدل على ان جماعة وغيره من الدرب الفاتحين قد استقرت بها منذ وقت مبكر ، ومن نعلم ان هؤلاء العرب الفاتحين كانوا يطلبون تباثل عربية شاسق ، واكبر الذين ان كان من بينهم نفر من العقلاء الذين منهم بنو خفاجة بن عمرو ، وخصم هذا الظن امران : الاول : ورود نسبة العقيلي في كتب التراجم الاندلسية لرجال عاشوا في الاندلس كعلي بن محمد بن علي العقيلي القرطبي ، ومهد بن عمر بن عبد الله بن محمد العقيلي البلنسي ( الصوفي بعد سنة ( ٥٢٠ هـ ) . والثاني : ما اورد بن حزم في جمهرته عن ولد عمرو بن عقيل ؛ فقد ذكر ان من ولد عمرو بن عقيل : خفاجة ، وان منهم النهوي القرطبي محمد بن سمار المعروف بالعقيلي ، وذكر مرة اخرى ان من بني شوليد بن سحمان بن خفاجة ، بني العسرين بن الداجين ابن عبد الله ، بعنقشة " بالاندلس ، ودارهم " بيان " ، ووادي اش " فيتمثل ان يكون احد بني الاغلب الخفاجيين او اكثر ، قد تمعدوا شرق الاندلس في القرن الثاني او الثالث او بدايات الرابع للمجرة ، واتخذوا من بلنسية واعمالها ، مولدا لهم ، حيث الامن والهدوء ، والرزق الوفير ، فاشترى الاراضي . واندسجوا في المجتمع ، وصا هروا بني هواره ، او الحدس ، وانما مع هذا الاحتفال تنوع النسبتان الى درجة اننا لا ندر ان نوزن باثبات احداهما دون الاخرى ولا نطك في هذه الحال غير ترجيح احدت النسبتين على الاخرى ، ونميل الى ترجيح نسبة الخفاجي ، أي نقول بمرور نسبة الشاعر من جهة ابيه وذلك اعتمادا على ما يلي :

١ - لاننا لم نعد نرى على اسم خفاجة فيما ذكره ابن حزم وغيره من الاسر البربرية التي عاشت في الاندلس ، وفي اسر قبائل "هواره" ، ولكننا نجد هذا الاسم يتكرر عند ذكر بني الأغلب وغيرهم من بني عقيل وهم من العرب .

٢ - ان ابن بشكوان صاحب السيرة ، وهو الذي اثبت للشاعر هذه النسبة قبل غيره كان معاصرا لابن خفاجة ، فقد عاش بين سنتي ( ٤٩٤ - ٥٧٨ هـ ) ، وهو بهذا يستحق - مع كونه حافظا ، ضابحا ، التقديم على غيره من حيث استقاء الاخبار والمعلومات المتعلقة بالشاعر .

٣ - وان ابن عميرة الضبي ( ٥٩٩ هـ ) الذي اثبت للشاعر هذه النسبة أيضا ، يتفصيل اثره عاش قريبا من عصر الشاعر ، فهو أيضا مقدم في هذا المجال على ابن ابار المتوفى سنة ( ٦٥٨ هـ ) ، وعلى هذا فان ما اوردته هذا الاخير يمكن ان يكون زيادة الجناح في نسب الشاعر اي ان ابا اسحق كان شرة تمانج بين اسرتين عربية ، وبربرية ، وهي الثقافة الرئيسية منه بولي بها بعض الضموم الذي اكتشف اسم الشاعر ، والذي ضرب عنه صنفا فيما اثر عنه من شعر ونثر .

وشفافية نفسيته ، فلم يتقدم عليه ، واوانه رأى من نفسه ، وقد تقدمت به السن ، عجزاً عن أعماله  
 الزوجية حقها ، وهو ما أفسح عنه في احد مساعدته الخيرية (١) ، ومع ذلك فلا يهتما كون  
 هذا السبب او ذاك هو الفاعل في ذلك ، يتدرجا تهتما الظاهرة نفسها ، وتأثيرها في نفسية  
 الشاعر ، وانعكاسها على فنه ، ان عدم الزواج يعني معاشة الذميرة وبالتالي تدبير شفافية  
 الانسان - في الغالب - الى التآزم النفسي ، والبراع الباطني الحاد ، وهو ما عانى منه  
 شاعرنا ، ولكنه وجد له متنفسا في الطبيعة ، ويبد فيها تدويرها لما فقدته ، فأستل عليها  
 مشاعره واحاسيسه الدفينة ، واتخذ من طبيعتها رموزا تفتح فيها من روحه ، وهو امر أكد  
 علاقة المرأة بالطبيعة عنده . والعكس ، الى درجة كبيرة ، فالمرأة تعني الانس ، كما تمنى امتداد  
 الحياة ، والطبيعة بما فيها من تغير وانبات ، وحركة وسكون تمنى ذلك أهنما فهما من هذا  
 الوجه متقاربتان ولذلك لم يجد حجرا في خلق صفات الواحدة منهما على الاخرى ، لا نهما  
 في نارة شي واحد ، لا شيان منفصلان ، وهو في عموم وصفه لهما ، يعبر تعبيرا واضحا عن  
 في قرارة نفسه من حب للحياة ، وتعاملها فيها من لذائذ ومتع ، لم تعد تحلو بذهاب الشباب  
 رمز الحيوية والقوة والنشاط .

ثم ان عننا الركون الى الطبيعة ، والاتبال عليها ، الى الشاعر عن كثب ، على تغييرها  
 وتماكب ظاهرة الحياة والموت في ظواهرها ، كما ان طول عمره ، ومما يشته لواتح وطنه المستقل  
 سياسيا واجتماعيا ، من كثرة عروب وثقافتين ، وسنوات ملكة وثقافة اخرى ، ورهيل اسبابه ،  
 واحدا بعد واحد ، نشك لصينه ومصيرته الحياة على حقيقتها فأعرب عن فسرهما ، وسرعة زوالها  
 وعمو احساس بالزمن ، وتأور غيما بعد الى احساس بالموت ، فقد روى الضبي عن بعض اشيا نفسه  
 ان الشاعر كان يخرج من جزيرة شمر ، وهي كانت وانه وفي اكثر الاوقات ، الى بعض تلك الجبال  
 التي تقرب من الجزيرة وعنده ، فكان اذا صار بين جبلين فادن بأعلى صوته يا ابراهيم صوت ،  
 يعني نفسه ، فبجيبه الصوت ولا يزال كذلك حتى يهجر مخشيا عليه (٢) . وقد ازداد مسبب  
 الشاعر للحياة يتدرجا تماثل فرقه من الموت ومن مصيره النهائي المحتوم ، وهو احساس  
 بان له شأنه في تحميم نظرة الشاعر الى الكون والحياة ، وتصميم نظرتة الى الطبيعة ، وقراءة  
 ما وراء حجابها الحسي عن معان وأسرار .

← فابن خفاجة اذا سليل أسرتين احداهما عربية والأخرى بربرية فهو ليس عربيا خالصا ، كما انه  
 ليس بربريا خالصا ، ولعل في هذا توضيحا وبيانا للنسبة التي أوردنا ابن الأثير ، والتي كانت  
 سبب هذا النقاش . ( انظر في هذا : جمهرة انساب العرب : ٤٤٩ - ٥٠٠ بالصلة ١ : ٤٩٩  
 بنية الطميس : ٢١٦ - ٢١٧ ، المعجم : ٥٨ التكملة ١ : ١٤٣ - الدرة السيرة ٢ : ٦٨ - ٦٩ ،  
 ١٧٩ - ١٨٥ ، البيان المشرب ١ : ٩٢ - ١٤٦ أعمال الاعلام بالقسم الثالث : ١١٤ - ١٢٠ فيريد  
 القصر ٢ : ١٤٧ الوافي بالوفيات ١ : ٨٣ بنية الرعاة ١ : ٤٢٢ مع شعراء الأندلس ٢٨ - قصة  
 الأدب في الاندلس ، ٥ : ١٧ - ١٨ تاريخ الأدب العربي في صقلية : ٤٠ الفن ومذاهبه : ٤٤٤ ،  
 (١) الديوان : ٢٨١ - بنية الطميس : ٢١٧ / Encyclopédie de l'Isle : t 3 . 305-308

الفصل الثالث

في علاقة الشاعر وأسفاره

(( ١ ))

لقد كان الشاعر يهتد بالشفعية التي والروح النرجية ، والبهمة العالية مدعاة لان يمتد مدانات حميمة وملاذ ترويح أناس كثيرين . ومن مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية ، فليس صدق الادباء والشعراء والفقهاء والفلاسفة ، والفقهاء والقضاة ، والوزراء والامراء ، وما يبدل دلالة والقيمة على غنى شخصية ابي اسحق وتعدد اهتماماته ورعاية صدره . وتنقسم علاقاته من حيث نوعيتها الى فئتين ، فترة الشباب ، وفترة النضج والشهادة ، ففي الفترة الاولى انصرف ابو اسحق - كما ذكرنا - الى لمره وسيراته ، وقد حثت مجالسه بنوعية خاصة من الاسدقاء ، يشاركونه أفراحه واتراحه ، واغلب هؤلاء من الشعراء والادباء ، وقد ذكرنا بعضهم ، منهم أبو محمد عبد الجليل بن وهيب المرسبي ( - ٤٨٢ هـ ) الاديب الشاعر ، صاحبه ورفيقه في سفره السي الصدوق ، ذكره ابن خاتان بقوله هو " احد الفحول ، الجريء من الصاروق والمنحول " ، وقال عنه أيضا : " إنه كان لظا بالخلدان ، غام بهم ، ويزن وراءهم ، حتى اشتهر امره ، ومقت من أجل ذلك ( ١ ) . ومنهم أيضا ابو عبد الله بن عائشة الاديب الشاعر ، ومنهم كس بن ابن بسام والمجاري بركة الاداب ( ٢ ) ، وذكره ابن خاتان وقال : " كان له ادب واسع الحدى ، بيان كالزهير بلله الندى . ونظم مشرق السفحة ، عين النضحة ( ٣ ) . ويتضح من ديوان ابن عائشة ان النوشيجة التي رداست بين الرجيليين كانت قوية ، فهو قد شبهه فوشته ، وسببه فوشته ( ٤ ) ، ثم تاورت تلك الملائكة الى ان اصحت محبة خالصة ، وردا دائما ، جعلت الشاعر يفتلي في ابتياع وداد صاحبه لو كان الوداد يباع ( ٥ ) ، كما رأى عبد لا خلاصه ومدقه ، التلمب الثاني واليمين الثالثة ( ٦ ) فهو صديقي لا غنى عنه وقد استمرت هذه المداينة حتى بعد المني استغنى ابن عائشة الى المدونة التي توهم بأمر

( ١ ) - القلائد : ٤٧٢ - ٢٨٠

( ٢ ) - الذخيرة : ٢ / ٢ : ٨٨٧ - المغرب : ٢ : ٣١٤ - ٣١٥

( ٣ ) - الذخيرة : ٣ / ١ : ٨٨٩ . ( عن الطنجي لابن خاتان )

( ٤ ) - الديوان : ٦٥

( ٥ ) - نفسه : ٢٢٥

( ٦ ) - نفسه : ٢١٦



السياسات في بلاد المغرب كلها (١) . وكان محمد بن احمد بن عثمان ( - ٥٢٣ هـ ) مسرور  
 واصحابه ، وكان من جملة الادباء وشاهير الشعراء (٢) . وكذلك كان الفتح بن خاقان صاحب  
 القلائد والمناجيح احد اطبه ، وكانت بينهما مكاتبات ، وهو الذي أثبت في قلائده بعض ما  
 صدر عن ابي اسحق من عنات اطلع عنها ، فمات به على ذلك عتبا شديدا (٣) . وفي الديوان  
 قصيدة مدح في ابي الحسين بن الربيع ، صاحب اعمال قرابة تدل على صداقة قديمة (٤) .  
 وأما علاقته بأبي محمد عبد الله بن ربيعة ، فكانت قوية ، فقد جمعت بينهما اذمة الشهاب  
 رسلر القاسم وقراءة السياسي والادب . انا من الانتقاد والالتزام ، بحيث لا يريان ينفعلان (٥)  
 وقد خلف موته في نفس شاعرنا أثرا عميقا ، فرثاه بتمائد مؤثرة ، تفرض أسس وتنضج حزنا .  
 وقد جمعت ايام السيل بغير هو لا ، ممن اتسموا بالظرف والادب ، فماتوا وياهم تلك الايام  
 على احسن ما يرام ، واليب عشرة وحلاوة حياة ، لبيت يردد صداها في شمره مدة طويلة ، ويتمنى  
 عودتها ، وتحشر على انقضائها في شمر رقيق ، يفتن عنده ومعاني .  
 وقد تميزت هذه الفترة من حياته باستتلاله ، ومبافاته لطول عمره ، فلم يعرف عنه انه  
 تعرض لهم بمدح ، او تقرب اليهم بغية اللب والانتجاع ، رغم اشتهار بعضهم بالادب وتقدير  
 أمه (٦) . فقد اقبل الشاعر فنه للاعراب عن خلجات نفسه ، وسط طبيعة ولذته الفنية ،  
 منزعا اياه عن ان يكون كسب ، مكتفيا بما لديه من طال ولكننا نجد ابن البار يذكر في الحلية  
 السراء أن الشاعر انتجع تميم بن المزمع صاحب فرقة في صباه (٧) . وهو غير انفراد به  
 لم نجده عند سواه ، كما نجد في الديوان قصيدة في مدح المصطفى بن سنان الطلك الشاعر  
 صاحب السرية ، والناسبة أن . اذا الا غير " اسمره بلسه في بيت لبالي انه سورة ركب من  
 ربحان في شبيكة جارية ، ثم ابيت وقلدت ، وامر من حضر من الشعراء بوصفها " فقال ابن شاذان  
 في ذلك شعرا تعرض فيه لمدح المصطفى في بيتين من ثمانية أبيات (٣) ، ولكننا لا ندرى

(١) - المغرب ٢ : ٣١٥

(٢) - التنقلة ١ : ٤٣٦

(٣) - الديوان : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، القلائد : ٢٦٧ - ٢٧٢

(٤) - الديوان : ١٤٢

(٥) - نفسه : ١٧٨

(٦) - الذخيرة : ٣ / ٢ : ٥٤٢

(٧) - الحلة السيرا : ٢ : ٢٢

(٨) - الديوان : ١٥٥

فيما اذا كان الشاعر قد انتخب المعتصم بقمنا أم انه قال ذلك على سبيل التشويق والتبريز في مجال  
 اختفى فيه ، على غرار ما قاله في وصف فهل جارية المعتد بن عباد " جوهرية " عند ما خالها بته  
 وعوبها صرح حسن " البيهقي " ، وقد أثبتت اسمها في الصنونة تحت التعميم لثلاث تقع عليه عين " (١) .  
 الا أن هذه الفترة من عمارة الشعر والاستقلال لم تبارد ، ان سرعان ما كسر الشاعر ذلك الدلق  
 أو بالحري مرت بواقعه حوادث وأزمات وتقلبات ساعدته على كسره ، وأخرجت الشاعر من عزله  
 ونهته من غفلته وتلقت حباته رأسا على عقب ، فتحول ابراسحق ، من المجنون الي الاستقامة ،  
 ومن الغفلة الي الوعي ، ومن المرزلة الي الالتزام ، وكانت دعوة المرابطين ، وهي الدعوة  
 ذات الاساس الديني ، والقائمة على الزهد والجهاد ، متفقة مع اتجاهه الجديد ، وكان سلب  
 النصارى لوائه اشد على نفسه بالقدر الذي كان اخراجهم منه راغبين خير دافع له على الالتزام  
 بهذه الدعوة ، والارتباط بمن يملكونها ، ألم يسجدوا لاسلام سيده ، وللمسلمين عزتهم ، بعد  
 أن وزعتهم الفرقة ، وأنهتهم الفتن ، وأذلهم النصارى وأخرجوهم من اوطانهم ؟ ثم ألم يكن  
 لاحد هم ودوا الا مير ابراهيم بن يوسف الفضل في رجوع موعظة الشاعر الي قمة نشاطها بعد أن فترت  
 مدة من الزمن ؟ ، لقد وجد الشاعر فيهم وفي دعوتهم النموذج الذي انتقده من قبل ليحسد  
 من خلاله الموحاته وآماله ، نراهم وأنهم من شيعتهم ، وصنعة لهم (٢) ، مدح امرأهم  
 وزواهم ، وتواد حبوشهم وقناعاتهم ، معجبا ، مواليا و " مصانعا لا منتجعا ، وستميلا لا  
 مستميلا " (٣) . فصار شاعر الدولة الجديدة ، يلتزم بقضاياها ، ويسجل انتصاراتها ويخلد  
 مآثرها في شعره ، مدح من ابنا يوسف بن تاشفين : علي بن يوسف عرضا وبعث اليه برسالة

(١) - الديوان : ٢٧٤

(٢) نفسه : ٢٤٥

(٣) - نفسه : ٨ - الذخيرة ٣/١ : ٥٥٤

نشية (١) ، وأبا اسحق ابراهيم بن تاعيشة ، وكانت له به علاقة خاصة ، مما يجعله يفضله  
 بأكثر مدائمه . كما سأل ابراهيم بن يوسف بن تاعيشة بن تاعيشة ، وأورد الشاعر في مدح ابي بكر  
 ابن تيفلوت سهر علي بن يوسف قاسم قنولة ، كما مدح بأخوه ، مريم زوج الامير ابي الطاهر تصيم  
 ونعتها بأنها كانت حرة فاضلة ، وقائمة على كثير من الخير ، تحفظ جملة وافرة من الشعر ، وتحاضر  
 به وتشبه عليه (٢) . ومن الذين مدحهم من توادها ابو بكر بن الحاج لصلة كانت تربطهما (٣) ،  
 ونوه كثيرا بالتأكد ابي عبد الله محمد بن عائشة . وكان من اصدقائه أيضا أبو بكر بن الناصح  
 ( ابن ماجه ) الفيلسوف والحبیب الشاعر المشهور ، وزير ابي بكر بن تيفلوت . ومدح من الوزراء  
 أبا العلاء بن زهر (٤) ( - ٥٢٥ هـ ) الفقيه الطبيب الاديب ، ذاك المكانة المرموقة في دولسة  
 المرابطين ، وذا الوزارتين الاديب الذائع السميت أبا عبد الله محمد بن ابي الخصال ( - ٥٤٠ هـ ) (٥)  
 كما كان الوزير ابو عمار بن يثى الاديب الشاعر ، تلميذ ابي العلاء بن زهر في الدلب صديقا للشاعر  
 وكانا يراسلان (٦) . وأما الفقهاء والقنماء فقد زهدت به بعضهم علائق مشبهة ، كما بن صمون ، ابي  
 اسحق ابراهيم ، الفقيه الوزير (٧) ، وابي امة ابراهيم بن عمام ( - ٥١٦ هـ ) تاشي قنماء  
 شون الاندلس ، وكان تلميذ على الشاعر ، هارثيه ، سراجا لحنه ، مما جعل ابن خفاجة يكثر من  
 مدحه ، ويغصمه بخمر تماك من ديوانه ، احداها في رثاء والدته . كما كانت له مكاتبة من كل من

- 
- (١) - الديوان : ١١٦٦ : ١٦٦  
 (٢) - الديوان : ٩٦ - المارب : ٢٠١  
 (٣) - الديوان : ١٨٤  
 (٤) - نفسه : ١١٦ ، ١٩٨ - عبون الانباء : ٥١٧  
 (٥) - الذخيرة ٣ / ٢ : ٧٨٦ . القلائد : ١٩٩  
 (٦) - الديوان : ٢٨٧ - القلائد : ٢١٢ - التكملة ٢ : ٤٧٩  
 (٧) - الديوان : ٢٤٥ - ٢٤٦

القاضي ابي بكر بن عفرز (١) (٥٠٥ هـ) وقاضي الجماعة بتربلية ابي عبد الله محمد بن محمد بن (٢) (٥٠٨ هـ) بغير تضمين مصلحة عامة أو خاصة ، ولانت له امتحالات ومخالجات مع غير هؤلاء ، وذكر أسماء بعضهم وأغفل ذكر البعض الآخر لعدم اشتغالهم ، وبروز مكانتهم الاجتماعية ، ولما لم يكن ابن شاذان يمدح للشعر ، فغرض الدار في سديد ذلك عما يمكن أن يبدر عن الصدوق ، حيث لم تجاه الرعي بل نجد الشاعر بالمرصاد لكل هذه اللواعير التي كانت لها أن تسيء إلى سمعة الدولة الفتية في نظر الاندلسيين ، فكان يدافع عن الملوك ، ويشكو العالم إلى ولي الأمر ، سواء تعرض له أو لغيره (٣) .

وهذا نكح قد ألقينا الضوء على علاقات الشاعر ، والتي من خلالها تتضح لنا مكانته ونتمسكه الاجتماعية في عصره وخاصة في ظل دولة المرابطين التي أصبح أحد شعرائها ، بل ودعاتها المغاربة .

((٢))

ويتضح من خلال الديوان أن ابن شاذان كان يعمل في غالب أسعوله إلى الاستقرار يستقل الأسفار والانتقال من مكان إلى آخر ، وخاصة إذا كانت المسافة بعيدة . فقد عاش مرتباً ببلده ، ولا يكاد يفارقه حتى يحسن إليه هذين السبب إلى محبوبه ، وتبعاً له في المنين إلى ربيع الوان قلبه ، ولكنها قوية في عائلتها ، مما يدل على أن الشاعر قالها ، وقد مال سفره ، ووجدت الشقة بينه وبين هذا الوان الجبل ، وما لا شك فيه أنه جاب بلاد شرق الاندلس ، بلنسبة ومرسية وشاذان ، وغيرها في شبابه ، وغرة القلب ؛ واستمر يتردد عليها ، خاصة بعد أن اشتهر أمره ، وكون صداقات ، عينا وعزات في تلك المدن القريبة من مسقط رأسه "شقر" . كما يحتمل أن يكون

(١) - الديوان : ١٧٦ ، ٢١٢

(٢) - نفسه : ٢٢٨ - القلائد : ٢١٩ - ٢٢٠ - بنية الطمس : ١١٣

(٣) - نفسه : ٩١ ، ١٧٠ ، ٢٩٥ ، ٣١٤

قد أم سرقسطة ، حيث ساجده ومد وجه الامير ابو بكر ابراهيم بن تيفلويت ، ومد يده الفيلسوف  
الشاعر ابن باجة . ويظن أيضا أنه اتجه الى جزيرة الصمتيم بن صماج في "المرية" (١) . كما  
تمد المغرب ثم قفل راجعا منها في سنة ( ٤٨٣ هـ ) . بصحبه عبد الجليل بن وهيبون شاعر  
المتقدم (٢) ، ولعله في خلال هذا السفر يكون قد جاز على حاضرة <sup>تسمى المعز</sup> بن باديس بن بلقين ( - ٥٥٥ هـ )  
على حد قول ابن ابار . فقد صرح لنا انه انتجعه في صباه (٣) . ولكن السفر الاول الذي  
ارغم عليه الشاعر ، كان من سنة ( ٤٨٥ هـ ) الى سنة ( ٤٩٠ هـ ) ، اى مدة استيلاء السيد  
الخصيب اور على بلنسية واطالها بما فيها شتر ، واشاعته الرعب والهياج في قلوب أهلها ، فقد ترك  
الشاعر وادبه ، والالام بصبر قلبه ، والاس يدانه جوارحه ، ودعا على وجهه فرارا من هذا الجو  
المروع الذي ساد بلنسية مدة عشر سنوات او تزيد . وهي مدة كافية لان يجوب ابن خفاجة مدن  
الاندلس ، وربما المغرب للمرة الثانية أيضا . وقد تعلم ابن خفاجة في خلال هذه الاسفار  
أشياء كثيرة ، فقد اطلع على وضع الاندلس المزري ، كما رأى بأعينه مدينتها وممالكها الثرية  
وعى تخضع لسلاطن القوة الجديدة ، وقوة المرابطين التي كانت تمثل في رأي الشاعر وغيره  
من الواعين ، وغالب أهل الاندلس الدولة الموعودة ، والمنتقدة في آن ، وقد كانت كذلك في معظم  
مدة هيمنتها على الاندلس ، مما زاد من علاقة الشاعر بها ، وجعله يثق بها ، ويستشير قبيل الاوان  
بارجاع وادبه بلنسية (٤) ، وانتزاعها من أيدي الزماري ، ويتحقق أطله في سنة ( ٤٩٥ هـ ) ،  
فيخرج فرحته الكبرى بعودته الى وانه ، على الرغم من أنه لم يجد بلنسية كما عهد لها وانما وجد  
انقاصا ، ولم يجد ذلك الوجه المجهل ، وتلك المنتزعات الرائجة التي ألفها من قبل ، بل وجد  
منظرا شاعبا ، وقد تنحرف الهدم والنار على معومحاسنه ، الشيء الذي أثار في نفسه الرثيقة ،

(١) - الديوان : ١٥٥

(٢) - نفسه : ٣٦٢

(٣) - الحلة السيرة : ٢٢

(٤) - الديوان : ٢٠٨

فقدان بثلث الابيات المراثية المحيرة (١) . ولم تلبث المدينة أن طادت الى جمالها ، وحيويتها  
وأمنها واستقرارها ، وعاد الشاعر الى جزيته المصيلة ، ولكن بتصور جديد ، ونشأة الى الحياة  
والكون جديدة ، واغلب الأبن أن الشاعر بعد هذه السنة لم يتجاوز شرق الاندلس الا نادرا ،  
ثم استقر بها بعد سنة ٥١ هـ في سبتل رأسه ، شقير ، حيث جمع شعره في ديوان ، ونزولا  
منه رغبة أسمايه وسماه منه ، فأشبهه عنه ، ونشره في الاسفار ، ولعبت الشاعر على تلك الحال  
تتناوشه الالام والاستقام بين الحسين والحسين الى أن توفي سنة ( ٥٣٣ هـ ) ( ٢ ) .

---

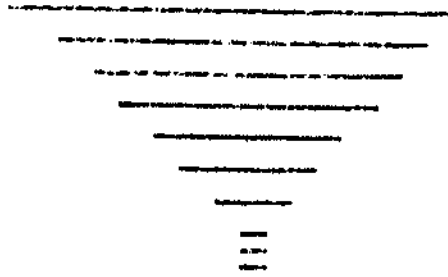
(١) - الديوان : ٣٥٤

(٢) - الملة ٢ : ٩٩ - بغية الطاهر : ٢١٧ - التتلة ١ : ١٤٤

( الباب الثاني )

التأليف في الشعر

العربي



الليبية في الشعر الجاهلي

(( ١ ))

احتلت الليبية السمة مركز الصد من اهتمام الشاعر الجاهلي ، فقد كان الفرس والناقصة  
 نقالة الارتكاز والحور مرغى معظم الليبية التي رسمها لنا من خلال شعره ، فلم تكن  
 الليبية العمامة الا اطارا جميلا لسورة فرسان ناقصة ، في جميع أحوالها ، كما أن عناصر الليبية  
 السمة الاخرى لا تعد ، وأن تكون ، سدر تشبيه أو استمارة في مجال الحديث عن الفرس والناقصة ،  
 وهذا أمر يدعي ، فارتداد الشاعر الجاهلي ، بل والعربي الجاهلي عموما ، بهذين الكائنين  
 السيين كان ارتباطا حياتيا ومصيريا في أن ، فالفرس وسبلته في حربه وسلمه ، وصاحبه في نزوته  
 وصدده ، ومؤنسه في أسفاره ورحلاته المختلفة ، كما كانت الناقصة ، لسلطانها ونفوسها ، وصبرها  
 أفضل وسبلته في أسفاره الدويلة النسيبة ، يتأرجح على سنانها الفاو ، ويخوض بها غمار السعراء  
 في نهارها اللامع ، وليلها الضلم المصوف ، وهي صحبة لها أشرا ونقا جبا واناساتها فسي  
 بنفسية العربي الجاهلي ، فقد أعجب العربي بهذا الميزان الدافع ، الدامر ، القوي ، والبصير  
 بما أعجاب ، وهو أعجاب كثيرا ما كان يتأور إلى حب ، يميل أحيانا إلى درجة التقدير والفضاء ،  
 فهو عندما يتعرض لوصفه ينسى نفسه ، وتتوارى ذاته ، وكأنه رأى فيه صورة أخرى له ، ولشاعره  
 وأحاسيسه وأفعاله ، أو أنه وجد في صفاته وأحواله تعويضا لذات الشمور بالضعف والخوف والقلق  
 وغير ما كان يساعده في تلك الحياة القاسية ، وسط سعراء الجزيرة العربية الواسعة ، فاستغل  
 عليه مشاعره ، ونسب إليه أفعاله . واستلغ الشاعر العربي بهذا الاعساس العميق بالسيوان ،

الحب القوي له أن يرسم له صورة تفيض حياة وحركة وواقعية .

قد أعجب امرؤ القيس فرسه ، ومن مناق هذا الحب ، والتفاعل الذي معه رسم له صورة واقعية غنية ،  
 جطة حينما ، مفصلة عيننا أنظر ، يرسم الصورة العمامة للفرس في حركاته وسكناته ، في اتباله وإدباره ،  
 حربه وضروته ، في الصبد أو في الدرب ، ثم لا يلبث أن يجوره إعجابه بفرسه إلى أبعد من ذلك ،  
 يتجاوز السورة الايمانية التي التقدها ، التجهيزي للبخار الدمام الذي رسمه تبالا . وقد وجد نفسي  
 الليبية من حوله مبعثا شرا لتشبهاتها واستعمار استقرن كل جزء من أجزاء فرسه بما يشبهه - كليا أو  
 جزيا - في الليبية من عناصر حيوية وعمامة ، فذكر من الليبية العبة الطي ، والبهرة الومشية



والنماعة ، والجرادة ، والقوة والشلب والذئب والوعظ ، وغيرها ، ومن الليمعة السامقة عثكسول  
النخلة وسعفها ، والسفرة السدة المورسة ، والخذروف والمرأة والبرق والريح وغيرها من أنواع  
الليمعة ، عند هذا الشاعر ، واستلهم مدحاياتها في رسم صورة لفرسه ، حيث فيها من الحركة والصوت  
واللون ما جعلها أكثر جمالا وأقرب إلى الواقع المحسوس ( ١ ) .

وهذا بيت اليمامة ( ٢ ) بأقل من عيال ، به الفرص من اعتماد امرئ التبر ، وإن كانت عنايته بها  
شي أنها كعبيرة ، والحاجت إليها في معاشه واستفاره اليمامة ، فقد سبها هي أيضا ، ورسم لها  
صورة عامة ، كما وقع عند عناصر الجزئية ، مستعملا - في ذلك كذلك - بما يحدد به من عناصر  
اليمامة ، وهو مرفوق - دابة - في استلهاط الطبيعة في تسميم الصور ورسم المشاعر اليمامة  
لراحلة . وقد يقع عند صور يمينها ، يكررها في شعره ، وكأنها أحسن أنها قد استهلكت ادواتها  
كما أسمر بذلك الشعراء الذين أتوا من بعده ، وردوا أو سافروا ، ويحددوا عند اليمامة عنها  
وقل أن أنافا إليها يهدا . وما تجد ملاحظاته ، مما أنه كثيرا ما اقتداهل هذه الصور وتماثل  
في أشعار امرئ التبر ومعاصره علقمة ، ولعل للرواة في ذلك أثرا كبيرا . وفي معرض التذليل  
على قوة راحلة ، وسرعته التبع الشاعر إلى اليمامة ، فوجد في حصرها وابتارها الوحشية ثم في  
البرها وحبوانها دابة أمثلة حية تجسد صفات منابته ، فاستلهم بصفها ، وبلاحتها بالتسوية  
الدقيقة ، واستلهم أن يلتفت لنا سورا ومشاهد رائعة لسبوان الشعراء على اختلافه ، بل وتكاد  
كل صورة أو مشهد أن يكون شريفا من السر الطونة ، الصامرة بالحركة والسماة ، وهو تسوير كثيرا  
ما تتجلى فيه اسقاطات الشاعر النفسية والاجتماعية ، ولكن بأريئة عفوية تلقائية ، فهو عند ما يستلهم  
من وصف الراحلة إلى وصف الصمار الوحشي ، يوجه عنايته إلى تصوير صفاته الجسمية والنفسية ،  
في قوته وسالته ، وصبره وتحمله ، ومروءته ويقظته ، على انفراد أو بين أثنائه في حياة أسرية ملوؤها  
الرعاية والولاية ، وهو تسوير يحسن - فضلا عن صبره ، ومركيته وجماله - جانبا من حياة العربي  
في بيئته حيث يكون للأسرة رب يحميها ، ويصبر على راحتها ( ٣ ) .

( ١ ) الديوان : ١٩ - ٢١ : ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٩ ، الصحر الجاهلي ، ١١ - شوخي صيف : ٢٢٣ .  
١٦٣ ، ١٧٣ .

( ٢ ) الديوان ٦٣ - ٦٤ ، ١٦٩ ،  
( ٣ ) نفسه : ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٤ ، ٣٨ ، ٨٠ -  
ديوان علقمة : ٧٩ - شعر الطبيعة : ٤٥

ورفيع غلظة في وصف الناقة ، وتصوير الخرق المخوف الذي قلعت به في الهاجرة ، في نفقة وسرعة  
 بأنها بكرة ماعوزة ، ويخلص من وشها في تمديد أذنها التي ومنذ التلحم ، فيسوره لنا أعر التوائم  
 أزعر ، توي المقارين ، لا يسمع الأصوات لصغر أذنيه وضيقهما ، ويرعى الحنظل ، يدرج به ، ويقطع  
 ما تالول من أعضائه ، ثم لا يلبث أن يتذكر بيضه ، وقد أحس بدنو الطير ، فيترق المرعى ، وينجبه  
 مسرعا إلى حيث بيضه وفراخه وزوجه ، ثم يسور لنا سرعته المذهلة ، فهو يتقارب ما بين ثأفقه ورأسه  
 حتى يكاد ظفره يصيب مقلته ، فيشقها ، ويصل إلى وكره ، بحيث تستقبله زوجته في احتفال وتكريم  
 فتدأ به ويخالطها ، ويتحدان في رقاب يدل على مهارة أسيرة سميدة ، وهي سرور أخذ العقل  
 منها نصيبه ، كما أخذ الفن التصويري نصيبه أيضا ، مما أكسبها جمالا ، وأفاض عليها روعة وأبداعا  
 وهي صورة فريد في شعر الغلظة لا نجد لها نظيرا يعدلها في تصويرها وحدها الانساني (١) .

كما نجد عند عباء بن الأبرص شهيدا رائعا ، وسورا فنية محكمة لعمدة تدور بين اللقوة والشلب  
 نجد فيها معنى الصراع ، وكشفت النقاب عن ظاهرتين متضادتين ، ظاهرة المدوان والفاطرسية  
 والجهروت التي تمثلها اللقوة ، وظاهرة الذلة والخنوع ، والتفانل والهلع ، ويمثلها الشلب ،  
 فاللقوة تلاحق الشلب ، ثم تدركه ثم تجدد لوقت أرعه ، وتكاد به وتخرقه بمخالبها ، ثم ترفعه وترسله  
 وهو يحوى من شدة الألم ، شاكف ، مرتعد ، قد انقلب حمالق عنه من شدة الرعب ، مستسلم لا يمدى  
 أدنى مقاومة ، إنها صورة حية بلغ التصوير فيها أوجه وتجسدت من خلالها نفسية العالم والمالموم  
 والقوي والضعيف ، وهي ظاهرة اجتماعية عاشتها البيئة العربية في الجاهلية ، ورسمتها هذه  
 الصورة بطريقة رشيقة رائعة (٢) .

ويعد من أسرفه بن العبد ، قسامها من معلقته لوصف ناقته ، وفي صفها وصف دقيق ، لا يترق فيها  
 عنرا إلا ويصفه شديدا ، كما يهاك ويهاك في الهاجرة ، وسرا ، يدبها الذي أوالداسات ، وقد أشعر  
 في تشبيهاته واستعاراته من استخدام وسائل الانسان الحنارية ، كالمرأة ، والسفينة ، والقنطرة  
 والسندان ، والتابوت ، والقرطاس ، والمرد وغيرها ، وقد يتجاوز الوصف المادي للناقة إلى صفاتها  
 النفسية والحموية فيبرزها ، فهي حساسة ، ذكية ، نشيطة ، بلواع ، تتبخر في سيرها ، مما يدل على

(١) - ديوانه : ٥١ - شعر الأبيحة في الأدب العربي : ٦٣

(٢) - ديوانه : ٢٣ - شعر الأبيحة : ٦٧

أن الشاعر صور في أوصافه لناقته من عب عميق ، وما شقة ساداة جياشة (١) وأما شعره سراة  
الطبع ، كالأعشى ، والناهضة وزعيمير وغيرهم ، فملئ الرغم من أن المدائح استفرقت  
تسما كبيرا من أشعارهم فأننا نجد لديهم بعض الاحتكام بالدلمجة ، هيها وماقتها ، فقد  
كانوا يخلصون المسافات الشاسعة ، ويغوضون قطار الصحراء ، متحطين ما فيها من  
مخاطر وأهوال ، في ليدها المد لهم السامت المشوف ، ونهارها التافئ الطهيب ، فصوروا  
ذلك كله ، وشبهوا نوتهم التي تحطمهم إلى المدوح في أوتها وسرهما ونشاطها بالبقرة  
الوحشية تارة ، والسمار الوحشي آخر ، مقدمين بذلك سمورا للبرقة طهئة بالحركة والحياة .  
فقد استلرك الأعشى من وصف رحلته وناقته التي وصفها الثور الوحشي ، فقدم لنا سمورا حبة  
من هذا الحيوان ، في قوته وسالته ، ودفاعه عن نفسه ، فهو يفر من الضياع والكلاب  
في بادئ الأمر ، متالقا كالنجم ، ويختفي وراء الشبان ، ولكن التلاب تلحق به سرعة  
كانها نشاب السمك ، حتى إذا أفسأته ، انتفض ، واندرى يدافع عن نفسه ، فخصا فورا  
متركة غاربة مع الكلاب ، يكره تروته ، وهي سلاحه الوحيد يلمن بها يمينا وشمالا ، فيشق  
صدر التلاب ويدعي أجسادها وهو في حال من الغضب شديدة ، فتحم الكلاب أن لا تقل  
لها . وهذا الثور الساتي ، فنواي غاربة متهزئة ، تلطم جراحها ، ويصرف هو من المعركة  
مفتسرا ظافرا (٢) . وقد بنى الشاعر بالثور نفسه ، أو بجني به شيخ القبيلة وبالكلاب  
أعداءه ضد وجه (٣) ، ولكن السيرة أنه لم يهلم ثوره للتلاب تفعل به ما تشاء ، ولم يهمل  
نهايته على أيديها ، وإنما جعله معيا للحياة ، مدافعا عن نفسه بكل ما يملك من قسوة  
وهو موثقله مغزاه في حياة الصربي في جماعته ، وخاصة من كان مثل الأعشى جواب أفاق  
يرمي بنفسه في سراة ، هل ما فيها يهدد بالموت ، وينذر بالزوال ، فإسد هبه للحياة ،  
وكرامته للموت ، في انتصار الثور ، رمز الحياة ، وانهزام الضياع وكلاهما رمز الموت والفناء ،  
وهي سورة البريقة بلا شك ، شاربا المثل فيها بتسلك واغر ، وأمتزجت فيها المعاني الانسانية  
بالن ، فجاءت مستعة ، زاخرة بالحركة والحياة ، وتلاتينها صورة أخرى للثور ، في شمس  
الناهضة الذبباني ، وهي تشبه في خيالها العامة صورة الأعشى ، وأما لبيد ، فنخبست  
عنه صورة طريقة للطبيعة العبة ، فهو أينما وصف البقرة الوحشية في معرض وصف الناقصة

(١) - ديوانه : ١٠ - ٢٦ - ٢٨٠

(٢) - ديوانه : ٣٦١ - ٣١٢ . صياغة الصرب الأعشى الكبير : ١٧٠ - ١٧١

(٣) - الأبيحة في الشعر الجاهلي : ٢٨٧

وتنشد لا يتفطرب عند نظهرها السبي ، وانما يركز اهتمامه على الجوانب النفسية  
من خوف وحزن واضطراب ، وقد استنار ؛ فهي بكرة ثلث أهل المسح وعبدنا ومسبي  
بعبدة عنه ، فجز ذلك في نفسها ، فتحزن عليه حزنا شديدا ، وتبشيه بكاء مرا ، حتى  
أن الامارات لعالها فبنت ليلتها ، وما شتمها عزتها ، وتسر بلذعة البرد فتاجب  
الس جادع شجر حيث تنفس ليلتها ، هزينة فزعة ، ثم يهول الشاعر من مآبها فهصر عسا  
عزينة لمجوم ماغت من كلاب المساء ، ولذات تسمع لها ، وتذو ، من نفسها بنفوسها الثرية  
الحادة ، وتضمنت في الدفاع رغبة في الحياة ، وتشرية شية ونبت عابها ضرية ثوية تد منها ،  
فترى الكلاب منهزمة ، متألمة يائسة وتنبجو البثرة من موت بحقي ( ١ ) .

ورسم الشذوي في اللامية المنسوبة اليه صورة حسية للذئاب وجماعته ، فقد شبه نفسه فسي  
اشنك بالثوت اللليل ، ونرى في الثفار ، وبلازمته الهبال ، وانترشه التراب ، بذئاب  
هزبل ، جاش ، يتلح النلوات ويحبب الاودية والمقازات بعنة عن الطعام وصحبها وراء القوت ،  
يعرئ باعسا ، متألم ، فلا تجيبه غير جماعته ، وهي أسوأ حالا منه ، فهي منهكة ، منهكة ،  
قد شابت وجوهها ، ولشفت عن اشداق كشتون الحصى ، والحة عابسة ، لريهة الضامر ،  
مرعبة ، تصيح لسباعه ، وتشكولشكات ، مرضج فتضج ، ثم يرعوى فتأسى به ، وتعتصم  
بالسبر ، وترجع الماوية لا تلوي على شي \* ، وشوت سمير عذر من خلاله ذاتيته ، ومواقفه  
النفسية والاجتماعية ، بطريقة عفوية ، تلقائية ليس فيها قسر ولا اقهام موارم وذلك  
الفن ( ٢ ) . كما نجد سورا اخرى لغير هذه الحيوانات ، فقد نان الشاعر العربي محببا  
لبيعته ، مضرا بها من حيوان ، لقا بتصويرها في مآبها المختلفة ، لذلك زخمر  
شدره بالسور ، وامثالها بالمشاهد المهمة الواقعية للبيعة الاسراء وحيوانها الالبي  
والابيد ، وهو أمر يبول بنا الحديث عنه لو أننا حاولنا الاطاحة به من جميع الجوانب ،  
فاتصرتنا على هذه السور ، وهي غيف من فيض ، لبروزها وتكاملها من جملة ، ولا تنسح

( ١ ) - شرح الديوان : ٦٨ - ٦٩ - الوصف : ٢٠ - ٢١

( ٢ ) - اعجب العجب في شرح لامية الصرب : ٢١ - ٢٣ ، الوصف : ٢٦ .

مقالات في الشعر الجاهلي : ٢٠٩ وطبعها .

وقف الشاعر من الجانب من غارلها من جهة ثانية ، ولانها - من جهة ثالثة - ترسم  
 راحل النافور في شعرا للجبهة في هذا الدور من تاريخ ادبنا الصربي القديم ، فبعد  
 ان كان الوصف ماثوبا ، يعنى بظواهر الموصوف ، يعتمد تشبيهات مستقاة من الجبهة في  
 الوصف الصغرى ، نجد ه يركز على الجانب النفسي منه ، فبطله بكنهية تشير فيها الى اساس  
 التعاطف والنفور منه بالهيئة الفنية ( ١ ) .

( ( ٢ ) )

وقفن الشاعر الجاهلي بالجبهة الصامتة بدرجة أقل مما فتن بالجبهة العبية ، فوقف  
 على الاللال ، ووصف الصغرى برمالها وسرابها ، وشعرها ورباعها ، وراقب الغيث وراقبت  
 اليه نفسه ، وهفا اليه قلبه ، فصور السحاب ، والبرق يومض من خلاله ، ووصف سقوط المطر ،  
 وتحتب مسيرته الى أن يتحول الى سبيل تجرأما تبده في طريقها من نبات واشجار وأبنية  
 وسباع ، ورسم للأرض بعد نزوله ، ونجوم العشب ، وفتوح الزهر سمورا فائمة رائمة ، ووقف على  
 اللبل ، رمز المحبة والعبادة الهادئة السعيدة ، فوصفه ، وقد تجاوزت عليه عوامل الهدم  
 من رباح وأمار ، وقد أعشبت ساحاته ، وسرحت في جنباته النباء والابقار ، وصفا حيا مؤثرا .  
 لقد احتفل امرؤ القيس ، شاعرا للجبهة الاول في هذا العصر ، بالجبهة أيضا احتفال ،  
 وفتن بها فتنة تظهر بجلاء من خلال الصور المتنوعة العبية التي زهر بها ديوانه ، ووقف  
 في مقدمات قصائده على اللبل وثقة انسانية مؤثرة ، فجاجي الرسوم ، وبعث الحياة في أرجائها ،  
 واستحضر الماضي السعيد لهذه الديار التي تعاونت الرياح والامطار على لمس معالمها ،  
 ويستسلم لاهلام اليقظة ، فتداعى الصور أمامه لذيذة حلوة ، ولكنه سرعان ما يقين على  
 ذلك الاسم الرهيب الذي يلف المكان ، وعلى بحر الارام المتناثر هنا وهناك كحب الفلفل ،  
 فيختم لذلك غما شديدا ولا يجد له متنفسا في غير البناء فيبنى وأبلى ( ٢ ) . ووقفيره مسن  
 الشعراء على الاللال ، ولكن وثقاته ظلمت متميزة بذلك الدفق الشعوري ، والتفاعل الممي

( ١ ) - العصر الجاهلي : ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢١

( ٢ ) - ديوانه : ٨ - ٩ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ١٦٨

شعر الجبهة : ٤٧ ووا بعدها  
 العصر الجاهلي : ٢٦٥

السادق مع تلك الرسوم من دون غيرها من الوثائق . فقد وثفها عبيد بن الأبرص وزهير وليبد وغيرهم ، فسطها زهير وقد درست معالمها وعفت عليها الأضار والرياح ببشمة وشم في المراسم (١) ، وشبه لبيد ما تبتئ من آثار الدبار ، وقد كشفت عنها الريح بنتابه كادت تمحي عروفتها فجدد الكاتب سطورها ، أو هي كوشم تقادم عليه العهد فاعادت المرأة شكله بذر الكحل عليه (٢) . كما ترك ثعلبة بن عمرو العبدي ، وصفا راعدا للدبار الخالية ، بتلغى في أن فعل الحدتان وتماقب الضبوت على الأرض تشبه فعل الأعباغ في زخارف الضبوت أو تشبه رسم الكاتب بهنك رسوما دقيقة وأشكالا منقطة بدواته ، وهو يرفق يده ويضمها في هدوء وسكون لا تترك عينه ولا تتحرك جفنه ، كأنه مأخوذ بما يسنن من رسم وتعبير (٣) .

وكما وثف امرؤ القيس وثفته السادقة على الدليل ، وثفت وثقة آخرى أمام الليل ، بهظلمته ورعيته ، فشبها لذلك بهجر متلاطم الأمواج ، واستقباله حتى يميل اليه أن نجومه شددت بحبال الي جبل ، وشرايه ثابتة لا تبين مكانها ، كأنها شددت هي أيضا بأمراس من كتان الي مخور راسخة سما . ثم بهجسم هذا الدلول في أول الليل ووسطه بصورة منتزعة من واتبع بيئته ، فيرى فيه جملا تثبل الصدر ، ومشد الظهر ، كما يبالغ أن الليل انما جاء بهفتسه تلك ليفتبره ويمتعه ، وفيخاطبه في ثبات : انجل عن الصبح ، وليس الصبح أفضل منك عندك ، فمهمومي لا تتارقي ليل نهار (٤) وفي هذا الوصف بيد وواضعا أن الشاعر يفلسف الطبيعة ، ويصورها على غرارة ، ويسكب فيها فكره ، وفي ايمضاح هذه الفلسفة استخدم وسائل الفن البياني أدنى استخدام فبدأ الهم مجسما في الألفاظ والمعاني (٥) .

- 
- (١) - الوصف : ٣٥
  - (٢) - ديوانه : ١١٨ - ١٢٠ ( ١٣٨ ) ( الوصف : ٣٠ )
  - (٣) - الوصف : ٣١
  - (٤) - ديوانه : ١٨ - ١٩
  - (٥) - شعر الطبيعة : ٤٧

وتردد وصف الليل بالليل عند شعراء الجاهلية ، ونظروا الى النجوم على أنها ثابتة لا تتحرك ، واختلفوا في رسم ذلك ، فمنهم من رأي - وهو النابغة - كان الراعي الذي يسوق النجوم الى ثيابها قد ثرت القبايح وذمبالى غير رجعة مضرب بذلك - عن بلاد سير الليل وبعد صباحه ، ومنهم من رأي - وهو مهلهل - في تصوير ذلك ، كأن كواكب الجوزاء نوق تتجمع حول زلبدما الكسير فلا تبرح مكانها ، أو يتصور الفرقد بين يدي رجل ماثم بغيسف لا تتفان عن العركة حول التمار ولا تتجاوزانه (١) .

وأما الليل عند الأعشى فيقول ، شديد الظلمة ، يستوي في غوشه البصر والاعى ، وقد خاضه وعبدا ، وهو يند في السير الى مدوحه لا يؤنسه فيه غير نجم اليوم والضوح\* ، وأصوات الجنادب ، وهو لا يلهث مدة حتى يستبد به الخوف ، وتتنازعه الهواجير والاهام ، فيخيل اليه أنه يسمع اصوات الجن وعزيفها ، فوفق في اداء هذا الرسم لليل ، وحدث الرعب في السامع بما استخدم من ادوات ووسائل سخرها بنجاح في بناء صورته الرائعة (٢) . وقد افتن أيضا في وصف الشعراء برمالها وقبيلها وسرايها ، فرسم لها لوحات رائعة ، جعلت احد الباحثين يرى فيها ملامح رمزية وسريالية (٣) .

وأما البرق ، فذكره في ديوان الشعر الجاهلي فكثير ، فقد اکتروا من وصفه ، ووقفوا يرتقبونه ، ويتبعون مواطن لعنانه ، لما له من أهمية ، وفي حياتهم من دور . وقد رسم امرؤ القيس وهو من أكثر شعراء الجاهلية اهتفالا به ، والبرق صورا كثيرة ، تتبحر في بعضها البرق منسفا لعنانه من بعد بين السحاب المرموم كأنه لعنان يدين تتحركان بسرعة ، أو كصباح راهب غداه بزيت كثير قوي من نوره وزاد من غمقه ، الى أن يشمل السحاب الجهات ويضمها ، ثم يهبط لنا المرحاة الثانية المرمومة . معنى سنوا المار بنزارة وشابة . - من يرمول السبي سيل جارف يقتلح الاشجار ويخرب السباع ، ويهدم الديار ، لا يثبت منها في وجهه الا الابنية القوية ، الشيدتها هجارة والصفور ، ويتابعه بالرمح الى أن يمل صحراء الغبظ ، ويلقي بحمولته هناك ، فيروي تلك الارض الجرداء ، فتنتعش لذلك ، وتهتز ، فتخضر وتزهرف تبتدو وكأنها تاجر يمان قد نشر أثوابه الطونة المزركشة وبدأ جبل شير وقد تكاثف عليه الثلج ، كشيخ سن ، قد تزلم والتف في كساء مخطط ، كما بدأ جبل خمير ، بما علق به من بقايا السيل الذي استدار به ، كفلكا مغزل . وهو تصوير ، هي ، شخصي ، يفصح عن حب صاحبه للظلمة ،

(١) - الهمداني : ٣٢ - ٣٣  
 (\*) - الضوح : طائر من ليوم الليل ، يشبه الخراب  
 (٢) - ديوانه : ٣٧٣ - ٣٧٤  
 (٣) - صناجة الصرب الأعشى الكبير : ٨٣ ، ٤١ ، الديوان : ٣٧٣ ، ١٨٩ ، ١٧٣

عياها الكبير بهذه الظاهرة الدونية ، كما يفصح عن متدثرته على الرسم والتصوير الحمسي  
 ملون لثلاث أعراب الطبيعة المنطقية . ( ١ ) . وله صورة أخرى لطيفة في وصف المطر ، وفق  
 فيها في رسم مشهد جميل ليوم جميل ، ارتسمت فيه الفرحة والاستبشار على ظواهر الطبيعة  
 فيها وما شاهدها من زوال المأر ، ذلك المأر الذي لم يكن ، رغم غزارته وكثرت ، مؤذيا ولا مدمرا ،  
 وإنما كان لها بها من روعة والشجر يرفق ، وإنما فيه الفسح الشرق ، فبين فرسا  
 متبها ، وهو كهذا لا بد أن يوثق في نفس الشاعر ، فيخرج مقابلا فرسه ، يتلى الصلح  
 الجميل ، ويستمتع بالطبيعة الخلابة ( ٢ ) .

يرسم عهد بين الأبرص صورة جميلة لسحاب وعمود ثوم من الأرض ، حتى كان اليد  
 تلمسه ، مشيا صوت رعوده بأصوات الحشار المبحوحة ، ومضورا نزول قلبه الذي يمس  
 الأرض ، فيلأ القبحان ويهشم الروض ( ٣ ) . وكان الأعشى يرقب المطر أيضا ، وهو أمر  
 جعله يرسم للحرق صورا عديدة في شعره ، فهو رمز المأر ، وعلامة الفيت ، بيد ووضه  
 من غلال السحب كأنه الشمل في وضها ( ٤ ) .

وافتن الشاعر الجاهلي بنات صحراء أيضا ، فوصف النخيل ، والدوم ، والشجر ، كما  
 ذكر البساتين والجنات ، والأزهار والرياح ، ولكنه لم يفصل في وصفها على نحو ما فصل  
 في وصف الطبيعة الحية ، والصحراء والسحاب والبرق ، فما يستلح لمنثرة تلك الصورة  
 التي رسمها في مملته لذياب هيبته ، وإنما قد مر بها يوما بعد أن أملاها ، فوجد  
 عشيا قد طال ، ووزعها قد تفتح ، وخلا الذباب فيها بترنم وبغني كأنه مكران ( ٥ ) . كما  
 يصف الأعشى الروض ويفا فيه اعجاب وفتنة ، ولكن لا لذاته ، وإنما ليرز محاسن هيبته  
 ويفضلها على محاسن هذا الروض الذي يجاده الفيت ، فاخضر عشيه ، وفان عاره ، وضاحت  
 أزهاره كواكب السماء ونجومها ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) - الديوان : ٢٤ - ٢٦ - شعر الطبيعة : ٤٨
  - ( ٢ ) - الديوان : ١٤٤
  - ( ٣ ) - ديوانه : ٥٢
  - ( ٤ ) - ديوانه : ٥٧
  - ( ٥ ) - الديوان : ١٠١
  - ( ٦ ) - ديوانه : ٥٧



لقد ارتسخت الطبيعة بصحرائها الواسعة ، ووطأها المحرقة ، وسأبها ونجوسها ،  
بصحبها وهرتها وولعها وحيوانها واليهودها ، وبناتها وشجرها وزهرها في شمره ارتساما  
ماديا وحيا ، فيه من الحركة واللون والصوت ما جعله أقرب الى الواقع ، منه الى الخيال  
الشعري ، حتى ان القارئ لهذا <sup>الشعر</sup> الأبحر وكأنه يستعرض شربها تسجلها للطبيعة الجزيرة  
العربية في تلك العتبة من الزمن ، إلا أنه قد يهمل حبال ذلك كله احساسا غريبا ، انه شعر  
تعدد فيه الموضوعات ، وتتزامن الافراض ، وتجتمع المقائضات ، وتتقارب بطريقة عادية  
وهو شموه تزول غرابته اذا علم أن الشاعر الجاهلي كان ينظر الى صحرائه الواسعة نظيرة  
شمولية ، ينظر اليها " كوحدة تندرج تحتها هذه الموجودات الطبيعية المختلفة ، وهو حريص  
كل الحرص على أن يمتثل كل ما يحيط به جملة ، ولذلك يفتن بالراحة الطاوغة التي تيسر  
له الالمام السريع بمناحي بيئته وتبلغه أغراضه منها . ويلزم وصفا لراحة عنده أو وصف  
الطبيعة البدوية المتنوعة المظاهر " (١) . لقد أحس في مهمة صحرائه بضعفه ، بضالته  
بغربة أذكي أو أوعا عدم استقراره ، فكان لا بد أن ينجدب الى الطبيعة ، أن يرتبط بها ،  
أن يحسها ويعبأ بهد با على ظهرها من كائنات تصونها لها يمتلج في اعناق نفسه من اضطراب  
واغتراب وشموه بالزوال في كل لحظة . هذا الشموه بالالفة والوحدة مع عناصر الطبيعة  
المختلفة هو الذي يجعله يمدق حيواتها ، ويحط عليه ، ويفسح له في شمره ، ويصفه وصفها  
أعرب من خلاله بصفوية عن الكثير من مشاعره وأفكاره الانسانية (٢) .

لقد أسهم امروء التيسر ومعاصره ، وينصب له ثقبته في شعرا الطبيعة في أدبنا العربي ،  
وهي مشاركة كان يخفي أن تنسى وأن تملك مواثبة لتأخر الفكر ، ولكن الامكان على خلاف  
ذلك ، فقد أنعم شعرا الطبيعة في أبرز جوانبه صورا منروية ، يردد بها الشعراء في أواخر العصر  
الجاهلي والعصر الاسلامي واكثر الاموي ، تباعا وبأريقة شكلية جامدة قل أن ساءلوا التجديد  
فيها ، والاضافة اليها ، وأكثر سجا ولا تهم القليلة هذه لا نلحس فيها ذلك الاعساس العميق  
بالطبيعة أو التفاعل العمي مع غواهرها المختلفة .

(١) - شعرا الطبيعة : ٥٢

(٢) - نفسنه : ٦٧

الطبيعة في الشمر الاسلامي والاموي

شهدت الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي حدثا عظيما ، فقد كانت  
بهدية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام برسالة الاسلام انقلبا جذريا في  
حياة العرب ، وقلبا شاملا وعميقا للمفاهيم والتصورات والافكار التي كانوا  
يتبنونها . وكانت الصدمة شديدة ، واللطمة عنيفة ، اهتمت لها وهدفت نفوس  
المشركين الكابرة ، فهبوا لمعاربة هذه الدعوة ، وضيقوا الخناق عليها وعلى  
ممتنقيها ، وأعلنوا حربا شعواء استخدموا فيها كل الوسائل ، مادية ومعنوية ،  
وكانت هذه الاخيرة اشد وأعتى ، فقد انبرى شمر اؤهم يججون الرسول عليه  
الصلاة والسلام وأصحابه ، وسلطوا السنتهم عليهم ، وألصقوا بهم كد نقصة ،  
مقابل الاشادة بزعمائهم والتنويه بأصنامهم واوثانهم ، فكان على المسلمين أن يواجهوا  
المشركين من قهر وفير وغيرها من تباطل العرب بنفس السلاح ، وان يدانسوا في الدعوة  
الاسلامية بكل ما أوتوا من قوة ، وهددوا كيد الاعداء الى نحورهم ، فكان حسان  
ابن ثابت الانصاري ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك الانصاري رواد  
هذه المعركة الاعلامية ، خدموا الدعوة بشمرهم خدعة جلييلة في تلك المرحلة  
الحرجة من تاريخها ، فمدحوا الرسول الكريم ، وهجوا المشركين ، وسفهاوا  
احلامهم ، وشنعوا عليهم عباداتهم وعاداتهم ، وطمنوا في انسابهم على طريقتهم  
هم في هجو المسلمين ، مع اختلاف في التصور العام ، وتضمن للشمر بالمفاهيم  
الاسلامية الجديدة من ذكر الجنة والنار ، والايمان والكفر ، والثواب والعقاب ،  
ومعاني التوحيد وقضايا العقيدة ، وهو امر شغل بال الشاعر المسلم واستغرق اهتمامه  
فكان شمره سايرا لحركة الدعوة الاسلامية ، يستجيب لطلابها ، وينافح عنها ضد  
اعدائها ، ولذلك ، ومن البداية ، ألا نجد في أشعاره تلك الموقفة العميقة  
المتعلمة لأسرار الكون ، والنظرة المستجلية لنواحي الجمال والابداع في مظالم  
الطبيعة المختلفة ، لأن هذه الندارة وتلك الموقفة تتطلبان قدرا من الاهتمام  
والتركيز اللذين لا ينحوان الا في ظل الاستقرار الذي لم يكن متوفرا في تلك المرحلة

القلقة في حياة الدعوة الاسلامية .

هذا عن الشعر ، واما القرآن الكريم فقد حفل بالمشاهد والصور الطبيعية ، لا تكاد تخلو الكثير من سوره من مشهد او مشاهد للطبيعة معروضة بطريقة فنية رائعة ، قد تأتي في معرض القسم ، فنجدته تعالنى يقسم بمظاهر الطبيعة المختلفة من ليل ونهار ، وشمس وقمر ، ونجوم وسما ، وغيرها ، لبيان مالها من أهمية ، ولتوجيه الحس والعقل البشريين الى ادراك ما فيها من جمال ، واستشفاف لما تنطوى عليه من اسرار ومعان خصبة ، في جو من الالفة والمشاركة الوجدانية الحسية كما أنها قد ترد في مجال التدليل على قدرة الخالق سبحانه او التمهيد عن المشاعر والخلجات والمعاني النفسية والفكرية والاجتماعية ، فيصورها تصويرا يغيث حركة وحياة ويرزقها للبيان على نحو يتفرع الحس ويهز القلب ، ويدفعه الى التلويح وتلمس الدبرة في مشاهد الطبيعة المحيطة به ، وكأنه يشمر بها لأول مرة (١) .

ولكن ما رصد الشعر الاسلامي من هذا الفن ؟ لم يستفد الشعر الاسلامي ، بل والشعر العربي في مجموعه ، من هذه الظاهرة القرآنية التي تستلقت النظر وتستوقف القارى مرات ومرات ، وهو يتلو كتاب الله ، تدوة المستدير الواعي بما فيه من معاني وأسرار ، الا نادرا ، فقد اقتصر على ترداد الصور القديمة ، وتكرار المواقف الجاهلية في جمود عقيم لا جديد فيه ولا حياة ، وقف بالاطلال يناجى بها ، ويبكي آياها الخالية ويستدعي ذكرياته بين ربهها مع أحبته الذين غادروها وتركوها نهبا للريح والانواء تهبها وتمضي على آثارها . ووصف الناقة والغرس ، وحيوان الصحراء في معرض وصف المرحلة على طريقة الجاهليين ، وتفزل على طريقتهم أيضا ، ولم يخرج عن سننهم في البناء لشكلي للقصيدة بل تأثرهم فيه بدقنة وان خالفهم في السانني والتسموات التي اقتضتها النقلة البعيدة التي احدثها الاسلام

---

(١) - القسيران الكريم : الانعام ٩٥ - ٩٤ ، فالجر : ٢٧ - ٢٨ ، يس : ٢٧ - ٢٤ ، الفرقان : ٤٥ - ٤٧ ، يونس : ٢٢ - ٢٤ ، البقرة : ٢٦٤ - ٢٦٦ ، النور : ٣٥ ، ٣٦ - ٤٠ ، ابراهيم : ٢٤ - ٢٦ ، التصوير الفني في القرآن : ٣٢ وما بعدها .  
منهج الفن الاسلامي : ٢١٢ - ٢٢٨ .

في حياة العربي فكرا وسلوكا .

ثم مكن الله للاسلام ، وشمل رقعة واسمة من المصمورة ، ودخل الناس فهمه  
أفواجا ، وعرف الشاعر المسلم بيئات جديدة وطبيعة غناء ، فيها من غناء الاطيار  
وأصواع الازهار ، وكثرة الانهار ، وجمال القصور ، وروعة الحدائق والرباط الشهي  
الكثير ، ولكن هذا الشاعر في بيئته الجديدة وتفاعل معها ، وضحاها  
من فكره وقلبه وحسه ، ما يجلبها ويبرزها ويخلدها ؟ ، تصفحت دواوين الشعر  
الديني لتنته الخلافة والديار الابوي فلم اجد ما اعتمده للاجابة عن هذا السؤال  
اجابة شافية ، فلو استثنينا ما جاء في شعر ذي الرمة ورجز المجاج  
واهله روية من وصف للمحراة وحيوانها لانكاد نعتز على شعر يمثل الطبيعة الجديدة  
بجمالها وسحرها ، فلم تترك روح العصبية التي اججت نيرانها النزعات القبلية  
ويوادر الشعوبية مجالا للاهتمام بالطبيعة والاحساس بها ، فقد استنفدت الاهدابي  
طاقات شعراء العصر البارزين ، وشغلتهم عن وصف الطبيعة وصفا يستفرق مظاهرها ،  
ويتعمق أسرارها ، وحتى ما جاء فيها من اوصاف لا يمد وأن يكون صورا مكررة  
ليس فيها ما يمت الى العصر وبيئته بصلة ؛ فانت تستعرض شعر جرير والأخطل  
والفرزدق ، فلا تشم فيه غير رائحة الصراع العنيف ، والنزعات القبلية القيتية ،  
والهجاء المقذع مفتحا او متخللا بأوصاف تقليدية للطلل والراحلة والصحراء  
برمالها وسرابها وحيوانها ، وكأنهم لم يدخلوا قصور الشام ، ولم ينعموا بالطلل  
حدائقها الغناء ، فماشوا فيها بأجسادهم ، ويقوا مشدودين بمقولاتهم وقلوبهم  
واحساساتهم الى جزيرة العرب ، يولدون بذابيتها ، حبيها وصامتتها  
لا يجدون فتورا في وصفها ، ورسم الصور المختلفة لمظاهرها المتنوعة ، وان لم يخرجوا  
فيها كما ذكرت ، على القاعدة المثبتة ، ولم يكسروا طوق التقليد ولم يحاولوا التصرف  
في العروش الشعرية بما يوافق بهئتهم وعصرهم . (١) وكان لحركة جمع اللبنة ، والتقميد

لظواهرها اثر الى اشرف في توجيهه الشاعر الى غريب اللغة وشانها ، فقد سخر  
شعره ورجزة لخدمة اللغة ، وتلبية مطالب النماة واللغويين الذين كانوا يمجحون  
بهذا النوع من الشعر . وكان الصجاج وابنه رؤفة ، رائدا فن السرجز في هذا  
المصر يحتفلان باللغة ، وهمنيان بجمع فريتها ، ولكن قصائدهما لم تخل من  
تسوير سي لنداء الطليحة الصحراوية ، فقد كانت موضوعات الوصف عند الصجاج  
\* لا تقف عند جانب من الطبيعة دون آخر ، فقد صور الطبيعة بعناصرها المتحركة  
وعناصرها الصامتة ، ولكن شاهد ، على اختلافها كانت لا تخلو من الروح والحركة ، حتى  
ولو كانت تصور الجماد الذي لا يتحرك <sup>(١)</sup> . وقد عني باستخدام الالوان ،  
والاكتار من استعمال الافعال ، والتصرف في اللغة من حيث الاشتقاق ،  
ما ساعده على تقديم صور حية للصحراء بحيواناتها <sup>(٢)</sup> ، وعلى الرغم من أن هدفه كان  
لفوها لا فنيا ، فان \* الصورة الفنية في رجزه تلالعنا دائما بالروعة والجمال والحيوية  
بما فيها من تكامل في اركانها الفنية المختلفة <sup>(٣)</sup> ، وقد تأثر ابنه لريقتة ، وولسح  
بالصحراء ولحمه بها ، واكثر من وصف مظاهرها الحية والصامتة ، كل ذلك سعيا  
وراء غريب اللفظ ، وحوشتي الكلام ، لا قصدا للغن في ذاته ، كما سار في  
نفس هذا الطريق ابو مرقال الزفيان مع سهولة ملحوظة في اللفظ والاسلوب <sup>(٤)</sup> .  
ولم يحفل شعراء النزل في هذا المصرا بالطبيعة الا نادرا ، فقد شغلهم  
وصف الحبيب ، والتفني بحماسة عن تلي جمال الطبيعة ، والاحساس بها ،  
غير أننا نجد في الشعر المنسوب للمجنون بعض الاهتمام بمظاهر الطبيعة ، ولكنه  
اهتمام عابر ، ونظرات عجل لا تقف طويلا عند الشهد الطبيعي ، وكان يتوقع  
منه ، وهو المحب المحروم ، نوال القلب الرقيق ، والاحساس المتوقد أن يجد

(١) - الصجاج حياته ورجزه : ٣١٢

(٢) - ديوانه : ١ : ١٥٥-١٦٢ ، ٢٦٦-٢٦٧ ، ٣٦٤-٣٧٧ ، ٣٨١-٣٩٨ ،

٥٢٠-٥٢١ — ٢ : ٢٢-٦٣ ، ٩١-١٠٦ ، ١٥٩-١٦٠ ،

١٨٢-١٨٤ ، ٢١٩-٢٤٨ .

(٣) - الصجاج . حياته ورجزه : ٣٢٤ .

(٤) - شعر الطبيعة : ١٤٤ .

في الطبيعة ، التي همام على وجهه في احضانها ، رصيذا ثرا من المماني  
والاسرار التي تصينه على تعميق احساسه ، وتوسيع نظرتة الى الحياة والسكون والانساني ،  
ولكنه اقتصر في هذا المجال ، كما أسلفت ، على الاشارة ، دون التركيز فقد  
شكا الى سرب الغدلا ما به من جوى ، وللمب من طائره أن يصيره جناحية ليظهر بهما  
الى حبيته التي نأت عنه وتركته نهبا للهواجس والالام ، فتجيبه القفا الى طلبه ،  
ولكنه يقنع منها بأن تحمل عنه رسالته ، وتبلفها الى حبيته (١) . وهو يحس  
بالحب تجاه كز ما يثير في ذهنه صورة محبوبته ، ولذلك فهو يناجي الحمايم (٢) ،  
ويلومها على أنها لم تحزن لحزنه ، ولم تشاركه همومه ، كما يطلق سراح الطبيعة  
التي اصلا دها لا لشيء الا لأنها تشبه ليلي (٣) . ولعل الجهد الذي يسجل  
له في مجال شعر الطبيعة هو مناجاته لجبل التوتباد ، وتشخيصه له ،  
وسنة الحركة والحياة في جوانبه ، فهو يهمل للمرحمن ، وينادي الشاعر ، ويخاله  
ويخبره كأنه شخص يسمي ويشعر (٤) .  
وأما رائد الوصف في هذا المصربلا منازع فهو ذو الرمة الشاعر ، فالمطلع  
على ديوانه الضخم يلحظ ظاهرة الوصف اغالبة على شعره ؛ ما يدل على حب ودينام  
بالطبيعة بجميع ظواهرها ، وتفاعل هي مع عناصرها الحية والجمامة ، فقد رسم  
لذلك كله لوحات فنية تشهد على براعته وتفوقه ، ودقة احساسه ، استكمل فيها عناصر  
الفن التصويري ، من حركة وصوت ولون ، كما استقط عليها مشاعره وأحاسيسه مما اكسبها  
الدفء والروعة والجمال ؛ فقد كان شاعر الحب والصحراء في عصره (٥) ، وجد في الطبيعة

(١) - ديوانه : ١٣٧

(٢) - نفسه : ٢٨٣

(٣) - نفسه : ١٩٥

(٤) - نفسه : ٢٧٥

(٥) - ذو الرقة شاعر الحب والصحراء : ١٤٦ ، ٢٧ - المصرا لاسلامي

صورة محبوبته التي نأت عنه ، فهام بها ، وخلا في أحضانها يناجيهما وجسد  
أحاسيسه وانفعالاته من خلال مظاهرها المختلفة ، ويرسم لها الصورة تلو الصورة  
لا يفتر ، قد ساوى في مخيلته بين ظواهرهما ، وقرب من متاعدها ووجد متافرها  
في نظرة شمولية موحدة ، وهي نظرة وجدنا لها شبيها عند شعراء الجاهلية ، ولكنها  
عنده أعمق وأشمل تدل على ثقافة المصر التي نماها التصور الاسلامي للكون والانسان  
والحياة ، قد تركت اثرها في عقلية ونفسية الشاعر ، وفتحت عينه على ما في هذا  
الكون من آيات وأسرار ، وارتباط ذي الرتبة بصحرائه قوي متين ، وحب لظواهرها  
عالم طاغ ؛ يجب لها النماء والحياة ، ويكره لها الفناء ، ومن ثم فهو يمقت  
الصيد ، ويصفه بأشجع الصور ، لأنه يمثل الفناء والدمار لهذه الطبيعة الحية التي  
أنس بها وأحبها حبه لمحبوته ، ولذلك فإن صياده لا يسبب الطريدة أبدا ،  
فهو يفشل دائما في رميه ، الذي تنطلق اثره الحمر الوحشية كالسهم فارة تنزل  
الارض وتقدح الشرر بأظلافها ، ثم تختفي في سرعة مذهلة ، ويبقى هو حين  
الحسرة والندم ، وهو تصوير لا يقف عند ظاهرها الموصوف - الحمر الوحشية -  
فحسب ، بل يتوغل في أعماقه ، ليصف لنا نفسيته ، وهو خائف يترقب ،  
ويتسمع الأصوات ، ويتقدم في حذر شديد ، وكأنه يحس بخطر يوشك أن يدمه  
ولكن خربير الماء يفريه ، فيتقدم الى الصين ليشرب ، ولكن ما يكاد يرشف  
الرشفة التي لا تبلغ حلقه حتى يسدد اليه الصياد نشابه ، فيخطئه ، وينطلق  
كالسهم ناجيا .

كما ان ظاهرة التجسيم كثيرة في شعره ، فهو لا يفتأ يجسم المعنوي ،

وبصوره تصويرا حسيا ، يبرزه ويجليه .<sup>(٣)</sup>

(١) - التلوذ والتجدد في الشعر الاموي : ٢٦٤ - ٢١٥

(٢) - ديوانه : ١ : ٦٢

(٣) - المصر الاسلامي : ٣٩٤

هذه نذرة موجزة عن اسهام ذي الرمة في وصف الطبيعة ، وهي مساهمة  
وان لم تخرج في مجملها عن سنة الشعر العربي قبله في هذا الفن ، الا ان  
جهده المتميز في هذا الميدان ، المنطلق من منطلق الحب العميق للطبيعة  
المستغرف لا جزائها كلها ، حية وصامقة ، بلا ادنى تفريق ، يجمعه والمدجج  
الراجز رائسي حركة الاحياء ، احياء الحورث البدوي القديم وبعثه من جديد  
وسط بيئتهما المضرة الاسلامية التي اخذت تميل الى التأنق وترنو الى الترف  
وهي ظاهرة غريبة حقا ، ولكن غرايتها تزول اذا درسنا العصر الاموي دراسة  
متأنية تتناول نواحيه السياسية والاجتماعية والفكرية ، ووقفنا على الاسباب البارزة  
والخفية التي كانت وراء بروز هذه الظاهرة ونشوتها  
ومع ذلك فهي خطوة اخرى في الطريق ، واسهامة موفقة ، مهدت لما بعدها ،  
ولكن بطريقة عكسية ، فقد ولدتها العناية بالبادية لغة وطبيعة ، نوعا من الصراع  
بين دعاة هذا الاتجاه ، ودعاة التجديد الذين ارادوا ان يتحرروا من رقبة  
التقليد للقدام ، وينطلقوا في فنهم من واقع بيئتهم لغة وطبيعة وجوه حياة .



## الفصل الثالث

### الطبيعة في الشعر العباسي

• ١ •

انتقلت الخلافة من دمشق الشام الى بغداد ، ومن الأمويين الى العباسيين ،  
فازدهرت الحياة الثقافية في بغداد ، وحواسر العراق على نحو غطى ما كانت دمشق  
تنعم به من نشاط علمي بفروعه المختلفة ، خاصة الشعر ، لارتباطه القوي - غالبا  
في ذلك الحين - بالمدح ، واعتماد الشاعر في حياته على هبات ومدوحه من  
أمرائه وحكام ووزراء ، مما جعل بلاط العباسيين يزخر بالشعراء والكتاب ، كما  
اسهمت الترجمات للمصنفات العلمية والفكرية والفلسفية اليونانية والهندية والفارسية  
في سد هذا النشاط الحضاري بشكل أو بآخر بطاقة جديدة ساعدت على قيام  
حضارة القرن الرابع المزدهرة .

وقد انقسم الشعراء في هذا العصر فقتين ، فئة نصرت القديم ، وكانت عوناً على  
استمراره في القرن الثاني الهجري ، في بلاط بني العباس ، حيث النعمة والترف ،  
والحدائق والبساتين والدو والتصور ، والمبرك والوديان والأنهار ، وفئة  
أعلنت الثورة على هذا القديم ، وحاولت الانطلاق في فكرها وتصورها ، وفنهما  
من الواقع الحضاري المعاش ، وإن لم تخلص من القديم نهائياً ، فقد استمر  
الاعتماد باللمحة في هذا السرايينا برفع لواءه في الرجزهتة بن ربة بن السراج ،  
وهو فن وجد طريقه الى اعلام شعراء العصر ككشار وابن الممتز ، واهي نواس والبهتري  
ونظمو فيه قصائد ، وصفوا فيها الطبيعة ، حبسها وصامتها ، كما وصفوا من  
خلالها رحلات الصيد والطرود . ونسج انصار القديم منهم على منوال امرئ القيس  
وشعراء الجاهلية ، فوقفوا بالاطلال وكوا فران الاحبة ، ووصفوا الديار والدمن ،  
والفرس والناقة ، وكرروا صور القدماء ومعانيهم حيناً ، وتصرفوا فيها تعدى لا وتطويراً  
حيناً آخر ، نجد هذا في وقفات ابن الرومي الطليئة الطليئة بالصور والمفممة بالحركة

والتي يحتل الخيال فيها مكانة مسعوفة تجعل قارئها يشعر وكأنها من ابداع الشاعر واختراعه<sup>(١)</sup> . ولكن هذه الوقفات المكرورة لم تحتظ بالقبول عند شاعر آخر هو أبونواس ، فقد شتم عليها الحرب ، وسخر منها ، وأعلن أنها لا تصلح لدمره ، ولا تلائم سماته الراقية العترة ، حياة اللهو ، واللبث والخمرة في جو الطبيعة الساحرة ، فهذه الاجواء ، اللهو ، الخمر ، الطبيعة ، هي التي تصلح أن تكون مقدمات ، كما تصلح ان يقف عندها المرء وأن يمنحها من عنايته وعاطفته ما يجليها ويدعو اليها<sup>(٢)</sup> .

لقد ملكت الخمرة على ابي نواس مسه وشاعره ، فهو لا يفتأ يذكرها ، ويصفها ، ويمجدها ، حتى ان الطبيعة لا معنى لها ولا سرا اذا اقتقرت الى الخمر ، فالخمر تدعو الى الطبيعة ، والطبيعة الفتية ليست الا اطارا تمقد في احضانه مجالس الشرب والطرب . وليس غناء الاطيار ، ولا صياح الديك<sup>(٣)</sup> عنده ، في تلك اللحظات الرائعة ، لحظات تنفس الصباح ، وانسلاخ النهار من الليل ، الا دعوة الى الاصباح ، كما أنه لا يلفت انتباهه ، ويجذب نظره من مظاهر الطبيعة الا ما كان منها ذا علاقة بالخمر ، فقد وصف الريح ، وفتن به ، ووصف من الطبيعة النابتة الكروم<sup>(٤)</sup> والنخيل<sup>(٥)</sup> ، كما وصف السسل<sup>(٦)</sup> ، لا لشيء الا لأنها مصدر الخمر ومادتها

- 
- (١) - ديوانه : ١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ - شمر الطبيعة : ١٦٦
  - (٢) - ديوانه : ٥٧ - ٥٨ ، شمر الطبيعة : ١٦٧
  - (٣) - ديوانه : ١ .
  - (٤) - نفسه : ١٠٢
  - (٥) - نفسه : ٢٠٩ - ٢١٠ .
  - (٦) - نفسه : ٢٤

الخام ، كما افتن في وصف الديك لأنه يوقظه مبكرا ، ويذكره صباحه بالاصطباح ،  
لقد قننى ابونواس حياته بين اصطباح واغتباق يصف الطبيعة وصفا حسيا ، لا ينفذ  
الى اعماقتها ، وأنى لمن خمد حسه ، وغاب عقله ، وغفل عن حقيقة حياته  
ووجوده أن يعي ذلك ويقوى عليه .  
وفتن ابوتام بطبيعة بيئته ، فرسم لها مشاهد جميلة ، مليئة بالحركة  
والحياة ، مفيدا من ثقافته القرآنية والفلسفية والادبية ، في تعميق نظرتة  
الى الطبيعة واسباغ روح من الالفه والسحة على مظاهرها الهية والصالحة ،  
فجاءت اوصافه مزودة بالصور ، كثيرة المعاني ، تعمق اسنانا حتمتصعب على  
الفهم ، وهو ما عابه عليه نقاد عصره ، كما عابوا عليه انقاله اشعاره بالزينة  
اللفظية ، وتهجموا عليه من قبل ذلك ، كما لم يرقهم احتفائه بالطبيعة الى حد  
جملة يستبدل بوصف المرحلة والراحلة في سيره السى المدوح ، وصف الربيع  
والسحاب والمطر ، والسما والارض ، وقد ازينت بالزهر وكسيت بالشجر .  
لقد ربط بين الموروث الشمرى القديم ، وبين صدايات بيئته الحضرية ،  
وزاوج بين الماشي والحاشر ، والفكر والفن ، وفدم الى ديوان الشعر العربى نتاجا  
فنيا رائعا ، كان يمكن أن يسهم في تطوير النظرية الشعرية العربية ، لو أنه  
شجع وعق ، ولم تقف النظرية النقدية في تشباهه وتمزقه .  
وقد احتفى بالربيع ، ورسم للطبيعة في جوه البديع صورا مملوءة حياة وحركة  
ففي رائيته ، وحمزته ، وداليتة ، وميمته وهاثيته وارجوزته ، وفي غيرها ، وصف  
الفيت والقيم والمطر ، كما وصف الارض ، وكيف انها تهفو الى المطر ، وتنتظره ،  
وتتشوفه تشوف المريخ للذهب ، وتطرب له طرب المحب للحبيب ، حتى أن عين  
نوارها تهكس من الفرح بمد سقوطه . ويصور السحاب في صورة العدو اللدود  
للمحل ، يقف له بالمرصاد ويخلص الارض منه ، ولذلك فان الارض تستبشر به ،  
وتهتزله ، وتمهر عن فرحتها بأن تكسني بالشجر وتتعلق بأنواع الزهر ، ويفوح عابرها ،

وتشفي أليهارها ، انه لمنظر بديع ، يدل على صنعة الخالق ، وقدرته ورحمن  
تدبيره . (١)

وأما ابن الرومي فقد جمع في دأريته بين معاني القدماء والمحدثين ، وأعاد  
سورهم ولكن في ثوب جديد ، وعبر بآداب ، تخالفه من صنيع الشاعر وأبداعه .  
فقد وصف الروض والأزهار ، والسحاب ، والبحر والسير وصفا يظهر فيه أثر القديم  
كما يظهر اثر أبي تمام فيه واضحا أيما ، ولكن غلبة الصنعة ، والعناية بالجمال  
اللفظي ، غلبت ما كان ينتظر من ابن الرومي الشاعر المداس من نتاج في شعر  
الطبيعة ، ذلك الشعر الذي لا يقف عند التلواهر المحسوسة للموصوفات ، وإنما يتمداه  
الى الاحساس بها ، والتفاعد معها ، وهو شعري لا نلتفقه في شعره الا نادرا .  
صحيح انه لم يجسد الطبيعة مسرحا لمجالس الشرب ، ولم يسخر الطبيعة لها على  
نحو ما فعل ابونواس ، ولكن فنه الذي برز فيه ، فن المهجاء ، غزا شعر الطبيعة  
عنده ، فقد اتام المفاصلة بين الازاهر ، يفضل بعضها ، ويهجو البعض الآخر ، في  
شعر تقريره ، شكاي لاروح فيه ، وهو بهذه السننة جنى جناية كبرى على  
شعر الطبيعة ، اعتدت آشارها الى شعراء القرن الرابع في الاندلس ، وشفلتهم  
عن التلبي المدين للطبيعتهم الساعرة فترة من الزمن طويلة . ولكن هذا لا يدني انه  
ليس له في هذا الباب الى النظم ، بل شارك هو أيضا في هذا البناء ، واسهم  
بدوره فيه ، وان كانت اسهامه جزئية لا تمتد اذا ما قيست بالكلم الهائل من القوائد

---

(١) - ديوانه : ١ : ٤٦ ، ٢٩٦ ، ٤ : ٤ ، ٥٠١ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٢ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨١ ، ١٦٨٢ ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٨ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠ ، ١٦٩١ ، ١٦٩٢ ، ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٥ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠٠ ، ١٧٠١ ، ١٧٠٢ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٤ ، ١٧٠٥ ، ١٧٠٦ ، ١٧٠٧ ، ١٧٠٨ ، ١٧٠٩ ، ١٧١٠ ، ١٧١١ ، ١٧١٢ ، ١٧١٣ ، ١٧١٤ ، ١٧١٥ ، ١٧١٦ ، ١٧١٧ ، ١٧١٨ ، ١٧١٩ ، ١٧٢٠ ، ١٧٢١ ، ١٧٢٢ ، ١٧٢٣ ، ١٧٢٤ ، ١٧٢٥ ، ١٧٢٦ ، ١٧٢٧ ، ١٧٢٨ ، ١٧٢٩ ، ١٧٣٠ ، ١٧٣١ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٣ ، ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٨ ، ١٧٣٩ ، ١٧٤٠ ، ١٧٤١ ، ١٧٤٢ ، ١٧٤٣ ، ١٧٤٤ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٦ ، ١٧٤٧ ، ١٧٤٨ ، ١٧٤٩ ، ١٧٥٠ ، ١٧٥١ ، ١٧٥٢ ، ١٧٥٣ ، ١٧٥٤ ، ١٧٥٥ ، ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ ، ١٧٥٨ ، ١٧٥٩ ، ١٧٦٠ ، ١٧٦١ ، ١٧٦٢ ، ١٧٦٣ ، ١٧٦٤ ، ١٧٦٥ ، ١٧٦٦ ، ١٧٦٧ ، ١٧٦٨ ، ١٧٦٩ ، ١٧٧٠ ، ١٧٧١ ، ١٧٧٢ ، ١٧٧٣ ، ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ ، ١٧٧٦ ، ١٧٧٧ ، ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١

والمقطوعات الوصفية في ديوانه الكبير . ففي أرجوزته<sup>(١)</sup> نجد طرافة في المعنى  
وبراعة في التصوير على الرغم من استغاله فيها بصنوف البديع ، وأنواع الحلى  
اللفظية ، كما نحس بالفنسة والحب في بعض أوصافه للروس<sup>(٢)</sup> ، فنشعر بالقبطة  
معها ، ونشاركه إعجاب به هذه المناظر الخلافة ، يدفنا الى ذلك بقوة تصويره ،  
ومقدرته على بث الحياة والحركة في موصوفاته<sup>(٣)</sup> وهذه من محاسن ابن الرومي ،  
ولكنها لم تلبد في شعره ، ولم تشتهر بحيث يبنى عليها حكم عام يقضي له  
بالاسبقية في هذا الميدان كما ذهب الى ذلك احد الباحثين حيث قال :  
• لقد تجاوز ابن الرومي - شعراء العربية فنفا الى ما وراء الطواهر في الطبيعة  
بشيء اسم الحنين الصوفي الى الالتقاء بالموجودات<sup>(٤)</sup> .  
لقد ندم شعره بجمال اللفظ ، ودقة الموسيقى التي ساعد على توفيرها  
وتنظيمها رصافة احساسه ، ودقة شعوره وقدرته على استخدام المحسنات اللفظية  
استخداما موقفا ، ولكن اذا وازنا بين فنون الشعر عنده وجدنا فن الهجاء ينطوي  
فن وصف الطبيعة ، واذا سهرنا عالم المعاني وجدنا أكثرها مطروقا ، حفل بها  
ديوان الشعر العربي في عصره وقبل عصره ، قد عرستها بطريقته الفنية الخاصة .  
ودت الطبيعة أكثر جمالا في شعر البحتري ، شاعر السليقة والطبع الفياض في  
هذا العصر ، فقد صدر في شعره عن حب للطبيعة ، وفتنة عارمة بظلمة هرها  
ومشاعدها ، تدل على هذا أوصافه للرياض ، والفيث والسحاب<sup>(٥)</sup> ، حيث

- 
- (١) - ديوانه : ٣ : ١١٧٦
  - (٢) - نفسه : ٢ : ٦٨٣-٦٨٤ ، ٣ : ١١٤٠-١١٤١
  - (٣) - المصراع المباسي الثاني : ٢٣٤
  - (٤) - ابن الرومي في الصورة والوجود : ١٥٧
  - (٥) - شعر الطبيعة : ١٧٨-١٨٢
  - (٦) - ديوانه : ١ + ٧٦٥ ، ٢٢٢ - ٢ : ٩٥٠ ، ١١١٦ - ٤ : ٢٤٤٤

التصوير البارع والحي لهذه المظاهر المختلفة ، فكل شيء في اوصافه يتحرك ،  
ويهتز ، ويتكامل ويتفاعل ، على نحو يكسب صوره جمالا وروعة ، وهي خاصية تميز  
بها وصفه ، فقد اعتمد التشخيص لمظاهر الطبيعة اسلوبا في بث الحياة ، وبعث  
الحركة في موصوفاته .

لقد استحوذت الطبيعة على الشاعر ، وملكنت مظاهرها عليه حسه ولبه ،  
فهو لا يفتأ يذكر طبيعة الشام ، ويصفها وصفا جملة الحب والحنين ، كما  
يصف طبيعة العراق ويرسمها في لوحات تفيض حركة وحياء وجمالا . وهو وان لم  
يبدع في هذا المجال الا قليلا ، فقد استلح أن يمثل الشعر القديم ، وشعر  
معاصره ، وان يخضع ذلك كله لحسه ولطعمه وشخصيته ، ويسوغ بأسلوبه وعلو  
طريقته (١) . فقد تأثر البحتري أبا تمام في حمزته (٢) ، وداليتة (٣) ، في تصوير  
الغيث وكيف أن الأثر تستبشر به وتتزين له . ويسلك طريق أبي نواس في  
الدعوة الى الشراب والطرب في جوار الطبيعة البديع كما ينهج سبيل الاقدمين  
وخاصة في قصيدته التي وصف فيها الذئب (٤) . وعلى العموم ففتنة الشاعر  
بالطبيعة كبيرة ، وحبها لها عظيم ، وحياءها بها شديد ، ووصفه للربيع اكبر  
دليل على ذلك (٥) . وكما افتن البحتري في وصف الطبيعة الطبيعية افتن في وصف  
الطبيعة المصنوعة كذلك ، وسينيتة في وصف "الايوان" مثال رائع على هذا (٦)

- 
- (١) - شعر الطبيعة : ١٨٣ - ١٨٤
  - (٢) - ديوانه : ١ : ٥
  - (٣) - نفسه : ١ : ٥٦٧
  - (٤) - نفسه : ٢ : ٧٤٢
  - (٥) - نفسه : ٤ : ٢٠٨٧
  - (٦) - نفسه : ٢ : ١١٥٢

### تنبيه

لقد حدث سهواً خطأ في ترقيم صفحات هذا البحث وذلك بدءاً من الصفحة (٢٣٤) التي كانت في الاصل تحمل رقم (٢٣٣) فارجو من القارئ الكريم ان ينقص رقم واحد (١) من رقم الصفحة المذكورة (٢٣٤) وما تلاها من الصفحات بما في ذلك الفهارس حتى يحصل الترقيم الصحيح

وشكراً

التفوق والنجاح في هزال الثوابت ، وتشريك البسمادات ، وسمت الحياة في عناصر  
الصور المرسومة مستعينا بالنسب الاستثنائي والتشخيص ، حتى لكأن القصر لم يخل  
من امله ، ولم يهرجه قطانه ولم يتقادم به العمر ، ويمتوره البلى والخراب .  
وهو تصوير رائع ، بلغ فيه الشاعر الذروة في الفن ، وخلد في ديوان الشعر العربي  
صورة فنية متازة عكس من خلالها مشاعره وأحاسيسه ، وآلامه وأحزانه ، على نحو  
يندر وجود مثله في هذا الديوان ، وعلى كل حال \* فقد احتل المحترق الصور  
القديمة ، وأدامها في أسلوب شعري بديع ، وأضفى عليها من روحه الرقيقة ،  
ويدت في شعره عناصر الحب والروعة والجمال (١) .

وتفتن الدليمة ابن المعتز ، فيهميم بظواهرها الحية والنامية ، ويمررها تصويرا  
حسنا في مجله . بمعنى فيه بالتشبيهات ويهتم بالصورة والشكل ، مما جعل  
شعره معرضا للصور البصرية الملونة ، ففي السماء وصف النجوم والهلال والقمر  
والشمس كما وصف الليل والنهار ، وفي الارض وصف السور والزهرة ،  
وصف السحاب والمطر ، كما وصف من الدليمة الحية الفهد والفرس والناقة  
وحمار الوحش ، جامعا في ذلك بين طريقة القدماء وأساليب المحدثين . ولكنه  
قدر طبع ذلك بأسلوبه الخاص ، فقد تفرق الى الدليمة من حوله من خلال حياته  
الطوكية ، وأجوائه المترفة ، فأكثر من التشبيه بالذهب والفضة ، والزئبق  
والجواهر ، والمطر ، واستخدمها في اوصافه للهلال والزهرة والشمس (٢) ، فجاءت  
صوره بصرية حسية ، عامرة بالألوان والانياء ، ولكنها خالية من المعنى العميق الذي  
يفلسف المرئي ، ويتفاعل معه . وهو على العكس من أبي نواس ، يؤثر الاختراق  
ويفضل الشراب في هدأة الليل وضوء النجوم والقمر ، ولكن الصبح يستهويه أيضا ،  
فيحبي الليل ، ويمد مجلس الشرب والطرب الى الصباح ليجمع بين جمال الصبح  
وروعة الفسروب (٣) .

(١) - شعر الدليمة : ١٨٦

(٢) - ديوانه : ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ .

(٣) - نفسه : ٤٤ ، ١٣٦ ، ١٧٦ ، ٢٧٦ .



وأي لعذر الحسن أن يطلع على أسرار الكون ، ويستلهم معانيه العميقة  
وفلسف الحياة ، فقد عني ابن السمتر بتجميل الطبيعة وتزيق ظاهرها بالحلي  
والحلل ، ولم يحاول أبدا أن يخترق ذلك الظاهر ويتجاوز به إلى الأعماق ليطلع  
بصين بصيرته على ما تنطوي عليه الطبيعة من تناسق وجمال ، ولذلك بقي أسير  
الحسن المادي ، وبعد الظاهر يلتقط بحاسة بصره الصورة تلو الصورة ،  
ثم يذيب عليها من ماء الفضة والذهب ، وأنواع الحلي ما يجعلها في نظره أكثر  
جمالا وأشد إثارة . لقد استهوت الطبيعة جميعها ، وأثارت احساسه ،  
واستلقت نظره بمناصرها كلها فوزع عليها اهتمامه ، وشغلها بنظرته المستشصرة  
للجمال المحبة له ، في السماء والأرض ، في الشجر والزهر ، في الحيوان والإنسان .  
ولكنه لم يتمد التمتع الحسية في استجابته لهذا الجمال ، ولو تعداه إلى  
الأسرار والأعماق لكان خدام شمر الطبيعة في عصره خدما جليلا ، لما كان لديه  
من مؤهلات واستعدادات (١) .

هذه وقفات سريعة عند أبرز شمراء هذا الدور في تاريخ أدبنا العربي ،  
أبرزنا من خلالها دور هؤلاء الشمراء في بناء شمر الطبيعة ، وقد رأينا كيف أنهم  
زاجروا بين القديم والجديد ، وأنهم مالوا إلى الجديد ونصروه تدرجنا ، بالثورة  
على القديم ، والاحتكام إلى ذوق العصر ، والثقافة الجديدة ، والانطلاق من  
واقعهم المختلف عن واقع الهادية شكلا ومضمونا ، ومع ذلك فقد لازمهم القديم ،  
بحكم ثقافتهم العربية ، ولكن طبيعة الحياة كانت تقضي بفلبية الجديد ، وتحتم  
التصبير عن الواقع ، والاستعداد من الممتون الحضاري الذي خلفته الدولة  
الاسلامية في ذلك العصر الذي يمثل برصيده الشمري مرحلة الانتقال من التقليد إلى  
النهوض في شمر الطبيعة ، والذي يمثل شمراء القرن الرابع والخامس في الشام

---

(١) - شمر الطبيعة : ١٨٦ وما بعدها - مصر العباسي الثاني : ٢٢٢ .

والاندلس وغيرها من البيئات والحواضر الاسلامية المتعددة (١).

• ٢ •

### في الشام :

أسس الحمدانيون دولتهم في حلب الشام ، وكنوا لها في الارض ، وبلغوا بها مبلغا عظيما من القوة والعزة والضمرة دفع عنها أطماع النصارى المتربصين بها ، وجعلها تتوفر على الأمن والطمأنينة فترة بحكم زعيمها سيف الدولة الحمداني ، فقد كان أميراً شهياً ، شجاعاً ذا حزم وعزم ، كما كان كريماً يحيط نفسه بكوكبة من المع وأشهر علماء وأدباء وشعراء القرن الرابع الهجري ، فكان يحيط به من الشعراء المتنبي وأبو العلاء المصوني ، وأبو بكر الصنوبري ، وأبو الفتح كشاجم ، والسري الرفاء ، والسوأواء الدمشقي ، وأبو الفرج البهلاء ، والناسي والزاهي وغيرهم ، كما كان هو أيضاً أدبياً شاعراً ، وكان أبو فراس الحمداني فارساً شاعراً وعلى العموم فقد شهدت دولته نشاطاً أدبياً وفكرياً عظيماً ، كما وجد وصف الطبيعة في مدته جواً ملائماً للنماء والازدهار ؛ فقد استهوت طبيعة الشام الجميع ، وغلبيت ألبابهم وفتنتهم بجمالها وسحرها ، فاندفعوا بصورتها ، وبرزت مشاهدتها الرائعة ، يحدوهم في ذلك حب عميق وانجذاب شديد إلى جمالها وسحرها الأسر ، وان تفاوتوا في مستوى ونوعية ذاك الحب وهذا الانجذاب . فالمتنبي لم يحفل بالطبيعة في ذاتها ولذاتها الا نادراً ، فاكثرت وصفه لها تقليدياً ليس فيه ابداع ، فقد وصف الناقة والليل والرحلة والفرس والمهمة والشمس والتمر على طريقة

(١) - شعر الطبيعة : ١٩٥ - ١٩٦

(٢) - نفسه : ١٩٧

(١) القديما ، وفاضل بين مظاهر الطبيعة وصفات مدحه وقضله عليها . وهو اذا قصد ما بالوصف لذاتها اسبغ عليها جوا حريا ، فيخيل اليك وأنت تقرأ وصفه ، أنك تشهد معركة حمى وطيسها لا مشهدا طبيعيا جذابا كما في وصفه لبحيرة طبرية<sup>(٢)</sup> . ولكن وصفه لشعب يون يتسم بالطرافة ، ويدل على احساس الشاعر بما حوله من جمال الطبيعة وروعها ، وهي ظاهرة ايجابية في هذا الباب ، ولكنها لم تطرد في شعره<sup>(٤)</sup> .

ويشارك ابو فراس في شعر الطبيعة مشاركة شكلية ، يقتفي فيها أثر ابن المعتز في أوصافه الحسية<sup>(٥)</sup> ، واما المعري فيسلك درب أبي الطيب في تقليد القديما ، وان كان اكثر من ذكر الكواكب والنجوم ، والاسهاب في وصفها وتشبيه المدوح بها ، كما يطوعها لتأملاته وأفكاره وأهدافه اللغوية<sup>(٦)</sup> .

ويحتفي الواواء بالدمشقي بالطبيعة احتفاء كبيرا ، فهي تغزو مدحه وغزله ، وما جاء فيها بالتصدد لا يمدد والمقطوعات التي اهتم فيها بوصف الزامير ورسم المشاهد الجمالية والسريمة . ويتضح من خلال أوصافه نوع من الحب العارم لمظاهر الطبيعة وخاصة ما كان منها مرتبطا بالخمر ومجالس الشرب التي يرن أن من لم يقم لحياتها وقت انبلاج الصبح ، وغناء الاطيار يكون قد ارتكب محرما . وعلى الرغم

(١) - ديوانه : ١٢٤ .

(٢) - نفسه : ٨٧ - ٨٨ .

(٣) - شرح ديوان المتنبي . ٢ : ٤٨١ - ابو الطيب المتنبي ٤٢٧ :

(٤) - شعر الطبيعة : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٥) - نفسه : ١٩٩ .

(٦) - نفسه : ٢٠٠ .

(٧) - الديوان : ١٢٤ .

من الظاهرة الحسية التي تفيض على اغلب شمره في هذا الضمار ، فانه استلحاق  
أن يزين طبيعته ، وأن يبعث فيها جوانبها الحركة والحياة ، وأن استسلم نسي  
ذلك للموروث الشعري وخاصة شعرا أبي نواس في تسخير الطبيعة للخمر ،  
والدعوة للاسطباح ، وابن المعتز في وصفه الحسسي ، وعنايته بالتشبيهات وأنواع  
الزينة اللفظية . ولكن الروض أجمل اطار لمجالس الشرب ، فانه احتفى به ،  
وفتن به ورسم له في ديوانه صوراً ومشاهد عديدة (١) .

وأما أبو الفرج عبد الواحد اللبغا فقد استهوته الطبيعة هو الآخر برضاها  
وسحبها وقارها ، فوصفها وصفا ينم عن اعجاب ، وهو يكون أشد ما يكون اعجابها  
بها اذا اقترنت بالخمر ومجالسها ، فهو يهتف بها في اجوائها ، حيث  
التور والزهر ، والليل البارد ، والماء السائح ، وغناء الطير ، فالطبيعة  
الجمامة تفتنه بلا ريب ، ولكنها فتنة سطحية ، حسية ، تولج بالألوان والنباهة  
والغشور لا بالخفايا والاسرار ، والطبيعة الحية تفتنه كذلك ، فيصورها تصويراً  
ينضح جمالاً وألفة ، يتتبع حركات الحيوان وأحواله ، ويخلق عليه من سمات الصفات  
ما يرضه ، ويدل عليه ، فمضي بوضع البهائم عناية فائقة ، كما وصف السنجاب والشملب  
والفرس والبهفلة والهررة والعقاب ، ووزع عليها اهتمامه وأصبح عليها من الشيات  
والنبات والالوان ما جعلها تبدو في أحسن مظهر وأبهى صوراً (٢) .

وتحلوا الطبيعة في ناسر أبي الصماس أحمد بن محمد النامي ، وتأخذ مكانها  
في قلبه واحساسه ، فهو يستقلها <sup>عليها</sup> الآلهة ، وأحزانه ، ويفيض عليها في مشاعره وعواطفه  
ويغمرها بحسنة من التأمل تطفو على شمره ، وطولا غلبة الدج عليه ، لكان يمكن  
أن يقدم رسيداً ذات أهمية في هذا الشأن (٣) .

وأما الزاهي علي بن اسحق فقد عني في الطبيعة برسم الشكل كما عني في

تجميل اللفظ ، والتأنق في الاسلوب ، حتى تضخم ذلك لديه وطفى على المعنى (٤) .

- 
- (١) - نفسه : ٦٧ ، (٧٢-٧١) ، ١٦٥ ، ٢١٤-٢١٥ — شعراء الطبيعة : ٢٠٣  
(٢) - بيضة الدهر : ١ : ٢٥٣ ، ٢٦٣ - ٢٧٠ — شعراء الطبيعة : ٢٠١-٢٠٣  
(٣) - نفسه : ١ : ٢٢٨ ، ٢٣١ — شعراء الطبيعة : ٢٠١  
(٤) - نفسه : ١ : ٢٣٤ - ١٢٥ — نفسه : ٢٠١

وأما الشاعر الذي استأثرت الطبيعة بأكثر اهتمامه ، فهو أبو بكر أحمد بن محمد  
المنصورى ، الشاعر المفرم بالطبيعة ومشاهدها ، المفتون بسحرها وجمالها ،  
المصور البارع لمظاهرها المختلفة ، فهو صاحب المدرسة في وصف الطبيعة في القرن  
الرابع والتي تركت أثرها في العديد من الشعراء في عصره وبعده ، وجعلت مؤرخي  
الادب قديما وحديثا يشهدون له بالبراعة والتبريز في هذا الفن ، فقد احب  
المنصورى وطنه وطبيعته بلسده خاصة الى درجة أنه كان يفضل الخلوة في أحضانها  
بنفسه على الاجتماع بالناس ، يعنى بعد يقته ، يتعهد بها بالمسقى والزرع ،  
ويحضي في ذلك أكثر وقته ، وهي خلوة لا يبد الا أن تورث نوعا من الملاقة السنية  
بالطبيعة ، والاحساس الصادق بها ، وهو ما حدث فعلا ، فقد اكان حسب  
المنصورى للطبيعة قويا صادقا ، ولا أدل على ذلك من هذه الخلوة المحببة في أحضانها ،  
ومن تهجمه المنيف على أولئك الذين يسعون فيها تخريبا وفسادا ، فهم لئام في  
نظاره ، ولو كان يملك القدرة عليهم لما تركهم يطردون بساطها (١) هذا الحساب  
للطبيعة ، وهذه الفتنة بها أميلته لأن يكون شاعرا قاجط في شعر الطبيعة ، فقد  
استلهم الموروث الشعري ، كما استلهم الطبيعة بلاده الفناء في صوغ طريقة شعرية  
عرف بها في عصره ، ولعل خطمه الوافر من وصف الطبيعة هو الذي جعل آدم مستر  
يمده أول شاعر للطبيعة في الادب العربي (٢) . وهو حكم على الرغم مما فيه من جزم  
وصالحة ، يدل على أن مساهمة الربيل في هذا الباب كانت خطيرة .

لقد فتن بالوهم كغيره من الشعراء ، ورأى فيه مسركا وباعثا للحياة في الطبيعة  
وكا شسفا لا سرارها ومظاهر الجمال فيها ، فتغنى بالطبيعة في جوه الراشح ، ودعا  
الى شرب الراح ، ومقارعة الكؤوس على بساط الطبيعة الطون ، وجو الحديقة البديع ،

(١) - ديوانه : ٣٥٨ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٦٨ .

(٢) - الحاضرة الاسلامية : ٤٨٥ : شعر الطبيعة : ٦٥ .

— العصر العباسي الثاني : ٣٦٣ .

فكل شيء فيها يذكره بالخمرة ، ويمت في أعماقه الحنين إليها ، والخمر عنده تمتزج بالطبيعة ، ويتحد بريقها بألوانها الزاهية ، البراقة <sup>(١)</sup> . واحتفى بالورود والأزهار كذلك ، وأقام بينها المناظرات ، وكان هو الحكم فيها ، ولكن ذوقه يخلبه ، فيفضل الورد على النرجس ثمنا على المكسر من ابن الرومي الذي فضل النرجس ومجا الورد بمنصف <sup>(٢)</sup> .

وكما حظيت الأزهار والأشجار باهتمام الشاعر ، جذبت المائيات نظره ، وشدت إليها بصره أيضا ، فأكثر من وصفها ، وكان لنهر "قويق" حظه الوافر من تلك الأوصاف ، فقد أحب الشاعر هذا النهر كما أحب الطبيعة من حوله ، وخلده في شعره بجميع ألوانه وحالاته ، في امتلاكه وتضويه ، في مدونه وهياجه ، وأوصافه فيه يفيض حبا وهياما ، فهو يدافع عنه ويقلب ما ينسب إليه من عيوب مداسن ، وحتى ان هجاه ، فإن هجاءه فيه ينضح بالاعجاب والحب <sup>(٣)</sup> . وتستهو به الطبيعة وقد غلغلاها الثلج ، وعمها الضياء ، فيهتف بالخمرة في هذا الجو الفضي القلالي <sup>(٤)</sup> ؟ وهو لا يكتفي في وصفه بالطبيعة العمامة ، بل يتمدأها إلى الطبيعة الحية ، فندد أعجب بالأمير وطرب لفضائلها وتفردها ، واستغنى بها عن سماع نغمات الاوتار ، فوصف الورشان وصور الديك على طريقة ابي نواس كما وصف الهر وغيره وصفا فيه احساس واعجاب . وكثيرا ما تجتمع هذه الجزئيات لديه لتكون كلها الروض ، فروض الصنوبري حافل بالحركة ، عامر بالحياة ، روض امتزجت أشجاره ، وفتحت أزهاره ، وغنت ألحانه ، ورفى نسيمه ، وفاح شذاه وعطره ، تجدد فيه الحواس

- 
- (١) - الديوان : ٤٥٤ ، ٣٦٩ ؛  
(٢) - نفسه : ٤٩٨ ، شمر الطبيعة : ٢٠٠ ، ٢١١ — المصراع العباسي الثاني : (٣٦١)  
(٣) - نفسه : ٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .  
(٤) - نفسه : ٢٣٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٤١٩ ، ٤٦٦ .  
(٥) - نفسه : ٣٧ ، ٦٧ ، ٤٧٣ ، ٤٩٨ .  
(٦) -

تمتعها ، وتحسن النفس في أجوائه بالراحة والأمانينة ، ولكن روح الصنوبر يبتلى  
 ناقص الرونس والجمال اذا لم تقسم في أمثاله مجالس الانس والطرب (١) . وانذا ،  
 فقد استطاع الصنوبر بدقة شعوره ورهافة احساسه وقوة شاعريته أن يجعل لهيئة  
 بلده ، « فيها وماعتها ، وان يصورها تصويرا فيه حياة وروعة وجمال ، ولو أنه  
 جاوز الممتعة الحسية ، واللذة الآتية - وهي ظاهرة تستولي على معظم شعوره -  
 الى التأمل العميق في أسرار الكون والحياة ، لكان - ربما - أعطى لهذه الموضوع  
 الخطير في ديوان شعرنا العربي القديم وجهها آخر (٢) .

واما ابو الفتح محمود بن الحسين كشاجم فقد استهوت الطبيعة هوايشا  
 ففسح لها في شعره مجالا واسما ، فوصف الرياض وصفه فيه حركة وششاط ، كما وصف  
 الزهر على طريقة ابن المعتز ، وافتن في وصف السحابة والفيث والمطر (٣) ، وتغنى  
 بالابيجة وقد كساها الثلج بالبياض (٤) . كما وصف نهر قويق (٥) . في معرض ذكر  
 الحبيب ، والتنزل به ، ولذلك جاء وصفه خلوا من الساطفة على ما نجد عند  
 الصنوبري الذي أحب هذا النهر ووصفه وصفا يديها في شعره . كما وصف الفاكهة  
 والثمار وصفا حسيا في عمومها مثل لقا من واقع عطفه كالباح ، ووصف النصار  
 ومن بينها وبين الروث في اللون والبريق (٦) . ووصف من الطبيعة الحية الفرس  
 على طريقة القدماء ، كما وصف البازن والسمقر والنمر والذئب ، ووصفه لهذا الجانب  
 من الطبيعة ينضح اعجابا وحبا ، ومرثيائه في القمري والطاووس خير دليل على  
 ذلك (٧) .

- 
- (١) - الديوان : ٥٠-٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٣٨٥ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤ .  
 (٢) - شعر الابيجة : ٢٠٤-٢١٣ .  
 (٣) - الديوان : ٢٧ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٣٧٢ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ .  
 (٤) - نفسه : ٣٧٨ ، ٢١١ .  
 (٥) - نفسه : ١٧٥ - ١٧٦ .  
 (٦) - نفسه : ٩٥ ، ١٦٤ .  
 (٧) - نفسه : ٣٣ ، ٩٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧ ، ٣٤٧ ، ٣٧٩ ، ٤٥٢ .

لقد افتنى كشاجم اثر مد يقه السنوبرن كما اختفى اثر غيره من شعراء العباسيين  
المباسي كابي نواس وابن المعتز وابي تمام ، ولكن اثر ابي نواس في شعره واضح  
جلي ، فقد جعل الطبيعة في خدمة الخمر ، تذكره بها ، وتدفعه الى اسبابها  
مجالسها ، فهي عنده خداج مالم تكن مرتبطة بالراح ، ولا يكتمل جمالها الا  
بها . وهو في وصفه يلرب للطبيعة ويهتزل لجمالها ، ولكن بطريقة حسية تنف عند  
السطح في الخالب - ولما تجاوزه الى الاعماق حيث الاسرار والمعاني الدفينة  
التي اذا كشف الشاعر عنها ، وتقاعد معها حكم له بالابداع ، ولشعره بالخلود (١) .  
فالطبيعة تستهويه بلا شك ، وتأخذ بمجامر قلبه دون ريب ، ولكن نوع الاستجابة لم  
يكن في مستوى التجربة الشعرية التي مر بها الشاعر ، فبدلا من أن يتوجه اليها  
في حضور ووعي ، ويقبل عليها بفكره وقلبه لاكتشاف أسرارها ، واستقراءها  
معانيها ، واسباغها المشاعر والاحاسيس على نحو يزيد في عمق التجربة الشعرية  
نجده يهرب منها وهو في احضانها ، يهرب منها بوعيه ليصيرتها لحظات حسية  
مزيفة ، تافو على السطح ، وتفتتح بالقشور ، وبمذه النفسية الهروبية  
تمثل ظاهرة عامة في شعرنا العربي في هذا المجال ، ولم يختص بها هو وحده .  
ويسير على نفس النهج الشاعر الموصلي لسري بن احمد الرقاء الكندي ،  
فهو أيضا يتأثر بطريقة كشاجم ، ويجعل من الطبيعة في جمالها وروعيتها مسرحا  
للخمر ، ومدعاة لمقعد مجالسها ، مؤتمتا في ذلك بأبي نواس . فقد تنفى  
بالطبيعة الشام والموصل وسمر ، وصور مشاهدتها تصويرا بديعا ، ولكنه تصوير حسي  
في مجله ، ويرز في وصف المائيسات ، ووصف رحلات صيد السمك والطيور التي  
كان يبكر لها على نحو ما فعل القدماء في صيد الارام والنحر الوحشية ، ولكن  
هذا التعلق بالماء ، والمولج به ليس لذاته وانما لكونه أفضل جو تمقد فيه مجالس  
اللهو والتأرب . وقد أخذ بما في الطبيعة من ألوان وضياء وبريق ، ولم يستفد

(١) - الديوان : ١٣ ، ٧٧ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٤٤٤ - شعر الطبيعة : ٢١٣ - ٢١٠





## \* في الصواقي والاقاليم الشرقية :

واما الشعراء الذين عاشوا في الجانب الشرقي من البلاد الاسلامية ، فقد أدلوا بدلوهم هم أيها ، وشاركوا في شعر الطبيعة بنسب معذم ما فيه نسج على طريقة القدماء والمحدثين مع ميل في بدنه الى الثقافة السلفية التي كانت نشطة في تلك البقاع ، فاصطبغت اشعارهم ، وبصورة جزئية ، بروح من التأمل لا تخفى ، ولكن الساحة الحسية التي تسلطت على الشعر العربي الوصفي اربست على هذه المحاولة التأملية في شعر الطبيعة .

عرفت الطبيعة البلاد الشرقية بجمالها وروعها ، ولكن هذه الروعة وذاك الجمال لم تحركا في شعرائها غير الاحاسيس المادية ، ولم تلهبهم طبعهم الفناء الا بحمان سطحية يخلو كثير منها من العاطفة الصادقة ، فقد نظروا الى الخمر من خلالها وجمالها وما شهدوا الرائحة محبوا لوصف الخمرة وتصوير مجالسها ، وكان الطبيعة لا جمال لها ، ولا قيمة الا والخمر حاضرة ، وهو تصور للطبيعة قد سبقوا اليه ، وقد سبقت الاشارة اليه .

كما استقبلوا على الطبيعة معاني العشق وأغراضه ، ومزجوا بين ألوان الزمير وما يمتري المشاق من احمرار واصفرار ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تحدوه الى حد الانياز في اوصافهم للطبيعة السامة والدمية ، وقد بلغ هذا اللون المتغلي من الوصف اوجه على يد مهيار الديلمسي<sup>(١)</sup> الذي سلك هذا الطريق في جل شعره الطبيعي ودمى نحسى جمى بشعر الطبيعة ، وحال بينه والتأبور الذي<sup>كان</sup> ينبغي أن يواكب به مستون الرني والتقدم الذي بلغت الحضارة الاسلامية في ذلك الحين . ومع هذا فقد وجدت الطبيعة بجميع مظاهرها وعناصرها في شعرهم مجالا طحوظا ، فارتسمت بهياضها واشجارها وازهارها ، وشارها ومياهها وثلوجها وسائها ونجومها

(١) - ديوانه : ٨ : ١٥٢ ، ٣٤٤ - ٢ : ٢٨٧ ، ٧٥ - ٣ : ١١٧

وليلها ونهارها ، وليرها وديوانها ارتساما فنيا يسمو حيناً ويهبط احياناً ،  
ويمن حيناً ويتسلخ في احيان من اُخرى . وقد سلكوا في تنويرهم لها اساليب  
الندماء والمدح ثين ، ولما اندرزا في ذلك عن بيئتهم الحنارية في روعتها وسحرها  
وعنفها النكري ، فقد كانت الهادية تنسيهم عاضرتهم ، وربالها وجمالها وقيلها  
بساتينهم وانهارهم ، يتجلنى هذا المضحى بونوح في شعر الشريف الرضي ومهيار  
الديلمي وصردر وغيرهم من شعراء الاقليم الشرقي ، وهذا الولج بالنديم  
والتعلل الشديد بهادية العرب وصعراهم قد يكون مرده الى العاطفة الدينية  
والتشجيع لآل البيت ، كما قد يكون للحياة السياسية والاجتماعية في بيئتهم اثرها  
في ذلك ايضاً ، فقد كان الشاعر يحالب بشعره الخاصة لا العامة ، وذات العربية  
تمر بفترة حرجة في بيئة أخذت تشهد تحولا اجتماعيا وفكريا وسياسيا في غمرة الصراع  
الشموي بين انصار كل من العربية والفارسية والذي كان لصالح الفارسية في آخر  
المئات ، ولذلك لانعجب اذا ألفينا ظاهرة التقليد بارزة في نتاج هؤلاء الشعراء الذين  
انتجوا ما انتجوا من شعر في فترة صراع دفاعي لافرة استقلال ابداعي (١) . ولعل  
اكثرهم من ذكر الاماكن الحجازية والنجدية والشامية ، ولهجهم بها ، وشتم اياها  
الالام والاشجان يرجع الى تلك الاسباب مجتمعة .

وتفتن البيمة المراق الخالديين ابا بكر محمد بن هشام ( - ٣٧٠ هـ ) وايا  
عثمان سعيد بن هشام ( - ٣٧١ هـ ) ، فيصوران مشاهدتها في شعرهما ، ويبرزان  
محاسنها ، وهي فتنة تبدو واضحة في اشعارهما الخمرة والفزلية ، فتجدهما يصفان  
السياح وانسلاخه من الليل ، وسواد السحاب ولحمان البروق لذاتها ، ولكن لكونها  
الاطار الملائم لتعاطي الراح ، وعقد مجالس الانس مع النداء والاصحاب ، وأكثر  
لذلك من ذكر الاديرة ، وصورا طهيقتها ، واشادا بمجالس النهو في روعها ، حيث

(١) - شعر الطبيعة : ٢٣٠ - ٢٤٥ .

(٢) - ديوان مهيار : ٣ : ٢٤٤ ، ١٦١ - ١١٨ : ٤ - ديوان الشريف الرضي : ١٢٢ : ١١  
٢ : ٢٧٦ ، ٤٤٨ ، ٤٧٥ ، ٤٥٤ ، ٥٥٦

الرياش الموشاة ، والخصون المهادة المزهجرة ، وشده والاطهار وغناء الحمايم  
 يذكر بالا «باب ، ويلهب لواحد الاشسواق في الاعماق ؛ ورقة النسائم وزغرفة  
 المياه ، فيفقدو الكل وقد توجوا بأثاميل البهار ، ودارت عليهم الكؤوس كأنهم  
 انوشروان في مجلسه ، بل وشغل اليهم ، وهم في تلك الحال كأنهم في سماء  
 ذات أبراج (١) .

وابواسحق الصابي يفتن بالطبيعة أيما ، ويوجد في عناصرها ومفاتيحها  
 عون له وسندا للانفصاح عن شاعره ، وتصور مداسن محبوبه ، فيكثر من ذكر  
 الفدمن ، والورد ، والقمر ، والبرد في موضوع الفزل ، وينادى بالخمر  
 في جو اللبيمة ونت تولي الليل ، وتنفس الصبح ، وصياح الديك . واما قصد  
 الطبيعة لذاتها بالوصف فقليل ، وهو وصف - على قلته - ماد ، تختلط فيه  
 أوصاف الطبيعة بأوصاف المديوب ، وكان الشاعر تسسارت في ميزانه اللبيمة  
 والمديوب ، فاستدل باحدهما على الآخر ، فالوردة حين تطلع بحسها وتليها  
 تتمتع بها النفس وتتشي لها ، وتنال منها ما تناله العين من متعة حين تنظر الى  
 الحبيب . والطبيعة لا تجسد أوصاف المديوب ، عنده ، فحسب ، بل وتمثل ،  
 في نضرتها ، وروعها ، نضرة شباب وحيويته وجماله ، فهو يتسلى بالورد اذا طلع ،  
 ويرى فيه شبابه وحيويته ، فيمتح ، وهو ينال اليه ، وأن ادرك الشيوخوخة .  
 ويصف النرجس والكافور والاميب . ويصف من الطبيعة الحياة الجمدة  
 والخلايا ، وهو في وصفه يمدني بالشكر مع ميل الى التأويل ، ولكن الاحساس بالموصوف  
 والتفاعل معه ، وسبر اغواره فلا تكاد تجده في شعره .  
 (٢)

(١) - بتيمة الدهر ٢ : ١٨٣ وما بعدهما .

(٢) - نفس - ٢ : ١٦٢ - ٢٦٧ .

وأما القاضي التنوخي فقد عني بوصف الليل والنجوم ، ذكر الليل وطوله ،  
وظلغته ووحشتته ، وشبهه بجليس ثقيل الظل ، كره المنظر مثل الكلام ، أو كان  
نجومه قد غلبها النعاس فنامت . وذكر النجوم في الليل الهيم ، وهي تتلألأ في  
السما ، فشبها بالخيمة العوشاة تارة ، وبالسنن تحيط بها البدع تارة  
أخرى ، والنجوم تحكي في اشراقها الحجج الفاصلة التي تبكت الخصم وتفحمه ،  
وهي تشبهات تظهر فيها ثقافة التنوخي الفقهية بكل وضوح . كما أوجت إليه ظاهرة  
انبلاج الصبح في الليل بنسوة الأسود المبتسم . وكما كان الليل بظلامه ونجومه  
مسرعا لتأمل الشاعر ، فقد كان أيضا مسرعا للهوى ولربه فاستجاب الشرب فيه .  
وقد زينه غيم وورق ونجوم ولاكل لم تثقب ويدرك السيف المذهب . ووصف الروض .  
وتساقط الظل عليه ، وتعانق أزماره وخصونه ، وفمره بأنواع التشبيهات الحسية  
والمعنوية ، وان كانت معاني المشق وصفاتها عليها أغلب . كما وصف اليرد والمدر  
والنهر أوصافا يختلط فيها الحسي والمعنوي ، وتظهر فيها ثقافته ، وصور من واغمه  
الاجتماعي بجلاء ووضوح .<sup>(١)</sup>

وعني ابو الحسن محمد بن عبد الله السلامي ( - ٤٤٣ هـ ) بالهيمية في شعره ،  
ولكن ضمن أغراض أخرى كالنزل ووصف الخمرة . وأوصافه فيها حسية تزدهم بالصور  
الطونة ، ولكنها تخلو من كل محاولة تجاوب وتفاعل عميق مع مظاهرها المختلفة ، بل  
وحس قصيدته " الفنية " التي قالها في شبيب هو ان تحت رغبة عقد الدولة ليس  
فيها ما يدل على علاقة صادقة بالبيئة واندماج حي في المشاهد المصورة .<sup>(٢)</sup>

(١) - بيتية الدهر ٤ : ٣٣٥-٣٤٤ .

(٢) - نفساً ٢ : ٤٠٢ وما بعدها .

في مصر:

ولم تتخلف مصر عن بنمة الحواضر الاسلامية في هذا العصر في الادلاء بدلونها في مجال شعر الطبيعة ، فقد عرفت هي ايضاً شعراء أشادوا بذكرها ، وجمالها الطبيعية في اعجاب شديد . فهذا ابن وكيع التنيسي تفتنه مداني بلاده فيسورنا في شعره تمويراً حسياً في مجله ، يعني بالمعنى هرولاً ينفذ الى الاعماق . فهو يصف الفدير<sup>(١)</sup> ، كما يصف الشجر والشم ، ولكن اشد اعجابه بالطبيعة يكون في فصل الربيع<sup>(٢)</sup> ، ولذلك أشاد بذكره في شعره ، ورسم للطبيعة بلاده في ظلاله صوراً شتى ، تعطي بالية ، وتنج بالألوان والانوار ، فمن زهور مفتحة كأنها الدراهم والجواهر ، ومن طير صادق ، وجو بهيج الى رياح تحكي في جمالها وحركتها العرائس المتجملات المتبخرات في انواع الحلوى والحلي ، وهو في وصفه هذا يعني بظواهر الموصفات ، ولكنه أحياناً يشرح فيها الحركة ، ويسبح عليها صنات انسانية ، على نحو ما فعل في وصفه للسحاب والثرى ، ووصفه للازهار ، من ورد ونرجس وسوسن وغيرها . وهو جهد ملحوظ للشاعر في مجال وصف الطبيعة ، وبخاصة وجهها الشاهك الباسم ، في جو الربيع الذي تعلق به ، وفتنه فتنة كبيرة جعلته ينشي<sup>(٤)</sup> أرجوزة<sup>(٤)</sup> المولدة في فصول السنة ، مدح فيها الربيع ، ونسب اليه كل مزنة ، وهجا بقية الفصول ، وألحق بها كل الميوب ، ونسب اليها كل قبح ، حتى انه تنسب عدم عودتها لهدوم له ريحه الجميل ، لأنه موطن مسراته وعواصم لذاته ، فيه يلمب له اللهو ويحلوله الشراب . لقد أحب ابن وكيع الربيع ، كما تعلق بالطبيعة في أجوائه ولكنه حب نفسي ، وتعلق سطحي ، مشروط بتفضية أهم هي الخمر ، فلولا الخمر ، ما حلت الطبيعة في عين ابن وكيع ، فليست الطبيعة غير اطار جليل لمجلس الشراب

(١) - ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر : ٣٩

(٢) - نفسه : ٥٨-٦٠ ، ٦٣-٦٤

(٣) - نفسه : ٧٥-٧٨ ، ٩٢ ، يتيمة الدهر : ١ : ٢٦٩-٢٧١ ، ٢٧٦-٢٧٧ .

(٤) - ابن وكيع شاعر الزهر والخمر : ٦٥-٧٤ . يتيمة الدهر : ١ : ٢٦٣-٢٦٨ .

ولعل هذه العلاقة المظنونة بين الخمر والطبيعة في شعره هي التي جعلت احد الباحثين يلقبه بشاعر الزفير والخمر<sup>(١)</sup> . لقد اجتمعت في شعر ابن وكيع طرائق عديدة فهو يولج بالتشبيهات الجارية على طريقة ابن المعتز<sup>(٢)</sup> ، كما يفاضل بين الازعير على نحو ما فعل كل من ابن الرومي<sup>(٣)</sup> والصنوبري، ويربط الخمر بالطبيعة ، ويفضلها عليها اذا اقتضى الامر ، وهذه نغمة نواسية<sup>(٤)</sup> ، واما النغمة التامة فتتجلى في تلك العلاقة الودية العارفة التي يقيمها الشاعر بين الارض والسماء ، وبين الروع والسحاب ، ومع هذا فابن وكيع يمد من حسنات مصر في هذا المجال في عصره<sup>(٤)</sup> .

ويفتتن ابو القاسم احمد بن محمد بن ابراهيم المصروف بابن طبايبا ( - ٥٣٤٥ هـ ) بالطبيعة جطة كغيره من الشعراء ، ولكن فتنه بالسماء ونجومها في جو الليل أشد وأعظم ، فقد أنس بالليل ، واستأجاب السهر في جوه ، يتأمل النجوم ، ويصورها تصويرا ينم في مظهره عبق تعلق وثيق وحب صادق ، فهو على عكس غيره من الشعراء يحب الليل ، وينفر من الصباح ، حتى انه لو ملك من القدرة والسلطان على أن يحول بينه وبين الظلم ولقدل ، ولكنه يدرك عجزه عن ذلك فيتجه اليه

- 
- (١) - ابن وكيع شاعر الزهر والخمر : ٤٠ ، ٥٤-٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .
  - (٢) - نفسه : ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٣ .
  - (٣) - نفسه : ٩٢ وما بعدها .
  - (٤) - نفسه : ٦٣-٦٤ ، شعر الطبيعة : ٢٨٧ ، ٢٩١-٢٩٦ .

ويناشده بحرارة أن يفتك بشبيبته ، وهي أعز ما لديه ، ويدع الليل ينعم بسواده لأنه مريح أنسه بنجوم السماء التي لا يذيق لها فراقا . ولا أدل على هذا الحب من أوصافه الكثيرة ، المستفوقة للكثير من نجوم السماء وكواكبها ، ولكنه يعود فيتماطف مع النهار ، فقد وصف القمر ، ورأى فيه وقد أضاء الليل شمس نهار ووصف الشيا والبهلال وهما أيضا يذكرانه بالشمس التي ودع نهارها مكرها ، وسهلا والمجرة ، والمشترى والزهرة والجوزاء وغيرها ، وهو في وصفه يمتدح بالمعاني والأحوال ، كما يأخذ من الوصف الحسي بقسط وافر .<sup>(١)</sup>

وأما تسميه بن السمسز . فإن الطبيعة بالواحدة تفتنه هو الآخر ، فيتذكر خمسه ، وينادي بها تحت ظل الحمام ، وقمقمة الرعد ، ووميض المبرق ، وتهلل الأرض ليكاء السماء ، وكما ترتبط الطبيعة عنده بالخمر ، ترتبط بالحبيب أيضا ، ولكنها لا تفضله ، ولذلك نجد الشاعر يستغني عن الطبيعة في حضرة الحبيب الذي لا يرضى أن يكون البدر شبيهه .<sup>(٢)</sup>

---

(١) - سمرور النفس : ٣٩-٤٠ ، ٨٠ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢-١٥٣  
و حلبة الكعبت  
و شعر الطبيعة : ٢٩٦-٢٩٧ .  
(٢) - يتيمة الدهر : ٤٣٨-٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١-٤٤٢ .



## الفصل الرابع

### الطبيعة في الشمر الاندلسي

\* ١ \*

لكلمة " الاندلس " في قاموس الاسلام شأن عظيم ، فهي تطلق بالمعاني وتزهر بالأسرار ، وما ذلك الا لأنها تترجم بحروفها القليلة تاريخ أمة بكل ما في هذا التاريخ من أفراح وأحزان ، وآمال وآلام في حقبة زمنية تشهد للمسلمين في معظم فتراتهم بمعظمتهم ما أدوا للإنسانية من خدمات ، بما ابتدعوه من علوم وبما انجزوه من حضارة أضاءت باشعاعها ليالي القرون الوسطى المدلهمه . وكما اقترن هذا اللفظ في ذاكرة التاريخ بهذا المطاء الانساني الفخيم ، اقترن أيضا ، بطبيعة شبه الجزيرة الغناء ، وأشجار التي ما اختصت به تلك البقعة من سحر وجمال ، فقد وجد المسلمون في هذا الركن الأوروبي ، أرضا خصبة ، وجوا مناسبا ، فأقاموا به وعمروه ، وأنشؤوا به الحدائق العامة والخاصة ، والبساتين الغناء ، وتمهدوا الاثر بالسقي والزرع ، حتى غدت مروجاً خضراء تسر الناظرين ، ولم يكتفوا بهذا بل عنوا بالجهال والهضاب أيضا ، فاستنبهوا بها أنواع الشجر الثمر وغيره ، وكان لهذه العناية بالزراعة دورها في نهوض علماء في هذا الميدان طبقت شهرتهم الآفاق (١) وكانت العناية بالبساتين والحدائق سببا في جلب الكثير من أنواع الشجر والزهر التي شبه الجزيرة ، وقد خلد جغرافيو الاندلس طبيعة هذه الأرز الطبيعية وصوروها في اعجاب شديد يدل دلالة واضحة على شدة حبههم وعظيم تعلقهم بهذا البلد الذي طالما جهدوا في عمارته ، فابوعبيد البكري وهو من رجال القرن الخامس الهجري ، يرى أن " الاندلس شامة في قلبها وموائها ، يمانية في اعتدالها

واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أموازية في عظيم جباليتها ، صينية في  
جواهر معادننها ، عذبة في منافع سواحلها ، <sup>(١)</sup> ويذكر أينما أن في الاندلس جبالها  
له جبل الثلج هو جبل البيرة . لا يزال الناس يرون الثلج نازلا فيه شتاء وصيفا ،  
وهو عال جدا حتى انه يرى من أكثر بلاد الاندلس كما يرى من عدوة المغرب <sup>(٢)</sup> .

ومما يدل على شدة هذا التعلق أيضا رسالة الشنقندي في فضل بلاده الاندلس ،  
فقد تتبع مدنها ، واحدة بعد اخرى ، يذكر فضائلها ، ويبرز خصائصها ، ويصور  
طبيعتها تصويرا جسم محاسنها ، وكساما حلة زاهية ، فذكر اشبيلية واعتدال هوائها  
ومسن مانيها ، واهتمام اصحابها بها ، وتزيينهم اياها ، ثم ذكر نهرها ، فاذا هو  
يقنسل الانهار يكون ضفتيه . بين المناز ، والبساتين والكروم والانسا .  
متصل ذلك اتصالا لا يوجد لغيره <sup>(٣)</sup> .

وقرطبة التي تحاز الى عمارتها المتصلة بوردما الثابت بجبالها ،  
كما أن لنهرها في تقارب برية ، لج غدرة ومروجه ، 'محتى آخر وحلاوة أخرى ،  
وزيادة أنس ، وكثرة أمان من ال ، وفي جوانبه من البساتين ما زاده نضارة وبهجة <sup>(٤)</sup> .

وتجسج مالفه بين سفار البحر والنهر ، والكروم المتصلة التي لا تكاد تروى فيها فرجة

لموضع عابر ، والبروج التي شابهت نجوم السماء كثيرة عدد وبهجة ضياء ، وتخلل  
الوادب الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرور بلذائها ، وتوشيهه الخضور  
أرجائها <sup>(٥)</sup> . كما تجد عند الادريسي وابن غالب ، وابن عبد المنعم الحميري ، صورا

(١) - جغرافية الاندلس وأوروبا : ٧٠

(٢) - نفسه : ٨٤ - ٨٥

(٣) - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٠ - ٥٢

(٤) - نفسه : ٥٥

(٥) - نفسه : ٥٧

ومشاهد أخرى ، سجلوها بأعجابها في معروض وصفهم لبلاد الأندلس ، مما يدل على غنى هذه البلاد بالمشاهد الطبيعية المتنوعة والساحرة في آن واحد . هذه أندلس الجغرافيين ، ولكن ماذا عن أندلس الشعراء ؟

\* ٢ \*

وأما الشعراء والأدباء فقد كان ارتباطهم ببلادهم متينا ، يدل على ذلك كثرة تصويرهم لمشاهد ما ، وتفنيهم بطبيعتها ، كما تدل عليه أشعارهم في الحنين إلى ربوعها ، كلما بعدت بهم الشقة عنها ، أو طاب فراقهم لها ، وهي تنضح بالشوق وتمتلئ بالحب لتلك الأرض بطبيعتها الجميلة ، ومخانيبها الرائحة ، وقل منهم من لم يحس بهذا الإحساس أو لم يشعر بهذا الشعور .

لقد بدأ الإحساس بهذه الطبيعة الخلابة ، والارتياح إليها منذ دخول المسلمين انفتاحيين إلى أرض شبه الجزيرة ، ثم نما هذا الشعور وتعمق عبر الزمن ، إلى أن أضحت ظاهرة لها ثقلها في الأدب الأندلسي عامة ، وعلى الرغم من ضياع معظم الأشعار التي قيلت في هذا الشأن ، وضياع بعض الكتب المختصة بهذا اللون من الشعر ، فإن ما وصلنا ، وهو قليل ، دليل واضح على غنى الأدب الأندلسي ، شعره ونثره ، بوصف الطبيعة ، وهو غنى شهدت به كتب الاختبارات الصحفية التي قصرت مهمتها على اقتناء ما أبدع أهل الأندلس من أوصاف ، وما اخترعوه من تشبيهات . ككتاب الحدائق لابن فرج الجياني ، وكتاب التشبيهات لابن الكتاني المتأليب ، والبديع في وصف الرياح لابي الوليد اسماعيل بن عامر الحميري والارتياح بوصف الراح لابي عامر محمد بن مسلمة ، وكتاب الفرائد في التشبيهات لعلي بن الحسين القرظي<sup>(١)</sup> ، كما شهدت به كتب تاريخ الأدب كالتذخيرة لابن يسام ، وقلائد المقيان للفتح بن خاقان ، والمغرب في حلق المغرب

(١) - تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرظية : ١٠٦-١٠٧ .

لابن سعيد ونفح الطيب للمقبري وغيرها ، بما حوته من اشعار ونصوص وصفية ولا نساء هذه الناحية الأدبية وبيان مراحل نموها وتطورها نرى أنه لا بد من تتبعها من البداية والى عصر شاعرنا ابن خفاجة ، الذن انتهى اليه ذلك الموروث النخم من شعر الطبيعة ، فعرف كيف يستفله ويبرز فيه .

" ٣ "

لقد ذكرنا أن اهتمام الشاعر الاندلسي ببنيته كان مبكرا ، وخاصة بعد الاستقرار السياسي ، وبعد التمكين للدولة الأموية في الاندلس على يد عبد الرحمن الداخل ، الذي تنسب اليه المقطوعة الشعرية الحية في وصف النخلة ؛ فقد أسفد عليها مشاعره ، وأشركها احساسه بالخريسة وحنينه الى بلاده التي أناه عنها الظروف القاسية ، فرأى في انفرادها وحدته ، وفي غربتها غربته ، وهو نموذج لشعر الطبيعة في هذه الفترة يندر مثله (١) . ولكن هذا الاهتمام يشتد بعد ذلك ، فقد تميزت فترة الخلافة بكثرة الشعراء والادباء الذين يمدنون بالطبيعة ويفرمون بها ، ويصفونها مجلطة ، في شاهد كلية أو مفصلة في مشاهد جزئية ، شعرا ونثرا ، مما كون رصيذا ضخما من الأوصاف ، دل على فتنة أصحابها بالطبيعة بلادهم ، واعجابهم الشديد بها ، وكان لتمكن حب الطبيعة من قلوبهم أن احتلت مركز الصدارة من قصائدهم ، فالمدح يبدأ فيه بوصف الطبيعة ، كوصف الريح ، والرياح عامة ، وانواع الازاهير والورود ، أو وصف السحاب والطر ، وغير ذلك ، وقد يصفونها لذاتها (٢) وتغلب على شعرهم فيها المنظومات . ويجدر بنا ونحن نقف أمام هذا الرصيد الهائل من شعر الطبيعة أن نسجل بعض الملاحظات نحدد من خلالها بعض الخصائص .

(١) - البيان العرب ٢ : ٦٠ - تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة : ٩١

(٢) - الادب الاندلسي . ميكل : ٢٣٦ ، ٣١٠٤

\* ان اغلب شعر الطبيعة في هذه الفترة تغلب عليه الصفة الحسية ، وينعدم في أكثره العمق ، والنظر العميق ، والتفاعل الحي مع الموصوفات ، فقد كانت الصورة الحسية هي الهدف ، ووجد الشاعر في المعادن من ذهب وفضة ، وأحجار كريمة سببها لا ينسب لتشبهات واستعاراته ، فاكسب موصوفاته اللون والبرق ولكنه افتقدها الحركة والحياة ؛ تجد ذلك في شعر ابن النظم ، وابن القوطية وابن جعفر بن الأبيسار وابن دراج القسطلبي<sup>(١)</sup> ، وابن عبد ربه الذي تأخذ مظاهر الطبيعة عنده بمداد آخر ، فهو يتغزل بها غزلا حسيا ، وكأنه يكتفي بها عن محبوب أبي أن يصرح باسمه<sup>(٢)</sup> . كما نجد نفس الظاهرة عند ابن هاني الأندلسي ، عندما يناجي المحبوب ، ويرى في البرق شبيها له ، فبياضه يشبه بياض أسنان محبوبه ، وبريقه يحيي بريق ظلها الرقراق ، كما يرى في لثمان البرق خلال الفيوم حركة جذب لخصر موشح ، في سير السحاب الثقيل امرأة رادفة ، ثقيلة تتبالأ في سيرها لا متلائها واكتنازها<sup>(٣)</sup> .

\* ان الاسلوب المنطقي استغرق قسما مهما منه ، فقد انبرى شعراء الأندلس للمفاضلة بين الإزاهير ، فوصفوا الورد وعدوا مزاياءه ، وفضلوه على النرجس ردا على ابن الرومي الذي فضل النرجس وألصق بالورد كل عيب ، كما عقدوا المتساظرات في المفاضلة بين الخيري والبنفسج ، وبين الخيري والأشرف والخيري الرنم<sup>(٤)</sup> ، وهكذا تبدل جهود وتصرف نطاقت في طريق سدود ، يحول بين الشاعر والاحساس العميق الفعال بالطبيعة من حوله ، فتصبح أوصافه عقبة ، جافة ،

(١) - جذوة المقتبس : ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ - البديع في وصف الربيع : ٢٥ - ديوان ابن دراج : ٣٠ - ٣١

(٢) - ديوانه : ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٧٩

(٣) - ديوانه : ٦٥

(٤) - البديع في وصف الربيع : ٥٣ - ٨٥

غريبة عن شعر الطبيعة الذي يقتضي الاحساس بمناصر الطبيعة والتفاعل معها على نحو ايجابي حي .

\* ان الشعر الذي نلمس فيه نوعا من الحركة والحياة ، هو الذي أسقط فيه الشعراء الصفات الإنسانية على مظاهر الطبيعة المختلفة ، فهي تشمر وتنطق ، وتحسد وتغار ، وهي تصفر من الوجد وتحمر من الخجل ، وتذوي وتذبل لشراي الحبيب ، أو من شدة الحسد والخيرة ، والسحابة تبكي ، والروض يضحك<sup>(١)</sup> وغير ذلك مما يذكرنا ببعض صور ابي تمام في هذا الشأن ، تجد هذا المذهب في شعر الرمادي ، واسماعيل الحميري ، وابي بكر يحيى بن هذيل وابي جعفر بن الابر وانحاجب الصحفي ، وابي مروان عبد الملك بن جهور ، وعبادة بن ماء السماء ، وابن عبد ربه وابن شهيد وغيرهم .

\* وكانت الطبيعة بجمالها وروعها ، مدعاة عندهم لشرب المراح ، وعقد مجالسها فهذا الرمادي يهزه منظر الطبيعة الخلاب ، ويدفعه تساقط الليل ، ووميض البرق بين الخيوم الى الشراب ، ويمتزج بهرق الخمرة بالطبيعة عند ابن بطال حتى لا يرت فارقا بين الازمار وكؤوس الخمرة ، والخصون وأذرع الندامى في حركتها ومناولتها الخمر للأصحاب<sup>(٢)</sup> .

(٣)  
\* وقد يفسر هذا الشعر جو من الحماسة والحرب ، سيرا على الطريقة المتنبي ، وأكثر ما تتجلى هذه النزعة في شعرا ابن دراج القسطلي ، فقد أكثر من استخدام الالفاظ الدالة على معاني القوة ، وجعل من الحرب بومسائلها مسدرا لتشبيهاته ، واستعاراته في مجال وصف الطبيعة ، وابن هانئ<sup>(٤)</sup> الاندلسي يضيء هو الآخر على بعض موصوفاته جوا حربيا ، وخاصة عندما يصف الفيث والريح ، كما يسقط على

---

(١) - نفسه : ٦-٧ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ١١٥ ، ١٢١ -  
التشبيهات لابن الكتاني : ٤٤ - ٤٦ - ديوان ابن شهيد : ١٧٦ ، ٢٣٩ .  
ديوان ابن عبد ربه : ١١٥ .  
(٢) - البديع في فصل الريح : ١٠-١١ ، ١٤ - ديوان ابن - راج : ٣٢ ،  
(٣) - ديوان ابن شهيد ٩١ ، ٢١٥ - البديع في فصل الريح : ١١-١٢

الطبيعة صفات الانسان كالرؤيا والغضب ، لهفك الربيع ، وانصباب المطر ،  
ولحان البرق ، والليل والنهار ، وساط الورق ، والارض ، والريح المعطرة  
بماء الورد ، يذكر هذا كله ليصل الحسى تصوير انفس المعز وانى جعل الانسواء  
قاصرة عن الوصول الى درجة كره وسخائه . وهو يبرز في وصف النجوم وقائمه \* مثال  
واضح لذلك (١) .

وتأخذ الطبيعة الساحرة بالباب الجميع ، وتفتنهم بمظاهرها الزاهية ، بشجرها  
ونباتها ، وزهورها وثمارها ، وسواقيها وانهارها ، وبركها وبحارها ، وحدائقها  
وقلاعها ، كما فتنتهم بحيواناتها من خمبول وذئاب ، وانعام وحشرات وزواحف  
وتليد على اختلاف أنواعها ومن أبرزها الحمام الذى كان لهم به احتفال عظيم ،  
يصفونه ويناجونه ويثبثونه مواجدهم وأحزانهم . وصفوا ذلك كله وصفا فيه  
اعجاب وحب واستفراق ، ولكن تبقى السطحية ، وتطلب الصورة ، والجري وراءها  
سمة غالبية على هؤلاء الشعراء ، فقد تنكب الشعراء الاندلسي في هذه الفترة -  
طريق التأمل النفسى والعمق الفكرى ، وتعلق بالمحسوسات بدور حولها ، او يتحدث  
عنها او يصفها (٢) . ولعل هذا التسطح في الرؤية الشعرية ، والتصوير الحسى  
للموضوعات هو الذى يقف وراء ذلك الركام الضخم من شعر وصف الطبيعة بمناصرها  
المختلفة ، والذي لا تشكل كتب الاختيارات المذكورة الا قسما ضئيلا منه . فقد  
زود الاندلسيون - في هذا الزمن - رصيد شعر الطبيعة بحكمة وفيرة من الاوصاف  
والتشبيهات ، ولكنهم قل أن اضافوا تجربة شعرية جديدة ، تسهم بمقربها وشمول

(١) - ديوانه : ١٨٤ - ١٨٥ ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) - تاريخ الادب الاندلسي . عصر سيادة قرطبة : ١٢٩ ، الشعر الاندلسي : ٢٥ - ٢٦ .

نارتها في دفع هذا الفن - بفمالية - الس الامام . وأما المباشرة الشعرية ،  
عندهم ، فتظل - على العموم ، سهلة ، غني فيها باقتناء الالفاظ الرقيقة ،  
وتدوشت فيها ، ما أمكن ، الالفاظ الحوشية الخريبة ، ولكنها تبقى مثقلة بأنواع  
الزينة اللفظية والمعنوية من تشبيه واستعارة ، وجناس وطباق ومقابلة وغيرها ،  
اقتناباها المسقل المستمر للمباشرة ، وتلجها الهجري الدائم وراء الصورة الحسية في  
الموسومات (١) . وفي شعراء المدح المختصون كإبن ماني وإبن دراج وإبن شهيد  
أبرز ما يكونون على متانة الاسلوب ، وقوة اللفظ وجزالته ، من ميل شديد الى المبالغة  
المفرطة .

ثم ينتقل هذا الرصيد الشعري المهم ، بعد نشوب الفتنة وزوال الخلافة

الى شعراء الطوائف والمرابطين من بعدهم .

• • •

أحسن الاندلسيون ، بدخول القرن الخامس الهجري ، وفي مقدمتهم الشعراء  
ببيتهم ، واندسجوا فيها ، وصدروا في أشعارهم في وصفها عن عاطفة جياشة  
ومحب عارم لا يبعثها المشرقة ، وجوها الاخذ ، فقد حظيت طبيعة الاندلس ، بمناصرها  
وممالياتها المختلفة بمناباتهم واهتمامهم ، فهم ان لم يفردوها بالوصف ، مزجوا  
اوصافهم فيها بفزلياتهم ومدحياتهم وخمرياتهم ، مما يدل على استيادتها على حواسهم  
وشاعرهم ، وهو استيلاء <sup>أظهر</sup> بيد و\* ما يكسسون في باب الحنين ، الحنين الى مراتج  
السيا ودياء النعيم ، في ظل الرابية من الاسباب والاصحاب . وقد ست بداءات  
هذا القرن الشعراء الذين امتدت حياتهم بعد زوال الخلافة ، وهم شعراء البديع  
والتشبيحات ، وقد ألحنا الى مشاركتهم من قبل .

(١) - تاريخ الأدب الأندلسي عصره سيادة قرطبة: ١٠٣



وأما الشعراء الذين يمثلون عصر الطوائف ، فهم الشعراء الذين نهضوا فيه وكان لهم دور في أحداث وقضاياها ، وهم كثير ، ونكتفي هنا ، في الحديث المفصل بعصر الشبيبة عن شعر الطبيعة في هذا العصر ، بالوقوف عند جهود المشهورين منهم ، مع الإشارة إلى مشاركة غيرهم بأجمال .

### (١) ابن زيدون : (٥٤٦٣-)

يعد ابن زيدون من أشهر شعراء هذا العصر وأدبائه ، بل وساسته أيضا ، وهو قد أخذ من شعر الطبيعة بقدر ، ولكن الطبيعة لا تستهويه وحدها ، بل تروقه مع الحبيب الذي تعلق به ، وعشقه من كك قلبه وارتبطت صورته في مخيلته بمشاهد قرطبة ومنزجياتها الغناء ، والطبيعة والحببية تتماثلان لديه ، ولكن الحببية أحلى وأجمل ، وقد كان لهذا الارتباط بين الطبيعة والحببية أثره في حياته ، وخاصة بعد سجنه ، ثم فراره من السجن إلى اشبيلية بني عباد ، فقد اشتد حنينه إلى محبوبته ، وإلى مراح صباه ، ومجالس لسهوه وخلوته ، في شواحي قرطبة وساتينها ، وتمثل الطبيعة في هذا الحنين العام المفتاح الذي يفتح بابها بمدخل على عالم من الذكريات الحلوة والأيام السعيدة ، فكل ما فيها يذكر بالحبيب ويذكر صورته ، ويذكر في نفس الشاعر ألم الفراق وحرارة الذكر .

لقد وفق ابن زيدون في ربط الطبيعة بالحب ، والحب بالطبيعة ، فأسقط على مظاهر الطبيعة مشاعره وأحاسيسه ، وأشركها في آلامه وأحزانه ، وهو معنى يسري في غالب شعره ، ولكنه في قصيدته التي نظمها في الحنين إلى الحببية ، وهو بالزهر ، ووسل طبيعتها النناء ، أكثر جلاء ووضوحا . وهو بهذا النموذج الفني الرائع في سلاسة الفاظه وعذوبة موسيقاه ، وحيويته التصويرية استحق عند أحد الباحثين المعاصرين لقب " شاعر الحب والطبيعة " ، لأنه يشعر بالطبيعة شعور الولد والهيام ، ويتغزل فيها تغزل الحب والضرام ، في قوة وعمق ووضوح .<sup>(٢)</sup>

(١) - تاريخ الأدب الأندلسي . عصر الطوائف والمرابطين : ٢٠٣

(٢) - ابن زيدون عصره وحياته وأدبه : ٣٧٤ .

ولم يكن حبه لولادة هو وحده الذي أذكى هذا الحنين الدافق في اعماقه بل كان هناك عامل آخر له شأنه وقيمته ، ذلك هو حبه لولائه ، ومستقل رأسه قرابية ، فقد تغنى بمواطنها وذكرها موضعاً موضعاً ، وتذكر أيام السعيدة ولهوه وعيشه الهادي الهنيء فوق ربوعها ، ممدداً محاسنها ، ومبرزاً نواحي الإبداع والجمال في طبيعتها ، وشمره في هذا المجال يتسم بصدق العاطفة ، وحرارة الذكرى ، ولوعة الحنين (١) .

(٢) ابن حمديس ( ٥٢٦ هـ )

وأما ابن حمديس فقد كان للطبيعة جزيرة صقلية ، شاد رأسه ، ومرسح صباحه ، أولاً ، وللطبيعة الأندلس التي رحل اليها ، فيها شطرا مهما من عمره ثانياً ، أشرف حال في شاعريته ، وكان يمكن أن ينادي الطبيعة لو أنه استمد في وصفه من ذاته ، ومن معين فهو في وصفه مغرور بالعمرة يذللها في كل ما حولها وتسامتها ، بل وممنوعها أيها فقد تحدث عن الخيل وتحدث عن الألال والديار والرياح والبرق ، والنجوم والغيث والبرد ، والبحر والنهر والروض والزهر وغير ذلك متأشراً بأرائق من سبقه ، ومتميراً على بعض صورهم مونسوع المدح ، وفضل المدوح عليها ، ومزج وصف الطبيعة بأوصاف العمرة قارنهما بها ، كما دعا بالشراب في الألهيسا (٢) ، ولم يخش الطبيعة بالوصف إلا فسي سديدة واحدة تحدث فيها عن البرد واستلرد منه إلى وصف السحب ، والسيل والبرق

(١) - ديوانه : ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) - ديوانه : ٨٤ ، ٨٧ ، ١٢٥ .

والرعد والشمس ، ثم سور الطبيعة ، وانبعثت الحياة في مظاهرها المختلفة بعد أن ارتوت من الماء وعمها الغنصيب ، فالفضن يتثنى ، واللائر يغني طريا والشمس تنمر الجميع بنورها الذهبي (١) .

فاشعاره ، وخاصة حداثته ودائته ، مزدهمة بالدمور ، عامرة بالحركة والموسيقا ولكنها مفتقرة الى الاحساس العميق ، والمعالجة القوية ، فقد اجاد النقل ، ولكنه لم ينفخ فيه من روحه ، ولم يهلهه بالابهه الذاتي ، ولذلك قل أن نشعر بالارتياح والتجاوب ، والمشاركة الفعالة عندما نقرأ لابن حمديس في هذا الباب .

وكنا نتأثر من ابن حمديس ، وهو الشاعر الذي خاض غمار البحر ، وعاش الآلام ، وكابد مشاقه وأدوائه ، تأسيرا بها لهذه الظاهرة السامية من آثار الطبيعة الصامتة ، وتعبيرا عميقا عن مشاعره ، وهو وسط أمواجه التلاطمة تعلوبه وتنزل ، وتذهب به الريح في كل اتجاه ، الا أننا لانجد في ديوانه عن هذه الظاهرة الطبيعية شيئا خلابا ، فقد وصفنا البحر في مقطوعات قليلة ، عكست وجه البحر الهائج المخوف (٢) ، وهي صورة رددتها غيره من الشعراء ، ولعل السبب في هذا يرجع الى ندرة وساطة الوسائل التي تنول للانسان - وقتئذ - نوعا من السلطان على هذه الظاهرة المتميزة ، فهذه لم يعرفوا عن البحر ما نعرفه نحن اليوم من حقائق وأسرار ، من حيث كون ذلك الوجه المخيف المروع ، يخفي في حقيقته ، وباللذات عالمنا من الجمال ، والصورة البديعة ، التي تماثل او تفوق في روعتها وجمالها ، ما على اليابسة من مشاهد ومظاهر ، ولو أنهم ملسكوا من الوسائل ما نملك ، فرما كان لهم موقف يفهاير موقفهم ذاللكما وكيفا .

(١) ديوانه : ١١٧

وأما أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني ، الشاعر المطلق ، والشهاب المتألق ، الأوصاف البديعة والمعماني المخترعة<sup>(١)</sup> ، فقد استهوته الطبيعة هو الآخر وفتنته بثمرها وزهرها ، وغيمها وملازمها ، فصبر عن احساسه وتعلقه بشعر سلس اللفظ ، رشيح العبارة ، حافظ لنا كتاب الذخيرة قلما منه ، وهو فيه يظهر شاعرا حسيا ، تنزيه الصورة ، ويجذبه اللون ، في رسمها رسما وانميا ، معتمدا في تشبيهاته واستعاراته على ما يحيط به من عناصر طبيعية فيذكر الجمر ، والفسد ، والدمع المنسرج ، والدمام ، والمقيق ، لالشي إلا لأنها تشبه النارنج أو يشبهها في اللون ، ولكنه يوفق في وصف الحديقة ، عندما يستخدم الأسلوب التيمزي ويسقط على الأزهار الصفات الانسانية ، فالنرجس والبهار أخوان ، أمهما الشمس ، وأبوهما القمر ، وأنهما قد شربا من سلاف القنابر فسكرا وأدى بهما الأمر إلى التراجم ولكن بالأزهار ، ويؤثر الوضخ في ذلك ، فيرثي لجمالهما ويكيههما ، وهو تيمزي وسمي ، ولطيف في آن واحد ، كما يوفق في رسم صورة مفزعنة لسحابة مطيرة ، ذات رعد مدو ، وبق مشتعل كخيران ، وصواعق قوية ، تكاد تنزل به البيت وتهده من فوقه ، وقد وقف هو مشدوها يستميد تارة ويهمل أخرى ، راجيا الخلاص من هذه الظاهرة التي اقتضت مضجعه ، وزرعت الرعب والتلق في أعماقه<sup>(٢)</sup> .

(١) - الذخيرة ٢/٢ : ٨٣٤

(٢) - نفسه ٢/٢ : ٨٤٠

(٤) - المعتمد بن عباد (٤٨٨ هـ)

وتتمتج الطبيعة بالخرق تارة ، وبالغمر أخرى عند شاعر اشبيلية وأميرها  
المعتمد بن عباد ، ولكن أحسأ سه بها يزداد وحنينه يشدد وهو في الأسر ،  
بعد أن زال ملكه ، وشل عرشه على يد المرابطين ، فهو لا يفتأ يذكر قصوره ،  
وحياته الطوكية الناعمة ، وسط الطبيعة الفناء ، فيبكي على فقدها ونميا عنها ،  
ويشتد به الخطب ، حتى يخال أن الطبيعة تشاركه مصابه ، فقصوره تبكي لبعده<sup>(٢)</sup>  
وتتيم النجوم الماتم حزنا وأسى على فقده ولديه<sup>(٣)</sup> ، كما يناجي سرب القطا ،<sup>(٤)</sup>  
ويقن حالها بحاله ، فكدهما له فراخ ، ولكنه أسير وهي حرة طليقة ، تمود  
الى فراخها ، ولا يمود ، فقد باعدت عوان الأيام بينه وبينهم ، وحال البعد  
والأسردون الاجتماع بهم والحنو عليهم ، انها صورة حية ، منحها الشاعر قوة  
التأثير بما أفاضه عليها من مشاعر وأحاسيس صادقة .

(٥) - ابن عمار (٤٧٧ هـ)

ويأخذ وصف الطبيعة في شعره وزيره ابن عمار تلمس المسار ، فهي عنده  
ترتيل بالخرق حيننا فتشكل الإطار الملائم لتعاليمها وعقد مجالسها ، وتسخر حيننا آخر  
لشعر المسندج<sup>(٥)</sup> ، كما يذكرها في لوحة وحنين ، بعد أن قلب له

(١) - ديوانه : ٧ ، ١٣ ، ٢٨ .

(٢) - نفسه : ٩٥ .

(٣) - نفسه : ١٠٥ .

(٤) - نفسه : ١١٠ .

(٥) - الذخيرة ٢/١ : ٢٨٢-٢٨٣ .

الدمر ظهر المجن فساد الى حياة التشرد والفقر ، بعد الغنى والاستقرار ، وكان  
لدموحه واستهتاه اليد الاولى في هذا الانقلاب الحاسم في حياته ، ويحس بعنف الصدمة ،  
والم الفرائ ، وتنكر الاصحاب ، فلا يجد غير الدهيعة مواسيا ، ولا الى غيرها ملجأ  
فيهيب بناصرها ، المتحركة والجامدة ، الهيبة والصامة ، بالحمام والضمَام  
وارعد والبرق ، والريح والنجوم ، أن تشاركه مصابه ، وتقاسم أحزانه وأشجانه  
فالحمام ينوح عليه ، والضمَام يبكيه ، والارعد يصرخ ، والبرق يهز الصارم يريد  
الثأر له ، والرياح تشفق جيوبها لأجله<sup>(١)</sup> . وهكذا ينجح الشاعر في تهويل  
الموقف ، وتسخيم الأمر ، مستخدما عناصر الدهيعة المختلفة كوسائل طوعها لتصوره ،  
وصبغها بما يوافق مزاجه وماله النفسية المضطربة الغلظة، وهي محاولة  
نادرة في شعره .

(٦) - أبو بكر بن اللبائية : ( ٥٥٠٧ - )

وأما ابن اللبائية أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني فقد كان شاعرا  
مداحا ، متكسبا بشعره ، لزم المعتد بن عباد مدة عزه وساءلانه ، كما لزمه بعد  
نكبه على يد المرابطيين ، فمدحه ، ورثى ملكه ، وحنّ الى مجالسه معه في ظلال  
بساتين اشبيلية وعلى شفتي نهرها الجميل ، ثم انتقل بعدئذ الى ميورقة ، حيث  
أضحى شاعر مبشر الماصري ، ومكث على تلك الحال الى وفاته . وهو وان سخر  
شعره للمدح ، الا انه لم يحل من وصف الدهيعة في مناظرهما ومشاهدهما

(١) - الذخيرة ٢/١ : ٣٧٢ - ٣٧٣ .



فاما الأعمى التاليفي ( - ٥٣٥ هـ ) فلم يفرد الطبيعة بالوصف الا في  
قديسيدي واحدة وصف فيها سحابة مطرة<sup>(١)</sup> ، جمع فيها معاني القدماء وصورهم ،  
وكثيرا ما يأتي ذكر السحابة والحدار ، والبرق والرعد عنده في سياق الحديث عن  
المدوح ، وعد صفاته من كرم وسماحة ، وكثرة عطاء ، فهي عنده ، تخدم المدح  
كما في الفزل<sup>(٢)</sup> ، ومن هذا المنطلق كانت نظرية الشاعر اليها . وأما الطبيعة  
المصنوعة فقد استهواه منها شيخان اثنان ، اكثر من ذكرهما وأطال في وصفهما  
ألا وهما المسيف والرمح ، وهو على الرغم من ذلك لا يمد شاعرا وصافا لفضالة  
شاركته في هذا الباب ، ولعل لألفية العمى أثرها في ذلك<sup>(٣)</sup> .  
ويمد الأديب ابو عبد الله بن عائشة من الشعراء المقلسين ، ولكنه  
على اقله يظهر شاعرا مولعا بالطبيعة ، مستأنسا بها مأخوذا بها فيها من مظاهر  
الروعة والجمال<sup>(٤)</sup> .

وتبدو الطبيعة بالواهر المختلفة بوضوح أكثر في شعر ابن الزقاني ، فقد  
نشأ في هذا العصر ، وتعلم على يد خاله ابن خفاجة ، وتأثر بنزعة في وصف  
الطبيعة ولكنه تمكن من أن يخضع هذا الشعر لموهبته ، ويطبعمه بطابع تجربته  
الخاصة وهي تجربة غنية ، مكنته في عمر قصير نسبيا ، من إنتاج قدر مهم من  
الأشعار ، دلت على موهبته وادبته ، وبرهنت على شاعرية متميزة ، وبواته

(١) ديوانه : ٣٧

(٢) نفسه : ١٦ - ١٨ ، ٨٨ ، ١٠٥

(٣) نفسه : مقدمة المعقق : ق

(٤) الدخيرة ٣/٢ : ٨٨٧ — المظم : ٨٤ .

(٥) مع شعراء الاندلس والمتنبي : ١٣٥ .



مكانة مرموقة في مجال الابداع التشبيهي والاستعاري فقد استطاع بمخيلته القوية أن يبنى أشعاره بالسرور الرائعة ، والمناهي اللطيفة ، وهي ظاهرة وثقت عليها الشكندري في شعره ، فعددها مفخرة من مفاخر الاندلس ، وحسنة من حسناتها التي لا تحصى . ولمشاركته الوصفية عدده غارثية غوث شاعرا للطبيعة ، وهو أمر يدعونا الى الكشف عن أثر الشاعر في هذا المجال .

لا شك ان اهتمام ابن الزقاق بالطبيعة عظيم ، وكلفه بها شديد ، ولكنها فتنة بشرية حسية في مقام الحالات ، فالصورة تخريبه والمنظر يأسره فينجذب الى الطبيعة مستحسها ، ويصفها وصفا يكبله الحسنى ، ويغلب عليه الأسطح ، وينظر فيه الاحساس القوي . والانفعال بالموصوفات ، فهو يهتف - كغيره - بالخمرة في جو الطبيعة الأبدية ، فاذا انبت الطبيعة ، وتذهب الاصيل ولا مسس السحاب الحدائق ، وعانق الجبان ، وتغنى الحمام ، تذكر خمرته فنادى بها ذميمة كلون الاصيل ، فمشا ود الطبيعة تأخذ بلبه ، وتفتنه بجمالها ، ولكن لينعم بمجالس اللهو في ظلالها ، ويميشها لحظات مادية لا يتجاوزها الى الشياو الفعالي من الطبيعة ، أو الاحساس الصادق بها . وتستهو به الطبيعة في مجال الخزل ، فيصف الحبيب من خلالها ، ويتخذ منها ذريعة اليه ، ومن عناصرها وسائل مساعدة لاهراز محاسنه وتعداد مزاياه ، فليس هو الذي يشبه الطبيعة ، ولكن الطبيعة هي التي تشبهه ، وهو لا يلثم الوردة أو يشتم عبيرها بين الحين والحين الا لانها تحكي وجنة من يهوى وعبيره (٤) . وهذه النزعة ، أي تفضيل

(١) - فضائل الاندلس وأهلها : ٤٠ .

(٢) - مع شعراء الاندلس والعتنبي : ١٢٨ .

(٣) - ديوانه : ٩٣ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٧٣ .

(٤) - نفسه : ١٢٤ ، ١٧٨ ، ٢٤٢ .

المحبوب على الطبيعة ، طريق سلوكة ، كما أن اللهج بصفات المادية من خلال الطبيعة \* ظاهرة خفاجة \* . حفل بها ديوانه . وقد يوفق الشاعر في بث الحركة والحياة في صورة الطبيعة بما يفتيز عليها من أحاسيس ومشاعر انسانية<sup>(١)</sup> او باستخدام الحوار الذي يطبع شعره بسحة عقلية شعورية<sup>(٢)</sup> .

وإذا فابن الزقاق شاعر من شعراء الطبيعة ، أفسح للطبيعة حيزها وصامتها مجالا واسما في شعره الرقيق ، ورسم لها مشاهد وصوراً تستلقت الانتباه وتمتج الحس ، وتشهد له ، في معظمها بالبراعة وحسن الذوق ، ولكن قارىء ديوانه يدرك أن الشاعر مدين في الكثير من معانيه وطريقه أساتذته وخاله ابن خفاجة ، الذي استطاع بما تميز به من خصائص ومؤملات ، أن ينظر بعنايه القدماء وتقديرهم ، وأن يستهدف ، في نظر الباحثين المعاصرين ، لقب شاعر الطبيعة في الأدب العربي القديم ، فماذا إننا عن الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي ؟ .

---

(١) - نفسه : ٢١٦ .

(٢) - نفسه : ١٢٤ ، ١٢٥ .

||

الباب الثالث

الهيئة في شمس رابن خفاجة الاندلسي

## الفصل الأول

### بين اللبيمة وابن خفاجة

لقد اشرنا فيما سبق من كلام الى طبيعة الاندلس عامة ، وما امتازت به تلك اللبيمة من جمال وروعة وبها \* ، وبيننا نوعية العلاقة التي كانت تربط الانسان الاندلسي بهيئته ، وانها كانت قوية الى حد كبير ، وهو امر تفسخ عنه آثاره التسمية والنثرية في وصفها ، والتفني بمعانيها ، والاشادة بما فيها من مشاهد الطبيعية رائعة . وسنتمرغ الآن ، وشي \* من التفصيل ، للبيعة شرق الاندلس ، وبخاصة كورة بلنسية

يبتد شرق الاندلس من حاضرة ألمرية جنوبا الى عاصمة الشرف الاصلى سرقسطة ،<sup>شمالا</sup> في بسيط من الارض ، تتخلله جهال شاهقة ، كثيرا ما تمتد لتكسبون سلاسل جبلية اولية ، تنحدر منها انهار غزيرة تخترف تلك الاراضي الواسعة ، وتصب في البحر الابيض المتوسط . ومن مدن شرق الاندلس الشهيرة : بلنسية ومرسية ، وشابية ودانية ، ولرلوشة ، وسرقسطة ، وجيان وغرناطة ، والمرية هذا عدا المدن الصغيرة والقرى والحصون التابعة لتلك المدن الكبيرة ، وهي كثيرة جدا ، ومع ذلك فقد تتبها جغرافيو الاندلس ، ووصفوها وصفا يتم عن اعجاب وفتنة غامرة ، مما يدل على ان هذه المدن ، بل وتلك الغر والحصون ، كانت من حيث طبيعتها على جانب كبير من الجمال والبهاء ، فقد وضعت سرقسطة (١) بانها مدينة حسنة ، متملة الجنات والبساتين ، يمر بها نهر كبير هو نهر " ابرة " . وذكرت لرلوشة بحسن بقعتها ، فهي توجد في سفح جبل ، وأن ذلك الجبل وغيره مكسو بشجر التنوير الذي لا يوجد له نظير في السل والفلسط .

(١) - الادريسي : ١٤٠ .

(٢) - نفسه : ١٤٠ .

كما ذكرت \* بريانة \* بتربها من البحر ، وارضها الخصبة المنبسطة ، وكثرة اشجارها وثمرها (١) . وتكرر ذكر كورة \* تدمير\* ، وما في حوزتها من سهول خصبة وأنهار وعميون ، وجنات وبساتين ، ذات اشجار وزروع مختلفة ، وهي كورة واسمة ، تضم مدنا عديدة منها مدينة \* مرسية \* الجميلة المنشأة في مستو من الأرض ، على ضفة النهر الابيض ، وبها هي أيضا بساتين وضياح وعمارات متصلة ، ولها كروم وبها من شجر التين كثير . كما يوجد بها الموز والبرتقال واللوز واشجار النخيل ، ويكثر بها القطن ، وينمو بها قصب السكر بكميات تذكر . وقد عد الشنقندي في رسالته فضائل هذه المدينة في كلمات شعرية ، بعد ان ذكرها وذكر واديتها فقال . \* وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان ، والنواعير الصلابة الالحنان ، والاطيار المفردة ، والازهار المتنضدة ما قد سمعت ... وهي من اكثر البلاد فواكه وريحانها ، وأهلها اكثر الناس راحت وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك لحسن منظره . \* كما يوجد على نفس النهر مدينة \* أريولة \* وهي ذات بساتين وجنات ورياض ، استوقفت ابن سعيد بمناظرها الخلابة ، وجعلته يعرب عن اعجابها ، فمدحها بعد مسناتها في كلمات مدنية ، فوصفها كأنه قال من جنة الخلد ، ونهرها ساكن ، ودواليها نادرة ، والبيورها شاذية ، وأشجارها متمانقة . وعرفت كورة \* جيران \* بطيب ارضها ، وكثرة ثمرها ، واطراف عيونها ، ووفرة لحومها وعسلها ، وجبلها الذي يناطح السحاب علوا ، ونهرها الكبير ، ذي المياه الفزيرة ، والارحاء الكثيرة جدا ، وهي تضم مدنا

(١) - نفسه : ١٩٣ :

(٢) - نفسه : ١٩٣-١٩٤ ، فرحة الانفس : ١٥-١٦ ، المغرب . ٢ : ٢٤٥-٢٤٦ ،  
الروض المعطار : ٥٣٤ ، اسبانيا شمبها وارضها : ٢٥ ،

Description, Razi : 20

(٣) - الادريسي : ١٩٣ ، المغرب : ٢ : ٢٨٦

كثيرة منها مدينة " شققورة " التي تتأاز جبالها بوردها الذكن العطر ،  
والسنبل الرومي الطيب . والى الجنوب الشرقي من شبه جزيرة الاندلس ، توجد  
كورة " البيرة " ، التي خربتھا الفتنة ، فهجرھا اهلھا الى " غرناطة " التي  
عدت بعدئذ قاعدة للمدن التي تحيط بھا ، وهي ذات ارض خصبة ، سقيا ،  
كثيرة الثمر والشجر ، يحسن بھا شجر الجوز والبندق ، وقصب السكر ، وشجر  
البرتقال والليمون والرمان والنانسج وغيرها ، كما تتأاز بجبلھا " شليلر " .  
والمصروف بجبل الثلج ( Sierra Nevada ) ، وهو جبل عال جدا ، يرى  
من اكثر بلاد الاندلس ، كما يرى من عدوة المغرب ، وعرف بذلك لملازمة الثلج له  
صيفا وشتاء ، ومنه ينبع نهر الثلج " شنيل " ، الذي يسقي جنوب غرناطة . واشتهر  
هذا الجبل ايضا بأصناف الفواكه ، وكثرة المنازة فكان لذلك مثابة للناس ،  
يرتادونه للراحة ، لا اعتدال مناخه ، والحراة عيونه ، وكثرة عشبه وزهره ، والتفاف  
أشجاره (٢) . وأما غرناطة فقد وصفھا الشقندى بطريقته الخاصة قائلا : " إنها  
دشق بلاد الاندلس ، ومسرح الابصار ومنلمح الانفس ، ولھا القسبة المنيمة  
ذات الاسوار الشامخة ، والبياني الرفيعة ، وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارھا  
واسواقھا وجماماتھا وارجائھا الداخلة والخارجة وساتينھا ، وزانھا الله تعالى  
بأن جعلھا مرتبة على بسيلھا الممتد الذي تزرعت فيه سبائل الانهار بين زرجد  
الاشجار ، ولنسيم نبعدها ، وهجة منظر حورها في القلوب والابصار ، استلطاف  
يروق الابعاع ، ويحدث فيها ماشاء الاحسان من الاختراع والابتداع (٣) .

- 
- (١) - الادريسي : ٢٠٢ ، فرحة الانفس : ١٥ ، الروض المعطار : ١٨٣ ، ٣٤٩ ،
  - (٢) - نفسه : ٢٠٣ ، نفسه : ١٤ ، نفسه : ٢٨ ، ٤٥ - ٤١ ، ٢٤٣ ،
  - (٣) - فتايل الاندلس واهلها : ٥٦ .

هذا باختصار ما وصفت به بلاد شرق الاندلس في كتب القدماء ، وهي اوصاف تجلي ما كانت تتميز به تلك الارض ، وما زالت من حسن وجمالها ، يلفت النظر وبأسر القلب .

٢

تتميز كورة بلنسية ايضا ، بحسن موقعها ، واتساع رقعتها ، فهي تتوسط شرق الاندلس ، وتقرب من البحر فلا يفصلها عنه غير ثلاثة أميال ، كما انها توجد في مستو من الارض الخصيبة ، فهي تعرف بمدينة التراب ، ويمر بها نهر جار ، يسقي مزارعها ، وساتينها وبناتها (١) . وهو لمعقد واتساع تدخله السفن بسهولة ويسر (٢) . مما يساعد على تيسير النشاط الاقتصادي ، كما يساعد على القيام بنزهات نهرية رائعة . ولقد افترض المسلمون هذه الثروة المائية ، فسخروها احسن تسخير ، فقاموا بالمزارع ، وأنشؤوا البساتين وشقوا المياه الترع ، وصرفوا المياه الماء ، ونظموها ذلك كله ، تنظيمها فنيا ما زال يشهد على تفوقهم حتى الآن (٣) .

ولها الى جانب السهول الواسعة ، والنياع الفيح ، الجبال المعروفة بجبال بلنسية ، وهي كلها مفتتحة بالكروم وأشجار التين والزيتون (٤) ، كما ان فيها بحيرة مشهورة ، تنعكس اليها اشعة الشمس المدينة رونقا وضياء (٥) .

(١) - فرحة الانفس : ١٦ - الادريسي : (١) : 21 Description :

(٢) - الروز المصالح : ٤٧

(٣) - اسبانيا شعبها وارضها : ٢٤ ، محكمة المياه بلنسية : مجلة العربي العدد (١٥١) :

٩٢ - ٩٥

(٤) - فرحة الأنفس : ١٦

(٥) - المغرب : ٢ : ٢٩٧ - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٩

ولعل هذا كله هو الذي جعل الحجاري في " مسهبه " ، يجعل نعتها بقوله : إنها " مطيب الاندلس ، ومطبخ الاعين والانس ، قد خصها الله باحسن مكان ، وحققها بالانهار والجنان ، فلا ترى الا مياهها تتفرع ، ولا تسمع الا الهيارا تسبح ، ولا تستنشق الا ازهارا تنفح ، وما أجلت لحظاتها في شيء الا قلت هذا ألح ، ...

ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر البلاد ، وجوها صقيل ابداء ، لا ترى فيه ما يكدر خاطر ولا يهزأ ، لان الجنات والانهار احذقت بها ، فلم يثر بأرجائها تراب من سير الارجل وهبوب الرياح ، فيكدر جوها (١) . وكما اشتهرت بجمال طبيعتها ، اشتهرت ايضا بجمال ورونق قصورها وحصونها وقلاعها ، ومتفرجاتها المختلفة ، فعرفت " برصافتها الموجودة بينها وبين البحر ، وهي كما يقول الشقندي من احسن متفرجات الارض (٢) ، وبتفرجتها المعروف " بسنية بن ابي عامر ، وقصرها المشرف على بطحاءها وعلى البحر ، في موضع يدعى بحار فيه الناظر ، ويقصر عنه الوصف (٤) .

كما ان من مدنها وقلاعها حصن شاطبة " العطل على بطاح وأنهار . ومدينة " أندة " ، وهي كثيرة المياه ، غزيرة الفواكة ، ومدينة " دانية " المحاذية للبحر ، وهي مدينة حسنة عامرة ، كثيرة المنافع ، يكثربها شجر التين والزيتون ، والكروم ، كما يوجد الى الجنوب منها جبل عالهم ، مستدير ، يراه من اعلاه جهال " باهية " في البحر ، ويسمى جبل " قاعون " (٥) .

(١) - المغرب ، ٢ : ٢٤٧

(٢) - فضائل الاندلس واعلمها : ٥٩ ، البروج المصطار : ٣٦٤ ، المغرب ٢ : ٣٤٢

(٣) - المغرب : ٢ : ٢٤٨

Description : 22

(٤) - فرجة الانفس : ١٦

(٥) - الادريسي : ١٤٢



ومن مدنها الجميلة أيضا ، مدينة " شقرة " مسقط رأس شاعرنا ، ومسرح أنسه ومربع صباه ، وهي تقرب من شاطئة بدوالي اثني عشر ميلا ، ولا تبعد عن بلنسية ، الإبدوالي ثمانية عشر ميلا . ويحدها بها نهرنا الجار على جوانبها كلها ، فهي لذلك تسمى جزيرة شقرة ، وقد الحنب مؤرخو وجغرافيو الاندلس في نعمتها ، واجمعوا على حسن غطتها ، وجمال طبيعتها ، وكثرة خيراتها . فذكر الادريسي أنها : " حسنة البقاع ، كثيرة الاشجار والثمار والانهار ، وكان عنها الحداري : أنها عروس الاندلس المقلدة من نهرها بسلك ، المتلطفة من جناتها بسندس ، روض بسام ، ونهر كالحسام ، ولبل وحمام ، ومنظر يحد على حسو المدام " . ونقل الحميري وصف الادريسي لها ثم اضاف قائلا : " . . . وقد احاط بها الواد ، والمدخل اليها في الشتاء على المراكب ، وفي الصيف على مخاضة " . كما ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وقال : انها " أنزه بلاد الله واكثرها روضة وشجرا وما " (١) . وقد ذكر صاحب القلائد أيضا أن ابا عبد الله بن عائشة كان كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقرة ويستريح ، ويستطيب هبوب تلك الريح ، ويجول في اجار واديها ، وينتقل من نواحيها الى نواحيها ، فانها صحبة الهراء قليلة الادواء ، خائفة الحشب ، زاهية الازاهير ، قد احاط بها نهرها كما تحيط بالماصم الاساور . . . والايك قد نشرت ذوائبها على صفحه ، والروى قد علر جوانبه بنفحه . . . " (٢) هذه جملة اوصاف لطبيعية بلنسية واعمالها ، احتفظت لنا بها كتب الجغرافيا والتاريخ ، وهي كما نلاحظ اوصاف اكتفت بالصورة المجطة ، ولم تتطرق الى الجزئيات الا في النادر ، فهي تعد ثنا عن الشجر والشم ، والرياس والبساتين ، فتفيدنا بان مناطق شرق الاندلس كانت كثيرة الشجر والشم ، ولكنها لا تذكر لنا الا انواعا قليلة من هذه وتلك ، وكذلك تذكر الرياس والبساتين ، ولما تفصل او تسمي ما كانت تشمل تلك الرياس والبساتين من ازاهير ومزروعات على اختلافها ، فهي تذكر لنا ان بلنسية وغيرها من مناطق شرق الاندلس عرفت من الشجر : الجوز واللوز والزيتون والتين والكروم ، والبرتقال والليمون ، والنانج ، ويمكن ان يفهم من قولهم انها كثيرة الشم ،

(١) - الادريسي : ٢ ، ١ ، المغرب في حلي المغرب ٢ : ٣٦٣ ، الروض الصالح : ٣٤٩ - ٣٥٠

معجم البلدان ٣ : ٣٥٤

(٢) - سلح الاندلس ، ٨٥ - ٨٦ - الدخيرة . ٣ / ٢ : . . .

ان تكون قد عرفت أيضا اشجار التفاح والاجاص ، والمشمش والرمان ، بل والنخيل  
أيضا ، في بلدة " أَلِشِي " احدى نواحي مرسية<sup>(١)</sup> .  
وكانت الجبال التى بجانب كونها مفتتسة بأنواع الشجر المثمر ، مغطاة أيضا بأشجار  
السنوبر ، والسرو ، والخرنوب ، ، والفلين وغيرها . وذكرت لنا تلك الكتب أن  
هذه المناطق كانت عامرة بالبساتين والجنات لخصوبة تربتها ، ووفرة مياهها مايدل  
على انها كانت حافلة بأنواع المزروعات من قمح ، وشعير ، وفلين وكتان ، وقصب سكر  
وبالاء ، وزعفران وغيرها . وكما عني الاندلسيون بالشجر بأنواعه ، والمزروعات  
على اختلافها ، عن أيضا بالازهار ، فأنتشروا الحدائق العامة والخاصة ، واقاموا  
المفترجات والمنتزهات ، وجلبوا اليها أنواع الازهار ، واستنبتوها بطرق علمية ،  
أشرف عليها علماء مختصون ، يحدوهم في ذلك حب عميق ، وتعلق وثيق بجمال  
الطبيعة في سجاليتها المختلفة وبخاصة حدائقها ، في ظلها الوارف ، وزهورها  
المفتحة ، ونفحاتها العذبة ، ولبيورها المخرجة ، وقد احصى المستشرق " هنري  
بييريس " في دراسته القيمة عن الشجر الاندلسي ما عرفته حدائق الاندلس ومنتزهاتها  
من ازاهير تفتن بها شعراء القرن الخامس الهجرى ، فذكر : الاس ، والاقحوان ،  
والبنفسج ، والنرجس بأنواعه ، والسوسن الازرق والابيض ، والخيرى الاصفر ،  
والخيرى النعام ، والنيلوفر والورد والياسمين<sup>(٢)</sup> . هذا فضلا عما كانت تنص به بعض  
جبالها ، وبساتينها من ورود ، وشقائق ، ونواوير متنوعة تستوقف النظر ، وتفتح  
الحس ، وتنطق اللسان بالشكر والاعجاب .

---

(ن) - اسبانيا شعبها وأرضها : ٢٥

لقد زرع الاندلسيون جميعا بطبيعة بلادهم ، بما فيها ، وشجرها وزهرها ،  
ولا ابل على ذلك من دورهم وقصورهم المحفوفة بالشجر والزهر ، والمزينة بالبرك والقنوات  
البديمة الصنع ، ناهيك عما على انهارها من ارجاء ونواعير وجسور<sup>(١)</sup> ، وهي كلها  
تستلقت النظر وتلهم القلب ، وتذكي الخيال .  
واذا بحثنا أينما كان في الاندلس من طبيعة حبة ، لم نجد شيئا  
خاليرا ، فهذه المصادر كثيرا ما تتمرر لهذا باقتضاب واجمال ، ليس فيه  
تفصيل ، فيذكر الرازي أن أرض الاندلس كثيرة الانعام ، كثيرة الخيول والبغال ،  
وانواع السميد ، كما ينوه بيلنسية قائلا : إنها ذات زرع وسرع . فيحتمل أن تكون  
بلنسية وغيرها من مناطق شرق الاندلس قد عرفت تربية الابقار والضأن والماعز ، ومن  
الدواب : الخيول والبغال والحمير ، والكلاب ، ولما كانت جبالها مفتوحة ، فقد  
تهيأت بذلك لأن تكون مريضا لانواع كثيرة من الحيوانات الوحشية ؛ فمن دون شك  
أنها كانت كثيرة الذئب ، والثعالب والخنازير والارانب ، ويحتمل ان تكون ادغالها  
موطننا للاسود ، والنمور ، والضباع أيضا ، ويستدل بالهجران والشقندي  
على أن بساتين شرق الاندلس ، وحدائقه ، قد كانت انواعا كثيرة من الليمور  
كالمصاغير ، والبلايل ، والشحارير ، والزراير من انواع الليمور المفردة ،  
كالتمري والحمام والدرج ، وفي جبالها ، بلا شك ، انواع الليمور الكاسرة ،  
كالنسر والذئب ، والنسقر وغيرها ، كما كانت مياه أنهارها حياطينا بحارها مسرعا  
لانواع الليمور المائية كالذرنبيق والاوز والنورس ، واما انواع الدجاج والديكة ، فلا  
شك في وجودها والاهتمام بها .

(١) - فصائل الاندلس وأهلها : ٥٦ ، ٥٨ - المغرب : ٢ : ٢٨٦  
الادريسي : ٢٠٥ - الروض المعطار : ٥٣٦ - ٥٤٠ .

هذا بعينه ما اشتملت عليه طبيعة شرق الاندلس عامة ، وكورة بلنسية خاصة من ظواهر الطبيعة . حية وصامتة ، وهي على قلتها ، تبين بجلاء ، ما كانت تتمتع به تلك المناطق من تنوع وجمال ، وروعة وبهاء ، ما شد اليها قلوب أهلها ، فأحبوها أحداق حب ، وارتبدلوا بها أشد ارتباج ، تدل على ذلك آثارهم الشعرية والنثرية في وصفها والتمنين التي رويها ، والمكاشفة التي شياهاها (٢) .

وقد انطلق ابن خفاجة من القاعدة نفسها ، قاعدة الحب العميق والارتباط

الوثيق بطبيعة بلدته شقر ووطنه الاندلس ، فمهر عن مشاعره وأحاسيسه بشعر مفعم بالمواطف ، زاخر بمشاهد الطبيعة في تجلياتها المختلفة ، مما يدل على احساسه العميق بها ، وتجاوزه الحي مع عناصرها وظواهرها ومعالجاتها ، وهو شعور انفتح عنه هو نفسه بقوله : \* اكثار هذا الرجل - يمضي نفسه - في شعره من وصف زهرة ، ونمت شجرة ، وجرية ماء ، ورنه طائر ، طموح الا لانه كان جانحا الى هذه الموصوفات لطبيعتها فطر عليها وجبته ، واما لان الجزيرة كانت داره ومنشاه وقراره ، وحسبك من ماء سائح ، واير صادح ، وسطاح عريضة ، وأرض أريضة ، فلم يمدم هنالك ، من ذلك ما ييمت مع الساعات أنه ، ويحرك الى القول نفسه ، حتى غلب عليه حب ذلك الأمر ، فصار قوله فيه عن كلف لا تكلف (٢) . \* وفصلا

فان المتصفح لديوانه يلاحظ كثرة الموصوفات ، وازدحام الصور الابداعية البشورة في شعره كله بأشراذه المختلفة ، مدحا ورثاء ، ووصفا وفخرا ، وغزلا وحنينا ، فقد وجد الشاعر في عناصر الطبيعة المتنوعة ، من روضيات وشجريات ، ونوريات ومائيمات ، وظواهر الكون المختلفة ، متحركة وجامدة ، حية وصامتة ، زادا نسخما لتشبيهاته واستعاراته ، ومجالا خصها لبث عواطفه وأشجانه وأفكاره وتصورات ، فلا تعجب اذا -

(١) - الروض المعمار : ٦٨ - ١٠١ .

(٢) - ديوانه : ٢٦٠ .

وجدنا في شمره مثل قوله :

وما العيش الا بين ربح حديقة      ورتة غريد وغرة سابع  
فقل من جنى هذا وذاك وهذه      وجل بين هاتيك الربا والا بالبح

(١)

فالعيش في نظره لا يهلو في غير احضان الطبيعة الفاتنة ، ولا يطيب في غير أجوائها الحقام . كما لا نعجب اذا وقفنا على شمر يفيض بالمعاطفة والحنين ، هنا وهناك في ديوانه ، ينم عن علاقة وثيقة ، وصلة بالبيبة قوية ، تلك الطبيعة التي نشأ في احضانها ، ترعرع فوق ربوعها ، واستودعها احلى ذكريات عمره ، وأجمل ساعات انسه ، فالاندلس جنة ، لا يكاد يبعد عنها حتى بالشوق والحنين اليها :

إن للجنة في بالاندلس      مجلى حسن وريسا نفس  
فسنا شبتها من شنب      ودجى ليلتها من لعمس  
فاذا ما هبت الريح سبا      صحت واشوقي الى الاندلس (٢)

وهذا المنطلق ، منال الحب في التعامل مع البيبة ، والاحساس بالجمال والكمال والسحر في جنباتها كان مرتكز الشاعر في اوصافه التي استغرقت الكثير مما وتملت عليه عينه في البيبة ولله العناء برياضها التي ارتسمت في شمره بجمالها وحيويتها ، وأشجارها المنورة والشجرة ، وأزهارها وهي تميز بالوانها الزاهية وعلرها الفواح ، وجبالها الراسية الشامخة ، ورياحها المخضرة ، وسهولها الفسيحة وأنهارها الجارية الهادرة ، وبحرها الممتد في زرقة وهدوء واضطرابه ، وسماقها ونجومها وغيومها وأمطارها ، وحيوانها ، ووسائلها الحضرارية ، حالي كل هذا بحنانيته ، ونال قسطه من اهتمامه ، على اختلاف في تلك العناية وهذا الاهتمام

(١) - المصدر السابق : ٢٦٢

(٢) - نفسه : ١٣٦

كما وكيفا ، وهو يفسر طبيعته تصويرا يمتزج بمواقفه ومشاعره حيناً ، ويخلو من العاطفة ، واقصيا ، حيناً آخر ، مع ميل واضح الى النظرة الكليية في المردن والتصوير ، دون ان يخفل عما فيها من جزئيات وعناصر تستوقف النظر ، وتشير الاهتمام ، بما فيها من جمال صبي منظور ، وارتباط وثيق بالصورة الحسية التي بناها الشاعر في مخيلته للمرأة التي حرم منها كزوجة ، وشريكة حياة ، وهو أمر أشرنا اليه من قبل<sup>(١)</sup> ، كما ستكثر الاشارة اليه في فصول هذا الباب لاستمرار حضوره وتجديده في نصوصه المختارة .

ولقد تنبه القدماء والمحدثون ، ممن تعرضوا لحياة الشاعر وأدبه بالدراسة والتحليل للمكانة التي احتلتها الطبيعة في شعره ونثره ، فأبدن كل منهم انطباعاً ، وأعاد رأيه في هذه الظاهرة ، وهي آراء وانطباعات تنم في مجملها عن تقدير للشاعر ، واكبار لجهده وساهمته في هذا المجال ، فقد ذكره معاصروه ومن تلاهم من القدماء ، وشهدوا له بالبراعة والسبق في وصف الرياض والمياه ، وما يتعلق بهما من عناصر الطبيعة المختلفة ، وفخر الشقندن في رسالته بموهبة الشاعر في هذا الفن على أهل الصدوة ، ووصفه ابن سعيد في الرايات بأنه " شاعر الاندلس في وصف الأزهار والانهار " (٤) ، وأما المقري فقد لقب الشاعر بلقب شاعر الشام في وصف الطبيعة ابي بكر محمد بن احمد الصنوبري ، فدعاه صنوبري الاندلسي ، لاشتراكها في هذا الفن . ثم نوه بشهرته ، وذكر أن أهل الاندلس كانوا يسمونه " الجنان " لولمه بوصف الأنهار والأزهار (٥) .

- 
- (١) - راجع ص : ٤٨ - ٥٠ .
  - (٢) - غلائد الحقيان : ٢٦٦ - الذخيرة ٣ / ٢ : ٥٤٢ - نفع الليمب : ٣ : ١٥٥
  - (٣) - فضائل الاندلس وأهلها : ٤١ .
  - (٤) - رايات الصبرين : ١٢١
  - (٥) - نفع الليمب ٣ : ٤٨٨ .

وكما اشاد الأقدمون بمكانة ابن خفاجة ومقدرته عرف به دارسو الادب في  
العصر الحديث حقه ، فقد وقفوا على هذه النثا مرة في شعره ، فانفروا له بالسبق  
والاحسان . فهو عند بعضهم شاعر الطبيعة الذي امتلأت نفسه وعينه من جمال  
الطبيعة ، فأقبل عليها ، يصفها ، ويناجيها ، ويحطمها أشواقه وهو اجس  
نفس (١) . وهو عند بعضهم الاخرين أشهر وصفي الطبيعة في الاندلس ، بل ،  
هو قمة شعراء الطبيعة فيها (٢) .

ويذهب بعضهم الى أبعد من ذلك . فيرون أن الشاعر قمين بلقب  
شاعر الطبيعة في أدبنا العربي القديم عامة (٣) . ويرون آخرون بأثر بيته في تكوين  
شاعريته ، وفي تربية ميله الى الطبيعة ، وتنمية احساسه بها ؛ فلولم ينشأ ابن  
خفاجة في تلك الجزيرة الراضية ، وما نظرها الجميلة الساحرة ، وما اعتقها الغائنة  
الذخيرة لما نضجت اشاعريته ، وبلغت به ذلك المستوى السامق من الشهرة في  
عصره وبعد عصره (٤) . وعلى الرغم من هذا فان الدكتور شوقي ضيف لم يمتدح للشاعر  
الغزل ، فهو عنه لا يسعد وأن يكون مثلهما لشعراء المشرق في كل ما صدر  
عند من عرف في مجال وصف الطبيعة ، وأن كان له من فضل ، فهو الكثرة ليس الا  
ولا على الباحث المحقق ، ما في هذا الحكم من مفالة ، تنافي مقتضيات  
البحث العلمي الجاد . وعلى العكس من الدكتور شوقي ضيف فان د . مينال عاصي  
يرى أن في شعر ابن خفاجة ، وأن لم يأت بجديد من حيث الاسلوب التمبري

(١) - تاريخ الادب العربي . للنزيات : ٣٣٩ - ابن خفاجة : ٥٧

(٢) - ابن زيدون عصره وحياته وأدبه : ٥١٦ - دراسات في الشعر الاندلسي .  
١٦٣ - الادب الاندلسي موضوعاته  
وقد - زاه : ٢٦٥

(٣) - مجلة المجمع العلمي ، ج ٢١ : ٣٩٤  
تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والحرابيين : ٢٠٤

(٤) - ابن خفاجة الاندلسي ، احمد الاسكندري مجلة المجمع العلمي ، ج ٢١ : ٧٢٦  
حياة وآثار الشاعر الاندلسي ابن خفاجة : ٥٤

(٥) - الفن ومذاقه في الشعر العربي : ٤٤٥

نزوعاً خاصاً إلى الإحساس بالدبيعة الاندلسية في مختلف وجوه سحرها وجمالها .  
ما يكسبه نكهة اندلسية يسهن فيها نهر من أصالة ، وملاح من جدة في هذا  
الباب لا تنكر .<sup>(١)</sup> وإذا فهذا بمنزلة ما قيل عن ابن خفاجة في مجال اختصاصه  
وصف الدبيعة ، وعن مآثره ومقدار مساهمته في بناء شجر الدبيعة في أدبنا العربي  
ولكن هل تصدق عليه تلك الأقوال والألقاب والندوت ذلك ما سنتبينه نفيًا أو  
اثباتًا ، بدءاً من الفهرست الآتسي الذي نلج فيه روضيات ابن خفاجة محاولين الاستمتاع  
معه بمنظرهما البهيج وجوهرهما البديع .

---

(١) - الشجر والبيعة في الاندلس : ٩٤ - ٩٥ .



## الفصل الثاني

### في الرونميات

لقد علمنا مسبقاً أن شاعرنا ولد ونشأ وترعرع ، وقضى أغلب سني عمره في جزيرة شقرا تلك البتة الرائعة ، ذات الانهار والينابيع واليساتين ، وعرفنا أيضاً أنه كان حطت بهيها ضياعاً ورشهاً من أهلها ، وعكف على شذوحتها والاهتمام بهامدة حياتها ، فكان ولا بد ، وهو الانسان الحساس الذواق ، من أن تتأكد بينه وبين طبيعتها الفنا وأصغر حب نام ، متأسور تسمير الطبيعة في اللذات جزاءً من ديانته وقناعة من نفسه ، بصورها مزوجة بنزعاته ، وأحاسيسه الدفينة ، ويستند عليهم في تلقائية وانسجامه ، مشاعره ورواه وتصوراته للذوق والانسان والسبابة ولا يبدو اعجاب الشاعر بالجمال الطبيعي وبالتناسق الرائع ، والوحدة المتناظرة بين عناصره في شي مما صور الشاعر أكثر مما يبدو في رونمياته التي قال عنها غارثية غومث إنها " لتفسيح من عند وجود جمال ، وأنه ليس صورها في فن متمول ، عاقل بالمعاني فتبدو وكأنها شاهد من عالم النبال أو مجالس الأوتار تدور فيها الأوتار " (١) . والعميقة انها كذلك ، فهي عامرة بالمشاهد الحافلة بالصور الطبيعية التي عرفها الشاعر كيف يعطها ، بما أسبغها عليها من ظلال وألوان وأصوات ، وبما نفخه فيها من حياة وحركة ، فجاءت رائعة متممة .

فالرون وقد روتها الخطامة ، وفتحت لكافهم أزهاره ، وطلح عليه الصبح . فكشفت عن رونته ومهاثه ، يفتن الشاعر ، ويغربه اليه ، فيمتع نظره بحاسنه ، وبصور جماله تسمى را يفهم حركة ويحتل حياة ، موافقاً في ذلك ثقافته الشعرية ، وتاكسا مشاعره الدفينة :

وكمامة حدر السباح قناعهم	عن صفحة تنن من الأزهار
في أباح رصمت شهور أقاميه	أخافت كل غمامة يد رار
نثرت بحجر الرور فيه يد الصبا	درر الندى وراهم التوار
وقد ارتدت غصن النقا وتلذدت	حلي السبا بسواك الأنهار

(١) الشعر الاندلسي : ٥٠

فَحَلَلْتُ حَيْثُ الْمَاءُ سَفْعَةً نَحَابِ	بَجْدَانٍ رَحِبَتْ الشَّلْبُ بِدُمَيْتَارٍ
وَالرَّيْحُ تَنْفُضُ بَحْرَةَ لِحْمِ الرُّشَا	وَالتَّلْبُ يَنْضَعُ أَوْجَهُ الْأَشْبَارِ
مَنْتَسَمِ الْأَلْعَالِ بَيْنَ مَحَاسِنِ	مَنْ رَدَفَ رَابِيَةً وَخَمْرَ تَرَارِ
وَأَرَاكَةَ سَجَجِ الْمَهْدِيلِ بِفِرْعَانَ	وَالصَّبِيَّ يَسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
بَزَّتْ لَهُ أَعْمَالُهَا وَلِرِمْسَانِ	خَلِمَتْ عَلَيْهِ مَلَاةُ النَّسْوَارِ (١) .

وهو من شعره مع الشاعر بالفرعة التي تطلُّ جنات الطبيعة اثر نزول الصلح ، كما  
نحو بالحياة والسرقة تتحدث في عناصرها ، فالزهرة يفتح ، والاغصان تورق وتزهو ، والماء  
يتدفق ، والرياح والرياء تكسي بالخضرة ، وتزدان بالزهور ، انه مشهد الطبيعة في كامل  
الربيع ووجه الراح البصيل ، كما نحن بفرحة الشاعر وانفتاح قلبه للحياة في جو الطبيعة  
القاتنة ، وهي استراحة عدت به الى الافصاح عما في أعماقه من أحاسير ومشاعر تجسدها  
المرأة وفجاء بهاني ضربة المارة ، فالانحيا يرضع بشنوره أغلات الغطامة ، وللانهمسار  
سؤاله ، كما أن للشك عذرا ، وللرابية ردفا ، وللقرار خمر ، والشجرة تارب لنا ، والبحر  
فتنهزله عافها ، وتغفل عليه ردا . . . وهي صفات ووسائل تخن المرأة ، وتحدث بها  
ولكن الشاعر لمعها على الأبهة ووسمها بها - على سبيل التشبيه والاستمارة ، لمسما  
أوجد في منبته ، وعالمه النفسي من علاقة بين المرأة والطبيعة .

سور حال الرون ، وقد غمره الغمام ، وسب عليه من شأبيه ، وعركت الريح شجره  
وأمال به ، ونثرت نواره زعمه ، وفنت أباياه بشرا وعيورا ، تصورا حيا مشغما بقوله:

ومجرّ ذيل غمامة ليست به	وشح الحيا بيمها لب الآنهار
خفقت ظلل الأيت فيه ذواثها	وارتج رد فامك الشّيار
لون التنيب هبات بيهد أتلما	قد تملته ماسم النسوار
باكرت والشميم قاحمة عنسبر	مشوية والبرق لفحة نسار
والريح تديلم فيه أرداف الرشا	لمبها وتلثم أوجه الأزهار

(١) الديوان : ٣٢٦

\* لعم الرها : ح لمة : ما يكسوها من نبات وشجر .

ومناظر الأشرار قد قامت بهما غالباً مفصحة من الأليار (١)

انه لروفي هي ، تخمر الفرعة عناصره ، ويحم السرور كل جهاته ، تهتز أشجاره ، وتتفتق  
أزهاره وتغني أطياره ، محبرة عن فرقتها بقدر المار ونزول الغيث ، وأن الشاعر غلب  
فرقة على اللبحة ، وأسبح عليهم ما في أعماقه من مشاعر واناسيس ، فبدأ المشهد بصيغ  
موجها ، وهذا عدداً في التن من صور تلك تنازل بشعور ابن مفاجأة الحسي تجاه المرأة  
فقد ازدحم الذن بط له علاقة بهما من صفات وأشياء ، فذكر الذيل ، والوشى ، والردف المرتق  
والجهد الاتع ، والتقبيل ، والمباسم ، ولثم الأوجه ، . . . في سياق الاستمارة ، يفصح  
بأنه عن المكانة التي تحتلها المرأة في عالم ابن عناجة الشعوري .

وتفتق الالبحة الشاعر في شتى مواضعها ، وتأخذ بلبه ، وقد التفتت بالغمم  
وتسائلت قارات الندى على شجرها وزمرها ، فتلاأت تمت ضياء الشمس بعد انقشاع  
الضباب ، فيزداد الرزق يذلت نباء ، وهو يقول يلبث الشاعر فيه أن ينادي بالشمس  
ولننه لا يفت عند هذا الحد ، فهي عنده عن سر مكل ليرالا ، وعوفي ذلك كله لا ينسى  
أن يبت الالبحة مواجده ، وأن يحرب من خيالهما عما تتوق اليه نفسه :

ومجر ذيل غمامة قد نمنمت*	وشي الرين به يد الانموا
ألتيت أرحلتها نبت بقملة	مضروية من سرمة غينملاء
وتسنت لرب العين بين رباوة	ممنيرة وقرارة زرقملاء
وشربتها عذراء تحسب أنهمملاء	معضورة من وبنقي عذراء
جمراء صافية تأير بنفسملاء	وغنائمها وخلاقي الندملاء (٢)

ويتنزل ، ويمتساقه الذي يناوله نأمر الدهر ، ولننه لا يشرب منها الا بالقيدر  
الذي لا ينسبه نفسه ، ويشغله عن تظي المنظر الابيحي الذي يهتله به ، ويضممه  
بضياقه ويمتعه بجماله وروعته :

(١) الديوان : ٣٤

(٢) نفسه : ٢٥٠ \* نمنمت : زركشت

سقاها وقد لاح الهيدل عشيبة	كما عوق في دغ الكمي سينان
عقاراً نطها الكرم فمهي أريمة	ولم تزن باين المزن* فمهي حمان
وتد بال من جرون الغمامة أدهم	له البرق سوك والشمال عينان
وضمخ رذع* الشجر من شجر هديتة	عليه من الليل السقيط* بمكان
ونمت بأسرار الربا عن مهالمة	لها النور شجر والنسيم لسنان (١)

ويحلوه عقد مجلس أنسه في يوم الأجمعة الفاتن ، وقت تساقط الابل ، واختلاف الليل  
الغمام بنميا الشمس ، وتنبه الروض ، وقد هب النسيم ، فتعركت السواكن ، وتمايرت الاقوا  
بأرى زهر الروض ونواره :

ندبي النسيم وما أرن وأعطرا	وهفا القضمب وما أغض وأنضرا
فرففتها بكرا ان أقبلتها	ألت على ويهي تناعا أحمر
ورفلت بين تمهين غيم هلمل	ورداء شمس قد تمزى أمفرا
والريج تدمن من رذان لولوا	رأيا وتفتق من غمام عنسرا (٢)

وكثيرا ما يجذب الشاعر الى الطبيعة ، في يوصفها الحامر بالبركة والنميا ، حيث الابل  
الوارفة ، والماء الساع ، والأزهار الزاهية الالوان ، فيستسلم لمنظرها الرائع ، ويمتدح حسنه  
من عناصر المتنوعة ، ويبرز نأره عليه المنظر الاغواب والاعتمام ، ويبرز ما اشتعلت عليه  
من حسن وسها ، مسوراها ما تصور ما بالبركة والعبادة وذلك كما في قوله :

وأراة شريت سما فوقنا	تندى وأفدت اللو وير تدار
عقت بد وحتمها ميرة بيد ولي	نشرت عليه نجومها الارضار
فأنها وأن بيدول ماعها	مسنا شد بدقشر ازنكار
رف الزجاج بهامرو ومدامة	شجلى ونوار الشمسون نشار

(١) الديوان : ٢٣٥ \* العزن : ج مؤنة : السحاب عامة أو ذ والماء منه .  
(٢) نفسه : ١٣٩ \* ضمخ : لطخ . رذع الشمس : شعاعها الاضفر .  
المان : الغضة ، نص : أذاع وحدت .

في روضة جنتي الدُّبِينِ طَلَبُهَا  
غذاء ينشرُ وشبهه الجَزَّازُ لِي  
نام الضبابُ بها وقد نضح الندى  
والماء في حَلِي السَّابِ مَقْلُد  
وتجسّمت نورا بها الأَنْسَارُ  
فيها ويفتق مسكه المصطَلِار  
وجه الثرى واستيقظ النُّسَّار  
زرت عليه جيوبها الأشجَّار (١)

وقد أفصح هذا الوصف عن ذوق الشاعر الرفيع ، ودل على ثقافته واسقالاته الشعرية الدقيقة ولكن مغزونه الشعوري لا يظهر في هذه القلعة كما يظهر في صورتها المعدلة التي أهرزت بشكل واضح أحاسيس الشاعر ، وعكست ما تذكرون عليه جوانحه من حب حسي للمرأة ، وبإمام شديد بها . ما جعل صفاتها تسيل على نفسية الشاعر ، وتنمط عليه فيأبى إلا أن يهوى بها من خلال الأبيحة في ملاحرها المتنوعة :

وعقلية النُّوار تلوي عاقفها  
عالمين بها الصهباء أحوى أحوى  
والنُّور عتد والشمس سواالف  
بديقة مثل اللس \* فلا بها  
رقن القنبيب بها وقد شرب الثرى  
غذاء الشفء عاقفها الرزن النمد  
فقالست في كل موطن له نظرة  
ربح تلت فروعها معداار  
سحاب أنيال النيبا سخار  
والجزع زند والتلج سوار  
وتجسمت نورا بها الأَنْسَار  
وشدا السمام وعقن التيمار  
والتف في جنباتها النُّسَّار  
من كل غصن عفة وعذار (٢)

فلا عبات والأنيال ، والعقد والسوالف ، والزند والسوار ، واللس ، والشفة والندار ، أمورتش المرأة وتتلعن بها ، وتتصل اتصالا وثيقة بموسم الخزل ، ولأن الشاعر اتقا عليها في وصفه ، ويجعل منها ممدرا لتشبيهاته المختلفة واستماراته المتنوعة ما يدل على أنه كان يفتخر إلى الأبيحة من خلال المرأة ، وفيها بهفاتها ، ويسمها بسماها من دون أن يستشعر أن هن في ذلك .

(١) الديوان : ٣٥١ \* الجزاز : بائع الشباب ، احوى : من السوى : سمة الشفة  
أحوى : من السور : وهو شدة سواد القلعة في شدة  
بهاضها في شدة بهاض الجسد ، الجزع : مضاف الوادي  
اللس : سمة في الشفة تستحسن .

(٢) الديوان : ٢٨١

وقد يتسلق الشاعر بالليبية ، ويؤلف بها فيها من ألوان وضياء ، ويحس لها في ألوانها من  
من عرقة وسياة فيصور ذلك كله ، ويضيف الى تمتته بهذا الجمال اللبيني متممة أشقرا  
مكلمة ، متممة الضم ، التي تناسل لونها ويريقها مع ألوان الليبية ويريقها :

ويوم يهز من برقة أشقرا	يدلرأ من مزنة أشقرا
تري الارض فيه وقد فضضت	ووجه السطاه وقد نثبت
وقد ألمح الروض من أيكبية	سما ومن زهرة كوكبية
وليرزأ ثوابه فخر الغصون	ورمح تيجان علم الرضا
وقد قبل الماء من المسيدام	فأضحت ثغرا لها أشنبا
وشب المزاج بها جسميرة	تكد بها الناس أن تطهبا (١)

وعو وشفا عام بالضياء والألوان ، مليء بالعرقة والحياة . وتكثر مجالس الرجل فسي  
أحضان الليبية وتتعدد ، وتحلوه الخلوة في أجوائها ، ولطيب له المقام بين أشجارها  
وأزهارها ، ورنه أليارها فيحس بها إحساسا واعيا ، ويتف على أسرارها ، فيترجم  
إحساسه في شعره يسور علاته بها ، كما يبلي العلامه العسمة التي تربط عناصرها  
فالماء يهني ويحرب ، والنمن يستمع اليه فيثنى نشوة ولربا ، والذولة تهتز له أيضا  
والرعد يرتجز ويهني ، وراحة البرق تكتب ، لقد عمت الفرحة الكون ، وارتبطت عناصره  
برباط ودي وشي ، وتلت هي الليبية من داخلها وخارجها ، حركة وانسجام ، وتناسق  
وبطال ، وما كان الشاعر ليحس بهذا الانسجام لو أنه لم يكن محبا لليبية ، ها هنا بها  
لا يجد راحة الا في عشنها ، ولا يغلد الا الى خير ما فيها ، ورفقة طيرها ، ولطيب روضها :

وقد هز من مألقي نديم وغولبة	رتمن حمام أو غلام بطيرب
ومين بأنداء الغمام ففضضت	وذبل عليه للمشي مذعيب
وقد جال من ناس السلافة أشقرا	بهايقه من جدول الماء أشقرا
بروض نازن القيصن يزهي فيثنيني	به ولأن الكبريستق فهاكرب

(١) الدهوان : ٢٩٨ - الأشنب : من الشنب : أي في ثنره بها طيريق .

قد ارتجز الرعد المُرِنُ بأفقهه      فأطلى وبجالتراحة البرق تكشيب  
 نأَنَّ لسان البرق فيه عشيَّةً      لواء خضيب أورداءُ مذَهَّاب (١)

وهذه الظاهرة ، ان تسهير الشاعر للطبيعة من حيث علاقته بها ، أو علاقة عناصرها  
 ببعضها ببعض تتكرر في شعره مما يؤكد صلة الشاعر الوثيقة بالطبيعة ، واعساسه الذي بها .  
 وقد بذل الشاعر في وصفه للطبيعة من ذاته ، فيقد على المنظر الطبيعي ، فيتلقى  
 جوانبه ، وينزل الى التلويح في أنسيابه وخريره وسفائه ، فيرى فيه ذاته ، ويخلق طبيعته  
 صفاته وأحواله ، منسبا ذلك عن نفسه ، ما هو ارتباطها من آلام وأحزان ، ويرتبطها من تلك  
 واضطراب :

أستمخ من سبع أوزق صاوح      ومرتخ في شط أوزق سائسوخ  
 يسزل في عيني صفاء سريرة      وبمري دوع واضراب جوانسوخ (٢)

يصف الروي وصف حسي ، يعنى فيها الألوان والاشكال ، ويوظف ثقافته ومساكنات  
 تصوير مثله ، ويهيمت العبرة في جملته مستود ما عنبر التشخيص فيقول :

وروضة القدة جبينها      غناء مخضرة جناها  
 ينجاب عن نورها كصيام      تنحل عن وجهه نقابها  
 بات بها أميس الاقاهيبي      يرشف من طليهارضابها  
 ومن غفوق البروق فيهبها      ألوية حمرت غضابها  
 كأنها أنمسل وواد      تحاصر وتطر العيا حسابها (٣)

ولم يكن الداهية تستهويه منمورة بضيا النهار غضب هل استهوته أيضا في الليل  
 حيث السميت والهدوء ، وضوء القمر ، وتلالو النجوم ، فيجاناب فرسه الصنان ، فهخفت من  
 سرعته ، ويمكنه من تطل البطل الداهي في صورته النلية ، ويقتل بين المشاهد المغتلفة

(١) الديوان : ٣٠١

(٢) نفسه : ٢٩١

(٣) نفسه : ٣٣٤





لا تفتنوا بعد هذا أن تدخلوا سقرا فليمر تدخل بعد الجنة النار (١)

فلا ندلس الجنة الخلد ، وقد كثرت غيراتها ، ونديت لآلهها ، وتأرجح جودها ، وتد فقست  
مها لها ، وابن عفاجية من شدة إعجابها بها ، وعق حبه لها بفنيلها على غيرهما ، ويتسور  
أهلها الذين ينعمون بالحشر في ظلالها يتكلمون بجنة ، لا يبرحونها إلى نار .

ولئن كان الشاعر محبا لولنه النبير ، الا ندلس ، وتوالتا إلى رباغته ، وجناته ، فأنه  
لولنه النسخير ، شقر ، أحب ، وبه أعلق ، فهو سقلا رأسه ، ومسح لفولته ، ووعا ذكرياته  
بها فيها من أفران ومسرات ، وآلام واحزان ، امتزجت أنفاسه بنسائه ، ودماؤه بتنتنه  
وعرقه بثره ، فصارت شقر باشجارها ، ورباغتها وبها لها وأنها رعا ووديانها جزا من كيان  
الشاعر ، وتلحمة من نفسه ، وليقاروده في يتنطته ومثاله ، ان دذا الحب ، وذات التعلق  
هما أرضية شمره في السنين إلى وانه وإلى مخانيه ، وذكرياته في احضانه .

وابن عفاجية وسوا الذين ان الرله بأرضه ، الماشن لمساته وضماه ، يرى أن الكل  
يحب هذه الارض ، ويحب جذب اليها ويتملى بها ، حتى فرسه ، يشهد به الذين إلى شقير  
فيخاف على السرى ، ويسارع في الوصول إلى تلك الارض الكريمة ، والمرتبج العجيب ، حيث  
الماء السائغ ، والنسيم العليل ، والاباطح المغامرة ، والبساتين الهانفة ، وسجسج  
السمائم ، وغنا الأليار ، ان المنظر الذي ما ان يقارب منه الشاعر حتى يحس بسحره ،  
ويفتتن بروعته ، وهم يتز من أعماقه مبراعن فرعته ، وارتياحه واندماجه في جوال أبيجسة  
الفتان :

وعن إلى شقر فتمتلئ السرى	يخوض خليجا أو يجوب كثيبا
يروم بها أرضا علي تريمسنة	ومرتبعا فيها التي حبيبيا
ونهر كما ابيض المثل سلسلا	ويجزعا كما اخضر المذار خشيبا

(١) الديوان : ٣٦٤ ، نغص الريب : ١ : ٦٨١

(٢) نفسه : ١٣٦

وربّ نسيم مرّ يغلر على المرا  
وجدث به من ذلت الماء بلسة  
فما كان إلا أن دأفت حمامة  
وتد قلد التوار بعد الرسوة  
وأفصحت الورقاء في كل ظلمة  
ولان على عهد السلو تفتنبا  
دعا بشروب الدمي والدار غربة  
رتيق الحواشي لا يحسن تبيبا  
ومن نور عاتيك الاباح طيببا  
وساعدت شوتي فاهتززت قسيبا  
عنات ونحرا للفضا رحيببا  
نشيد او قد ربّ النسيم نسيبا  
يهيح اطرابي فناد نحيبا  
فلأرالا داعيا ومجيبا (١)

ولم تنزل ذكريات الشباب على مسرح الطبيعة تنردد أصداؤها في شمره ، وتلاصقه  
في شهباء وندته ، تذكره بأيام صبوته ، وساعات أنسه بين خلاله وأترابه الذي  
اختافت الضية بعضهم ، ونأت ببعضهم الأسفار ، انها لأيام عذبة ، لم تفارق  
حلاوتها قلب الشاعر ، ولم ينسه كز الزمان ، ولاتوالي الاسقام ، سعادته الفامرة  
التي نعم بها في ذال الشباب الفاضل وظلال الطبيعة الورافة ، فهو لم يزل يولج  
بظلال الطبيعة وغدرانها ، ونفوسه في روياني وغرير المياه ، واهتزاز الشجر ، وغنا  
الباير ، يصور ذلك كله مضمنا في لواعج قلبه وأهر أشواقه .

وَإِنِّي وَإِنْ جِئْتُ الْمَشِيئَ لَمَوْلَعٍ  
فَمَا حَبَّذَا مَا \* بِمَنْعَرَجِ اللَّيْثِ  
وَنَفْحَةِ رِيحِ اللَّيْسِ نَرْكِيئَةً  
وَمَسْحَةِ طَرْفِ الْعَيْنِ مِنْ سِنَّةِ الْكُرَى  
وَقَدْ لَاحَ وَجْهُ الصَّبِيِّ يَنْدُنُ كَأَنَّهُ  
وَقَدْ مَهَّوَجَهُ الثُّرَيَّا كَأَنَّه

بَطْرَّةٌ ظَلَّ فَوْقَ وَجْهِ غَدِيرِ  
وَمَا دَمَتْزَ مِنْ أَيْتٍ عَلَيْهِ مَطِيرِ  
وَلَمَحَتْ وَجْهَ الشَّبَابِ نَضِيرِ  
لِرَجْعِ خَرِيرِ أَوْ لَسَجِ هَدِيرِ  
وَرَاءَ تَفَاعِ اللَّيْلِ وَجْهَ بَشِيرِ  
بِالْمَلِيحَةِ جِهْرًا أَوْ لِرَاءَ أَمِيرِ (١)

وهو يدعو لارضع بالسقيا ، ويصفها بما يناسبها من نعوت تدل على حقيقتها وفضلها فيقول :

فَسَقِيَا لَأَرْضِ الْفَتْنِ فَإِنَّهَا  
وَإِنْ أَكُّ فَارَقَتْهَا جِنَّةُ الْكَلْبِ (٢)

وهو أسلوب معروف في شعرنا العربي ، كما أن استعماله لأسماء الأماكن النجدية والسجارية على سبيل الرمز في مجال البين بالواجد ، والتصيير عما يتنامر النفس من خلد بما توشواك ، ونهج مسلكه الشريب الرضي ، ومهيار الديلمي من قبله ؛ ولكن الشاعر صبغها بصفته ، وأبعدها بلابحه الخاص .

ذلك هو الوان ، وتلك هي طبيعته الفناء ، برياضها العذرة ، وازهارها المتفتحة الزاهية واشجارها المتهدلة ، وفصونها الطائفة ، جذبت الشاعر اليها شأبا ، فسكن اليها ، وأنس بها ، وارتبط بها قلبه ، وتجاوت معها جوارحه ، وصر الزمان سريحا ، وتطور الدهياء ، ووهو ول الشباب الى الشباب ، وينتقل الشاعر من حياة الى حياة ، ومن طور الى طور ، ولكن تبقى حياة الصبا ، وائل الشباب ، يماضي تلك الحياة ، وهذا الظلم من افراح ومسرات ، مرتبطة بالطبيعة ، متعلقة بها ، عالقة بذاكرة الشاعر لا ترحلها ، بل ذكرها في حرارة وبأسف الحميم ، ويتأوه لفراقها ؛

(١) الديباجان : ١٨١

(٢) نفسه : ٣٤٨

بين شجر وملتقى نهريها  
 ويغني الماء في شاكلتها  
 مبهمة أنما لم يهتدى بها  
 لمبت بالمتول الا قليلا  
 فاذمينا مع الغضون غصونا  
 ثم ولت نائها لم تكذب تليث  
 فاندب المرج فالنهمسة فالشط  
 آه من غربة ترقق بشا  
 آه من فرقة بغير تلاق  
 لست أدري ومد مع الزمن رطب  
 فتوالي يا عين نيات عليها  
 وشباب قد فات الاتاسيه  
 ما لعيني تبكي عليها وتلبي

حيث ألتق بنا الأمانى عاصها  
 يستحق الثمن فقلت حباها  
 وارثها الذي كراهها  
 بين تأويها وبين سراها  
 مرها في بلأحها وراها  
 إلا عشية أوضعاها  
 وتل آه يا معبد واها  
 آه من رعدة تطول نواها  
 آه من دار لا يجيب صداها  
 أمكاهما صباة أم ستاهما ؟  
 من صباة إن كان يغني بهاها  
 ونفسي لم يهتدى إلا شجاها  
 يتمنى سوادها لو فداها ( ١ )

هذا المد للأماكن التي تان يرتادها ومسجبه ، وهذه الأسماء القتالية ، المعاصرة من  
 سوادها قلبه ، ثم هذا الجاء على نواق الصليب ، وذاك الالم المصن ، ألم الغربة والوحشة التي  
 يمشيها في أعطاه ، تدل على إحساسه بالسياسة ، وملكته الحيرة بالطبيعة التي ترعرع ونشأ واكتهل  
 وشاع في كنفها وأجوائها النديفة الساهرة .

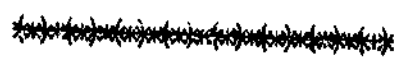
( ١ ) الديوان : ٢٦٤ - ٢٦٥

النهي : جمع نهيية : العتل ، حباها ، جمع : حبوة ؛ الثوب الذي يحتبى به .  
 السن والنهمسة والشكل : أسماء أمكنة . شجا النفس : همها وعزتها .

ومع هذا ، فإن نظرة ابن خفاجة إلى روضياته تنقل نظرة عامة ، يبهه المنظر العام ، وتشغله  
لمسورة التلبيذ ، وفي سورها - غالبا - طاهي في عمومها ، وتصيرا جميلا ، وقد يتلوى فيها إلى ذكر  
الجزعيات ملتفيا بصورها العامة أيها ، ونادرا ما يلجأ إلى التفصيل والتليل . ويقتضى تصويره لها  
تصويرا حسيا في جملته ، ولكنه تصوير ملي بالحركة والحياة ، فقد شخص عناصر الطبيعة ، فحرك  
البرق ، وأطلق الصوامت ، فانبثت الحياة في روضياته ، وطلأت الحركة رباعيا ، وما جعلها  
أقرب إلى الواقع المصور منها إلى النسيج الشعري المجرد ، وإن القارئ ليحس وهو يقرأ لابن  
خفاجة كأنه يلمس شقرا نقلت إليه ، وفيه نثار يسمع ، ويشم ويتذوق ، وفيشارت الشاعر استمتاعه  
بالحياة في جو طبيعته الفائقة . ولكن لا يعني هذا أن ابن خفاجة لم يكن إلا مصورا " آليا " ينقل  
المصور كما هي في الواقع بأمانة دون احساس أو تشاعر أو مشاركة ، بل إن استعراض النصوص السابقة  
وغيرها يخبر عن إعجاب الشاعر بالطبيعة ، واحساسه العميق بها في مظاهرها المختلفة ، فقد  
نابها ، وراحت في السماء ، وشها آلاءه وأسراره ، وأسنن طيورها مشاعره ، وصرير برساتها من كنبون  
نفسه ، وتياريح هواه ، وفيما تصويرها مزوجا بحواطفه الانسانية ، مثلونا بتصوراته وأفكاره ، الشيء  
الذي يجعلها تدتسي لديه بجزء من الإنسانية يحس بها قارئ شعره .

ثم إن روضياته انتمزت في بعض الأحيان بالعمق ، ولكن يلحظ أنها لم تستول على وهي الشاعر  
ولم تشغله عن المشهد الطبيعي استمتاعا وتصويرا ، فليست الشعر إلا وسيلة كمال ولا غاية تتصد  
لذاتها ، فتسفر الطبيعة لها ، وتغيب بروعة مشاهد ما تحت بريقها ، فالطبيعة في مشاهد  
المختلفة هي مقصد الشاعر وغايته ، وأما الشعر فتأكل خادما مساعدا لها ليس إلا .

إن فتنة الشاعر بالرياض شديدة ، ولئن فتته بالمناظر البيئية التي تشتمل عليها تلك  
الرياض شديدة كذلك ، فهو دائما ينظر إلى الطبيعة كآل منس في الرياض ونظر إليها ، ضمن الصورة  
التلية ، أو على انفراد ، وهو أمر سننصيه في الفصل التالي .



### الفصل الثالث

في

### الشجر والشمر والزهر

(١)

\* الشجر :

لقد كانت رؤيات الشاعر لوحات جميلة تضم عناصر طبيعية عديدة رسمها الشاعر ببراعة فائقة ، وكان المتنصر الأكثر بروزا وإشعاعا في هذه الرؤيات دون المتنصر الشجرة ، فقد كان ابن خفاجة ، والشاعر الجنان ، اللصيق بارضه ، محبا للشجرة ، أما كانت تلك الشجرة ، يهبطون اليها الغدي ، ويحتضنونه بمنظرها ، في اغصانها وإزهارها (١) وإثمارها ، يحمر باسماها وقد لاستها ربح المصبا ، وأحاريتها الأليار فيهمتر لا هتزازها ، ويضطرب لها ريسها ، وهو تجاوب أدى به الى الانزيمها وملتارحتها الشاعر والاحاسير . والشاعر في وصفه لا يستغرق ما عرفته شمس وما عولها من نواحي شرق الأندلس . من أشجار ونباتات سهلين وبهيلية ، ولكنه يذكر بعضها باسمائها بالأرات ، والآس ، والبان ، والتاريخ ، والرند ، والدقلى ، والريحان ، والغبير ، والسدر والبشام والسلم ، ويذكر غيرها باسماء جامعة لأنواع من الشجر كالأيك والسنج والدالج ، والدون وغيرها أو يذكرها ذكرا عما تحت اسم شجرة أو أشجار .

\* الأرات :

يرد ذكر الأرات في شعرا من حاجة ضمن اغراض أخرى ، كالوصف العام ، والفزل والمدح والتمني ، ولا يأتي مفردا ، مقسودا لذاته ، وتدل كثرة ذكره على أنه ربما كان موجودا بلسيات وشجرة في رديان شقر وسهلها وجبالها .



وهم تمتعها يشربون الراح ويدبرون الذوق وير في نشوة غامرة . ثم لا ينسى الشاعر ان يسقط  
عليها رغباته العسية ، فيرى فيها وقد اعدت بها النهر حسنا قد شد حصرها بزوار :

وأراكة شربت سماً فرتنا	تندس وأقلام الذوق وترتداز
حقت بد وحتها مبررة جسد ول	نشرت عليه نجومها الأزمجار
فكأنها وكان جود ما فيها	حسناً شد بختها زنتار
زف الزبجاج بها عروس مدامة	تجلى ووار الغصون نثار (١)

وأراكة الشاعر تمس وتتفاعل مع ما حولها من كائنات ، فهي تلرب لسجع الطائر ، فتهمز  
له اعدائها ، وتمرب عن فرعها بأن تنثر عليه نوارها :

وأراكة سجع الهدى بفرعها	والصبح يسفر عن جبين نهار
هدرت له اعدائها رنما	مكثت عليه ملاة النثار (٢)

ان حب الشاعر لهذه الشجرة عظيم ، ولا أدل على هذا الحب من ذكره الكثير لها  
وحينه البها في نعمة عارفة عذبة :

قله ما شجن السامة غدوة	دنياك وما أندی الأراك طلالا (٣)
ولكونها أول ما يسترضي اهتمامه ، ويجذب قلبه ، ويهز مشاعره ، فهي أول ما يفتنسه	

سلما :

قلوبت أعنان الحلبي مبرجسا	ونزلت أعتنق الأراك سلما (٤)
والمكان الموشح بالأراك هو اول مكان يزور	
فانبت فعمل الدنان وقد لمضى	فانما ينساب انسيا بالارقم
في خمر غور* بالأراك موشح	أوراس طرد بالانعام معمم (٥)

- (١) الديوان : ٣٥١
- (٢) نفسه : ٣٣٦
- (٣) نفسه : ١٢٥
- (٤) نفسه : ٢٨٢
- (٥) نفسه : ٢٤٤

\* الفور : ما انحف من الأرض .



\* البیان \*

لا نجد للبیان ذكرا كثيرا في شعر ابن خناجة ، فطلق الرغم من ان هذا النوع من الشعر قد هام به الشعراء ، فشبها به في ليوثته واستوائه ، وقد المحبوبة وقامت بها ، واكثروا من ذلك لا يذكره الشاعر الا عرضا وفي ثلاثة مواضع ، اولها في سياق رسالة شعرية بعث بها الى الاستاذ ابي محمد بن السيد المظليوسي ، يعطها بشيء يعطها عنه اليه رسول من الطبيعة فيقول :

نهل ترد الاستاذ عني تحية      تسير كما عاطي الزجاجة ندان  
تهنئ اليها : الدمن شجرة      ويثني اليها من مما لفته البان  
تعطها      غير بنفسح      تحمله حمل الشربة سوسيان ( ١ )

وترد عنده ثانية في سبار ، حيث بعث مبهمة في اهتزازه وتشبه بها ، على طريقة عبد المحسن الصوري فيقول

يابانة ت      ننة  
لله اع      من غرولة  
وروضة تنفع معطبارا      وحيد انورك نورا ( ٢ )

ويذكره في الرمال الطال ، عرض وسانك نال ، والتمدون اليها بالشباب ، في تمهيد خالط بهامديته وأميره أ ، في بن أمير المسلمين ، فبصفه بها وبناديه قائلا :  
فيا بان      في بضمح اللوى      أتصفي على شحط النوف فأقول ( ٣ )

وذكره المقتضب للبان ، السريح لها ، دون التوقف عند ما موث المتعاطف المنفصل به عملنا في صدق علاقة الشاعر به ، ثم نذهب الى القول بأن ما قاله الشاعر فيها ليس الا نسجا على منوال سابق ، وحدى لقراءته في شعر الحربي الزاخر بالمجاني التي ضرب الشاعر على وترها في هذا المجال .

\* السرح \*

لقد عني ابن خناجة بالسرح كما عني بالارات ، فقد فتنت السرقة بظلمها ونورها ، فهام بها هي ايضا ، ورسم لها في شعره سرورا مفضة بالعركة والعبادة ، فقد كان يستريح الي ظلمها الندي ويستأيب الشراب تحت فروعها المتهدلة المتشبهة وقد سكرت من غمام السمام ، وثلث بقطر الفمام

- ( ١ ) الديوان : ٦٩
- ( ٢ ) نفسه : ١٢٥
- ( ٣ ) نفسه : ٢٩٣

\* البان : شجر يسمى ويطلق في استواء ، وليس له شبه صلاحية فهو رخو خوار ، وخفيف له ورق اخضر ، ينبت في الهناب .  
\* السرح : شجر عظام اول شجر لا شوك فيه اول شجر طلال .  
\* الدمن : ما غلغ من الارض . الشحط : الهمد .

سُقْمًا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْخَلَا بِسِرْعَةٍ      رَبًّا تَلَاعَبُهَا الرِّيحُ فَتَلَمِبُ  
سَكْرًا يَغْتَبِهَا الْعَطْمُ فَتَنْشِي      طَرِبًا وَيَسْتَبِهَا الْفِطَامُ فَتَشْرِبُ (١)

وهي توحى اليه وقد مدت أعضانها ، وفمرت النهر بظلمها بهمن السور المتقابلسة :

وسرعة شائن ألقى للمها نَهْرٌ      آوَفَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ تَنْقُضْ وَلَمْ تَزِدْ  
كَمَا تَدَانِيَتْ مِنْ نَادِرٍ لَمْ تُشَكِّبْ      ثُمَّ اتَّقَيْتْ فَلَمْ تَصُدِّزْ وَلَمْ تَسِرِدْ  
ذَانَّ أَفْيَا هَا دَلِيهَا حَمِي طَسِكْ      أَغْضَى وَأَعْلَى فَلَمْ يُوعِدْ وَلَمْ يَهْمِدْ (٢)

وهي سور لا بغض ما ظهر سرعتها من اعاسيس عادية ، حزن الشاعر على عدم البسوح بها بطريقة مباشرة ، وهي لا تروقه في ايام الحر ، حيث يهجر الى ظلها فحسب ، بل تروقه ايضا سائلرما ، وقد زادا سقيط الليل بربقا وجمالا :

وَبَاتَ سَقِيطُ اللَّيْلِ يَهْرُبُ سِرْعَةً      تَرْتُّ بَوَادِيَهَا وَيَنْضَعُ أَجْرَعًا (٣)

ولكن اساسه بهلا ينلها كطالها في الابيات التالية ، حيث يبد وتجاوب الشاعر مع الطبيعة واضعا جليا ، فالسرعة لا تهزها الصبا وانما يهزها الشوق الى من تحب ، وهو لا نفسه بها ، بل يارحمها الآلام والأشجان ، وهي أيضا تبادله نفس الاحساس ، فتشكو اليه ، وقد جعلت من المناة ترجمانا لها ، يفهم عنها ، ويفس عن مكنون اسرارها ، ثم يتطور الموقف الشعوري فاذا بالشاعر يندمج في الطبيعة ، ويتحد بها الى درجة لا تستطيع -  
- وقد يكن هو وناحت العظمة ، ان تميز ايها اشد لوعة وامدق حيننا :

وسرعة واد هزها الشوق لا الضبا      وقد سجع المصقور فجرا فهينما  
أَلْفَتْ بِهَا أَشْكَو اليها وتشتكي      وقد ترجم المناة عنها فأفهمما

(١) الديوان : ٢٨٩

(٢) نفسه : ١٨٤

(٣) نفسه : ١٢٨

تَجِرُّ ودَمْعَ المِيعِينِ بِسَجْمٍ وَالتَّنْدِي  
وَقَرَّ بِمِيعِي أَنْ تَجِرَّ وَبِسَجْمَا\*  
وَحَسْبُكَ مِنْ صَبَّابِكِي وَحَمَامَةٍ  
فَلَمْ تَدْرِ حَقًّا أَنَّهُمَا التَّصَّبُ مِنْهُمَا (١)

✽ الأبيات :

لقد كانت الطبيعة شجرة كثيرة الشجر ، متدفقة المياه ، وكثيرة ما كانت الاشجار تلتصق  
على اشفاف نهرها مكونة أهدات وارفة الشلال يومها الناس للراحة والاستجمام ، وقد كان الشاعر  
من قدامها ، فقد ذكر ابن خاتان أنه كانت بصفحة الجزيرة أهنة يانعة ، وكان ابن خنابذة  
ومن بهواه يقعدان لدهبها ، ويرسدان خدودهما أهدبها (٢) . وهذا يعني ان اللايكة  
ارتباطا عضوا بماضي الشاعر السعيد ، وذكرياته اللذيذة ، ومن هنا ندرك تردد ذكر الالهك  
في اوصاف الشاعر ، واصطفاؤها عايسه ومشاعره . فهو يعني بالايكة ، وصفها في يوم  
كبير ، ذي رياح ، ووصفا طيئا بالحركة والسيارة ، افصح من خلاله عما في قرارة نفسه من حسب  
للرأفة كجسد لا كنفرا انسانية ، فالكلمات ، وشي ، معاطف ، ذوايب ، ارتج ، السردف  
التضيق ، الجيد ، قبلته ، ماسم ، كلمات غزلية ، يكثر وجودها في وصف المرأة ، ولكن  
الشاعر يخلصها على الطبيعة ، وكأنها البديل المنقود للمرأة التي لم يسكن اليها ، ولم  
يسعد بها في حياته :

وَمَجْرٍ ذَبَلٍ غَمَامَةٍ لَيْسَتْ بِهِ  
وَشَيِّ الحَبَابِ بِمَعَاظِفِ الأَنْهَارِ  
مَخْفَقَتِ اللُّذُلِ الأَبْيِ فِيهِ ذَوَائِبِ  
وَأَرْتَجَ رَدْفًا مَائِجُ القَيْسَارِ  
وَلَوْ أَنَّ التَّضْيِيبَ هُنَاكَ جَمِيدًا أَتْلَعَا\*  
قَدْ تَبَلَّتْهُ مَاسِمُ النُّسْرِ وَارِ (٣)

انها اغضل مكان تعقد فيه الجالدر ، وأحسن مكان مساعد على الاستمتاع بالعبادة ،  
فهي الام الرووم التي تفسر من تحتها من الندامى بالرعاية والعلف تماما كما ترعى الام  
ابناءها اليتامى ، وهو معنى لا ينفذ ، أوحت به اليه علاقته المتينة بالطبيعة واندماجه

(١) الديوان : ٢٣٦ / سجم الدمع : سال

(٢) الثلاثد : ٢٧٣

(٣) الديوان : ٣٤ / الجيد الاثلج : المعنى الطويل

✽ الايك : واحدة ايكة : وهي جماعة الشجر الطلح الكثير .

الذي في اجرائها :

أَنعِمَ فَقَدْ هَبَّتِ النَّعَامَى \*  
 وَمِلَّ إِلَى أَهْلِكَ بِلِيْلٍ  
 تَهَزَّأَتْهَا الْقَرَفَى  
 لَأَنَّ أُمَّ بِهَا رَوْءَمَا

وَنَهَتْ رِيحَهَا النَّعَامَى  
 تَهْفُوا دَتْرَازًا بِهَا قَدَامَى  
 لَهَا وَأُكْوَسَهَا النَّدَامَى  
 تَحْضُنُ مِنْ شَرِّهَا بِتَامَى (١)

وأبيكة الشاعر ليست شيئاً مستقلاً ، جامداً ، وإنما هي حساسة ، نابضة بالحياة ، تحسرها حولها فتتفاعل معه وتتأثر به :

عَالِدٌ أَخْلَعَتْ النَّدَامَى  
 وَرَقِي الْقُصْنَ وَدَمُورَهُ لَبَّ  
 وَقَدْ تَهَادَى بِهَا نَسِيمٌ  
 فَتَلَّتْ أَفْنَانُهَا نَشَاوِي

وَاسْتَسْنَى لِلْأَبِيكَةِ النَّعَامَا  
 يَقَطِّرُ أَوْ يَلْمِجُ النَّعَامَا  
 حَيْثُ سَلِيمٌ بِهِ سَلَامَا  
 تَشْرِبُ أَكْوَسَهَا قِيَامَا (٢)

وَهَمَّتْ بِفَرِيدٍ هُنَالِكَ أَيْكِينَةٌ \* \* \*  
 دَرَزَتْ لَهُ أَعْمَاقُهَا وَلِرَيْسَا

خَفَاتِمَةٌ لِمَهْتِ رِيحَ عَرَارٍ \*  
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَأَةً النَّشْوَارِ

وهو كما يخلع عليها فرحته واستمتاعه بالحياة ، يستقل عليها مخاوفه وتلقته واضطرابه :  
فما تخفق آهيك غير ربة فاضلع ولا نوق وريقي غير صرخة فادب (٤)

ودنو من فرل احساسه بالذنون ، وبى ثناسته وتكامله ، يرى فى الأبيكة سماً ، وفي زهرها  
كواكب :

وَتَدُ أَلْمَحَ الرَّوْضِ مِنْ أَيْكَةٍ سَمَاً وَمِنْ زَهْرَةٍ كَوَكَبَا (٥)

وكون الأبيكة مسرحاً للحياة الشاعر فى صباه ، ومستودعاً للكثير من ذكرياته ، واضحة رمزا لها ، فما يراها الشاعر حتى يتذكر ماضى زمانه ، وحلاوة شبابه ، فيبكي ذلك كله بكاءً  
مراً :

\* النعاص : ربح الجنوب

(١) الديوان : ٦٩

الصرار : بهار البر

(٢) نفسه : ٧٠

(٣) نفسه : ٢٩١

(٤) نفسه : ٢١٦

(٥) نفسه : ٢٩٨

رَدَدْتُ أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ بِالْأَنْرِ أَيْكَةً ، فَأَذْكَرْتَهَا نَوَى الدَّعَامِ الْحَاسِئِ ( ١ )

.....

مَا أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ فِيهِ أَيْكَةً  
وَسَجِغْتُ أَذْ بِلَوْعَةٍ وَلرُتْمًا

إِلَّا بِكَيْتٍ فَسَالَ وَإِيهَا دَمًا  
صَدَعَ الْعَهَامِ يُجِيبُنِي فَتَعَلَّمَا ( ٢ )

\* البشام :

ومن انواع الشجر التي هام بها الشاعر البشام ، فهو يذكرها إذا هن وتغزل ، ويتسنى  
لوان النسيم ينوب عنه ، فيخرج على واديه ، ويصافح كل فرع من شجرات البشام السهبية  
الى قلبه :

فَلَيْتَ نَسِيمَ الرِّيحِ رَحَقَ أَذْمَعِي  
وعاج على أجزاع واد يدي النضا  
خَالِدٌ دِيَارٍ بِاللَّوَى وَخَيْلِ  
فصافح عني فرع كل بشام ( ٣ )

لقد ارتبط البشام بهياة الشاعر ، بمرعه ومتمته ، فقد كان جزءا من مجالس أنسه في  
صباه ، يأثر به ويستريح اليه ، ولكن ماذا فعل البشام بعد أن فارقه الشاعر ونأى عنه تلك  
المدّة الأولى من الزمن ؟ سؤال يتركه الشاعر دون جواب يجده :

وَدَيْتُ وَمِنْ لُبَانَاتِي لُبَيْتِي  
بِالْمُنَا السَّمِيحِ بِبَلَدِ حَزُونِ \*  
هناك ومن مرضي المدام  
فَيُنْذِرُنَا وَيُخْبِرُنَا الدَّاسِيسَ  
فماذا بعدنا فعل البشام ( ٤ )  
وكان به البشام مراع أنس

وهو بذلك يفسح لخيال السامع والقارىء مجالا واسعا لتصور البشام ، في حالاته  
المختلفة ، بعد أن أتفرت ساحاته ، وفعلت غلاله من مجالس أنس الشاعر ولهوه .

\* النارنج :

حظي النارنج بمناية أكثر من الشاعر ، تدل عليها نسبة الاوصاف التي خصه بها في

( ١ ) الديوان : ٢٢٦

( ٢ ) نفسه : ٢٨٢

( ٣ ) نفسه : ٥٢

( ٤ ) نفسه : ٦٤ / \* - حزوي : اسم موضع

\* البشام : واحدة بشامة : وهو شجر ذو ساق وأفنان شكمية ، أي كزه غير سبطية ،  
وورق صفار أكبر من ورق الصنوبر ، ولا ثمر له ، ونسخته لجن أبيض ، وهو شجر  
يليب الرائحة والطعم ، يستاك بقضبانته .

في حالاته المختلفة في اخضراره وإزهاره ، مما يدل على أن علاقته به كانت وثيقة ، فهو يصفه  
 وصفاً دقيقاً متعمقاً اجزا ٤٠ ، مبخيا عليه مشاعر الانسان وصفاته ، ومضمنا إياه حالاته النفسية  
 الخاصة ، فالنارنجية في إيراقتها تحكي العذار ، كما أنها في إزهارها تنسم عن شئ سيب  
 وهي بشعرها الذهبي الفواح وقد هبت ريح النبا ، فمركت أغصانها ، فلامست أوراقها  
 ثمارها ، تحديقها تارة ، وتبرزها أخرى ، إنما تحكي بفعلها ذات فعل المحبين ، زينة  
 وتلميحاً ، ومنازلة ومداعبة ، ورضن وخفيها ، وهو مشهد وقف الشاعر في رسمه ، حيث السبابة  
 والسمركة في أجزاءه ، متوسلا الى ذلك بهنظر التشخيص الذي يكثر من استغدامه في وصفه :

وحاملة من بنات القسنا  
 تنوب مورقة عن عذار  
 وتندى بها في مهيب النبا  
 تنافح أناسها تبارة  
 فتقسم في عالة عن رضسى

أما ليد تجميل خضر القندب\*  
 وتضج زاهرة عن شئ سيب\*  
 زهرجة أشرت بالذئب  
 ولورا ثنا زلها من كئيب  
 وتندى آونة عن غضيب (١)

وهي في سرقتها ، وقد تلات تارات الندى على أوراقها وشعرها العسرا  
 تفنن الشاعر وتحرك نفسه ، فصفها وصفا يزيد هابرقا  
 ومصاصة تزكيتي وقد نملح القسنا  
 بذو و بهاريق الخماسة فضة  
 ولحانا :  
 عليها حلق حمرا وأردية خضرا  
 ويخمد في أعلافها نعبا نضرا (٢)

وكما أعجب الشاعر بهذه الأشجار ، أعجب بغيرها ، فذكرها هنا وهناك في ديوانه  
 فالرند يفتنه برائحته التي يرب فيها بلسم لملته (٣) ، ولهج بذكر السلم والدليل ففي

(١) الديوان : ٦٨ \* المذب : الأضغان .  
 (٢) نفسه : ٦٩ المذب : ماء ورقة وساخ في الاسنان

عنه وفيه (١) - كما يذكر الصدر والضال في معراج الحديث عن شجاعته ومفاداته (٢)  
 وذكر الأثر (٣) ، ويستعمل في أوصافه للمشهور عامة ، فلهذا في قوله : فالأدراج تروقه  
 بالها ، كما تروقه بزهرها ، ومنها تنجد في عينة بدمرة رأسه ، ونضوح بها لدرجة تنذوب  
 فيها بل السفارات :

على الأنداج والأدواج من حبيب نثر وتور بؤهـ  
 فتارة الدوح كما أزدت وأن الكأردوح يزهر (٤)

ولكن الشاعر إن تارة إلى الشهرة يدل في مقام الأسمان فانه افتتن بأبراسها أبيضها  
 فلما تغنى باسمونها التمدلذ ، الماسة ، هفتانها المهتزة ، المنتشية بنفا الأليار ،  
 وقد مر منها من أوصافه فيها شير ، وهذا الأساس بالفسون بهد وعلو أشده في الأبيات  
 التالية ، حيث يصفها وسفاحيا ، يهوج من نذله بمشاعره الدغينة ، وأحاسيس الماء بجاء  
 السراة :

أقام وعلو أم مقام غسراق فالتغيب بين تماضج وعينان  
 حفاقة ما بين نوح عمامة هتفت ود من غمامة مهـ  
 عبتت بهن بد النمام سحرة فوفقت أعناقاً على أعناق  
 أنسقتي حلق الوقار ورتما أن كرتني بمواقف الحساق  
 ضماً ولثا واستلابة نفحة وغفون أحشا وقبض ملاق (٥)

فهي على العكس منه ، في مفارقتها لأحبابه وخلاته ، تتماضج وتتمانق ، وتنشد السبي  
 بعضها في جوانب الشير .

(١) الديوان : ٤٠٧ ، ١٠٧٠

(٢) نفسه : ١٢٠

(٣) نفسه : ٧٢

(٤) نفسه : ١٣٥ ، ٧٢ ، ١٠١ ، ١٤٠

(٥) نفسه : ١٥٨

\* الرعيان :

والريانة ، أيضا ، هي لدونة فروجها ، واليب عيرها ، وتد لامت النهر ، وتأنمها  
تكن منه على ظمًا ، وهبت الريح فبركت اوراقها وأملت اغصانها ، يفتن الشاعر ، وتسحره  
فبتدب اليها انبذها ما انما ، فهو يلوي علفها ، ومانتها بمرارة ، ويعدل من دوعه  
قلرات تدن يجرطها بها ، ولأن رأى فيها حبيوة أو قربا عزيزا عليه طال به فراقه :

وتصبر في آثابه ريمًا نَسِيًّا      كرعّت على ظمًا بجدول ماء

نفاحة الأنفار إلا أنهبها      هذر التوى خفاقة الآفيا

فلويت مطبقها اعتنا حسبها      فيه بقطر الدمع من أنكاد ( ١ )

واعتماد الشاعر بالشجر وتميزه ، عجب اليه شيئا اخر يتولد منها ، تلك هي الشار التي  
فتن بها أيضا ، ورسم لها في ديوانه صورة متعددة .

---

( ١ ) الديوان : ١٥٤

---

\* ما \* آثابه \* تمود على الليل .



✧ الشمر :

لا يلج الشاعر في وصفه بدل ما عرفته بلاده من شمار ، فهو لا يذخر منها الا القليل ، فقد  
فتن بالزارح في اغصان وفسولا عنها ، كما فتن بالتين والحنب والرمان ، ولئن فتنته بها  
كما سبتنا ، بسيرة حسنة ، لا تتجاوز الأهر ، وحتى تعامله النفسي مع موصوفاتها  
لا تصد أن تكون مادية أبدا ولنبدأ بالزارح :

✧ الزارح :

عن الشاعر الزارح شجرة وثمره يست مقلوبات شميرة ، عني فيها ، عموما ، هو صفت  
الآخرة ، دون أن يفقد التعبير عن لهياته النفسية من خلاله ، فتارة يذخر ال شعره من  
وأتى معتمه ، فيرى فيها كروا ورسر :

فتلك أفنانها نشاوت      شرباً لو أسها قبا (١)

ولئن سوزة الثمرة في حمرتها وبريقها ، وقد علقمت في أغماسها ، وحقت الأوراث الضعرا  
راندست سورتها على عذمة الداء الثانية ، رأته رمت عليها الشمر فزادتها برقا من تها  
هي التي تستجبه ، وتأسر حسه ، فيجذب إليها ، ريبس بها إحساسا أشبه ما يكون  
بالإحساس السوفي :

ومعمولق فون الحان بغيره      لها نسب في رؤم الآقن مشرق

رأيت برأى النقى كيف تلقتني      وشمل رباح الأيب كيف تقرق

يضا عكها شفر من الشمس واضح      ولها طرف من الماء أزرق

وتبلى بها للماء والثار سوزة      ترؤن فأر في صبت يقرق يقرق (٢)

ونلي كما تروته في غمضها ، تروته وحدها مجردة ، فهي برائحتها العذارة ، ولربما الذي  
تستريح به العين ، وتنفس له النفوس خير هدية ، هل ، غير ما يزوب عن السفره فسي

(١) الديوان : ٧٠

✧ نسب مصرق : ذو أصل ثابت .

(٢) نفسه : ٧٠

رسل ما بين الأسماء من علاقة :

خُذْ مَا لَيْتَ وَإِنَّمَا لِنَفْسِكَ  
حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ مِنْ نَفْعِي فِي لَفْعِي  
مِنْ لَدَى رَأْسِي التَّعْيِينِ لِأَنَّهُمْ  
تَبَيَّنَتْ تَرَوْنَ بِهَا نَجْوَى حَشِيَّتِي  
وَأَتَتْ تَشْفُرُ عَنْ وَبِوَيْهِ طَلْقَتِي  
يُنَادِي بِهَا رَبِّهِ النَّدَى وَلَمْ يَلْمِ

لِرَأْسِ طَلِقَتْ غَلِيظَةَ التَّلْطَرَاءِ  
عَبَقَ الصَّرُورِ وَهَجَلَةَ الصَّلَاةِ  
نَشَأَتْ نَقْلُ بِرِيْقَةِ التَّمْفِطِ - رَأَى  
بِهَا لَأَيْكَةِ التَّلْطَرَاءِ مِنْ غَضَبِ رَأَى  
وَتَنُوبُ مِنْ لَدُنْفِي عَنِ الشَّفَرَاءِ  
بَسَلَتْ مَنَاتِ أَيْسَرَةَ السَّكْرَاءِ (١)

ولا يهتني على القارئ ما تضمنته ثلثا مقطوعتيه من مشاعر دقيقة ، ابن الشاعر إلا أن يفصح عنها من خلال الأبيحة ، كماولة لتتفهم التماثل الموروث الذي يحاكي منه في أعماق نفسه ، ففي المقابلة الأولى لم يكن في مستلطنا معرفة عميقة للمعنى لولم يجرنا نحو بذلك فالوقوف يمكن أن يرمز إلى امرأة حسنة ، ويمكن أن يدل على أية شرة أخرى مشابهة ، لأن في كلتا الحالتين تأسست إشارات عميقة التي ما كان يدل على طلبه "لَوْحِي" الشاعر من شاعرا ، بلية منسوبة تراه المرأة التي اشرنا الى انه لا يرمز الى امرأة حسنة ، أساسية وشاعر تفصح عن نفسها بوجهه في وعنه للعين والحنين :

التين :

ومنذ الشاعر التين في مقارنتين ، خضعنا لعددا من العملية التثمين والتعديل السقي أبراهما على شهره في شبيحة رفته ، وهو تعديل يساهل يتناول الشغل ، ولا يغير المحسوس تغييرا ، بل يوصفه لها - كما سنلاحظ - وصف مادي ، يعنى العسر ، ويسهل اللسان ولدته لا يمتع الروح في شيء ، وشي من ذلك مما قل بما يحتمل في أعماق الشاعر من شعور فريدي دفين ، فالشاعر يستأيد كل شيء في محبوبه ، حتى الأشياء التي قد يرانا الغير منكرة ، فحسد التين ، في سلالته وعلاوته وصفاته ، يمكنه عند ريق حبيبه السائل وهو ناسم

(١) الديوان : (٧)

ومر يخرس، بدلاً أنه يحكي ببياض بياضه ولون قشرته بياض ثمر، بيبه ولعصر شفقيه ، وموراعين  
الموتلى وشبهى البغى، مستطاب الخس، انه تشوير يحكى بواضع آنا سيمر الشاعر الطادية  
وبدل دلالاتها على المذانة التي جعلت بها الدليهة في عالم الشاعر النسبي :

<p>وقد قلص البسبح ذليل الغلـــــــــــــــــس* كما سأل ربي حبيب تمنــــــــــــــــس شبهى الجنى مستطاب النــــــــــــــــس وأعيت فيه سواد اللــــــــــــــــس* (١)</p>	<p>أ. واهتبار غسور انــــــــــــــــس* وما أن يسيل ببنى شــــــــــــــــس لقد شاق من راعى البــــــــــــــــس نهدت له ببيافى الشــــــــــــــــس</p>
--	--

وبغريه التين بلونه الأسود ، ويوحى اليه ببيض الصنابي والسور الطريفة ، فهو بسواديه  
يحكي الصدود ، وظلمة الحياة ووحشة المقام بعد فراغ السيب ، كما انهن وقد طلع عليهن  
بباني النحر ، فقد بندين في وجهه كالنمر ، وأما ما فيها ، في نونها ولين مجسها فيروعي النس  
الشاعر بصورة عادية هي سريرة تدني صفات الحش :

<p>تسمن تحت عبور التــــــــــــــــس تالغن في وجهه كالنــــــــــــــــس تدني صغار بنات الــــــــــــــــس (٢)</p>	<p>وسود الوبوه لذن الشــــــــــــــــس اذا ما تبلى بباني النــــــــــــــــس أني أموتها منها ذــــــــــــــــس</p>
--	---

إنها اوسا تلاقى بما في أحراق الشاعر من حنين الى المرأة ، وهيام بمفاتها الطادية  
التي لم يشبع منها نهمه في البراق ، فأصبح عنها من شغل الدليهة على سبيل التمويه .

العنــــــــــــــــس :

عرفت بلنسية واعطائها بثرة الاعناب ، ومن دون شك أنها عرفت انواعا كثيرة منه ، ولكن  
الشاعر لا يذكر غير نوعين منه ، الاسفر والاسود ، ويورد ذكرهما في معرض الحديث عن الطعام

(١) الديوان : ٤١١ ، ٣٧٤

(٢) نفسه : ٣٧٤

\* البدر : شر التين او التين نفسه .

الخنس : الخلة آخر الليل .

اللعر : لون الشفة اذا كانت تشرب الى السواد قليلا .

لا التمتع به طال الأفتاب فبجاء وصفه لها ماديا بوصفه للتين ، فهي عنده أم الدمام ، والدمام  
ابتها التي طلقستها بعد أن تاب ، ونزه نفسه عن البرام . ولديها الحنوب مراشفت ، ويدهمها  
الشاعر في لوعة لانها تذره بما بيده ويدها وبين اجمته من دمام :

وهندي لخطك من العليب	بنات الدمام وأم الدمام *
«سفرأه المقتش بنتا لهم	وما للذرام وما جنى الحرام
أمر مراشفتها لومته	وأذخرنا بيننا من دمام (١)

على من  
وشو يرضع للزغم أن عمره قد أسرع به الى الكهولة - أم الدمام ، يمتنع على ذلك  
وسعيه ، ويرى أن الحنوب في سواده ، ولو كان لى شفة لما روي من تقبيله ، كما يحكي في سواده  
ملكة ليلة الهجر ، ولنته أختوته أشهر وألذ من ليلة الوصل ، ولكن هل هذا صحيح ؟  
فتقبل قليل سمع الشاعر بانه لو كان لى شفة لم يشبع من تقبيله ، وهو الا ان يفضله في علاقة  
المحبه على جنى ليلة الوصل ، وأعلن أن الذي ألبأ الشاعر الى هذا التناقض هو حرصه على  
المأبقة ، لا كونه يخبر عما يجول في بطنه من شاعر وأعاسير :

رغمنا لها أم الدمام عشية	ويا عجباً مال الرغامة والكهليل
وأسودت مصقول الحجاج لو أنسه	لسى شفة لم أرو يوماً من القهليل
عكى ليلة الهجر اسوداداً وإنه	لأشهن وأندى من جنى ليلة الوصل (٢)

\* بين الرمان والحنوب :

ويفاضل الشاعر بين الرمان والحنوب في اسلوب هزلي ، ويفضل الاول على الثاني  
ولكنه حتى في هذا الموقف لا ينسى ان يبعد من أعاسيسه المادية أساسا لا اختياره :

(١) الديوان : ٢٢٥

(٢) نفسه : ٣٥٠

يَلِينِي لَدَا الْعَبِيرِ بِرَمَا نَسِيَةً  
لَا يَدْبَاهَا أَدَمُشُ مَعْدُفٌ رَوْدَهُ  
وَهَلْ يَرَوْنِي بَيْنَهُمَا نَيْسَمَةً

لَمْ تَتَقَبَّلْ عَنِ كَرَمِ الْعَبِيرِ  
تَدْبِيًّا دَانِيًّا بِمُدُنِي الْمَهْمِيدِ  
مِنْ عَدَلِ الْخَصِيصَةِ بِالْمَهْمِيدِ (١)

\* التتالغ :

لا نجد للتتالغ ذكرا على فرار ماسخ من ثمرات ، وإنما يأتي ذكره مرتين ، الأولى في رد ه على رسالة شخيرة وردته ، حيث يعصي مميزات شعر سماحيه ، وحسناته غير انه يذكره بالشباب رايايه ، وكما يشوق الى زفحات تتالغ لبنان ، ولكن أتى له بتتالغ لبنان ، والشقة التي تفصله عنه حقيقة :

رَمَاهَا إِلَى تَتَالِغِ لِبْنَانِ وَفَصَاةً  
أَتَتْ مِنْ أَرْضِ الْهَزِيرَةِ لِبْنَانُ (٢)

ويأتي ذكره ثانية في مياض الغزل ، حيث يشبهه بذي يده يديه بتتالغ لبنان :

وَمَهْمِيدِي يَبِينِي وَرَدَ بَدَائِيهِ نَاعِظِرِي  
فَمَنْ لَفِي مَعَهُ بِتَتَالِغِ لِبْنَانِ (٣)

وتلاحظ ان في الا موضعين أشار بتتالغ لبنان ، فهل يعني هذا ان الهزيرة التي منه ؟ لا نستطيع ان نجزم بالثقة اربا لايجاب ، ولكن نتوقع وجوده ضمن الفاكهة التي وجدت في الهزيرة بأنها ثمانية بها . وأما ما عدا هذه الفاكهة المذكورة ، فلا نجد لبلدانها ومع ذلك ، فما ذكر على الرغم من قلته ، له دوره في استجمالا لطبيعتها اسحق الفتية ، وانما في بيوانيه التأسيسية .

ولما فتنت الشجرة الربول بالمال الندي ، وفسوتها الماشقة ، وثمرها الداني ، ففتنته أينما ينزرها الذي يتسوها حلة زاهية ، بل ، وفتن ايضا بالنباتات المزهرة من عرله ، ونسورها في شجرة تسويرافيه جمال وروعة .

(١) الديزان : ٣٦٨

(٢) نفسه : ٦٤

(٣) نفسه : ٣٤٦



أو النوار ، أو شجرة صنوبر ، وسرعان ما نالها شمولية ، محبة لكل ما في الذنون المحيطة به من  
دوائر الوجود والجمال .

\* التاريخ :

فقدت التاريخية الشاعر بطلتها البراءة ، وشارها الحمر ، لما فتته بشورهما الأبيات ، وفي  
الرائحة العتيقة فهي تنسره بمتأثرهما ، وتطأ بفضله نورا ، فيرى كأن الشرا ارتسمت على  
أفئدتها ، وهو وماتت تلك ، فيه فتارة الشاعر بالناحية المائية للموسيقى من ميمتها لونهما ،  
رأى منتهى ونهايته ، ولا تلحق فيه طائفة الشعر والسناسد :

لله توريّة العتيقة	تعيّل تاريّة العتيقة
والكفّ رطب المهر لندن	قد رث ريباً وطاب ريباً
تيمسّ الذؤران به نسراً	ككلّ غصن به شرباً ( 1 )

\* الشـير :

وأما القيرية ، فانها برأحتها العتيقة ، المنتشرة في الليل دون النهار ، تجعل  
الشاعر يطلع عليها حياة الصفاق وأحوالهم ، فهي تحادث النسيم اذا اجرت عليها الليل ،  
وترسم انقاسها الدائرة في الأجران ، وانها ترفق عبيدا وراء اسنار الظلام ، ولكنهما سرعان  
ما تنفخ اذا اجرت العبي ، وكانها تتألق على سردفين تفضي عليه الرقيا والاعساد . وهو  
مشهد حي ، وأذن الشاعر في رسمه وعرض تفاصيله .

( 1 ) الديوان : 77

\* العتيق : النسر ، الزبي : التمام والحسن ، الربا : الريح العتيقة .

\* القيري : شجرة اليبنة الريح ، وهي صرمان ، وأصغر وأصغر ، والاعفر أطيبها ربحا .

وخيرية بين النسيم وبينهما  
لها نحر يسري مع الليل نازلاً  
يدت مع الإمسا حتى كأنهما  
وخصي مع الاصبح حتى نأتمما

حديث اذا بين الظلام بطيب  
كان له سرا دنات يربها  
له خلف أستار الظلام حبيبها  
يظل عليه للصباح رقم (١)

بوالورد :

لا يفتن الشاعر في الحديث عن الورد في تشبيها ومفانلة على نحو ما فعل غيره من الشعراء  
فهو لا يذكرها الا نادرا ، وفي ذكره النادر لها لا يتف عند أوصافها الدانية ، وإنما يذكر  
اليها وكأنها امرأة آتاه يتنزل بها ويداعبها ويقبلها ، ولذلك جاء حديث عنها مفصلا  
بأحاسيس الدانية ، فهو يمتحن لو أن الدنيا نسخ ظلما ، عندما تالعه الورد في الممتحا  
الجملة ، تهاجر في رويته وتهاجر ، وتشتوقه شيئا كما كانت تشتوقه شايبا ، ثم تذكر شيئا وتشتوقه  
وعجزه ، فينتقل بالتقبل ، وتأنف في نفسه الزاهدة تمرينها في وحل النزوة الماهرة ، وتمنزه  
في ، ولذا يد أن توسع الزمان لونا وعتاما ، وإنما لزوجة عيقة ، قد ربح الريح فيه كبريتية  
وفرتا ، فإنا إليه سلاطع أرا ، ووتو تبرير نلحرفه إحصاء من الورد بالأميرة ، وتناظره  
صحتها :

---

(١) الديوان : ٨٢

---

بين الليل : ألام . .



وفريية شئت إلى فريية مرة  
 طلمشعلي مع المشيب تشوئي  
 بمرارة أعتلتها عن لينة  
 عذرت وتهدت وقد أحالت من تشوة  
 عرفت وقد حن الربيع على النوى  
 فوددت لو نسخ الضياء ظلاما  
 شيخا كما كانت تشوق غلاما  
 نظرابيون إذا عقرت كلاما  
 ذمرا وأوسعت النبان كلاما  
 كرمنا فأهداهما إلى سلاما (١)

وهي تارة أخرى بنيت غمزة للربيع الضمير ، وقد رسم الربيع فيه شبه غوغا فأهداهما إليه  
 فهو يقبل طمحا ويطلبها لظفا بهما ، وتطام ذلك البير بالضمير :

أرأيت أي بنيية  
 أمدى الربيع صورة  
 غلشتها كفا بهم  
 تشوى إلى الروض الضمير  
 معها تهش إلى كبر  
 والشيخ يلف بالضمير (٢)

وإبتاع الثور والورد يوحي إلى الشاعر بهذه الصورة المادية التي تطف بها نفسه :

وقد تأنج نـ... ثور  
 كما تأنر ثـ...  
 غصن الطرد  
 عذب يقبل هذا (٣)

بمنز الصورة فيجعل للورد هذا ايزج منه الثقاب ليشارك الشاعر وصحبه متعتم

بأخذتهم من زب السحاب :  
 والثور عقيم وتـ...  
 يند ن بأخذة الثقاب

الورد سـ... الثقاب  
 لا يند ن السحاب (٤)

ولكن وردة الهانصة وقد تالأت فوتم تدارات الودي ترمز عند الشاعر إلى شيء آخر ذي قيمة  
 عنده فهو يرشف نثر الابل السماكة عليها وكان يلثم ثمر معبريه :

- (١) السيزان : ١٤٦
- (٢) نفسه : ١٤٧
- (٣) نفسه : ٨١
- (٤) نفسه : ٨٠

وارشف نثر الخليل من كل وردة

كان بهامس الثمين من حوة اللحي (١)

✽ النيلوفر :

لا يذكر الشاعر النيلوفر الا في مقموعة من بيتين ، وهو قريب مما يكتبه بالنظر الى عدد زهوره  
وتسوك ، فهو يستتد طويلا ، تبتفتح زهره ، ورفق عطره ، وبنام الليل ظه لا يجرى سالكها  
وما ذلك الا لانه عديم الاساس ، لم يحرف حيا ، ولا اصالي بنار غرام :

وَنَيْلُوفَرٍ لَمْ يَدِرْ مَا حَى حُرَّةٌ - حِيَّةٌ  
بِهَيْبَتٍ مِنَ الْإِسْبَاحِ مِنْ سِنَةِ الدَّرَى

يَدُوبُ وَلَا مَا لَوْعَةٌ وَفَسْرَامٌ  
وَيُطِيبُ لَيْلًا بِحِفْظِهِ فَيَنَامُ (٢)

✽ الاتحوان :

الاتحوان من الاعشاب ، ابيض الربيع على كل حال ، ورقه وزهره ، وله زهرة بيضاء ساذجة  
البياني (٣) ، ولها زهره يرتد اشبه وصف الشاعر له بالشعر ، بل قد يأخذ محله في تشيير  
من الاسنان فحده تروى الليل ، وانما لاج الصبا تده والاقحوانة امامه بزهرها الابيض  
فتوس اليه بهذه الصورة الجمية :

ثُمَّ انْتَشَى بِالدَّمِخِ بِسَجْبِ فَرْعِهِ  
تَدْبُرُ بِنَفْسِهِ آتِمْرَانَةَ أَبْسَرِ

وَجَبُرُ مِنْ طَرَبٍ فَضُولِ رِدَائِ  
قَدْ غَاظَتْهَا الشَّمْسُ غَيْبًا سَمَاءَ (٤)

ومادامت الاتحان تنور في زائر الشاعر ، فهي ولا بد تفعل فعلها ، فتلثم نارة ، وترنح  
أخر ، فهي تلثم سواك الدمين :

ولوى الدلى هنا مفعلة معرض  
وهي ترنح أغلاف الخامة المدرار ؛  
في أبطع رعدت شعولها قاحه

لثمت سواكها شعور أجاج (٥)  
أشرف كل غمامة مدرار (٦)

(١) الديوان : ١٤٣ / \*

✽ اللحي : سمره في الشقة تستحسن .

(٢) نفسه : ٣٦٢

(٣) كتاب النبات لابي حنيفة : ٥ : ٣٠ ✽ حوة : حمرة تضرب الى السواد .

(٤) الديوان : ١٥٤ مخر ضمير انثى يعود على الليل

(٥) نفسه : ٢٨٢

(٦) نفسه : ٣٣٦

ويتخذ مسمها من ال الروضة زهابا له :

يرشف من المهار زهابا\* (١)

بات بها صيد الأتاهي

وقد يكون الثلج ريقها الساقم البار :

لبن من الطين ريق بار خضمر\* (٢)

وللأقاعي ثغور فيه باسمي

وقد تلتقي الأتاهوة ومسم العيب ، فلا يجد الشاعر بينهما فرقاً :

فلم ادري أي كان لم الأتاهيما (٣)

ونما حكني من أتموان ومهسي

وهي اوجتبرز فيها استقامات الشاعر لا حساساته ونزعاته المادية تجاه المرأة موضوع وجلا .

\* الشقيب :

يرتد. نثر الشقب للزنا الا يعرفه شعبة الشاعر بمخاني السروب ، ومدارساتها من كروف ، وزحف واندام ، وجمش ولوا\* ، مما يذكرنا بالريقة ابي الطيب المقتني ومن نهج نهجه ، في اسباغ اجواء السروب على الطبيعة ، فالبرد يزحف بجيوشه ، ولكنه سرعان ما يولي منهزما ، مخلقا وراءه السهول والربا ، التي يأخذها منه الريح عنوة ، ويرفع على كل ربة منها ألوية الشقب كتمار للأنتصار :

جيشا رسيك دونه وحسري  
ما شئت من سهيل ، فدوة نبيتي\*  
فيكل مرتبة لواء شقيبتي (٤)

با حيدا والبرد يزحف بثره  
حق انا زلي وأسلم عنوة  
أندد الريح عليه كل شقيبتي

\* الريحان :

والريحان اجنا يخضع للذوالعاطفي الذي يسهج الكثير من موصوفات الشاعر ، فريحانفة مشوقة الترواح فائقة العسمن ، نضرة فواحة ، تكلف بها نفسه ، ويهيم بها لونه ، ولا يجل من تلي حسنها ، والتأمل في جمالها . وهي لمانتها عنده ، يتعد لها من لله مخرسها

الرياحان الرق *	(١) الدبران : ٢٢٤
خضمر : بار	(٢) نفسه : ٢٧٢
التيق : بكسر النون وتشديد هاء : أرفع	(٣) نفسه : ٢٠٠
موضع في الجبل .	(٤) نفسه : ٢٥٥

ومن ماء يرفونه سقاءً ويكرها :

وسشونقز الأسن مشرقية  
 لها نكرة ستمها نكارة  
 فمن ماء يفتني لها مكر  
 يهدم بها الأرض والمفاليس\*  
 وتكلف بالأفصر الأثفوس  
 يسبح من راحتي مفرس (١)

وهي لغزاتها وأحب نفسها ، كثيرا تدون وسيلة أعمال بين الأعباء : فتتوب عن التهمة ، وتتذكي الشون وتحت على اللقاء ، أنها تذكر الشاعر برياً محبوبه ، وهي تذكر عزيزة على قلبه العساسر ، يهدى لشياعها بد من غزار تذكر الريحان يستبها النمام :

تفسر يهدى عن عيب تحبته  
 يذكرنا ربا الأجر نذرة  
 عززنا لها زهواً فنقول الحمايسم  
 نذكره بالدم سنياً الحمايسم (٢)

\* النرجس :

يشبه النرجس في الشعر العربي بالجفن أو العكر ، ولكن ابن خفاجة يذهب إلى الشر من ذلك ، فيجعل للنرجس جفناً يمازله لما يمازله جفن العبيب :

ومازلنا جفننا لنا نرجس  
 وهبتسم للأشعوان شنيب (٣)

وقد يبتعد الشاعر عن البيهته وأبريقته في التعامل مع الكون في لبيته وشعرليته ، فيمثل عقله محل عا افته وشعوره ، ولذئهما حالتان اثتان لا تتذران في شعره ، الأولى في شمراته (٤) ، والثانية في تفنيله الريحان على كل من النرجس والسوسن ، عند وصفه السورة ركبت من ربحان في هيئة تمثال ، فقد ربح السورة بأنها كانت هيئة ، راحة كان من السوسن والنرجس ، فأشار إليها الأول برأسه منسبها ، وشخص الثاني فيها بعونه مهوراً مهوراً ، والشاعر مع ذلك لا ينسى احساسه النادى ، فيستأله على الأبيسة

\* المعطس : الألف

(١) الديوان : ٧٨

(٢) نفسه : ٧٨

(٣) نفسه : ٨٢

(٤) راجع هذا البحث : ١٥٨

فالتمثال صورة تنويب عن السناء التي أناته عنها الاسفار ، فيها يلهو ، وبها يأنس :  
لقد زف بنتا للخميلة لفلانة  
تذير اليها لراحة سوسين  
فهتزل اليها الدست اعلاف مخرس  
وتشخص فيها كل عين لخرجين  
فما شئت من لهوبها وتأنس ( ١ )  
تنويب عن العسنا والدار غرسة

وأما البنفسج والآس فقد ورد الشاعر بين صورتيهما وصورة محبوبته شيها ، فلذلك أورد  
ذكرهما في سياق الغزل . وقد بينت الشاعر في وصفه للزغور بأثارها ، بأريجها واليهما  
دون التمرض لخصاتها المادية الاخرى ، كما فعل مع العزاس والمرار ( ٢ ) .

وثان الشاعر بجنح - على الرغم من ذكره لهذه الجزئيات - الى العموم غالبا ، فكثيرا  
ما ذكر الازهار والنوار ذكرا عاما غير مفصل ، موشيا بها روحته ، أو واديه ، أو ريوته ، أو  
بإلحاحه ، وثابت المشيرة كما أسلفنا - هي الخنصر البارز في أوصافه ، مما يدل على فتنته بها  
في عامة أحوالها ، ولكنها وهي منورة ، أشد فتنة له من غيرها من الحالات ، فهي تأسر  
تلكه بيتا لمرها البهيج ، وتهزل قلبه ، وتوقد شامره وتنه أحاسيسه فيتمفها وصفها بيزيدها جمالا  
وروعة وجماعة ، ولكن لما ذاللت الالواح منه على ان تكون شجرتة منورة أو مورقة لا عارية  
جرداء من كل زينة وبهين ؟ ألا أنه رأى في بياض ثوبها بياض شمره فمال اليها ، وأنس بها  
أنس السديم بيمديته ، بهادته وبلاأفه ، وسر اليه بمكنون صدره ، أم لأنه رأى في نداوتها  
ولد زيتها ، وعيوبتها لدونة شبابه وحيهته ونشاطه بما يعنيه ذلك الشباب من ذكريات  
حلوة ، وأيام سعيدة تنامها في ظلال اشجار لطيمته الغناء بهزرها ، وطيب أجوائها  
وترنيم طيرها ، فلأنما أضحت الشجرة - لظلامتها حياته الاولى - رمزا لشبابه الذاهب  
وصورة متجددة له ، فلهيج بذكرها ، وتغنى بصفاتها ، وكأنه يتحدث في شبابه ، ويتكلمني

( ١ ) الديوان : ١٥٥

( ٢ ) نغمه : ٥٦ ، ٦٩ ، ٢٨٩ ، ١٢٥٠ ، ١١٤ ، ٣٣ ، ٢٩١ .

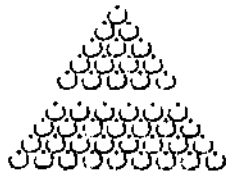
بسماته في ظلاله ؟ . . أم لان النور في بياضه يحكي النور والضياء ، وبالتالي الحياة فسي  
سفائها وعمائتها ، وفي هذا أيضا بيان لط في نفس الشاعر من حب للحياة ، وفرق من  
السوت ، أم لان المرأة التي عرسها الشاعر شريفة للسماة ، تناسسه أفراده وأسرانه ، ويمكن  
إليها وتسكن اليه ، وتنفق عنه أعباء الحياة ، وتثل ليفها يراود مخيلته بين العيون والدمعين  
قد استزجت بالشجرة ، واتعدت بها ، فأضعت الشجرة بدلا للمرأة ، ورمزا لها ، ولذلك  
ألبسها ثوبسها وخلع عليها نصرتها وسفاتها ، فجاء تصويره لها جيل براقا ، يناد بتلقى بما  
في نفسه من عيون ، إلى المرأة وهما بهما من حيث صفاتها المادية لا النفسية ؟ وأذهب  
إلى القول بأن هذا التأويل الاخير والتأويل الذي قبله ربما لنا عما الاكثر فاعلية في بروز  
هذه الصورة في وصفه ، أي القول بأن الشجرة ما حظيت بتلك العناية الكبر من الا لانه  
وجد فيها ، من حيث صفاتها المادية ، شيها بالمرأة التي عاش بدونها ، كما وجد فيها من  
حيث ما عيها رمزا للحياة التي فان حبها وبش فقدانها ، ان وصفه للشجرة المنسورة  
لوصف تنزع من مثاله نكرة الشاعر الى الطبيعة من ذل المرأة بونى ، وهي ظاهرة  
عفسها في شعره الغزلي ، فهو مما يخلق على الشجرة الكثير ما يمكن ان تقاربه المرأة من  
صفات مادية ، يقول :

يا رَبِّ ما بَسَّ المَعالِيقِ تَزْدِيبِ	من كِبِ غَمِّينِ خافِيقِ بوشِجاج
مَهتَزَّةِ بِرَدِّجٍ من أَعِاقِمِ	ما شِيعتِ من كَقَلِ بِمِشْرِ رِداج
نَفَضتِ ذِراعِها الرِياحَ عَشِيَّةَ	فَتَلَكَّتْها هَمزَةُ المَرْتِجاج
حَدَّ الرِيبِجِ فَناعَمَها عن مَقَرِّينِ	شَطَطِ كَما تَزْدِ كَأَمْرِ الكَرِجاج
لَقاءَ ما لَها الضَمَطُ لَإِلاةَ	مَسَّحتِ مَما لَقَها جِيبُ سَمَجاج (١)

فالحلمات : وشاج ، الاغصاف ، الكفل ، الذراع ، مفرق شطط ، قناج ، الملاة ، غميين

وما تشبهه ، تزدهي ، مهتزة ، برتق ، ويمون ، وكلمها يضيء بها غرض النزل في ديوان الشاعر  
المصري القديم ، ولدن الشاعر نكلمها من المرأة واسبقها على الشجرة ، ورسم من خلالهما  
صورة للمرأة التي يريد أن ، ولأنه بذلك يقوم بعملية تحويل للنقش الذي يحاكي منه في حياته  
البيئية ، ومن دون شك ، فإن استعداد الشاعر لعنصر التشبيه كسلوب تمبيري ، كان  
ذاك وفي تشبيه السواكن ، وفي المرأة في أجزاء السورة المرسومة .

هذا ولم يكن الشاعر مضم ، بما في البيعة بلده ، من روضيات وشجريات وزهرات ، فحسب  
بل لأن مضم ، كذلك ، بما في بيعة بلده ، ريا وجبالا وبياحا ، وهو ما سنتناوله في الفصل التالي .



## الفصل الرابع

### الربا والبطلح والجبال

تميزت بلاد شرق الأندلس دينا نيمها شُقر وبانسية ، بسيرها الخصبة الواسعة ، التي كانت تتخللها أحيانا بعض الهضاب ، وقد ترتفع أحيانا للتصير جبالا ساطقة ، تلال عسواء ، ساحات شاسعة من الأرض ، وتبين من على قممها الأماكن البعيدة ، وأبرزها حاجة ، وهو الشاعر الحساس ، المحب لأرضه ، كان كثيرا ما يضرب في الأرض ، ويهيم على وجهه في بطلحها الخضرة ، تستوقفه الربابة المحشبة المزهرة ، فيمتع نظره بجمالها وبهاثها ، ويجذبه الجبل في صوده وشموخه ، فيسكن إليه ويناجيه ، وقد يروى فيه نفسه ، فيتلته بما يجول في خلسته من أفكار وشاعر ، وتلن وأضالراب . ومن مثلك هذا إلا حساس الصديق بالبيعة وأغصه ، والشعور الغامض فيها من جمال ، كانت عنايته بتسجيل مشاهداته ، وتصوير مشاهد أرضه ، ذلك التصوير الذي يفيد جمالا وروعة . وكأنه أراد ألا يفوته شيء من طبيعة بلده دون ذكر أو تسجيل ، فوعد الربا ، والبطلح والخرق والجبال ، وتراوح تصويرها بين اللوحة القسيرة كما في وصفه للربا ، والظفرة الأولى المتأتمية المتألمة ، كما في وقتفه على الجبل .

### \* الربا :

لم يفرد الشاعر الربابة بالويرث لذاتها ، فأنشده في شعره تمجيدا أو مقطوعة تفتن بالربل كمشهد مستقل ، ولكنها تظن بمناسبة الشاعر التصويرية ضمن المشاهد التي رسمها في ديوانه لطبيعته الرائعة ، وهو في تصويره يمتد بطلحها النادى العسوس ، فيوشيه بالنور ، أو يكسوها بالمشيب والشجر ، وقد ينفذ عليها من النسيم والجرى طيزها بروزا . وهو لا ينسى ، ومن حين لآخر ، أن يفلح عليها بعض صفات المرأة كما فعل مع عناصر البيعة الأخرى ، فالربا ، وقد وشاها الزهر ، وتعني عنده رأسا عليه تاج مرسح أو ردفسا متترا :



وَأَرَزَّ أَشْرَابَ نَضْرِ الْفَسْفَسُونَ  
وَرَضَّ تَبْجَانِ عَمَامِ الرِّبَا (١)  
فَرَدَّنَ مَنَاكِبَ الْفَسْفَسُونَ \* \* \* \* \*  
وَأَزْرَادَانِ تَبَّ الرِّبَا (٢)

وللربل أجياد مقلدة ، ولئن درهما من النُّور :

زار ربيع الفجر قد قلَّصت  
ذبل غمام بات مجرورا  
قلدت أجياد تب الرِّبَا  
درا من النُّور خثورا (٣)

.....

وتد قلد النُّور جيد الربوة  
هنا ، ونحراً للفضاء رحبها (٤)

ثم إن الربوة وقد سماها النُّور الابيض ، وغمرتها شمر الأصيل بأشمتها الصفراء الهادئة فزادت روتها وهما ، تفتن الشاعر وتحركه وتدفعه الى الرسم ، فبصورها تصويراً طينياً بالاضواء ، يزيد اشباعاً بريقاً ، الذهب والفضة الذي استعان به الشاعر في تلويح صوته ، وهو أمر يذكرينا بالربوة ابرر الممتز في التصوير :

وتد فضن النُّور كل ربنا وق  
وسان عليها الأصيل نضار (٥)

والربا ، وقد غمرتها شمر الاصيل بنضائها الذهبي اللامع ، تستهيه انما ، فيصورها مشبها الشمر في ضعفها ونور اشباعها بهين المريض الضعيفة الإبحار ، وهو تشبيه مستهلك كثير الاستعمال في الشعر العربي القديم :

---

(١) الديوان : ٢٤٨

(٢) نفسه : ٣٠٠

(٣) نفسه : ٢٤٧

(٤) نفسه : ١١٣

(٥) نفسه : ٢٨٥

وقد نظرت شمس الأصيل إلى الريا  
والريا في خضرتها وجمال نورها ، تمتد من الطلوع التي يستريح إليها نظر الشاعر  
وتستأجرها نفسه ، فيستريح بها كما يستريح بشيخه ، من شاهد الطبيعة المختلفة :

وقسمت طائرنا الصين بين رباوة  
مغضرة وترارة زرقاء (٢)

مُنْتَمِئِمْ الألبان إلى بين معاسين  
من ردف رابية ومغصير قزار (٣)

وعو إذا اشتد به الشوق ولم يجد أفضل منهما مكانا يتنعم منه نسائم النبا الهابة من  
جهة محبوه ، :

وأركب أرداب الريا متسئما  
فأنشئ أنفاس النبا متسئما (٤)

وإذا حسن إلى أرضه ، حيث استبته ودراب صباه ، إذ كرما في بركة طيهفو إليه قلبه :

الاهل إلى أرض الزينة أوقية  
فأسكن أنفاسا وأهدأ مضجعا

وأغد وبلادها وقد نض الندى  
صا إن هاتية الريا ثم أتمصا (٥)

وقد يختبه لحاله ، وهو يسير في سهول أرضه ورياحها ، وقد أخذته نشوة غامرة ، فيرسم  
لنا صورة غامرة بالسرعة واللباقة :

تري بي الضيالكان فيها والريا  
نولا كما يتمون التبار (٦)

أخوعزمة إلى الريا ترتقي بهلا  
إلى عيت يهوى والبطاخ تيل (٧)

هذا عن الريا وقد كساها المشيب ، وزركشها النور ، وغمرتها أشعة الشمس الذهبية  
وأما عن مظهرها وقد ردتها الرين بالغمام وجادها المزن بقطره ، فانها تشغل الحارا جميلة

(١) الديوان : ٣٧٧

(٢) نفسه : ٢٥٠

(٣) نفسه : ٢٤١

(٤) نفسه : ١٤٣

(٥) نفسه : ١٢٨

(٦) نفسه : ٨٠

(٧) نفسه : ٢٤٣

لاحدن سروره :

تَهَنَّتْ بِهَا رِيحٌ لَيْلٌ وَرَسْوَةٌ      بصرو غمام جادها متَيَّسِينَ (١)

واند زعفران علی صبر غیر هذہ السور ، مشوشهنا وحنان فی دیوان الشاعر ، مما یسدل علی منانتها عنده ، وتیحتمها فی میزان اعشاماته الوصفية ، وهي صور عنی ( الشاعر ) فیها علی المصون بالظواهر العسی ، یرسمه لما تراه عنیه فی البانیع ، ولكنه عرفه کتب یمن فی السور فیها \* تدریبه لها ، و مشرکا ، یعمکن فی أحيان كثيرة اعشامه العادی بالسرقة ، و نارتته الیه بالمتعة من جانب واحد ، متعة الحسن لا النفس .

بی البیتاح :

ان بلادا خصیبة التربة و غزيرة المياه ، كبلاد شرق الاندلس لا بد الا أن تكون كثيرة البساتین ، ملتفة الشجر ، وذلك ما افادتنا به كتب جغرافية المغرب و بلاد اندلس ، و این بفاحة كما تخفی بری بلده روزناتھا ، و تفتان ذلك ببلد احبها رسم لها ، فقد فتنته بامتداد حضرتها و كثرة الابلھا ، فان یرسح فی جنباتها و یرح ، و یقیم فی الس أنسه هنا وهناك و تمت ظللال درسیها السركشة بأشعة الشمس ، و تدره بمضارھا و تنطق لسانه بالاعجاب و الاكهار لجمالھا و برعتھا ، فهي لتیحتمها عنده بدعولھا بالسقیا :

سقیا لسان بَطَاحِ أَنْسِيرٍ      و دَوْجِ حَسْرٍ بِمِائِطِ لَيْلٍ

فما ترى غير وبيو شمسي      أَطَّلَ فِيهِ يَدَارُ ظُلَلِ (٢)

---

(١) الديوان : ١٥٦ \* النسيم في \* بها \* عائد على صورة ركبت  
من ريان و فيها الشاعر . (٢) نفسه : ٤٠

وقد غَشِيَ النَّهْبُ لَمَاءَهُ      بَدْوُ الْعِيدِ أَرِيذَتِي أُسَيْلُ (١)

ولكون البطاح سرعاً جميلاً لمجالر أنسه ، ومستودعاً للكثير من ذكريات طفولته وشبابه ، فإنه يحسن إليها ، ويشهد به الشوق إلى ظلالها ، وطيب ذواتها ، فهو لذلك يستنشق النسائم لملها تنقل إليه بعضاً من آثار الرياح حين يرتد البديعة :

وربّ نسيمٍ مرّ ينادي بالمرء      رثي الحواشي لا يحمّس ديبها  
وجاءت به من ذلك الماء بلّة      ومن تورهاتية الأباطح أيبا (٢)

هذا إلى غير ذلك من الصور التي غص بها الشاعر بالاهة ، وهو فيها كما نلاحظ - رشام طاهر ، تدر بلحاته على إبراز ملامح الجمال والفتنة فيها ، فجاءت رائحة منتعده ، وقد تتسح تلك الباطح لتسير رقاً أو مفازة ، أو تنوفة ، تنقد في لولها وسعتها من البسبر وهو أمر عني الشاعر بتدويره أيضا .

\* الشرح :

لقد تدر ذكر المغازر والغلوات في وديع ابن عفا بديعة غير مرة ، مما يدل على وجودها وأنها كانت قريبة إلى المدن المجاورة لها طية ، ولبنسية ، اللتين كان يتردد عليهما باستمرار ، أو إلى غيرهما من المدن الأردنية التي كان له فيها لغوان وأصحاب كمرسية وقرابة واشيلية وسرقسالية ، وإن لم يصرنا هو بذلك ، أو في أثناء سفره إلى المنسرب ووصفه لها يدل على أنه عجز في الأحوال المختلفة ، في الليل والنهار ، والحر والقسر

(١) الديوان : ٣٧٨

(٢) نفسه : ١١٢ - ١١٣

فقد صور حاله وهو يخور غمارها وحيدا لا يصحبه فيها غير فرسه وسيفه ، كما  
صور رغبة الكون ، وجسد خوفه ووحشته ، من خلال مثلا، غيره المختلفة ، فلنلقى نالرة على بعض  
سوره في هذا المجال ، فهو يوصفنا المفازة التي تلحها ليل وحيدا ، ويصور سواد ظلمتها  
وهول من وعشتها ورغبتها ، بما يضيفه عليها من جمود وسكون ، فكل شي فيها ساكن  
لا يتحرك ، فلا نجم يسري ، ولا قلد يدور :

وَمَفَازَةٌ لَا نَجْمَ فِيهَا  
يَسْرِي وَلَا قَلْبٌ يَدُورُ (١)

والنجم الذي بجوهر الشاعر غرت مهول ، موخر ، ينفق لرهبته البرق كلما ، ويسهر  
فيه التجم حذرا متوقفا ، لا تركب فيه غير الرياح ، ولا يتزود فيه بخير الفطام :

يَخْرُقُ لِقَلْبِ الْبَرْقِ حَقْفَةً زَوْجَةً  
سَحْبِي فَلَا غَيْرَ الرِّيحِ رَائِبٌ  
به ولبقي النجم فيه سهبا  
هناك ولا غير الفطام مكران (٢)

وهي صورة فنية رائعة ، لان الشبان الشاعر في تسميمها دور كبير .  
ويتكرر تصوير الشاعر للكون من حيث رغبته ووحشته ، ولكن بأساليب متنوعة ومردود  
مختلفة ، فهو غرت مخوف ، مرعب ، وتفر سحبي ، يرتجف فيه الشراب فرقا ، وتكبل فيه الريح  
ولا يناد يسمح فيه رجح لصوت ، كما أن النجم يبيت فيه ساكرا ، وكأنه يتوقع غلط  
مدارها :

\* الخرق : الثفر ، والارض الواسعة .

(١) الديوان : ٨٥  
(٢) نفسه : ١٢٢ /

ولا سَيْرَ إِلَّا قَوْحَ ظَمْرٍ تَنَوَّفِيَّةٌ \*  
 وَغَرِي سَحْبِي يَمَلُّ السُّدْرَ وَخَشَّةٌ  
 مَهِيَّةٌ يَهِيئُ الدَّانِمَ يَسْتَمِرُّ وَهَيْبَةٌ  
 يَرَاغُ سِرَابِ التَّاجِ فِيهَا فَيْرَمَدُ  
 فَرَجِحُ صَهِيلِ الرِّيفِ فِيهِ تَهَبُّدُ  
 يُووتِكِلُ الرِّيفِ فِيهِ فَيْرَمَدُ (١)

وهو نسير يبلغ به الشاعر مستقراً منها عالياً ، فيه ايها \* رتب يسيم وتشافين ، فالسراب  
 يراغ فيرتمد فرقا ، والذبح يسهر عاقفا ، والرئ تهما فتنام ، ولأنها فائنا شحيد ، تحسب  
 وتشمر بضمها ونالتها أطار رهبة النون وصمته الموعش ، لقد عرف الشاعر كيف ينفذ إلى نيل  
 قارته ، فهو شرقيه ، ويشركه في الموت الذي يحشه .

وكثيرا ما يهرع الشاعر إلى الفياضي ، يصب في أعماقها ، ويستسلم في احزائها لتألماته  
 ويستقر الدابة في صحتها الرهيب ، سنها واسرارها :

وحيدا تبتاداني الفياضي فأجتلي  
 ولا يبار إلا من سمام مصيبي  
 ووجه المنايا في تمناء الشيايب \*  
 ولا دار إلا في تقود الرلائب (٢)

وقد يتذكر صاحبه ومدد وجهها الحسين بن الرين ، والي قرطبة ، فيجد حه بقصيدة يصور  
 في احد ابياتها المسافة التي تفصله عنه ، وانها شاسعة ، وصارفة ، يخفق فيها قلب السراب  
 دورقا وعذرا :

ولكن عذتي نوك تل تنوفية  
 يهفو بها قلب السراب هذارا (٣)  
 ويملكه نبي أمد أسحابة باء بهلية ، فيحزن لذلك ، ويهتم ، ولكنه يتذكر ضفته ،  
 والمسافة الكبيرة التي تحول دون وصوله إلى قبره ، فيعبر عن ذلك بقوله :

وكيف يشكون ساعة أشتني بها  
 ودون التلامي نل هيدا سملقي \* (٤)

- 
- |                  |  |
|------------------|--|
| ١) الديوان : ١٤٤ | * تنوفة : السفازة ، والارض الواسعة المصبدة |
| ٢) نفسه : ٢١٥    | الابراف ، وأوالفارة لا ماء بها ولا أنجر    |
| ٣) نفسه : ١٤٥    | وإن كانت معشبة .                           |
| ٤) نفسه : ٢٢٦    | * الشيايب : يجمع غيبيب . وهو الليل الشديد  |
|                  | السواد .                                   |
|                  | * يهفو : يخفق ، السملق : القاع المصصف .    |

كما يملأ من الحدرة خبز موت محمد ابن اخته ، فيرثه رثاء عاليا ، ودون أن ينسى تصوير  
المسافة التي تتخلله عنه ، وسوف بذلك هبزه عن اللسان به في صبرائه التي دفن بها قائله :

ودونك الملاح من الماء مائج \*  
يحبب ومثبر من اليمد أفيج \* (١)

لقد أفادتنا ابن مخاضة بأن طبيعة ولنه كانت فسيحة الرضة ، واسمها الأرباء ، يشتد  
فيها البرحى يتلذذ في البواقي السراب ، يشرع صالكةا برهية شديدة تتخلله من أعماله  
وأني به في رذايها كان الأندلس في عصره ، وقد دأمتها الخطوب ، وقلب لها الدهر  
شهر الدين ، فما يفسر بغيرها حتى يحكر ، ولا تلاك تصرف الامن والاستقرار حتى يؤول أمنها  
وانتقارها الى دومة من القاق والاضطراب ، تفصت على الأندلسي هيشته ، ونزعة الغسوف  
في قلبه وبطلته يرى الموت حاضرا بين يديه أنى سار وحيثما عمل . وقد حال التوفيق الشاعر  
في ريفه ، فأتحفا بتلك السر الموصية ، السليمة بالمركة والسماة ، السعرة إمرابا فـ  
ما شرع من نفسيته الداعفة القلقة ، والعدرة المترقبة ، المترجسة من رهبة الكون ، وهول الصير  
ولكن البريته الفنية في تشبهها الأبيضة والتعاطل معها لا تجد وبوضوح أكثر كما تهد وفسسي  
وعنه للجبل .

#### \* الجبال :

لقد كان الشاعر ممعنا لطبيعة بلده ، بما في ذلك الجبال الشامخة ، فقد كان كشيرا  
الخرق اليها ، وكأنه وجد في أجوائها النقية ، وسمتها الرديب ، وشباتها الرايح ، أفضل  
مدن بمشام فيه دنجواه ، وتأملانه في النون والجماعة فقد روى النجمي ان الشاعر كان يمشي  
من جزيرته الى الجبال القريبة منها ، فاذا صار بين جبلين نادى باعلى صوته يا ابراهيم

تموت ، يعني نفسه ، فيجبهه السموت ، ولا يزال كذلك حتى يغير من مشيا عليه (١) . وكان  
كثرة لهذه اللوات ان نحن الشاعر الجليل بقصدتين ، ضمنهما الكثير من تأملاته ونظراته .  
والقصيدتان متفاوتتان من حيث الدلول وعلى الفكرة ؛ ففي الأولى وهي من ثمانية أبيات يصف  
الشاعر الجليل بنفسه محايدة ، يمثله ككائن جرمية طبيعية جامدة ، وأما في الثانية ، فعلى العكس  
من الأولى ، نجد الشاعر يتحدث في الجبل ، ويتفاعل معه ، ويحس به إحساسا عميقا ، فلذلك  
يبدأ الوصف بها ، فأمرا بالبركة مفعلا بالمشاعر والا إحساسها الإنسانية الموصوفة بالبركة فنيضة  
رائدة . ولأن القصيدتين تعبيران مرحليان عن تجربة شخصية واحدة ، مثلورة ، فمثلت  
القصيدة الأولى النظرة النفسية الاجتماعية ، وعمرت الثانية عن نظرة نافذة متعمقة ، تصف  
الجميل من داخله ، الناظر بمرحلة واحساسا لسلمه الوجود الياسي ، فالصورة الأولى التي  
رسمها الشاعر للجميل أتت ضمن الماربعين مشهدا ليليا مقمرا ، حيث السماء الصافية  
والنجوم المتلألئة ، والبدر الحمر ، في هذا الأثر اللوني الجميل بدأ الجبل يشمرق  
وسمرته ، يلال عنان السماء ، ينال نجومها ، ويتخذ من نواجب جوزاشها نائما ، وهو مع  
ذلك وقور ، صامت ، يعق لدأته ثقل سمع ، وقد أتبل بجمعه يسيخ إلى نيوون ، ركين ، ثابت  
لا يستجيب لمداخلة البدر ، فيبقى ماثليا ، وقد لاذ به نسر السماء لعلوه ، وكأن له فيه وكرا  
ولكن الشاعر لا يستلج بهذه النظرة النفسية ان يجرح صور الجبل ، فلذلك يذرف عنه دون  
ادراك حقيقي لسبب هذا السموت الرهيب الذي يلف أركان الجبل ، أندوه جز الشبه وغساسة  
وملابساتها ؟ أم كبر اعترافه فأراه نفسه ، وعجب من اقدار الآخرين ؟ اننا لنحس ان الشاعر  
على الرغم من زلزالته السالعية المحايد التي وصفه هذا ، قد بدأ يشمرق بنوع من التجاوب مسبح  
الجميل ، لما اسبغ عليه من صفات لها علاقة بصفاته النفسية الذاتية ، وخاصة منها تلك التي

---

(١) بنية الملتصق : ٢١٧ ، انظر ص : ٥٠ من هذا البحث



لها ملة بفترة شبيهة بوقتته ، وهو في هذا الوقت إنما يقطن باب الجبل ، ليلى عالمه الداخلي  
الرحيب ، ويحقد معه مداثة عصمة :

وتشقى الذئب نفاً من النجم مرسل	تراعى من الليل المبهيم به فبئس
وأشرف أمان الذؤابة ساطع	تدأق بالهبوزاء ليلاً له خصصير *
وتورق على مر البالي كأنه	بسين إلى نهوى وفي أذنه وشير *
تصهد منه كل ركن ركائفة	فقلوب الراتق وقد ضمت البندر
ولأن به نثر السماء كأنها	بحين إلى وكربه ذلله النسر
فلم أدر من سميت له وسكنة	أجزة سنّ وقرت منه أم لبيسر (١) ؟

وتتقدم بالشاعر الممن ، وتغزوه الصعاب ، وتتأوشه الآلام من حين لآخر ، ويحس  
بشبح الموت بهترب منه شيئاً فشيئاً ، بعد أن اختلف أمه بابه الواحد بعد الواحد ، وتتمافر  
عوامل كثيرة لتتصمى هذا اللاعساس في اعطائه بشيخوخة ، مرض ، أهداش دامية متوالية ، وحدة  
موحشة ، ثقافة دينية ، زهد ، عيون إلى النجاة ، حب للحياة ، ركون إلى الطبيعة ،  
وقوف على صيرورة كل واحد ، كل هذه العوامل أسهمت ، وبدرجات متفاوتة في تصمييق  
احساسه بالزمن ، ثم بالموت الذي أخذ يتزعبه بفرق شديد ، وقلق مض ، أوجد في  
نفسه حالة مرضية أثار اليها النبي في روايته التي ذكرناها آنفاً ؛ راحل حاله النفسانية  
هاته هي التي كانت تلجئه إلى الأبيحة في أجوائها الصامتة ، إلى الفيا في والجهد

(١) الديوان : ١٥٠ \* طباح : مرتفع ، الذؤابة : من لى شي \* امسلاه  
ذائق الهبوزاء : ثلاث ذواكب بيض متتالية في صدر  
الهبوزاء عرضة .  
الوتر : بفتح الواو : ثقل في الاذن ، او ذهاب  
السمع له .

يحدث يتغير المسدود ، وانحر التزاه . وقد تدته الثانية في الديل تسوير حي لما كان  
 يتأمل في بياضه من متعارف وقلق وانحراناب ، فقد بدأها بمقدمة كلهما اعساس بالزمن ووطأة  
 الحياة ، فهو يذكر بجموه الارض ، وتلكه للمسافات الشاسعة على راحلته التي جعلته لسرعتهما  
 وشفتها يظن أنه يمضي الرياح ، عما ظهر في المشارق ، ويجد نفسه في المخارب ، وكأنه  
 بذلك يهني نفسه ، فذنى بالمشارق ، من طفولته وشبابه ، وبالغفار عن شيبته وترب  
 نيايته :

يَتَّبِعُكَ هَلْ تَدْرِي أَهْوَجُ الْجَنَائِدِ\*  
 عَمَّا لَمَسْتُ فِي أَرَايِ الْمَشَارِقِ أَوْ كَيْسَا

تَحَبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظُهُورُ النَّجَائِدِ  
 فَأَشْرَفْتُ حَتَّى جُهِتُ أُخْرَى الْمَخَارِبِ (١)

شبهت عدت عن جو الرحلة التي تطعم غياضها وحيدا ، ولا يجار له غير سامه ، ولا دار له  
 غير رحله ، وبين عليه ايلك بهيم طويل : ثقل الرطأة ، ولكن ساعد برهيقه وعنته طــــ  
 التأمل ، وشفت رضع تناعه الصفيق عن وجه الضية ، وحقيقة الحياة ، فيهما وحشة قاتلة ، لا أنس  
 فيها بخير الا ما في ، ولا تتحلل فيها بخير الا مال :

وَعَيْدًا تَهَيَّأَنِي الشِّبَابِي فَأَبْتَلِي  
 وَلَا جَوَارِ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ بِصَيْبِ\*  
 وَلَا أُتْرَا إِلَّا أَنْ أَمَاحِلَ سَاعِدَةٍ  
 بَلِيلِ إِذَا مَا تَلَّتْ قَد بَادَ فَاثْقَسِي  
 سَحَبَتْ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودٌ ذَوَائِبِ  
 نَمَزَّتْ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَمْسٍ أُطْلِسِ  
 رَأَيْتَ بِهِ تَجَلَّأَنَّ الْفَجْرَ أَمْحَسَا

وهو المنايا في تناع الشبابة\*  
 ولا دار الا في فتود الرقاب  
 فتود الا ما في في روهه التاليب  
 تدهن عن رويد من الثمن كاذب  
 لا تعتقن الا ما بلين ترائب  
 تطلق وضاح التماحك قاليب  
 تأمل عن نجم توتد تاقيب (٢)

بهذه المقدمة المقدمة بالمشاعر ، الدامرة بالحناني والصور يلمرق الشاعر باب الديل ،  
 فيناجيه طابجة الصديق لمديته ، ويسر إليه اسرار السبب لعبيد ، ولقد قلت - تبالا - از غلظة  
 الشاعر بالجين قد مرت بسرعتين شتون :

(١) الديوان : ٤١٥  
 (٢) نفسه : ٢١٥ - ٢١٦  
 الجنائب : جمع جنوب : زرع تخالف ربح الشمال في  
 صيبتها .  
 النيهيب : الليل الحالك . المسام المصمم : التاطع  
 القنود : غشب الرحل .

الاولى تتمثل في نازته الساحلية المحايدة ، وهي نازرة لم تخوله معرفة حقيقة الجبل ، وادراك  
كنهه ، والثانية ، هي نازرة الازلى ، وفي تفاصيلها المادية ، ولكنها تختلف عنها من حيث  
صفتها وشمولها ؛ فهو هنا يتردد وصفه المادي السابق للجبل ، ولكنه يعدل عنه ، بحيث يتماشى  
ونازرته الجديدة الى هذه الظاهرة الطبيعية العظيمة ، فجعله ثانية : عظيم ، ثابت ، راسخ  
يمتد عوضاً وطولاً حتى انه ليطال عنان السط ، ويضاعم الشهب في عليائها ، ويمد مهيب  
الرياح نازرة يترن لها من فدا ، قد لا تلمس رأسه من سود الغمام عظام ، واتخذ من وصفي  
البرق الاحمر نواصب ، وهي صورة بسيطة فيها ابهام ، وتشخيص ، وهذا من حيث صفاته الحادية  
وأما من حيث صفاته النفسية ، فهو أيضاً وقور ، صامت ، ولكن لا عن كثراً وكثير ، وانما لانه  
يتأمل ، يتفكر ، وفيما يخلف وراءه من ذكريات ، وما مر به من أحداث ، والشعر بهذا التعليل  
يجيب على تساؤله الذي يحتم به قصده الازلى ، وهي خلوة ايجابية مكنته من أن يتغطس  
حاجز الحس ، ليتعامل مع الجبل تعامل شعورياً على نحو أعق . ان الجبل ، تلك الصخور  
السلدة ، الباردة ، الصامدة ، العرساء ، ينزل ، يتعدت الى الشاعر وحقاوقه ، ويغني ليه  
تلك الحياة والذكريات العمر ، في نبرات عذبة وشجية ، يقدم لجأ اليه من فانت فار من  
القاسم ، ثم يمد في المذمومة وأما ، وكمن من تائب متيب وجد في صمته وسكونه لذة المباداة  
وعلاوة المناجاة ، فأقام به سكن ، وكمن مر به من ذاهبوا تيب ، وكمن قال بنظله من راجل وراكب  
ردم لا استقر الريان ، ونا لسته الأوج ، فدعيب اللد ، وتقي عمو وسعدا ، تقطه السسرة  
ويهدد العزن ، قد انقلبت افراعه مأم ، وضحلاته بناءً مرأ ، وصار خفق أبه رجفات أنلح  
رؤقها العنن ، وتحويل غنا ، المباره الى نواج ونسراج وعويل يندب ، نهاب الأبهة وفسراق  
الاصحاب :

يَكَاوِلُ أَعْمَانِ السَّطِّ بِخَارِبِ\*  
ويزعم ليد شتهه بالمنايب  
بلوان اللبالي صارق في السواقب

وَأَرْعَنُ أَمَا ، الذرابة بمنايب\*  
يمد صهب الرين من دل وبهية  
وتعور على ناهر القارة كأنه

لها من ومضى البرق، عمُرَدَ واغيب  
 فحدّثني ليلَ السُّرُنِ بالصَّبائبِ  
 ومولينَ أراءه تهتَلِ تائب  
 وقالَ بظُلَمٍ من مَطَلِي وراكيب  
 وزاحمٍ من مَنَسِرِ البسارِ جوانيب  
 وطارت بهيرين الذُّودِ والنوائِبِ  
 ولا نَوَى ورقِي غيرَ صرخةِ نصاب  
 نزلتُ موعِي في فراغِ الأصحابِ (١)

يُلوثُ عليه الذُّيْمُ سودَ عمامِ  
 أصدتُ إليه وهو أخضرُ صامتِ  
 وقالَ آلا كم كنتُ مُلجأً فاتيكَ  
 وكم سرّبي من مُدليجٍ وموؤبِ  
 ولا آلم من نكَمِ الرِّباعِ معالِفسِ  
 فما كانَ إلا أنَ طرقتهم يدُ الردى  
 فما هفتُ أيدي غيرَ رقيقةِ أغلجِ  
 وما غيبتُ السُّلوانَ دمي وإنما

شبهت أرباب المرقبات المشهورين إلى أساس الزمن ، وتبرهن واضح بالبول العمر ، وشغل السهبة  
 يدل يدل من الحثام ويهتو إلى الموت ، إلى الفناء ، وإلى متى البقاء ؟ وقد رسل الدسب  
 يحد منهم أهد ، وإلى متى يبقى ساهرا يراتب مطالع النجوم ومفاربها ، انه لم تعد لسه  
 بة في البقاء ، انهم يتون إلى اللقاء ، وهي غاية تذكره بالله الرحيم الودود ، مخالق الكون  
 يدبر الحباة ، فبتنص إليه ضواعة مؤمن مخلص متشوق إلى لقاءه :

أودع منه راحلاً غيرَ آيب  
 فين المالح أخري الليلي وغارب  
 يهد إلى نعطك راحةً راغيب (٢)

فعدتني متى أبشٍ ويثقتن ساعب  
 وحدتي متى أرى الخواكب ساهراً  
 فرحها يا مولاي دعوة ضارع

وهنا ينتهي الشاعر من رحلته التاطية التي جعل الجبل مسرعا لها ، ويخلص إلى  
 النجابة التي توضحها من هذا السوار المصنوع ، وهي استغلاى العبوة ، فينتص لنتص الجبل  
 وينتفع بوعظله ، ويودعه وهو أقوى عزيمة ، وأجلد نفسا على مواجهة شبح الموت الذي أقش مضجعه

\* الارعن : الجبل الشد النتوء  
 البانخ : السالي ، الشارب : الناعل ، أو من كل  
 كل شيء أعلاه ،  
 غالي الماء : قتل وشحن

(١) الديوان : ٢١٦ - ٢١٧

(٢) نفسه : ٢١٧

ونفس عليه حياته : ( ١ )

فَأَسْمَعِنِي مِنْ رُغْظِهِ كُلِّ عِشْرَةٍ  
فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي وَسَرِّ بِمَا شَجَا  
وَقَلْتُ وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْهُ لِيَطْمَئِنَّ

بترجمها عنه ليسان التجارب  
ولان نفسي ليل الشرى خير صاحب  
سلام فإننا من مقيم وذاهيب ( ٢ )

والقصيدة كما نلاحظ عمل فني ، وجهد ابداعي متميز ، فيه من عمق الفكر بقدر ما فيه مسن  
روعة الفن ، ووجود التوسر وتعليل الخيال ، وهي محاولة فريدة في نوعها لا نجد لها نظيرا  
بمعارعها في جمالها وروعيتها في شعرنا العربي القديم ، بل ، وحتى تلك المتطورة المعاصرة  
الى الصحنون في مناجاة جميل التويار لا تكاد تعد إذا ما وزناها بقصيدة ابن خفاجة  
المتأسفة البناء ، ولا نخفي ، لنا شكنا في رأي الدكتور شوقي حينما ابيان بأن الشاعر  
قد اطلع على هذه القملوعة واستمد منها منظومته في الجبل ( ٣ ) ، فليد لدينا من  
الاخبار والادلة ما يدفننا الى الجزم بذلك ، بل الكثير ما لدينا منها عن حياة الشاعر يدفن  
الى اللان بانها شرة ناضجة من شرات خلواته ، وقاطلات في احضان البيعة التي احبها من  
كل قلبه .

والقصيدة ، وبعد هذا العرض الموجز لما جاء فيها من صور وأفكار ، تعد ترجمة  
حقيقية لافكار الشاعر وتأملاته ونظراته الى الحياة ، وهو ما لاحظته الدكتور اعسان عيسا  
واشار اليه بقوله : " ونرى أن انسانية الجبل تتزايد تدريجا في القصيدة ، فانا هو يمشل  
صورة اخرى من وثقة الشاعر نفسه ، أو هو الشاعر نفسه ، وهو لا يجر من ابون الصود ولذة  
الدلود وانما يصبر عن استئقاله للحياة ، ووحده بهمد زهاب اخوانه ، وكان بذلك يمسر  
عن " قيمة الموت " ، اي يهون وتمه على نفسه التي تغرق من الموت وتحاول الهرجمن شبحه  
المخيف ( ٤ ) .

( ١ ) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر البراطف والبراطين : ٢١٠

( ٢ ) الديوان : ٢١٧

( ٣ ) الفن وذاهيبه في الشهر : ٤٤٧ - ٤٤٨

( ٤ ) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر البراطف والبراطين : ٢١٠ - ٢١١

وهي تمسيد الاستلحاح ، لروعتها الفنية أن تحظى باهتمام الكثيرين من المستعربين فسي  
 الدراسات الاندلسية في هذا العصر ، فهنري بيربر " يحبها فيها من تشخيص وتصوير  
 رومانها انما قلعة رائعة ، وهذا فيما عند البيت الذي يذكر فيه الشاعر كلمتي " النابت  
 والاعب " ، فيحاول سبر ابعاد هاتين اللفظتين ، من وجهة نظر اجتماعية فيرب أسبلا  
 يشيران الى وجود الفهوتين اجتماعيتين ، وان لواقع الشاعر الممثل سياسيا واجتماعيا أشبه  
 في بروزهما ، الاولى كثرة الفتاة والمصون الذين كانوا يتخذون من البيات ملاجئ فرارا من  
 الملاحقة القانونية . والثانية : ظهور فئة من الزهاد أو الغساة الذين اعتصموا بالجبال ،  
 وانتخبوا فيها ملجأ للمناة العبادية ، ولذا التأمل ، مستلهمون في ذلك الأراء الصوفية  
 الرافدة على الأندلس منذ حين (١) . ويقتد الدكتور محمد رضوان الداية حديثه عنهم  
 بقوله : " وهي تمسيد مزاجية وعذبة الدلالة على مقدرة الشاعر في الوصف والتشخيص ،  
 وقدرته على الرمزية الطبيعية " الجبل " والاندماج بها ، وهي بعد نموذج رقيق يمثل فن الشاعر  
 وأسلوبه ، ومثال " للحفاجية " في الوصف والشاعرية " (٢) . ويرى فيها الدكتور جودت  
 الركابي عدلا فنيا سابقة لزمانه ، فيقول : " ان ابن عفاجة ، قد استلحاح في هذه القصيدة  
 ان حاجي البيضة على نسق جديد لم يسهده الشعر العربي القديم ، فأشرت النفس  
 الانسانية بسر البيضة وأدرت ما يسمى عند الفرنجة بـ "البيضة" (٣) . كما يرى فيها أخسر  
 أنها من أروع ما شاهدته في وصف البيضة (٤) . ويرى فيها عبد الرحمن بن بدير تحفة  
 فنية رائعة ، وصار فيها مقاسقا : " بنسده الشمس والتشوير ، صباه في ان يمش هكذا متعبدا  
 الاجزاء ، ومتمل الاسباب ، متساوي النغمات كلاقة من الزمر ، بطالها في أن تمشي . . . طاعة  
 زار ، لا أن يمشي فيها باحمت ، أو يمشي فيها عابيت " (٥) . ونجد أنفسنا مضطربين أن نغادر  
 هذه القبة الساقطة في البيضة والفن ، لنعود والشاعر الى جزيرته ، حيث نعيش معه على  
 ثقافت نهرها ، لنمشي البصر بمخاره الباعيل ، ونشرف الأذان بغير مياهه التراثية الصلبة .

(١) La Poesie Andalouse P: 159-160

(٢) ابن عفاجة : ٦٨

(٣) البيضة في الشعر الاندلسي : ٥٣

(٤) ابن زيدون : عمره وسناته وأدبه : ٣١٩

(٥) ابن عفاجة الاندلسي : ١٠٧

## الفصل الخامس

### في

## المراكب

لا داعي هنا لأن نسرده كل ما أورده الجغرافيون من أخبار عن طبيعة شرق الأندلس المائية ، لأننا ذكرنا منها الكثير في مقدمة هذا الباب (١) ، ولكننا نرب أنه من الضروري التوقف عند بعض الجزئيات فيها لعلنا نذكرها بموضوع هذا الفصل ، فقد ذكرت تدفق المياه أن كلا من بلنسية ومرسية قد بنيتا في مستو من الأرض ، وأن كلا منهما واقعة على نهر يجاري ينتفخ به ، وبهذا يعني كثرة البساتين كما ينبغي تدفق المياه غلابا على شكل سوان متفرعة تخسستق سهلها المنخفضة في عتال ورائق بهيج . كما ذكرت أن السفن كانت تدخل نهر بلنسية وأنه كان يجازي إلى مرسية على تفترة مصنوعة من المراكب ، فتقتل من موضع إلى موضع ، وهذا يعني أن كلا النهرين كان فسيما ، وعميقا ، وأن انخفاض إلى الاتساع والصفى الاستواء اكتملت لدينا صورة النشاط الذي كانت تشهده لطلت الأنهار ، فهي إلى جانب كونها مجالا مساعدا للنشاط الاقتصادي بأنواعه ، كانت مكانا مناسبها للقيام بهجاء تنهيرة راسية .

وقد أشارت تلك المصادر أيضا إلى وجود أربما ونواهير مقامة على انخفاف تلك الأنهار وهي افاد فعالية الدلالة اقتصاديا وعمليا ، وما ذكرت من جزيرة شقر أنها كثيرة الأنهار وأن واديهما محيط بها ، وأنه يجازي إليها في الشتاء على المراكب ، وفي الصيف على مخاضة وهذا الوصف يرمي إلى ما مرن ، أولهما : صلاحية النهر لمرور المراكب والزوارق ما يبدل على اتساعه وعمقه ، وثانيهما : أن النهر لم يكن يستغنى بنفس القدار من المياه طسوال السنة ، فكانت مياهه تفيض شتاء ، وتقل صيفا ، وهذا يعني أن الأمطار كانت تستقط

(١) راجع الصفحات : ١١٨ - ١٢٢

أكثر ما تصعد في فصل الشتاء ، فتريد لذلك مياه الأنهار حتى انها قد تتحول الى سيول لا تثبت أمامها الموانع التي كانت تقام كجسور للسور عليها ، وأما فصل الصيف ، فقد كانت ترتفع فيه الحرارة نسبيًا ، وقد تشتد أحيانًا ، الى حد نجد الشاعر فيه وصف الآل ، ويكثر من ذكر الليل ونداوتها ، والمياه يبردتها ، ولم يكن ابن خفاجة ومعاين هذه الجزيرة لمصيرها بحزل عن نهرها الجميل ، وسواقيها الرقراقة العذبة ، ولم يكن وهو ابن شبه الجزيرة الاندلس ، ليمنع عينه عن التمتع بخضار المد والجزر على رمال الشاطئ الذي يهبه ، أو منظر الأمواج وهي تتدافع حتى ترتطم بصخور الجبال الراسية في مشهد جميل ومشعر بالرهبة والخوف في آن . لقد أحمر ابن خفاجة بكل ذلك ، وكان كثيرًا ما يجلسه راحته ، وإنما نبهته في تلك مياه النهر أو الساتية وهي تنساب رقراقة أمامه ، يشهد بذلك قصيدته شعره ، لما تشير إليه رواية صاحب الملب من أن الشاعر ذكر كخفاجة لا عدن مقابحاته الشعرية أنه " ذهب يوم يبرد باب السار يربشانية ، ابتغاء الخربة على جربة نالسك الماء بظلم الساتية " (١) .

لقد فطن الشاعر بالماء كظفتين بكل ما شاهدته عنه في طبيعة بلده من تراعى ودنياهات فلذلك تجده يلهمه بذكره في شعره ، كمسورة ضمن مشهد يسره ، أو في سياق التشبيه والاستعارة ضمن أمراض أعين ، أو كموطن يستقل ، يتمد ، وبالوصف في ذاته ، في صورة نهر ضارب ، أو سيل جارف أو بحر هائج .

### \* النهر :

ان السال على ديوان ابن خفاجة ، حتى وإن لم يكن على دراية بحياته وبمقتضاه يدرك أنه ابن بيئة كثيرة المياه لما في شعره من اشارات الى اللحية الطافية ، وأوصاف

(١) السارب : ١١٢ . انظر الديوان : ٣٥٧



دقيقة فيها تنم عن ملاحظة ومحاينة . لقد كان ابن فاجدة وشيخ الصلة بط في طيبة  
 بلد من أنهار ومهزون وسواك ، يومها في ساعات حزنه وفرجه ، وانقباضه وانشراحه ، فيجد  
 في مقامها وانسيابها راحته ومتمته ، فلذلك ذكره لها ، وتعددت اوصافه فيها ، لا يكاد  
 يخلو مشهد من المشاهد التي رسمها لطبيعتها الفناء من صورة أو أكثر لتدسر الماء في  
 أشكاله المختلفة ، مما تميزت أم نهر أم بحرا ، في حالتها العادية الهادئة ، الموحية  
 بالارباب والنعمة ، أو في «التها الفاضحة الهادرة المثيرة للرعب والهلع ، ولكن ابن خنجر  
 ذا النفس الرقيقة ، والذوق المرمق والليونة المرعة تستعمله المشاهد الجميلة الهادئة  
 بلا شك ، أكثر من غيرها ، وتستعمله أجراؤها اللطيفة ، فينبذ بها إليها مستمتعا ، ويصفها  
 ومقابل على فتنة بصرية ، ولكنه يذكر في الكثير من تفاصيله أحاسير الشاعر وصوله العادية .  
 فهو يدعو إلى المن والارباب في جو الطبيعة البديع ، تلك الطبيعة التي يمثل الماء  
 السلسال عن سرا أساسا فيها :

ألا أفصن الدآير حتى غطت  
 نيل لرباً بين ظل هـ  
 وحنَّاله الغُصن حتى اضطرب  
 رطيب وما هناك انقساب\* (١)

والنهر وقد اكتست اشجار ضفته بالذور ، وانسابت مياهه صافية رقيقة ، يبرق الشاعر  
 صوفي اليه بهذه الصور المادية :  
 وقد ارتدى غمض النقا وتلذت  
 فحللت هبث الماء صفحة ضاحك  
 حلى العباب مما طفت الأنهار  
 جذل وحيث الشد بد هذار (٢)  
 ويحمد الشاعر رسم نفس المشهد تنويرها في موضع اخر مع دلالة اكثر على الامسار المادي :

\* انشبا الماء : سال  
 (١) الديوان : ٦٨  
 (٢) نفسه : ٣٣٦

وَلَوْنُ الْخَلِيجِ بِمَنَاتٍ صَفْعَةً مُتَمَرِّسِينَ  
لَشِئْتَ سَوَالِفَهَا شَعْرًا أَسْبَاحَ (١)  
ويعد مثل الخليج ضمن المشهد الطبيعي الذي يذلل عليه الشاعر صفات المرأة ، هكذا  
ويجاد برسم من معانيها صورة المرأة التي تهفو اليها نفسه ، ويعد اليها قلبه :

وَالْتَوَرُّ عَيْدًا وَالنَّصُونُ سَوَالِفًا  
وَالرِّبْعُ زَيْدٌ وَالخَلِيجُ سَيَّوَارٌ  
رَمَى الْقَصِيْبُ بِهَا وَتَدَّ شَرِبَ الثَّرْبُ  
وَشَدَا الْعَطَامُ وَمَقَّى الثَّيَارُ (٢)

كما أن الشجيرة وقد حنَّ بها يبدو الطاء ، وتوحى إلى الشاعر بصورة امرأة حسنة  
مزنة الفاسر :

حَفَّتْ بِدِ وَحَتَّهَا مَبْرَةٌ جَسَدٌ وَلِ  
نَثَرَتْ عَلَيْهِ نَجْوَمَهَا الْأَزْمَارُ  
فَلَأْنَهَا وَكَأَنَّ يَدَ وَلِ مَاءِهَا  
حَسَنَاءُ شَدَّ بِخَضْرَاهَا زَنْبَارُ (٣)

وتشير أعتقد الشاعر مجال أنسه في جو الطبيعة ، حيث التل الندى ، والمساء  
الصافي ، والظلال الشادي ، والزهر الفراح ، ويملؤه الضام في ابوابها ، كما لميل إليه  
التنمى بمحاسنها ومقاتنها في كلمات تفيض رقعة لافه وحرقة :

وَالنَّوْرُ الْمُرْتَدُّ تَنْدَدُ دَامِجٌ  
وَالنَّوْرُ الْمُرْتَدُّ تَنْدَدُ دَامِجٌ  
وَالنَّوْرُ الْمُرْتَدُّ تَنْدَدُ دَامِجٌ  
وَالنَّوْرُ الْمُرْتَدُّ تَنْدَدُ دَامِجٌ  
ويصف يوم أسسه ومناطها بالحرقة والسياة فيقول :

عَثَرْتُ بِذَهْلِ السُّكْرِ فِيهِ عَشِيَّةً  
وَاللَّيْلِ فِي مَوْجِ الْخَلِيجِ عَيْشَارُ (٥)

وتوحي قد تجتمع فيه العزم بلزنها الاشقر ، والبدول بسائه الصافي الشفاف ، فيخالها  
الشاعر فرسي رمان يتباريان :

وَتَدَّ جَالٌ مِنْ نَأْرِ السَّلَافَةِ أَشَقْرُ  
يَسَائِقُهُمْ بِذَوْلِ الْعَاءِ أَشَهَبُ (٦)

- (١) الديوان : ٢٨٢
- (٢) نفسه : ١٨١
- (٣) نفسه : ٣٥١
- (٤) نفسه : ٢٥٤
- (٥) نفسه : ٢٨٥
- (٦) نفسه : ٣٠١

وقد يمر بالنهر في سفاهه وروحه ، وقد انجذب الخلمان اليه يسبحون ويمرحون ، فيستوقه  
السائر ، ورفته بجباله ، فيسوره تسورا يخلج عليه فرمته ، وبشره وحبوره :

فكرعتُ من ماءِ الدنيا في منهلٍ  
في حيثُ للربى الرفاء تنفسُ  
قد رنَّ عنه من الشمس سكراب  
أجُّ وللماءِ الفراتِ عذابُ

.....

ولزب غض ، الپوسم مَرَّ بِقُونُسِهِ  
ولقد أنعدتُ بشا لقيه بهزئسي  
وعبرتُ ديبكته بضاهنتي بهيلا

وكثيرا ما كان الشاعر يفضي بوزانسه على ظهر زورق ينتقل به هنا وهناك على صفحة نهر  
جزيرته الجميل فيستسلم لأنسه ولا حلامه ، ولكن الريح يهبونها القوي المفاجئ ، قد تعكس  
عليه سفور لحظنا نسه ، أو توتناه من غفلته ، فينتبه الى هذه الملامحة الطليعية المتحركة ، ويصفها

وصفا لا يدخل بها فيها من حركة وحياة :

أعالي تنجيا الأروا ليرفتية  
وذيل رداء النسيم يهفق والصبا  
بأير يذاهيه شرع كأنسه

تغافل سود الصدر بيف السوالف  
تندب ومق النهر ضخم الروادف  
إذا نرسته الريح أحشاء خائف (٢)

ويكث الشاعر على هذا ليرة لابي محمد بن عارة الشنتريني ، يصف فيها نزهة ليلية في  
اسمايه في نهر اشعيلية فيصحب بها ومارضها بمتلوعة يصف فيها نذر المشهد ولكن في البهجة  
جزيرته فيذكر الدنيا ، ويصور الزورق في تهادبه على صفحة الماء تدافعه رياح لطيفة  
كما يذلل الى الماء وقد انعكست على مرآته السافية نجوم السماء فيخالها غرقى ، ولكن في هلال  
يزداد بها النهر الجميل بجلا زروعة تستثير غير السماء :

الا يا سيذا انصحت النعمية  
وأدبر من جيبك الماء نهيد  
إذا بدت الكواكب فيه غرقسى

بعمانتها وقد عهن المساء  
تنان جلته ربح رخساء  
رأبت الأرض تعسد عا السماء (٣)

وجو النهر في طيبه ، وهدوئه قد ياون باعثا للشاعر على ركوب متنه ليقيم وصعبه برعلية  
صيد متمدة ، فيمدون لزمعدته ، ويخرجون في الوقت المناسب فمن نسيم طيل الى صفحة  
للماء طسا ، الى أشعة الشمس صفراء لطيفة ، زاد تالمشهد بها زروعة ، وابن غفاجة فسي

\* الماء الفرات : العذب

- (١) الديوان : ٣٢٢
- (٢) نفسه : ٢١٠
- (٣) نفسه : ٣١٧

حلت هذه لا تهمه عملية الصيد المستمرة ، بقدر ما يهجه جوار الطبيعة في عموه ، ووجه  
لا يصل على النصوص فيمنس الصيد ، وينصرف بجمعه الى الطبيعة ، يفتح مناظرها برهشة  
الفنان ، يرسم لها الصورة تلوا الصورة لا يمل ولا يكل ، يستلهما في ذلك ثقافة الشعرية  
رواق بيته المائل أمامه :

وراعة ربا تهادت بها الشبا  
وقد صقلت من صفوة الماء منملا\*  
فمن شبا قد حيت حوتنا مفاضة\*  
وقد نارت شمس الأصيل إلى الزبا  
وصفرة سواك الأصيل تروئي

تهاد يي عرف الشرف المشفير  
يه من شعاع الشمير روثن جوهير  
ومن سدا قد صبح صفة يهنير  
بأنصت من كرف المرين وأفتير  
على كرف من سويل الشمير أسير (١)

وتد يكون الشاعر زينا ، مضاربا فيمنس إلى جوار الطبيعة ، ويثقف على النهر ، وتهد  
ترقرت مياهه ، وانسابت في ليريقها ، تتعثر باليمن ، هنا ، معدثة صوتا يستريح له السمح  
فيشعر بهن من التباوبده ، ويحاول اشراكه فيما يمدس به في أعماقه من الأم ، ولكنك لا  
يذهب الى اكثر من أن يرن في سفا ، ما تصفا سريره ، وحسن أسرته ، وفي جريته وحركته  
جرب د موعه واضراب جوانحه :

أستقي من سنج أوز صبا  
يسيل فيحيني سفا سريرة

ومرتج من شبا أوز سايج  
ويهري د موع واضراب جوانج (٢)

ومشهد الطبيعة ، يمسها الصغر ، ونميرها الصافي السلسال ، وقد انعكست عليه اشعة  
شمس النروب ، فزادته جمالا الى جماله ، يفتن الشاعر ، فيثف امامه متأملا ، متعلما ، ونتمسي  
من تأطه وتطيه ، يرسم هذه الصورة المتكئة في تشبهاتها على ما في واقع بيته من نظواهر  
ومعانيات ، فالسفا المشبهة تحكي الخد الحذر ، وشمس الاصيل ترونو بطرف كحيل ، واما النهر

\* المشعل : السيف ، المفاضة : الدرع الواسعة  
(١) الديوان : ٣٧٧  
اللمصر : لون الشفا ، لان تتعثر بالي السواد قليلا .  
(٢) نفسه : ٢٥١

وقد عكست مياحه الصافية ضم الشسر الصفر وفيه كني سها صقلا وقد جمعت على صفحاته

قطرات من ١٤٥ :

وقد غشيت الثبت بالحصاة  
وقد ريت الشمر مستثناة  
ان سناها على نهيره

كهد والحدار به خدي أسهل  
الى الغرب كرتو بطرف كسبل  
بقايا تجميع بسيفه فقير (١)

رغم غمرة الشؤون الى الوطن ، والاعتين الى مراحب العبا ، لم يكن الشاعر ينسى نهير  
لمفر ، والحدار والسراشي المتفرعة طه ، وكيف ينساها ، وكانت تنسى أمه ، ومولن ، فلواته  
ولوحات جميلة ارتسمت عليها ذكرياته في سرعة تشابه النض ، لتند من اليها الكاس الى كل  
شيء في ولنه ، بل ، ودين لا يرتبط بها وليس بذكرها وهو الجنان المحب لارضه الماهر  
على احيائها ، وعذرة الماء بالارض كحلاقة الروح بالجسد لا حياة له بدونها :

بكرة ظل قون وجهه غدير  
وما اهتر من أبت عليه طير (٢)

واقي وان بفت المشيب لمولج  
فيا عبدا ماء بمنعن اللبون

وقد يسى أويرب شيئا في اللبحة ، يذكره بولنه ، مولن ذكرياته اللوة ، فاذا ابتلنا  
الذكريات تتلاحق وتتدافع ، ويستدعي بعضها بعضا ، يفصح عنها الشاعر في أبيات رقيقة  
تفيل لهذه ومنها :

وعهدا لصر الضبا أريا  
ومرتما باليعى مشبها

فأذرت اليلة باللبون  
وما هواد الغضا سلسلا

ومن جملة ما يحن اليه الشاعر ، بل وحصانه كذلك ، نهير بلده الذي يمي في صفائه  
نصر السيب ، وفي صفائه المشجر اخضرار عذاره ؛  
ونهر كما ابي المنهل سلسلا

ويزعا كما اخمر الحدار مشبها (٤)

\* النجيم : دم يشرب الى السواد ، وترنو : تنظر

(١) الدهران : ٢٧٨

(٢) نفسه : ١٨١

(٣) نفسه : ١١٦

(٤) نفسه : ١١٢

ولكن هذه الصور المائية ، الموزعة هنا وهناك في تماكيد ومقلعات شمسره ، وقد تبتعث  
 في مشهد كلي للزهر رسمة الشاعر متبعا فيه اجزاءه ومراحله ، وأشئاله وحالاته ، وستنجدنا  
 في ذلك بما في ذاكرته من صور وما يحوله من طواهر الطبيعة وألوانها وأصباغها . وهو في  
 رسمة بمعنى بالظاهر المادي ، فالتشبيهات حسية ، والتصور مادي ، يملأ العين بما فيه  
 من الزمان وضياء ، وتستريح الأذن لسوسيقا كلماته المنقاة ، ولكن لا مشاركة للروح فيه من  
 قريب أو بعيد :

أشهى زُرداً من لَحَى السَّنَا  
 والزَّمَرُ يَلْتَفُّه مَجْرُ سَسَا  
 من فِدْمَةٍ فِي بُرْدَةٍ خَضِرَاءِ  
 هُدْبٌ تَحْفُ بِمَقْلَةٍ زُرْقَاءِ  
 سفراءٌ تَحْفِيضُ أَيْدِي النَّدَا  
 ذهاباً لأصيل على لَجِينِ المَاءِ ( ١ )

لله نَهْرٌ سَالَ فِي المَحَا  
 متصلاً مَثَّ السَّوَارِ نَانَه  
 قد رَفَى سَدَى ذَلْنَ قَوْسًا مَفْرَعًا  
 وغَدَّتْ تَمَّتْ به الفُصُونُ كَأَنهَا  
 ولرِهَا عَا آتَتْ فِيهَا مَاءً  
 والرِيحُ تَحْفِيضُ بِالنُّصُورِ وَتَدَجُرُ

ونلاحظ في هذا الوصف شيئاً جديداً ، لم نعهد من قبل يتضمنه البيت الاو ، فلمس  
 المسنن الذي لالما تلميح عليها الشاعر ، مشبها بمضامين الطبيعة بها أو العكس  
 نجد ما هنا تتفردون مرتبة ما النهر في عذوبته وحلاوته ، فالنهر أشبه منها ورودا . كما  
 يذالق من بيئته عند ما يشبه النهر في البيت الرابع ، في زرقتة ، وقد عفت به القمصون  
 بالمقلة الزرقاء .

ولكن هذه الظاهرة الطبيعية الرائعة ، ظاهرة الماء المنساب ، والنهر السلسال ، والمنتع  
 للظفر ، الصنم للروح ، قد يتحول شتاء الى سيل مدمر ، وتيارات يجر ما يجده في  
 ابريته من مراتب ومناجات فينحني ظاهراً مرعباً مدفوناً ، تهدد بالدمار ، بعد أن كان  
 ظاهرة جميلة ، ممتعة مؤنسة ، تجذب بالناس إليها باجوائها النديسة ، ومماها الباردة

( ١ ) الديوان : ٢٥٦ - ٢٥٧

المنجبة ، وابن ، فاجبة ، وعواهن الزهر الذي يأمون بلدته ، عاشر هذه الأاهرة ، في مختلف  
ألوارها ولكن تعامله مسهالا يحد وما شاهدته عنه ، بل ، وقد يلهيه التشبيه الذي عن  
نقل ما تراه عنه كما هو ، فيأتي وصف لها عاديا ، وأنه لم ير شاعرا فنانا ، يربط مالا يراه الشعر  
ويحرر مالا يعسون .

\* السيل :

الظاهر أن الجزيرة نابت تشهد هذه الأاهرة مرة كل سنة على سبيل التدبير ، تؤكد  
زلب مقلعنا الشاعر اللتان وصف في اعدادنا السبل الذي اجتاح الجزيرة في سنة  
( ١٤٨٠ م ) ، ووصف في الثانية نفس الأاهرة في سنة ( ١٤٨١ م ) مما يدل على أن موسم  
شرق الاندلس كانت تتعرض لأمراض غزيرة قد تلبس مدتها الى ان تتحول الى سيول عارفة  
تغرب الزروع وتهدم الديار ، وابن ، فاجبة تعلق هذا المشهد ، يرقبه من تشب ، فلا تتفاعل  
به نفس ، ولا يجزيه بمشاعره وافقاره ، فيصوره ، بالتالي ، تصويرا يلائمه قوة وعمقا ، وانما  
يصفه وصفاسا لها ، يلبأ فيه الى تشبيهات حسية يستمد ما من واقعه الاجتماعي والديني  
قد يذكره تباري الديار ، وشراب الحمران ، تحت ولأة المار ، وصدمة السبل ، الا بهيبة  
الركوع والسجود ، او بوضعية انحناء الرقود في سبالر البلوت :

أَلَا لَمْ يَهْرَأْتِي \* كَمْ  
فَأَمْوَتْ تَحِيْرًا \* نَابًا الْيَتِي  
وَمَالَتْ لَأَنَّ عَلَيْهَا سَلَاةً

وَجَدَّ انْقِافًا سَمَاءٍ تَبَاوَدَ  
دَمَا تَبَلَّغَ الطَّلُوبَةُ الرُّبُودَ  
فِي حَقِّ رَدْوٍ وَبَعْدَ شَيْءٍ سُبُودَ ( ١ )

ويحود الى بلده من سفر رساليتون قال طلال ، وجماد فعودته نزول المار ، فيسار  
في الدليل للحنان بداره ، فما أن يجترب منها حتى يلفيها أنفاضا ، فماذا ياترى بهيون  
موتفه ؟ إنه لموتفه يهترله قلب الانسان العادي ، فكيف يقلب الشاعر الحساس ، وللمن

\* الاتي : السيل .

( ١ ) الديوان : ٢٠٨

لا تعجب اذا احد صبيرونا اقتلعها من جوده الشتوي ، ووعف سطحها رتيب لا يتمسك الموتف ، ويتراب ان بدون دعاية تثير الضحك ، اكثر منه ذابة او حسرة ، تستدر التماسك وتدفع الى المشاركة الوجدانية :

أما وسيل سائل الخبيث كالشاعر  
وقد غمر القيمان ماء من نذل  
لقد أثبت بين الرعب والقار أشكبي  
وما ألاملزل البناج من القبيلا\*  
يدار سقتهاد يعة اثر ديمسة  
فيم عارغ يسيقي ومن سقته مجلسي  
اذا ما ودي ركن فأمون فانتني

البحر :

وعلى العكس من السيل فان البحر يحظى بحناية الابر من الشاعر ، فقد أكثر من ذكر البحر في غرضي المدح والرمز ، مستميرا أو مشبها ، كما وصفه ذلكادرة طيمنية ، تبعث الرعب والهلع في القلوب بماواجبها المتلاحة ، واعماقها السميثة وللماتها الكثيفة ، والشاعر كما يأنهر من مقطعاته لحر من معني البحر ، ولا صحن يرغبون في ركوبه او مسارعة مواجيه فهو يخافه ويرهبه ، فلا يركبه الا متلرا ، بل ويهجو ويهزده في ارتداده ، فهو قد خسبه ونال لجهته ، فلهيب فيه ما يلب ، فليمر فيه تبيرنفع ، وطاقه من زفح قليل ، يصعد المنقال صحنون بالصغار والأهوال :

يا ما يبح البحر وهو يجهله  
فأئده مثل قعره بعمدا  
مهلا فاني قد تهرته علما  
ورزقه مثل ما به الصمدا (٢)

ولكن هذا الموتف الزاهد الصفر من البحر ، لم يعمل دون رسم الشاعر ليعبر للمشاهد في عرض البحر أو في شاطئه ، جسد من خالها مخاوفه ، وتلقه ، وشرقه من الموت ، فهو

(١) الديوان : ٣٠٧ - ٣٠٨ \* الوتر : نقل في الاذن أو نجاب السمع  
(٢) نفسه : ٣٤١ : الوتر : الحمل التمهيل ، الحيا : المأل



إذا وجد نفسه في عرض البحر ، حيث تمتزج زرقاة السماء بزرقاة الماء ، يلفتت يمناً وبسرة فلا يرى إلا الماء يمتد امامه في الأفق ، يهدأ تارة ، وفتساب به السفينة على متنه ، وقد ساعدتها الريح ، لأنها تلير بجناحين ، وبهيمج أخري ، فيرضى ويزيد ، وتضطرب احشائه ، وتعلو امواجه في وضع لا تقوى سفينته على مقاومته ، فتثقل ، وترجح ، وتعلو وتهبط ، مما يعمث في نفسه القلق والاضطراب ، فيحس بدنو اجله ، ويتخيل الموت شيئا مرعبا يريد أن يبتلعسه ؛ ويشهد به الموتف فيشعر بالتلاشي فيما حوله ، ولا يعود يفرق بين حركة الموج وخفقان قلبه وانفاسه المتصاعدة ، وزفير الرياح :

وجارية ركبنا بها غلامًا	يظير من الصبح به جناح
إذا الماء المان فرق خصرا	عنا من موجه ردت رداح
وتد فخر اليتام ، ذات فاه	رأتلج جهده الأجل الشاع
فما أدري أموق أم قلوب	وأنفاس تصعد أم ريباع (١)

ولا ينس حق في هذا الموتف العصيب أن يعرب عما رسخ في أعطاه من حب للمرأة ، وتعلق بأوصافها المادية ، فيذكر الخصر ، والرداف ، والقم والجيد والقلب ، وقد يذكره هول الموتف بالك تعالى ، فيحس بحضوره ، ويرى في الالتجاء اليه ، توبة وتضرعا ، خير من وأعسن خلاص :

أئن كنا ركبناها غلامًا	فيا لله أنا تائبون
فأقرجنا على المرغوب منها	فإن عدنا فإننا غلامون (٢)

وابن شلمجة ، وهو ابن الطبيعة الغضراء ، بجمالها وسهرتها ، وجموانها ، كثير ما يستولي عليه سبها ، فيخلع صفاتها على موصوفاته منها ، فهو هنا يقف أمام البحر ، يتأمل امواجه وقد درجتها الصبا ، فارتفعت وانسطت واضطربت ، فيمثل لاضطرابها برجفة قلب عاشق زلهان اقامه واقعه بعد سببه عنه ، ومنعت البحر بالفضرة ، وصفت حركة عينه وهسي تتابع البحر في تموجه وانساليه بانها تتهم وتتجد ، كما بصور لنا مركبه الذي همين وحق به عباب البحر بأنه أدهم ، لا يرويه غير سوط واحد ، بجري له ويزيد ، هو سوط الريح ، ولأنني بالشاعر في هذا الوصف لم تطاوه مغيلته في رسم هذا المشهد المائل امامه ، فأغل مشد ودا ببصيرته الى ارضه ، بما فيها من ظواهر صامتة ، ينظر الى البحر من خلالها ، ومغسه

(١) الديوان : ١٣٨

(٢) نفسه : ٣٤١

صافها :

فَتَشْتَمُ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتُنَجِدُ	وَأَخْتَرَ عِبَّانٍ تَدْرِجُهُ الصَّبَا
يَقُومُ بِهِ نَائِبُ الْعَيْبِ وَقَعْسِدُ	لَنْ فَوَادًا بَيْنَ جَنَيْهِ رَاجِعًا
مُرُوقٍ بِسَوِيلِ الرِّيحِ يَجْرِي فَيَزِيدُ (١)	سَازِدٌ مِنْهُ ظَهَرَ ادْهَمَ رِيَيْنِ

ويقال على الشاطئ \* ، حيث يشهد من كثب سرعة المد والجزر ، على الرمل الرطوب  
 دي ، أو على الصخور الصلدة ، معدثة صوتا ، ومختلفة هازدا أبيض يزيد المنظر  
 ودوعة ، فلا يرى في اللجة وهي تغرب في حركة متموجة الا قلبا يخفق عشقا ، أو يرتعد  
 وهلعا ، بل ويغال نفسه فارسا واللجة المزودة فرسا أبلق <sup>قرب</sup> منه ليمتلئ صهوته :

فَمَا تَنِي أَحْشَاؤُهُمَا تَفْفُقُ	وَلَجَّةٌ تَفْرُقُ أَوْ تَعْشَقُ
مِنَ الصَّبَا مَزِيدٌ تَقْلَسُقُ	شَارَفْتَهَا وَهِيَ بِهَا هَاجِبَا
تَوَرَّبَ مِنْهُ فَرَسٌ أَهْلَسُقُ (٢)	فَعَيْلَتِي فِي شَرَابِهَا فَارَسَا

وقد يركب البحر ، وقد استهدت به الهموم ، واثقلت الاحزان ، فيحمر بالضيغ الشديد  
 غال نفسه محاصرا باللمات ثلاث : ظلمة البحر ، والخراب ، والكون ، فيحاول وسعفا  
 مشهد المد لهم من حوله ، فلا يجد ابلغ ولا أدق تصهرا من الآية القرآنية ، فيقتبسها  
 فسر الفاعلها تقريبا :

وتشتكي النفس من أذاها	كَمْ تَلَأَ الْعَيْنُ مِنْ قَدَاهَا
ثلاثة أطبقت دجها	بَحْرٌ وَنَوٌّ وَطَلُوقٌ هَيِّمٌ
أخرجها لم يكذب يراها (١)	قَلْبُودٌ الْمَرِّ وَهِيَ مِنْهُ

(١) الديوان : ١٢٤ - ١٢٥ \* تفرق : تغاف

(٢) نفسه : ١٣٧

(٣) نفسه : ٣٤٢ / \* أو كظلمات في بحر لبي يخشاه موج من فوقه موج من فوقه

سحاب ، وظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكذب

يراهما ، ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور \*

(القرآن الكريم ٢٤ : ٢٠)

هذا هو موقف الشاعر من البحر ، موقف الخائف ، القلق ، يهز في البحر شيئا مرعبا يذكر بالموت ، ويخدر بالهلاک ، وقد رأينا موقفا آخر مشاهبا لابن حمديس ، ولعلنا لا نخطئ في دید الحقيقة ، اذا قلنا : إنه موقف شاعرنا العربي القديم عموما ، ولعلنا لا نخطئ في بالبحر ، بسبب بساطة الرسائل المتاحة له في ذلك الزمان ، وأثر في نشوء هذا الموقف المعادي وحدوث تلك الذلّة المتشائمة ازاء هذه الظاهرة الطيبة اللان بالمجائب والاسرار ( ١ ) .

هذا عن المائيات ، وقد رأينا كيف عني بها ، وصورها في شعره ، وهي عنابة لم تصرفه عن العناية بالماء في حاله وهو متعبد ، فوصفه بردا كما وصفه تلجا وان لم يكثر في ذلك .

البرد :

لم يقف ابن سفيان من البرد موقف الفنان المتطلي المتأمل فيما خلق الله في الكون ، المتحسس لنزاهة الجمال في هذه الظاهرة الكونية القليلة الحدوث ، وانما يقف منها موقف الخائف ، وفي تقديره في القلوب عشرين اللتين خصها بهما بقضايا فقهية ، إنها عذاب الهسي سدا على الأرواح لها ولا دليلها لخربهم عن البلاعة ، ووقعهم في الخساسة ، وفي القلعة الأولى يتصور الشاعر أن الله تعالى قد نسخ المار عبارة ليحصب بها عباده ، ويريدهم بها عقابا لهم على كفرانهم نعمه ، وعصيانهم أوامره ، وتحولهم الى مردة وفقاريت يميثون في الارض نسادا :

تَصَوَّبْ عَلَيْنَا وَالْقَمَامَ عُمُومًا

لِهَالِي كَذَا لَا تَلْمِزْ خُلُومًا

تَعَوَّلْ شُرُوبَ الْقَمَامِ رَجُومًا ( ٢ )

أَلَا نَسَخَ اللَّهُ الْقِيلَارَ حِجَابًا

وَدَاوَتْ سَمَاءَ اللَّهِ لَا تُصَلِّرُ الْعَمَى

فَلَمَّا تَعَرَّلْنَا عَارِيَتِ شَيْبَرٍ

وأما في مقابلة الثانية ، ورغم ان الشاعر قد حاول رسم صورة جميلة للبرد ، عندما تصور انه قدرة من نديم تعلى بها نعر الشر ، بمد أن كان عابلا ، إلا أن نفس جو المقطوعة الأولى ينقل مهيبة ، فهو يحصب الأباطح بماء بارد ، يفشيها بقذاب ذائب ، وتكمل الصورة

\* القطار : المبر

( ١ ) انظر ص : ١٠٩ .

( ٢ ) الديوان : ٧٥ .

عند ما يتصور أن الارض قد زنت ، وان الختام انما أكب برجمها عتابا لها على فعلتها  
المنكرة :

نَحَرَ الثرى برّة تحدّر سائب	يا ربّ تُدْرِعُ عَالِي حَلَى بِهِ
نَحَّشَ الهلّالَ به عذابٌ ذائب	عصبت الاباح منه ماء جامد
نَثَرَتْ بها والجوُّ جهنّم قائل	فالأرضُ تفصّك عن تلائد أن
فأكب برجمها الختام العاصيب (١)	ولما زنت البسيطة تحتسبه

فقد حاول الشاعر في ثلثا مقالوعته توأيم ثقافته القرآنية والفقهيّة ، ولكن محاولته  
افتقرت في كليهما الى الحمق والشمول .

\* الطلج :

وعلى العكس من البرد ، فان الطلج يحظى بعناية اكثر من الشاعر ، فقد فتته الثلج  
ببياضه وضبابه ، وطلاء نفسه بفرحة غامرة ، فالطلح ، في ستوطه ، وتراكمه ، وتغيطته لها بالربا .  
وقدم الجبال ، ونسوته البياض والشجر بالبياض ، يفرجه ويفتن بصره ، فيتفأمامه مستمتصا  
ببساطه وسفا يدل ، وان كان لا يتجاوز ظاهرا الموصوف الى أعماله وأسراره ، على فتنة واعجاب .  
ان ظاهرة الطلج توحي اليه ببعض الصور ولكنها حسية هي الاخرى ولا تشترك مع الظاهرة  
الموصوفة الا في اللون ، فهو اذا اراد وصف الطلج تداعت صور كثيرة مشابهة انما عينيه  
دمورة لغام الجهل ، والعمامة البيضاء ، والشيب ، والفرس الاشهب ، ونور الشجر ، والوجه  
الطلح ، فبتخذ منها ادوات يلون بها مشبهه المرسوم .

فقد يتالى بصره الى الجبال ، فيرى قممها مغطاة بالثلج ، معتمة بالخمام فيصفها

قائلا :

مثل مرقبة مناع غمامة	مثل الضريب بها صجان لغام (٢)
----------------------	------------------------------

وانا غررت في لبال الشتاء ، ووجد البحر يلحج ، والثلج قد غطى الارض ، فعمها

النساء ، وصف ذلك قائلا :

في ليلة لبلاء يلحس جبرها	وهنا لسان البارئ المتوقد
--------------------------	--------------------------

(١) الديوان : ٧٦	* الضريب : الطلج
(٢) نفسه : ٨٤	لغام : لما يلفظه في الفرأ والجهل من زيد .

نَسَجَ النَّارِيبُ بِهَا الْأَلَمَ حَمَامَةً      فَايْبُضُّ كُلَّ غَرَابٍ لَيْلٍ أَسْوَدٍ  
 شَابَتْ وَرَاءَ تَمَنَّا عِيَالَهُمُ الرِّبَا      وَاشْمَلَتْ مُقْرِنٌ ذُلَّ غَمِّنِ أَمَلَدِ (١)  
 وَأُذَانُهَا إِلَى الضَّرَنِ الْمَسْتَرِّ بِالثَّلَجِ تَذُورُ الْوَجْهَ الْمَلْطَمِ فَاسْتَوْحَى مِنْهُ صَوْرَتَهُ قَائِلًا :  
 أَوْ نَحْرٍ نَهْرٍ بِالرَّبَابِ مَقْلَبِ      أَوْ وَجْهِ غُرْنٍ بِالضَّرِيبِ مَلْشَمِ (٢)

والطبيعة ، وقد نسبت بالبياض ، وامتلأت بالنميا ، تشرف في نفر الشاعر الاعساس بالحتمة  
 وتذوره بنار سمته الأشتر ، ويردب اليه فرس الثلج الاشهب ، ويقتصد العانة التي تحتفسي  
 بزوارها ، وترحب بهم في مثل ذلك اليوم ايها ترحيب :

أَلَا تَدْرُسُ ذَيْلَهَا لَيْلًا      تَجْرُ الرَّيَابَ بِهِ هَيْدَبًا  
 وَقَدْ بَرَّقَ الثَّلَجُ وَجْهَ الشُّسْرِ      وَالْعَبَّ غَمَّيْنِ النَّقَا فَاخْتَبَى  
 فَشَابَتْ وَرَاءَ تَمَنَّا الظَّمَامِ      نَوَاصِي الْغُصُونِ وَهَامِ الرِّبَا  
 فَهَمَّا تَبَعَّتْ حَمَامَةً      رَكِبَتْ إِلَى أَشْقَرِ أَشْهَبِ  
 وَحَبِيَّتْ حَانَتْهَا الْإِرْتَسَا      فَقَالَتْ تَجْهَبُ أَلَا مَرَّيَبَا (٣)

وقد يبيت الشاعر وصعبه على شرب الدم في جو الطبيعة وقد تساهها الطير ، ولكن  
 الدم لا تشغله عن الحظير اللهب ، ولا تلهيه عن تلميح جماله وروعته ، فالارض المفضضة  
 وقد حكمت بيها ضها عيونها شاملاً ، شاب شعرها ومنظر الربا والسهول المجللة بالبياس  
 وقد حكمت رباضا منورة ولكن بدون ثمر ، وتطلع الثلج الطائرة في الفضاء ، المتناثرة على  
 الارض ، لأنها اشجار منورة نثرت زهرها الرياح ، هي التي تسدق انتباهه ، وتضرب بصره  
 وتفتن حسه ، فيمنعها وصفا يذم عن احساس صادق بمشاهد الطبيعة ، وفتنة غامرة بنواصي  
 الجمال فيها :

لِلَّهِ نَدَانٌ عِدَى بَاتَ مَضَلِّمَا      نَارًا مِنَ الثَّلَجِ السَّلَانِ يَسْتَمِيرُ  
 وَالْأَرْضُ فُضِيَّةُ الْأَفَاقِ تَحْسَبُهَا      شَمَاءً عَاسِرَةً قَدْ مَسَّهَا الْيَسِيرُ

(١) الديوان : ١٩٣

(٢) نفسه : ٢٤٤

(٣) نفسه : ٢١٢

فَكَذَّبْتَنِي وَرَهْدِي قَدْ أَطَّلَ بِهِ  
رَوْحٌ تَجَلَّى بِتَوَرُّعِهِ مَالَهُ شَمَّرُ  
وَالْأَقْدَامُ تَغْرِزُ فِيهِ بِاسْمِهِ  
لِهَاعِنِ الطَّلْحِ رِيحٌ بَارِدٌ تَحْمِيرُ  
لَأَنَّ فِي الْهَيَّوِ اشْجَارًا مَنَسْرُورَةً  
هَدَّبَ النَّسِيمُ عَلَيْهَا فَهِيَ تَنْتَشِيرُ (١)

والشاعر ، كما هو واضح ، يلتقي في تلميحاته مع شعراء الشام والعراق ، في الكثير من  
سباني والمسير ، ولكن السجع في ذلك يردنا إلى عناقته الشعرية ، كما تدل بدون مردء السج  
باهرة التسامح التي هيمنت على شعرنا الوصفي القديم في عمومها ، وفي عصوره المختلفة .

الوهف : المكان المظلم

(١) الديوان : ٢٧٢

الفصل السادس

فسي

الأواعير الدوائية

لهيئة صرايين عفاية في وصفه على ما ذكر من عناصر طبيعية ، بل قد يصره الى كل ما يحوله من ظواهرات الوزن الصاعدة ، فذكر الرياح ، والغمام ، والرعد والبرق ، والشهب ، والصار ، والنيل والنهار ، والشعر والقمر ، والشجون والكواكب ، يتف عند بعضها مقاملا مستترا ، ويبر بعضها الأثر بوزر العابر ، يفتننا بالذرة الصبلي ، والصورة الحاصلة دون التارك الى التشميلات والبيزغيات ، وهذا لازم بجمل يحتاج الى تفصيل وتوضيح ، ولذي يتضح الامر بغيره لا يد من التعرض لهذه الظواهر ، بل على حدة ، ونبدأ بالرياح :

\* الرياح :

عني ابن خنيفة بالرياح في وصفه ، لط تبعثه في عناصر الطبيعة من حركة وعيافة فبعض التي تدفع السمات ، وتميز الغصون ، وتحمل شذا الرياح ، وهي الوسط الذي يفتن سألده ، ويحمل اشواقه الى من يحببه ، ومن هذا كانت ملامتها عنده عظيمة ، ما جعله يكثر من ذنرها ويعد بعمامة من اسمائها في حالاتها الصاعدة ، وان كان تعرضه لها عاما في اثرا الاميان ، والرياح عنده عموم ، ربي طيبة ، رضاء ، لا تكسر ولا تدمر ، وانما تدار الاورا ، وتصبغ بالخصون ، وتلثم اوجه الازهار ، وتمتلح الحبوب بالحبيب ، فتنتن التسية ، وتسلم السلام ، وهو في هذا انما يمدح عن بعثه الطبيعة ، فسي اعتدال ماضها ، ولذاتة بيوها ، وكثرة امطارها ، وهو لا يذكر من الرياح النكب غير ربيع النعاص ، وهي عنده دليلة الحبيب ، ابية الانفاس ، تساعد على الهوى ، وتدفع الس

الكره :

أُنِيمَ فَنَدَّ سَبِيَتِ النِّعَاصِ \* رُوِيَتْ رِيَكِبِهَا الْفَرَّاسِي (١)

.....

(١) الديوان : ١١ \* النعاصي : من الرياح النكب . تهب من ناحية الجنوب ، صابلي المشرك .

وقد تسمت رين الثمام فننهت  
مبون الندام تعت ربحانة الفجر (١)

واما رين السموم ، والدبوز ، والاعاصير والعواصف ، وغيرها من الرياح العنيفة المدمرة  
جد لها ذكرا في شفره ، وللمها لم تكن معروفة في بيئته ، أو انها كانت موجودة ، وأعرس  
كرها ، مخافة ان ينعثها بدم ، فيقال السنّة الناهية عن سب الرين . وهو يكثر من  
النسيم ، والصبا أو القبول ، والشطال ، والجنوب ، فيحرك بوساطتها ما كان موصوفاً  
لربها أجواء مجال أنسه ، ويحملها أشواقه ومواجهه ، ويناشدها أن تصل بينه وبين  
ويه ، وقد مر معنا ، في النصوص المستشهد بها في فصل الروضيات والشجريات وغيرها  
التي ، بلان للرين فيها دور بارز ، فهوانا عقد مجلسه تخير له جواً ملائماً ، وملائماً مناسباً  
فيه رين لطيفة عابرة ، تزيد النفس راحة وانشراحاً :

فهب رين الفأر عابرة الينسى  
لطفة صي البرد اية السرى (٢)

....

وأفصحت الرتاء في دل تلتقى  
نشيد او قد رن النسيم نبيوتا (٣)

وهفا القريب وما أذن وأنسرا

نديب النسيم وما أرن وأعاسرا

رأبا وتفتق من غمام عنسرا (٤)

والرني تنحن من رذاني لولسوا

.....

لها التور ثغر والنسيم لسار (٥)

ونمت بأسرار التراب عملة

....

والنلل غفان الرواق تليل (٦)

حكت المدامة فالنسيم عليل

(١) الديوان : ٢٢

(٢) نفسه : ٨٢

(٣) نفسه : ١١٣

(٤) نفسه : ١٢٤

(٥) نفسه : ٢٣٥

(٦) نفسه : ٢٥٤



ومثلية التوار تدوين ، بلقها ربح تلت فروعها صطكار (١)

.....

ستبا ايون قد أنعت بسروسة ربا تارعهما الربا فتلحبا (٢)

وهو اذا نأت به الشقة عن بعد ، واشتد به الشوق اليه ، ويد في الريح رسولا  
أمينا يحطه لواع تليه ، وراحت شعيات الى صهبوه ، وهي ابرين سلوكة ، سار فيها الاثير من  
شعراء الصربية ، جاء عليهم واسلامهم :

تكر جنوبا بيننا وشمالا

ولا رسل الا للربا عشية

واستنش الربا الجنوب سوالا (٣)

فاستودع الربا الشمال تعبئة

ونعم صلاة القلوب

عرا ان تشن النسيم

مع الاصيل صلي الهبوب

وأقول للربا الهبوب

كما استلبت بها الجنوب (٤)

فهي استأبنت في الشمال

.....

شمال تهادني بيننا ويحبوب

تجهل تهادني الربا فليتها

وتجبري شمالا تارة فزوب (٥)

تهدب بنا لمررا جنوبا فلتقي

كما أن إذا حرك الى وطنه ، واطفي أيامه وذكرياته ، كانت الريح الندية من بوملة ما  
بين اليه من مواهر طبيعة ذلك الوطن وسعاداتها المختلفة :  
ومن لي يترد الريح من أبري الحصى  
وربا الهزاض من أجان لعلما\* (٦)

(١) الديوان : ٢٨

(٢) نفسه : ٢٨٩

(٣) نفسه : ١٢٤

(٤) نفسه : ٢٥١

(٥) نفسه : ٢٠٩ ، انار ذلك : ص ١٠ ، ١٨٥

(٦) نفسه : ٥٦ \* - لعله : اسم موضع او جبل

وَجَاءَ بِنِي الشَّيْبَابِ وَلَوْ قَسِيمًا (١)  
 أَلَا سَرَّ الْقَبُولَ لَوْ تَسِيمًا  
 وَأَيُّ نَفْعَاتِ الرِّيحِ مِنْ بَأْسِنِ لَتَلِيحٍ

وَأَنَا رَشِيٌّ وَقَدْ انْتَفَرْتُ بِمَعْدَاةِهِ ، وَجَدْتُ فِي انْتِفَارِ الشَّمَالِ بِمَا تَجَلَّبَهُ مِنْ مَاءٍ مَسْمُومٍ  
 يَنْبُوعُهُ ، وَرَمَلٌ حَقِيقَةٌ بِحَالِهِ ، فَلَيْسَ مَا رِيحُ الشَّمَالِ الْمَنْهَمِرُ سِوَى دِمِيعَةِ الْغُرَارِ السَّقِي  
 سَلْبِهَا يَا هَا :

تَنُوهُ بِهَا مِنْ مَاءٍ يَبِيحٍ فَتَرْتَنُ  
 أُسَيْلُ أَنْفَارِ الشَّمَالِ عَقِيْبَتُهُ  
 تَلْدُدُ فِي نَحْوِ الْبُحْرِ فَاُجْتَنُ (٢)  
 فَلَئِنْ تَفَرَّقَ نَهْمُ الشَّمَالِ لَوَسَّسُهُ

وَقَدْ يَذْكُرُهُ مَوْجُ الرِّثَاءِ ، بِهَا لَوْتُ ، وَفِي حَمْرِ الزَّمَانِ فِي سُرْعَةِ مَضِيِّهِ ، وَتَذَكَّرَ مَا ضَى زَمَانُهُ  
 رَارًا وَشَرِقَ قَائِلًا :

وَلَمْ أُتَمَعِّحْ مَفْحَةَ الدَّشِيرِ رَاضِيًا  
 كَأَنِّي لَمْ أَنْتَهَ مِنَ الْكَيْهُولِ لِمَسَّةٍ  
 سَلَوًا وَلَمْ أُطْرَبِ الْبِرِّ الْعَظِيمِ شَارِدِيًا (٤)  
 وَلَمْ أَتَلَقَّ الرِّيحَ تَفْدًا ، وَعَلَى الْحَشَا

وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِهِ ، تَسْبِيحٌ فِي الْفَضَاءِ الْمَسْبُوحِ ، فَيَبْرَاهَا عَلَى بِسَائِلَتِهِ ، وَتَرْكُوبِ  
 الرِّيحِ ، وَتَفْدٍ فِي السَّيْرِ فِي اللَّيْلِ الظَّلْمِ وَقَدْ أَخَذَ الدُّجَى فِي يَدِهِ سِوَى الْبُرْقِ ، يَلُوحُ بِهِ

مِنْ حِينٍ لِأَشْرٍ ، يَهْتَفُ بِهِ الرِّيحُ ، لِمَتَزِيدٍ مِنْ سُرْعَتِهَا .  
 بِرُوحِ الشَّرَى وَالْبُرْقِ سِوَى شَائِيئٍ

وَقَدْ يَجْرِي فِي الرِّيَاحِ مَا يَأْبَى ، وَفِي الرَّمْدِ حَادِيًا لَهَا :  
 وَأَرْتَجَزُ الرَّمْدَ يَجِيحُ النَّسْدَى  
 رِيًّا وَبَعْدَ وَبِصَلَايَا الرِّيَاحِ (١)

وَقَدْ تَكُونُ الرِّيَاحُ سَيَاطِلًا تَرْهَبُ الْمَسْفِينَةَ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ :  
 سَأَرَنْبُ مِنْهُ الْبُحْرَانُ لَمْ يَتَّيْفِضِ  
 مَرُوعَ بِسِوَى الرِّيحِ بِجَرِي فَيَزِيدُ (٧)

- (١) الديوان : ١١٤
- (٢) نفسه : ٢٤٣
- (٣) نفسه : ٢٦٨
- (٤) نفسه : ١١٤
- (٥) نفسه : ٢٤٣
- (٦) نفسه : ١٦٥
- (٧) نفسه : ١٤٥

وأذا وقف على رابية الشرق ، واتساع أريافه ، وبعد الحرافه ، وأراد تصوير ذلك ، لم يجد  
أبلغ من تصور أن الريح تله فيه فترقد :

مهيبة يبيت الذئب يستر رهبة  
به يتك البرح فيه فترقد ( ١ )

أوانها المدايا التي لا يتوم غيرها ماقصها لقطع عفازته وغوره السعير :

سحيق ، فغ غير الرياح رذائب  
هناك ولا غير الغمام مزان ( ٢ )

وشعراين شغابة في هذا المبال ، وإن كان دقيقا ، مصطبنا بعوانفه واحاسيسه  
مقلونا بأعنته وتصوراته ، وبعد أكثره صدق الخرافة الداعية في ديوان الشعر العربي القديم  
ولكن أهم ما يلاحظ فيه ، وهو يجعل الريح عنصرا أساسا في اوصافه أوهاجيري العنصر  
المسوت لها ، فهي عنده ، كما في الطبيعة ، وسيلة تعريب ، وإحياء ، وهي عنده فضلا  
عن ذلك وسيلة غير وضاء ، لا وسيلة تخريب ودمار . ومن الأواهر التي ارتبطت بالريح في  
وبغها الغمام ، فهي دليل عليها ، وشارة يتقدمها ، بل ومالية لها ، تحملها إلى حيث  
تريد وترعد ، فتتزل النيك ، وتشتكي اليبال والريا ، وتروي الوضاد ، وتشد الديوان ما .

بـ الغمام والبرق والرعد :

أكثر ما يفتاحه من ذكر الغمام والبرق في اوصافه المختلفة ، وفروضياته لا تباد تغلو  
من صورة للقيم أو البرق ، كما أن افرانجه الاخرى ، من مدح ورثاء ، ونزل وحنين ، عاقلة  
بها أهدا ، وهو شعرها يفتي ، وبالذات الثلجة السابرة ، ولكن هذه الشارة المشاملة فيرمع السرد  
فهو قد يفتأ أمام السعابرتة أطول ، ويتتبعها ببصره ، يرسلها صورا جميلة هبة ، وهو  
عند ما يهيم بالقيم والبرق والرعد ، يصور عن بيئته الطبيعية ، مع

( ١ ) الديوان : ١٤٤

( ٢ ) نفسه : ١٣٤

رسمور ما ذلت تراه عيناه في سماها من عين لا غير ، ولا يعني هذا أنه انسلخ من التراث الشعري الذي طالما أديب عليه دراسا ومفكرا ومعارضا ، فأتى بوعى جديد مبتدع لير فيه أثر التديم ، وإنما الامر الذي يلاحظ ، هو أن أغلب صورته ومما فيه ، في هذا المجال تتأثر بثقافته الشعرية ، واستلهم في رسمها لرائق الاقدمين من الجاهلية حتى عصره . وان كان ربما ، أكثر التماقا بينهم بحوضعاته الموصوفة ، وأمد قبحهم تصويرا عما في قلبه من حسب لبيته ، وشعور بنواحي الجمال فيها .

يرتد الفطام ، وعادة ، بالبرق ، وأعيانها بالبرق الذي لا يذكره الشاعر كثيرا لعدم استراحتته اليه فصرخاته الدوية لا تستأجبهها نفسه الرقيقة ، ولا يتعلمها اسمه الحساس ، ولكنه سجع ذلك ليجرما من بحر الصورة المسية ، التي استوحى في رسمها ثقافته الفقهية ، وصناعته الكتابية ، وهذه الصورة التي رسمها في احد ديوانه :

وَالشَّمْعُ تَجَلَّى المَشْرُوبِ بِرَيْسَةٍ وَالرَّعْدُ بِرَقِي وَالخَمَامَةُ تَنْفُصُكَ (١)

فالشمع لضل ضيا قبا مرهبة ، وقد تأثر لرسمها بالبرق والخطمة ، وفيها لعلها لعلها وتمازنا على رقيتها ، فنقشت هذه ، ورقى ذات ، والسورة التي رسمها في احد متفرجاته وفيها لعل على هذه الناحية الأبيسية ، وخاصة السبالر المسلمية ، من البلاد ، وكتابه ، والبرق يتتب :

وَتَدِ ارتَجَزَ الرَّعْدُ المَرِيضُ بِأَقْيِهِ قَاطِلِي وَبِجَالَتِ راحَةُ المَرِيضِ تَكْتَسِبُ (٢)

وفي ثلثا السورتين جمان وتشخيص زاد من عركية الصورة وحبوبتها . ولكن الناحية التي تسترعي انتباهه ، وتفتن بصره هي صورة السعابة في بهاغها أو سوادها ، في عركتها وتدنيها ، وهي مطبقة شاملة ، أو ممزعة في جوار السماء ، مططرة ، تمد فضفا البرق تطرها

(١) الديوان : ٢٨٥

(٢) نفسه : ٣٠١

من قار ، ويتتبعها في «رنتها» ، ويراقبها باهتمام بالغ ، ويصور أثرها في اهتزاز الشجر  
المعشب ، وتفقد الزهر ، ونوم الغبار ، وتلا لوه الخشب ، وتدفع الا نهار ، وهو أمر يسدل  
على النخام ، وهيام به ، ليس تملن ابن عفا جرة الشاعر الفزان ، فمسيب ، بل ابن

فهي صفتها في النهار ، وكما صفتها في الليل شديد الظلمة ، وكأنه كان يهيب ليلته  
را يرتب «رنتها» ويغيرت دولاتها ، وانها كثيفة ثقيلة ، لا يكاد الليل يحضي بها لثقلها  
في مطبقة ، تدفعها القبول ، وفي بدء ، وتجبر ان يالها على الربا والسهمول حتى كأنها  
باليد لقرينها ، وقد أضاء البرق جفانتها ، وأعمال ظلمة الليل الحالكة ، نهارا لشدة  
سه ، فكان اللام يهبر وهولسان يدسه لسان :

وقد أتت له يستدل بها السكوت  
حطت بها ربي القبول سنا به  
في ليلة ليلته يدع جبره  
فصتت على الظلماء مشي مقسود  
سنا به الأذيال تلمع باليهود  
وهنا لسان البارح التوقيد (١)

يشوقه البرق وشولخ من بعيد ، فيشيم سناه ، لأنه يذكره بمن يعجب ، في غفقتان  
وواضع ، ولحمان ميسمه ، بل ويذكره كذلك بأرضه ، بسحابها الذي يجرد أذياله على رباها  
ينهمر بمائه على ريوها ، ويهد أولها وأنهارها التي تتلون ، وتفتني كأنها أفاع ، وتمتد منسابة  
مقبلة كالسام ، ثم لا يلبث مومها أن يتحرت فتصير دغا ، وهي أوصاف وتشبيهات يشيخ  
بهاد يوان شمرنا الصربي قديم ومحدث ، ولكن فيم أشياله مغزاه في حياة الشاعر ، يتمثل  
في تلك العالمة الجميلة التي أقامها بين الدليحة والمرأة ، فغفقتان البرق ولحمانه يذكره  
بغفقتان العبيد ، ويأخذ ميسمه ، ويذكره السحاب يبرد رضابه ، والمرعى بلماه الا  
سبون

(١) الديوان : ١٤٣ \* - الوهين والموهين : نحو من نصف الليل أو قبيل انهاء الصبح

والجدول يتشفي أعافه ، وهي صفات المحبوب المادية التي طالما لهج الشاعر بذكرها :

وما شاعني الا وصبر غمامة	تالنج في نهد فحيا اللوى ربما
أشيم سناء والسما فغيممة	كما اغرورقت عيني لرويته دمتا
تذكري والليل بدي جناحه	بمخيلفه خفقا ومهيمه لمتا
ومسحبه ذيل للسحاب بذي الغنا	تروبي رهاب الماء أحوي لى التمرى
فقل في أتى قد تهادى كأنسه	إذا ما ثقت أعطافه عبدة تسقى
وما مسيل سائل لتسراة	فبيننا ترى منه حساما ترى دزعا (١)

ويستهو به جو الرمي ، وتفتنه الطبيعة في ظلاله ، في اعتدال هواها ، وتفتح زهرها  
والعمرار عذيبها والقسا شيرها ، وقد نمر الغمام ، وبنادها الدنيا ، ولحن البحر ، فتلاآت  
تلاواتها لندى لومبضه ، فامتلاآت بعذباتها نيبا ، فإنه لا يوجد مثل حياة في النفوس ، وبسلا  
القلوب بشرا وديورا ، وهو ما أحسن به الشاعر ، فصور ما رآته عينه ، وغلغ على موصوفاته  
الابسية ما في نفسه من شعور بالفرحة ، واحساس بالنشوة ، وهو أمر أكسب تصويره حركتة  
وحياة وجمالا ، ودفعنا الى الاحساس بما أحسن به فحسنا بما شاعرنا وما شاركناه فرسته بمنظر  
الطبيعة تحت اسرار الربيع الدافئة :

وخميلة قد آفطت سرا بالبا	نفا صناع تستهل همتون *
لموت السر والجرى سولا نافيق	بهد الدبين والربى ظهرا مؤن
نشون تهادى في وشلج مذاهب	قلبي وتشعب من ذبول هتون *
الجمعت من الثوار بيهر د را هيم	مدت إليك بهابنا غصون
فرقلت حيث تعثرت بي نشوة	في ثوب وشي للربيع ممتون
والأرض تسفر عن وجهه محاسن	بهار وتنظر عن عيون عيون (٢)

رقد تلون الغمامة موية بقصدية الرعد ، وهو ما لا يستأجبه الشاعر ، ولكن مثارها  
ليار ، وقد تساقطت ثلرها ، وهبت الريح ، فهللتها ، ووزقتها قلعا في الفناء بفتنه  
تروبي اليه بصور يستلهم في رسمها معانيات بيئته الصناعية :

(١) الديوان : ٨٦ - ٨٧ \* - الخميلة : السحابة ، الهتون : الممطرة  
(٢) نفسه : ٢٤٣ - ٢٤٤ - جيون : جمع ، جيون : الابهن أو الاسود وهو عن الاضداد .

لَا تُسْتَلَابُ وَلَدَيْهَا إِيقَاعُ  
رَبِّ تَهْلِكُهُ هَنَاتُ صَنَاعُ  
قَنْ الشَّعَابِ بِجَانِبِهِ رِقَاعُ (١)

من ليلة للرهدي فيها سرخس  
علمت علي بها رداء غمامة  
فرقلت في سفل الذنوب ولأثما

وبروقه السحاب بمنزلة النار في تلالوه نظره ، ووصف برقه ، الذي يمدل الدبوس  
بنمائه ، كما برقه منظر الارض في جو الصار وبعده ، فيصور ذلك كله تصويرا حيا ، يفتن البصر  
بما فيه من ألوان وريق :

بِفَضْنِ بِالْمَاءِ مَا ذَهَبَا  
وَلِغَرَزِ بِالْتَوْرِ مَا أُعْشَبَا  
وَأَزْرُ أَرْدَاقِ تَلَكِ الرِّبَا (٢)

فَذَهَبَ لِبَدِ الشَّرِّ عَارِشُ  
فَأُعْشَبَ مَا جَانَدَ مِنْ تَلَعَا  
فَرَدَّ مَا مَكَابِ تَلَكِ الْفُصُوسِ

وهي صور ، نفتته بها يكررها من عين لأخر كما في قوله :

وَالْبَرْقُ قَدْ نَسَخَ الظُّلَامَ نَهَارَا  
فَابْيَضَّ ذَا نُورًا وَذَانُ سَوَارَا (٣)

وغمامة نشرت جناح حمامة  
متألق صدق الداس وسقى الشرى

وقد يهاهب نزول الصار فيبوب الريح ، فتوهي اليه حركة النجفة بهذه الصورة المستوحاة  
من بيئته ، فالريح متخال ، ينقل من القدر لؤلؤا ومن الغمام غمرا :

رُكِبًا وَتَفَتَّقَ مِنْ غَمَامٍ غَمْرَا (٤)

والريح تنشد من رذاني لؤلؤا

ويقترب الشاعر بصورة الغمام المتحرت ، والبرق اللامع من واتمه اثر ، غيرى في الغمام  
نرسا أشهب بهول وبسمل ، وفي البرق بردا متمزا اعمر ، أو يتصور الغمامة فرسا أو  
له طان من ربح وسرا من ربح شربل ؛  
وَالْحَزْنُ رَامِرٌ بِجَالِ بِسَهْلٍ أَشْهَبُ

وَالْبَرْقُ بَرْقٌ قَدْ تَمَرَّقَ أَعْمَر (٥)

له البرق سوطا والشمال عنان (٦)

وقد جبال من جوف الغمامة أدهم

- الدنيا : الصار . قن : واحدته

قزعة : قلعة من السحاب

رقيقة

- العارش : السحاب

- العز : جمع مزنة : السحاب

الهباء : الطرف : الفرس

(١) الديوان : ٢٢٤

(٢) نفسه : ٣٠٠

(٣) نفسه : ١٤٣

(٤) نفسه : ١٢٩

(٥) نفسه : ٢٢١

(٦) نفسه : ٢٢٥

وتد توبي اليه صورة الغمام والبرق بصورة الرادب الذي تسير به راملته وسوناشم :  
وَأَرَى الْغَمَامَ وَالْبَرْقَ يَهْفُوهُ  
رَاكِبًا سَلَّمَ التَّعَاوُزَ مَعَهُ (١)

وتد بصور البرق الأشقر ، والمزنة الشهباء في حال ملاحقة وصارفة ، تتفضض لها الأرض  
رتنذ شيب السماء :

ويوم جري برقه أشقرا  
ترى الأرض فيه وقد قُضِضَتْ  
بلمارء من مزنة أشهبيا  
ووجه السماء وقد نُهِبِيا (٢)

وتتجسم صورة البرق وتتشغى أكثر عند ما يشبهه في شفقانه بالألوية البحرانية أفقصة  
أربانامل منخفضة بصورة تتحرك بسرعة كما ولدتها المعرفة عند قلم الرديا :

ومن حفرن البرق فيها  
لأنها أنزل وراة  
ألوية حيرت غضاها  
تعصرت لمرالها حسابها (٣)

ولكون السماء مصدر غير ونما لما بعمله من ما يهيج الأرض بعد موتها ، فإن الشاعر  
يعنى به في معرض الغزل ، كما يعنى به في معرض المدح والثناء ، فيرى أنه من غير الدعاء  
ان يدعو بالسقيا لمرابح السماء ، وموان السبيب ، فهتني لوجادها المزن ، وسقتها الغمامة  
الدعاء ، وأنما تبتها برتها الذم :

فبان اليمى غاي من المزن راضع  
وسارية دما عباو بها الدجسى  
تهاداه أعتان الرتاك كلالا  
فشب لها البرق النحر دبا لا (٤)  
كما يرى في الغمامة الجرة ، الثقيلة المطرة ، وغير رسول ينوب عنه في القاء التسمية على  
مدوجه فيقول :

فهيبت أبا يحيى ذرات غمامة  
تجوهر أنيال الراب على الرسا  
صقيلة ثغر البرق وارفة النائل  
ويشمي بها واني التسيم على رسل (٥)  
وتد يطول بنا الحديث ، لو سألنا حصر كل الصور التي وصف الشاعر فيها الغمام والبرق

(١) الديوان : ٢٢١

(٢) نفسه : ٢٠٨

(٣) نفسه : ٣٣٩

(٤) نفسه : ١٢٤

(٥) نفسه : ٢٠٧



لأنها تكثر في شعره ، وتتخلل أغراضه الشعرية على أختلافها ، وقد مر معنا في الفصول السابقة بعض منها ، كما قد يمتزجنا ببعضها الآخر في الفصول القادمة ، ونرب أن نكتفي بهذا القدر منها ، لأنه يلخص مواقف الشاعر البارزة من هذه الظاهرة الكثرية الرائجة .

### الليل والنهار :

لم يكن ابن خفاجة ، وهو الشاعر الذي ملكت عليه الطليحة حسه ومشاعره ليففل عن أهم ظاهرتين من ظواهر اللون ، ألا وهما ظاهرتا الليل والنهار ، بما في الأول من اللسنة ونجوم ، وبما في الثاني من نور ، وشمر وصبان وسماء ، فلورجعتنا إلى رؤيياته وشجراته ، هل إلى أوصافه بجلها ، لوتفنا على الملائة التي عظمت بها مائتان الظاهرتين عنده ، وللمسنا من تشب عناية بتصورهما ، وحرصه على ألا تغلو مشاهد الطليحة الرسومة من سمرة أو أكثر لها ، بل بالليل أو النهار ، أو بمتملقاتهما ، ولكنه على الرغم من نظائره ، بما لهتف منهما ، وقت المتأمل المتميز المستقر ، إلا مرة واحدة ، وفيها أمام القمر فجاجه ، واستقرأه الصيرة وأما في غير هذه الزايرة القطبية ، فيكتفي بالصرار السريع لشهد الليل أو النهار ، ويقتنع في ذلك بالصورة الجزئية يزين بها ، من حين لآخر ، أجواء موصوفاته على امتدادها .

فهو إذاً ، من عليه الليل ، وأناع عليه بطله ، وغمره بظلمته الدامسة ، أحسن بانفساده ووحشته ، وشعر بولادة الزمن ، وتذكر أيام أنسه ، وساعات افراحه ، التي مرت سريعاً ، فيشتد مشوقه ، ويتحمر العيون بين جوانحه ، فلا يجد في غير البذاء سلوى ، ولا في غير الدبح تنفيساً لحره ، وتفريقاً لما يرس به في أعماقه من ألم وتلن وانحطاب ، كيف لا يفعل ذلك وقد تان الليل من أنسه ، ومجال مسراته وأفراحه ، بمدن أحشاء ظلمته بفتية

لأنهم أنجم السماء رفعة وسناء ، ورفوف وأيامهم عجاب بحر الليل المتلاطم ، ولكنهم  
فتية مفسوا ، وطواهم الرداء ولم يبق من تلك الأيام غير ذكراها التي تورث العين ، وتملا  
القلب حسرة وكندا :

وَعَلَّ تَمَازُجَ الصَّبْرِ وَاللَّيْلِ عَاكِفٌ  
وَيْتٌ وَسَرِي رَاذِبٌ فَأَهْرَمَ مِصْبِي  
أَنَا فِي سِرَابِ اللَّيْلِ فِيهِ بَلْوَعِي  
وَأَسْتَعِجُ أَنْ يَالَ الدَّيْسُ فِيهِ بِيَجْنِي  
وَكُنْتُ عَلَى عَهْدِ السَّلْوِ بِشُرْقِي  
وَأَسْرِي فَأَسْتَصْفِي مِنَ السَّبِي صَاحِبَا  
وَأَصْدَعُ أَمْشَاءَ الدَّلَامِ بِفَتْبِي  
أَنْ عَتَّ يَمُ سَرَّ السَّبَاعِ وَأَنْصَا  
وَقَدْ كُنْتُهُمْ أَنْجِلُ البَيْدِ بِرَمْنَا  
فَيْتَنَا وَبِحَرِّ اللَّيْلِ مَلْطَمِ بِنَا

فَأَفْصَحَ دَمْعُكَ بِلَا مَرِّ أَعْجَمَا  
طَلِينِ إِذَا مَا أَنْجَدَ الرَّكْبَ أَتْهَمَا  
تَحَدَّثَتْ عَنْهَا الْكَبِيرُ نَبِيْرًا فَهَيْتَمَا  
حَمَامٌ تَدَاعَى سَحْرَةَ فَتَلَكَّمَا  
حَسَامٌ تَفْتَى لَا حَمَامَ تَرْتَمَا  
وَأَرْدَجِمْنَ ظَهْرَ الدَّجْوَةِ أَنْ تَمَا  
تَوَاكِبُ مِنْهَا أَنْجَمُ اللَّيْلِ أَنْجَمَا  
سَرَّرْتُ بِهِمْ لَيْلَ الشُّرُكِ فَتَبَسَّمَا  
وَلَمْ يَكْ سَرَّ المَجِدِ إِلَّا لِيَكْتَمَا  
نَرَى اليَمِّ غَرَقَى وَالتَّوَاكِبِ عَوَمَا (١)

وتأخذ الهموم من نفسها غذاها ، وتشتد عليه ، حتى تغرق ضجعه ، وتحمره النوم  
فيبت ليله لثه ساهرا ، يتلب عنه الدائمة في أفاق الليل فلا يرى إلا سواد يحم الأفق  
ويحمر النون ، وأنه غراب مد جناحه ، أو مداد أسود عرين على صحيفة :

فَهَيْتَ رَيْبِي مَا قَانِي الدَّمْعَ قَهْوَةً  
وَسَيْلٌ كَمَا مَدَّ النَّرَابُ جِنَاحَهُ  
بِهِ مِنْ وَمِنْ الْجُرِّي وَالْبُؤْفَعَمَةَ  
تَدَارُ وَمِنْ إِحْدَى يَدِي وَسَانُ  
وَسَانٌ عَلَى وَجْهِ السَّيْبِلِ مِدَادُ  
شَرَارُ تَرَامَى وَالغَطَامُ زِنَادُ (٢)

(١) الديوان : ١٧٢ - ١٧٣

(٢) نفسه : ١٣١ - ١٣٢

كما قد يتصور الليل بظلمته فسلاطنا ، هذا أوتاد ولنن من نجوم :  
 واللَّيْلُ فسلَّاطٌ مِنَّا ، مَلْتَقِبٌ  
 وهو يستتر بالليل ، ويخلف فيه بمن يجرب ، لأنه أكثر للسر ، وأجيب لمن فيه من أعين  
 لرغباء والساد :

شيباء تُخَضِّبُ والنَّلامُ مَغْسَابُ  
 واللَّيْلُ دُونِ النَّاشِئِينَ\* حَجَابُ (٢)

شَمَّ ارتعلت وللصاء ذوا بمئة  
 تشني معالقي الضباية والضبا

وإن العيون الليل بلذته ولهوه ، كان ليل  
 قد ينقسي أبدأ : وما رب ليل جنبي المنى  
 لهو و دون اليتاح الصباح  
 نعد الشراب ببرد الرغائب\*  
 وقد شم الليل سر المهون

هنيئا مستطابا ، يتنى لوبعد في أبلسه  
 . شهيق اللق مستطاب اللمم\*  
 نالام سجا وغمام سجام\*  
 وبعق النلام يسود اللمم\*  
 وتقت بما استودعه التميم (٣)

ولكن أيام النعم واللذات تمر سريعا ، وساعات الفس لا تدوم ، فقد تتحول إلى النقيض  
 فتضحي النعماء بأساء ، والأفراح أشجانا ، يطرول بها الليل ، وتحرم فيها العين لذوة  
 الذي ، فتسهر طويلا بعد أن نعمت قصيرا :  
 ومن تد أيام الشرور تصيرة

ولعل الشاعر ، بعد أن تقدم به العمر ، وفارقه الصعب ، وتراكت عليه الهموم والاعزان  
 كأن يار ، كثيرا ، فيتضي لباله ساءرا ، ويرغب الصبح ، ويبهقو إلى نوره ، ولأن الليل يمتد  
 طولاً أماه ، ويضي بهلء شديد ، حتى لأنه بلغ من العمر عتيا ، فتوقا على عصا الجوزاء  
 يدب عليها بيا :

واللَّيْلُ مُشْتَمَلٌ الذَّوَابُ كَسْرَةً  
 وَابْنُ حَفَاجٍ يَفْتَنُ فِي تَمْوِيرِ طَوْلِ اللَّيْلِ ، وَيَجِدُ فِي اللَّيْلِ إِذَا سَاعَدَهُ عَلَى تَجْسِيمِ عَذِهِ  
 كَحِرْفِ يَدِ بِرْ عَلَى عَصَا الْجَوْزَاءِ (٥)

- |  |                      |
|--|----------------------|
| * - النَّاشِئُ : مِثْرُ الْعِدَاوَةِ ، وَالْعَاسِدُ .        | (١) الديوان : ٢٢٤    |
| - اللَّامُ : الِهْمُومُ ، وَصَفَارُ الذُّنُوبِ ،             | (٢) نفسه : ٢٦٥ - ٢٦٦ |
| اللَّمَمُ : مَا يَبْأُوْزُ شَيْعَةً لِأَنَّ مَنِ الشَّمْرُ ، | (٣) نفسه : ٤٧        |
| - سَجِيمٌ : قَلْبٌ وَسَالٌ . - الرِّضَابُ : الرِّبْدُ        | (٤) نفسه : ٣٧٠       |
| - شَمَلُ اللَّيْلِ : خَالَطُ سَوَادِهِ بِمَنْ الصَّبْحُ      | (٥) نفسه : ١٥٤       |

اللاعبة التي أحس بها المراد ، فهو يتأبل بين دسه الدالين ، بين أنهم الليل التي أضحت  
رمينة حين لا تغادره ، كما يتسور الليل بحرًا طاميا ، قد مد موجهه وغالبا سنته ، فلم ينقب  
مده بجزر يسره ، بل ، وغمر كل شيء ، فلم يتراءى سبالا للروية ، ولا سبيلا للعبور غير اتعان  
الدبرة بسرا :

أما لطيفك مسكر  
وأنجم الجبواشكر  
لهفتيب الط حسرا  
غير السجرة بسرا (١)

يا ليل وبدي بنجيد  
وما لدمي طليقتا  
وقد طمى بحر ليل  
لا يعبّر الأروا فيسه

وليا ليه لارلها وتلمها ليا لي صب وعنين :

لمرض يقون بالشرات نيام  
وقل ليا لي الصب ليل تمام (٢)

ورب ليا لي بالقيم ارتتمها  
يلورن علي الليل با أم مالك

ويترقب الصبح ، ويستعمل قدومه ، ولكن الليل يطول ، وتزداد به لوله هو واجسه  
والنونه ، ونظما ظن أنه الصبح ، كذبه نله ، وأخطأه حدسه :

تكشفت عن وعد من النور كاذب (٣)

يليل إذا ما قلنته باد فانتقسي

ولكن الفلت بد ورد روت ، وبسير سيره الأدبيعي ، وفق نامور تناسق معكم ، فلا يمد  
من ليل يخفيه نهار ، ولا يد من نهار يخفيه ليل ، يتتابعان ويتلاصقان في معركة مستمرة  
ودائمة ، وببيت الشاعر ساعرا ، أو قد ينهين بكرا ، فيلحظ ظاهرة تجدد الحياة في الكون  
وانعكاس الحركة في عناصره ، واجزائه ، وتخريبه صورة الصبح في نفسه ، وبدء اشراقته  
وازاحت ظلام الليل شيئا فشيئا ، فبفتحها ببصره ، يرسم لها سورا شقي ، وتم عن ارتياح وفرحة  
واعجاب ، فإذا لاج الصبح باشراقته ونشائه ، ولزمت من وراء الليل رأت فيه الشاعر وجه بشير :

\* - الخمر والغرات : مواقع ،  
- الصب : الحاشق المشتاق .

(١) الديوان : ١٥٥

(٢) نفسه : ٥٦

(٣) نفسه : ٢١٥

- وقد لاح وبيته الضئيل يندى كأنه  
 وراء قناع الليل وجهه بشعر (١)  
 وقد يرى فيه شبهها بنمكة محببة الى قلبه من شعر شبيب :  
 لقد ضحك السباح بجمته لآه  
 وراء قناع الليل من شعر شبيب (٢)  
 ويشبهه ، وقد مدح الظلام بضيائه ، وبوجهه رضي \* شغفه عنه قناعه :  
 والتميح قد مدح الظلام كأنه  
 وجهه رضي \* شغفه قناع (٣)

وبصور حركة تذلزل الألام وانتشارها لضياء تمويرا حريا ، مستعيرا بحدس الصور من بيئته  
 المحيطة به فيقول :

- ولليل ظل قد تملأ أشمسر  
 وللصبح ما قد تسلسل أزرق (٤)  
 ثم يصور الليل في توليه راد باره ، واقبال الصبح في زهو وخيلاء ، قائلا :  
 ثم انفتى والصبح يتسحب فرعه  
 ويهزم من طرب فضول ردا (٥)

والصبح في إشرارة نوره ، ينادي الشفر المتسهم ، كإبهكي في بيانهم في بدء ظهوره من  
 وراء ظلمة الليل وضحا في قادمة غراب أعصم :

- وأفتر متسهم الصباح كأنه  
 وضح بقادمة الغراب الأعصم\* (٦)

والليل في حلكته يحكي الغراب الأسود ، وأما إذا اختلطت ظلمته ببياض الصبح فهو  
 يشبه غرابا حسنا أشيب :

- ورب ليل سهرت فيسه  
 أزر من جنحه غرابا  
 حتى إذا الليل مال سنرا  
 وشق سرباله وجبابا  
 وحار من سدقة غراب  
 طالت به سرة قشابا  
 ازدت من لوعتي خبالا  
 فجئت من غلتي سرايا (٧)

(١) الديوان : ١٨١  
 (٢) نفسه : ٩٢  
 (٣) نفسه : ٢٢٤  
 (٤) نفسه : ١٨٥  
 (٥) نفسه : ١٥٤  
 (٦) نفسه : ٢٠٢  
 (٧) نفسه : ٣٣٨  
 \* - الغراب الأعصم : ما في قرانه بيان ، وساعره أسود  
 - السدقة : ظلمة يخالطها ضوء بدون من أول الليل  
 ومن آخره ، يذهب الى بقايا الشفق

وقد يتصور الصبح شعرا ، والليل جيبها يز عليه ، حتى اذا اراد الظهور ، مزق عنه  
الجباب ، وهذا بنوره ونمائه الذي يختلط به دمه الليل ، فبولها الى بها نرى يشبه الكافور :

والصبح قد مزق عن نسجه  
فانجابت الدُّهْمَةُ عن شُهْبَتِهِ  
جئِبَ ظلام كان مستورا  
والتسكُّة كالفُورِ (١)

وقد ينظر الى الظاهرة نفسها ، وظاهرة بزوغ الصبح ، واختلاط الظلام بالنسج من خلال  
واقعه الحربي الدامي فيشبه ضوء الصباح برأية ظافر مخرجة بالدم :

وكان ضوء الصبح راية ضاير  
وقد يقرب الظاهرة منه اكثر ، فيتصور الليل شعرا أسود ، والصبح كفا تسن كملسه  
وتصيره اشيب :

وقد سح الصبح كغمل الظلام  
وأطلع فود الدنيا أشيبا (٢)

ولان تمير بالشاعر حالات من الدلق والهم ، والغم أحبانا ، ونتيجة لدوافع ذاتية أو خارجية  
كان يسله غير موت أحد أصحابه ، فتأثر نفسيته الرقيقة لذلك ، وحشد حزنه ، وتظلم الدنيا  
في عينه ، فلا يبرود يميز بين الصباح العشرق والليل الظلم ، فكلاهما سوا في نظره  
من حيث وحشتها وسوادها :

وألقى بها أثر الصبح بسود وحشة  
وأحسبني أسي على حين أصبح (٤)

وقد تتكرر معه نفس الأزمة ، فينظر الى نفس الظاهرة الطبيعية نفس النظرة القاتمة  
فيرون الليل في كل شي ما طر أمامه :

أتلج طرفي لا أرى غير ليلية  
كأنني وقد لار الصباح حما مة  
واعتاش مدلج وأعتم سلة

وقد حاد عن وجه الصباح نساب  
يمد جناحيه علي غراب (٥)

والتات ملتمس وضائ سبيل (٦)

- 
- (١) الدبوان : ٢٤٧
  - (٢) نفسه : ٢٤٥
  - (٣) نفسه : ٢٦٣
  - (٤) نفسه : ٢٦٧
  - (٥) نفسه : ٢١٨
  - (٦) نفسه : ٢٦٤

\* الفود : معظم شعر الراعي ما يلي الأذن .

ولكن الشاعر ، وان نال هذه النظرة السوداويذالى الصباح ، وان ذمه لانه فرق بينه

منه وبينه كما في قوله :

فيا صبحه البأساء فبعمدٍ صبَّه صبَّه  
ويا لثيلة النعماء هل لك من رقى (١)

الا أنه يفضل على الليل ، ويحمل اليه ، ويوجد في ضيائه راحةً لحينه ولنفسه :

والصبح أبهى في الصبوح من الدجى  
وأعمُ اشراقاً وأبهى من الآسرا (٢)

فالليالي في نظره غريان بين تنكث بالفرائي ، فهو لذلك يلوذ منها بمد وهيه :

ووثقت فيك من الليالي إنهم  
غريان بين التفري تنعنى (٣)

ولعله ، كما يدل على هذا العمل نوعية علاقته بكل منهما ، فإذ أراد وصف الصبح  
استخدم كلمات وسورات وهي باللطافة ، والاشراق والمدوية ، فهو يذكره بالابتسامة العنقوية ،  
بالصبغة الناحك ، بالشجر الشنوب ، وبوجهه البشير ، بصفحة الماء الأزرق السلسال ، ولكن موثقه  
من الليل بان يذاتجرت موثقه من الصبح تمام ، فالليل عنده يرتد بالصف والقسوة ، والشكوى ،  
والبداء ، والابتسامة الأبله التي تتلبيب ، والضحك المتبول الى أشجان واحزان ، وهو لا يصبر  
على البقاء في المته المدلهمة ، فيمزق ظلامه ، ويصدعه ويهدمه ، ويحمل بجمعه الى الصباح  
بترقبه ، ويستعمل قدومه ، حتى اذا لامعت بوادره في الافق صورته تصورا يوعي بالقوة ،  
والصرع الذي ينتصر فيه للنور على الظلام ، ولعل في هذا ، عسا عفويا لما يحتمل في أمماته  
من صراع بين الموت والياة ، فقد كان يسهب الحياة ، ويفرق من الموت ، والصباح باشراقه  
وابتسامته ، وانيمات الياة والبردة في عناصر الطبيعة في اجوائه ، يعني تجديد الحياة  
واستمرارها ، على حين لا يذكره الليل ، بنظيره الضالين ووحشته وسنونه ، في مقابل ذلك  
وفي مخاضم السمالات ، بهيبر مومه وأمزانه ، وقد يذكره وان لهي من بذلك ، بنظيرة القبر ووحشته

(١) الديوان : ٢٤٩

(٢) نفسه : ٣٧٩

(٣) نفسه : ٢١٢

وهي نهاية تها بها نفسه المسببة للدمية ، ولذلك جابهته تلك السجاية المنيفة ، فمزقته  
وسرعه بضوء السراج ، وكانه بذلك ينصر به للدمية على فترته من السوء .

الذراكب والنجوم :

لم يكن علم التنجيم الى جانب الفلسفة من العلوم المرغوب فيها في الأندلس ، ففقد  
ثالث الفلسفة ، كما يقول ابن سينا ، علما مقوتتا بالاندلس لا يستلين صاحبها الظهاره ، كما  
بان الاهتمام بعلم النجوم والظلمة ، والمكوف على دراسته كثيرا ما يورث بها صحابه الى تهمة  
الزندقة ( ١ ) . وهي تهمة نايقتها الموت في أغلب الحالات ولعله لهذا السبب ندر  
المشتغلون بها العلم ، وتلت المصنفات المستحصلة به ، في تاريخ الأندلس عموما ، فكانوا  
استثنيا فترة خلافة الحكم المستنصر الذي امتد من هذه العلوم وشجع على دراستها  
وفترة طوي الحوائف ، حيث وجدت هذه العلوم متنفسا ، ووجد المشتغلون بها تشجيعا  
وتقديرا ، لم تكن نعترا الا على بعض النشاطات في هذا الشأن ، وهي نشاطات كانت تمارس  
على ثلثها ، في السرايا في العلن مخافة التنكيل ( ٢ ) . وهو أمر يلحق المستشرق  
الاسباني ( ريبيرا ) الآلام فيه بقوله : لقد عبرت بهذا العلم في الأندلس فترات لم يكن  
يسمى للناس ، فبالها بان يعرفوا منه الا ما لا بد منه لتعديده اتجاه قبيلات الساجدة  
وتصميم مواقيت الليل والنهار على مدار الساعات لتعرف اوقات الصلوات ، والاستيطان من  
مواقيد الأهلة ، فاذات تجاوز الانسان هذه المطالب من هذا العلم فقد غرر بنفسه ( ٣ ) . ولعل  
هذا الترخيب في معرفة الهاد ، الضرورية من هذا العلم ، والذي سمن لبعض كتب الأنواع  
بالرواج ، فقد ذكر ابن خير الاشبيلي في فهرسته ضمن الكتب التي يروىها عن شيخه

( ١ ) فضائل الأندلس وأهلها : ٢٧ - الطبقات الامم : ١٠٣

- نفسا : ١٠٢ .

( ٢ ) نفسه : ٢٧



كتاب الأنواء لابن دريد (١) ، وكتاب الأنواء لابي حنيفة (٢) ، والأنواء لابن قتيبة (٣) ،  
صاحبهمنا نظن أنه كانت هنالك نظرتان ، لا نظرة واحدة الى هذه القضية ، والنظرة الاولى  
هي نظرة العامة من الناس وروى الثقافة المعهودة ، وهي نظرة هاسمة ، لا تميز بين ما هو  
ضروري من هذا العلم ، وما هو غير ضروري منه ، وتعد الاشتغال بهذا العلم زندقة يعاسب عليها  
صاحبها مسابا عسيرا ، ولكن نظرة الخواص وهي النظرة الثانية ، تختلف عن تلك النظرة  
السلطوية المطلقة ، فهم يخرون على المشتغلين بهذا العلم مقالاتهم ، واستسلامهم لغيرها لا تهم  
وأولها مهم في اعتقادهم بأن الكواكب والنجوم قدرة على النفع والضر من دون الله ، ولا ينكرون  
عليهم اشتغالهم بما هو ضروري ونافع منه ؛ ولا أنكر ، هنا ، أن تهمة الزندقة لم تكن دائما  
وفي عصر كثير التلاقل والفتن كمصر الشاعر ، تصدر عن بواقي متجردة من الأنواء ، بل كانت  
امبارنا ، وسيلة ناجحة للتهدئة بين الخصوم أو المنافسين بسبب أو بغيره من . ولكن  
عراق ابن سنان ، بهذا كله ، أعني ، دليل دور الشاعر علم الفلك في جملة ما درس من علوم ؟  
لغيره ما بين أيدنا من معلومات يسيرة عن حياة الشاعر وثقافته ما يحسننا الى الجزم بذلك  
ولمنا نلن ، وانما نلنا من بعض المصاحبات من شعره وعلاقاته ، أنه ألم تماما ، ولو سطحيًا ،  
ببعض الجوانب الفلكية ، فهو يذكر كثيرا من أسماء الكواكب والنجوم ، كما يذكر بعض  
مناجياتها التي يمكن أن نجد لها في كتب الأنواء ؛ وهو درس العلوم الرياضية (٤) وعلم الفلك  
كان مرتبًا في النوازل بها ، ولكنه اعترض عن هذا العلم ورغب عنه ، وكان على صلة بجملة  
بابي بكر بن الضائع ( ابن باجه ) وزير صدقته ابي بكر بن تفلويت امير سرقسطة  
كما كانت له علاقة وثيقة بابي محمد بن السيد البلبوسي ، وكل من الرجلين له قدم راسخة

(١) الفهرست : ٣٦٦

(٢) نفسه : ٣٧٦

(٣) نفسه : ٣٧٧

(٤) نفسه : انظر هذا البيت : ٤١

في علوم الاوائل ، فيمكن أن تدون تلك العلوم الفلكية قد وصلت عن طريق هذين ، كما  
يمكن أن يكون حصل عليهما من خلال ما العادة الخاصة المتنوعة ، ويسترقنا في شمس  
بيتان يذكر فيها الشاعر لكمة منهم : ففي الاصل يوضح الشاعر موقفه من النجوم ، وفاسين  
أن يشي عنه أنه منجم ، فيس أن لم يسهر في الليل ، ولم يتأمل في النجوم ، ولم يراعها  
بداغ التنجيم ، وإنما بدأغ الدب ليدر الليل :

أرأي نديم الليل هباً لبدوره      ولست كما ظن الغلي مني سطا (١)

وهو في البيت الثاني يحذر الأمر ، ولكن ، وبدلاً من أن يشبه نفسه بالمنجم ، يشبهه  
فرسه به ؛ ففرسه هو الذي يتقلب العارف في الدواكب ليلاً لأنه منجم :

يقلب طرفاً في الدواكب سامياً      فإن به تحت الأثر مني سطا (٢)

وفي البيتين إشارة إلى نوعية النذرة التي كان يذرها عصره لحلم النجوم ، والمشتغلين  
به ، فقد أشهدت لكمة منهم من أخطر التهم التي يمكن أن توجه إلى انيمان ، فذلكت أيسدها  
عن نفسه ، وألصقها بفرسه سخافة الرثين في منبتها ، والشاعر ، وكثرة لسهره ، وتأطالته  
في الليل والنجوم ، والشعر ونجائها ، أكثر من ذكر أسماء النجوم والدواكب في شمس  
كما أكثر من الاعتداد عليهما في مجال الاستمارة والتشبيه ، وهو قد يمتنعها ذاتها ، ولكن وعفوه  
لها ، وصفت مقتضياً ، سريع ، ويعني بالأمر المتأوردون الدخول معه في حوار انساني يهدف  
النورس في أعماقه ، واستلمهاها الدماغي والأسرار ، وهو تعميم تستثنى منه حال واحدة ، وهي

(١) الديوان : ٢٢٢

(٢) نفسه : ١٧٢

وصفه للقمر ، ومناجاته له على نفس راعيته في الجبل . ولعل الامر بتوضيح اكثر في التصريح  
لاضافه في هذا الباب ، بشي من التفصيل .

\* القمر :

لقد كان ابن عفاوية ، وهو السلم المتفقه يمتد أن التنكر في خلق السموات  
والأرض واختلف الليل والنهار ، والاعتبار بما في ظواهر الكون من تغير وتبدل ، وحركة  
وانسجام ، عبادة من أعظم العبادات المقررة الى الله تعالى ، ولعل وقفته ، ووقفه المتأمل  
المحتمر من القمر ، كانت ثمرة لهذا التصور الاسلامي الصحيح للكون ، ونتيجة من نتائج  
المراتب الرابعة في احضان الطبيعة ، في الليل والنهار ، فهو يخرنا في مقدمته لقصيدة  
القمر ، ان القمر طلع عليه في احد اسفاره ، فجعل يظن في معنى كسوفه واقماره ، وعلية  
إهلاله تارة وسراره ، ولزومه لمركزه من انتقاله في مداره ، محتمرا فيه بحسب قوة فهمه واستماعته  
ومستقدا أن ذلك محدود في عبادة الله وطاعته ، لقوله تعالى : " إن في خلق السموات  
والارض ، واختلف الليل والنهار ، لايات لاولى الالباب " (١) ؛ وأنه بهذا يوضح  
موقفه ويبين أنه لا يفعل ذلك على سبيل التنجيم ، وإنما طلبا للمبرة ، وتنظرا في النفس  
والآفاق ، وفيه ان الشاعر ، قد تتبع القمر في تعولاته وتغيرات ، فوصفه هلالا ، كما وصفه  
بدرا ، ووقفه أمامه يتأمله ويستقرئه العبرة ، فأصاح الى نجواه ، وملأ عينيه من حسنه  
وجماله ، ولكن القمر يبق صامتا ، لا يحدث الشاعر كما يحدث الجبل من قبل ، فيتأثر  
الشاعر لذلك ، ثم يفتن منه بعظمته ، فهو له أكبر موعظة ، كما أن له في سيرته الشهرية ، إهلالا  
واكتالا ، وفي حرته صمودا ونبوذا ، وظهورا واختفا . أسنا تنطق بأبلغ المعبر ، وتوسعي  
بأعنى الدروس ، ثم يهتف الشاعر حال النام تجاه هذه الظاهرة ، فهم أصناف ، منهم الواعي

(١) القرآن الكريم ( ٣ : ١١١ ) - وديوانه : ١٣٠ .

المتيقظ المتذكر ، ومنهم اللاهني ، الخافل ، السادر في غفلته ونسيانه ، لا يحرث ساكننا لهذه الظاهرة الكونية المعنوية الدلائلة ، ولا يفيد من معانيها وعظاياتها . إن وصف القمر يرتبط عند الشاعر ارتباطا وثيقا بالأساس بالزمن ، ومن ثم بالموت والفناء (١) . فدأته رأى في هذه القمر دورة حياته ، وفي صيرورته صيرورته ، فرأى في إعلاله صباح وشبابه ، وفي اكتماله قوة رجولته ، ثم في مسيره القهقري نحو الظل ، شبه غوغته ، وانحداره إلى مصيره الذي تفسر منه نفسه ، إلى الموت ، حيث يلفه ظلام الرهبان كما يلبس القمر ظل الكون ، وهي نهاية يسير الشاعر نحوها باثقا عن شبه ويفجر الماء في العجر ، والشاعر ، بعد هذا ، وإن لم يبالقسه التوفيق في أنسنة القمصر على نسوفا فمل في وصف الجبل ، فبقى يتحدث وعده ، دون أن يشاركه القمر حديثه ، إلا أنه وثق في تجسيد فترة الزمن والأساس بالفناء من خلال ظاهرة القمر في تغييره وصيرورته :

وَبِأَدْلَجُ بَيْنَ الرُّمَى وَالذَّلِيلِ  
هَدَلًا مِنَ الرُّمَى بَيْنَ السَّمْعِ وَالرَّهْمِ  
فَقَرَّبَ السَّمْعَ قَرَّبَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ سَمِيرِ  
حُمُوتِ الْجَمَالِينَ مِنْ نُجْمٍ وَمِنْ حَسْبِ  
قَدْ أَفْصَحْتُ لِي عَنْهَا أَلْسُنَ الدَّيْبِ

لقد أَدْلَجْتُ إِلَى نَجْوَاتٍ مِنْ قَمَرٍ  
لَا أَجْتَلِي لَدُنَّهَا سَمْعٌ أَمْيُّ مَدِينًا  
وَقَدْ مَلَأَتْ سُرَادَ الْعَمِينَ مِنْ وَغْصِ  
فَلَوْ جَمَعْتِ إِلَى سَمْعِي مَحَارِيرَ  
وَإِنْ سَمَّيْتِنِي مَرَاتِلِي مَهْلِكَةً

(١) تاريخ الادب الاسلامي : عمر الابرار والحرابطين : ٢١٠

ثمرٌ من ناعمٍ حموراً ومكتمل  
 والناس من مصرين يلهن وطفتيت  
 تلهوسا حات أقوام تحد ثنا  
 فان بئث وقد بهدي الجلبد فمن  
 كوراً ومن مرتين ماوراً ومكتمل  
 برعى ومن ذابيل ينسى ومد كسر  
 وقد مضوا فتمضوا أناعلى الأشر  
 شجوي يفير عين الماء في الأتجر (١)

وكما وقف الشاعر من التمر هذه الوفرة المعتبرة ، وقف منه وقفات أخر ، ولكنها قصيرة  
 انتفى فيها بتسوير التمر تسويراً شبه ما يكون بلقنات إجمالية ، سريعة ، لمشاهدة فصي  
 حالاته المختلفة ، يورد ما أكثر ما يورد ما في سياق التشبيه والاستعارة في اغراضه الشعرية  
 المختلفة ، مدحاً رثاءً وغزلاً . . . . . واما في الوصف العام ، فان التمر يمتثل بصورتين ، صرت  
 احدها معنا في وصف الجبل ، قابل فيها الشاعر بين اوراق الجبل وتقاييه من جهة  
 وبين البذرة البدر ونسائه ونسكه من جهة أخرى :

تمهد من كل رذن رانسة  
 فقلب اطراقا وقد هحك البدر (٢)

ويسوره في الثانية ، وقد انجابه عن التميم ، فبدأنا من البياض ، ضيقاً في عرض الليل  
 شبيها اياه بالفرجة البيضاء في ببيعة الفرس الأدوم فقال :  
 وانجاب نقي التميم من تمر الدجين  
 عن غرة وتمحت بوجهة أدوم \* (٣)

\* المهلال :

يرسم ابن خلفاً للمهلال صورتين ، يستوحى في احدهما واقع العربي ، فقصد  
 ذكره المهلال ، وقد بدأ عشية في تقوسه ولمحانه ، بصورة السنان المصوغ الصانين المدوع  
 القاصر الشجاع :

- (١) الديوان : ١٣٠ - ١٣١ \* الادوم : الفرس الاسود  
 (٢) نفسه : ١٥٠  
 (٣) نفسه : ٢٤٢

- سَقَانَا وَتَد لَاحَ الْهَلَالِ عَشْرَةَ      كما اعونَّ في درعِ الكميِّ سِتَانُ (١)  
ويتمثله في الأخرى ، وقد أطل عليه في مجلس أنسه ، ثمرا باسما في وجه النروب :  
واهدتْ عِلْبُ الفصنِ من طربِ بنا      واغترَّ من ثَمْرِ الهلالِ التَّغْرِبُ (٢)

\* الثريا :

يعنى الشاعر بالثريا عنابة تفوق عنابته بهتية النجوم ، ولعله كان يسهر ليلة حتى يصبح فيلعلها أكثر من غيرها التأخرها في المصيب ، وهو في تصويره لها يقرنها إليه أكثر ، فيشبهها تارة بالكف وتارة بالقدم ، وأخرى باللوا ، وهي تشبيهات قديمة ، ولكنها لا تغلو عنه من إضافة أو ترديد .

فهو إذا أراد تصوير طول الليل ، وصفه بالعميرة والتردد ، وجعل منه أعى لا يهتدي في لريقته بغير قدمه التي هي الثريا :

- وتد وتَدَّ الليلُ لا يهتدي      وتخطوبه للثريا قَدَمُ (٣)  
والثريا قدم ، تتمشروقت السمر في برد الليل المزركش بنجوم المجرة :  
وتعشرتْ قَدَمُ الثريا سُخْرَةَ      في بُرْدِ ليلٍ بالمجرَّةِ مَقْلَسِمِ (٤)

وعو إذا رأى في السمر ، وقد اختلطت ظلمة الليل بضوء الصباح ، استدعت مخيلته صورة الفرس الأشهب ، والكف البيضاء التي تسع على معانفه ، فشبهها بها :  
وكأنما نجمُ الثريا سُخْرَةَ      كَفُّ تَمِيحٍ عن معانِفِ أشهبِ (٥)  
وقد يشبهها وهي تنفذ المهاب بطلحمة جبر أو بلوا أمر ، وهو تشبيه استمد منه من بيئة العربية :

- وقدَّمه نجمُ الثريا كَانَّه      طلحمة جبر أولوا أميرِ (٦)

---

(١) الديوان : ٢٣٥	* - الثريا : هي ستة أنجم ظاهرة ، في خالها
(٢) نفسه : ٢٩٠	نجوم كثيرة خفية ، وتسمى النجوم
(٣) نفسه : ٤٧	أبضا ( الانواء . ابن قتيبة : ٢٣ ) .
(٤) نفسه : ٢٩٢	
(٥) نفسه : ٧٤	
(٦) نفسه : ١٨١	

ويرى فيها ، وهي تغرب ، لواء يطويه الدجى ، اذا استل الصباح حمام ضائسه :  
 والدَّجَى تد لوت لواء الثُّرَيَّا  
 وانتصت راحة الصباح حساسة (١)  
 وقد يقرب صورتها اليه اثر ، عندما يشبهها وقد غشاها غمام رقيق بجمريشاعه رماه :  
 صدرت ودون النجم ستر غمامة  
 يشف كما شف الرمان عن الجمر (٢)

\* الشمعون :

يذكر الشاعر الشمعون مرتين ، احدهما في بيان المدح ، حيث يجعلها ، رغم علوها ، دون همة مدوحه وعزيمه وانها تغار منه لما ناله من رفعة ومجد :

فقد اغضت الشمرن المهور لهمة  
 تثلب دون المجد لحظ غسور (٣)  
 ويذكرها ثانية في وصفه للمفازة ، فالمفازة وتد غمرها الليل بنظلمته الحالكة ، ولم تهبط في سائها غير الشمرون القى احمر لونها ، واتقدت كأنها جمره ملتبهة ، تحكي صورة زنجري قد وضع في كفه دينار :

ومفازة لا نجم في ظلماتها  
 يسري ولا فلت بها دوار  
 تتلهب الشمرون بها وكأنها  
 في كنف زنجري الدين دينار (٤)

\* النسر :

والشاعر اذا اراد وصف جبله بشده العلو ، تصورا انه مزاعم نجوم السماء بمنكبه ، وأنه موئل لنسر السماء ، ومأوى له :

ولاد به نسر السماء كأنما  
 يهين الي وكر به ذل النسر (٥)

\* الهبة :

ويذكر الهبة في مجال وصف الليل بالطول ، فليله يطول ، حتى لأن حيته لا تصرف الموت ، وان الصباح في بطنه ظهوره ميت لا يعود الي الحياة :

سربت به أظفاره لا هبة الشرن  
 تعوث ولا ميت الصباح يمان (٦)

- \* - الشمرون : هناك شمرون : الصبور والقميص ، وهما  
 (١) الديوان : ٢٣١  
 (٢) نفسه : ٢٥  
 (٣) نفسه : ١٨٢  
 (٤) نفسه : ٨٥  
 (٥) نفسه : ١٥٠  
 (٦) نفسه : ١٢٢
- \* - النسر : نسران : احدهما يهين الطائر ، والآخر : الواقع  
 ابيضتا .  
 \* - الهبة : مجموعة كواكب تتوسط الفرقد بين وبنات نمر .

✽ المجرّة :

لقد مرّ معنا في وسائط الثرّيات تشبّه الشاعر اللّيل بهرد مزركش بالمجرّة ، وهو هنا يطالعنا بتشبيه حسّي آخر لها ، مستوحى من بهيته الاجتماعية ، فالليل العالقا وقد بدت المجرّة في سمائه بنجومها المتقاربة المتعدّة ، يملك في نثر الشاعر راهبا قد لهر السواد ، وشهد خصمه بزنا :

لهر المجرّ على السواد فخلتسه مترهبا قد شدّ من زنار (١)

وقد يذكر الشاعر غير هذه الكواكب والنجوم بأسمائها ، ولكن في أغراض أخرى ، مشبها أو مستميرا ، فنجدّه يذكر الفرقدين ، والسها ، وعطارد ، والمشتري ، وزحل ، والبسوزا ، والشهب ، كما يذكر ظاهرة الكسوف ، وغير ذلك ، ولكن نود هنا أن نقف مع الشاعر عند بعض صورته العامة لنجوم السماء ، وكواكبها ، فالشاعر يهيب أن يخلق ديار هيبته ليلا ، في وقت يكون الظلام قد غشى المصمورة

وترصفت السماء بالأنجم الزهر ، كأنها الثوب المنعم :

وجئت ديار الحى والليل مطرف مضمّن ثوب الأفق بالأنجم الزهر (٢)

وهو يتصور الليل سترًا ملرزا بالنجوم بهجبه والصبوب عن الرقيب :

والليل سترد وننا مرسل قد طرّزته أنجم زهر (٣)

والشاعر في تشبيهه الليل بنجمه بالثوب المنعم ، أو الستار المطرز ، يهتد عن بهيته التي اشتهرت بصناعاتها النسبجية المتنوعة ، كما يهتد عن واتمه عندما ينظر الى السماء من خلال موقد النار ، فيتصور النجوم جمرا والغمام الابيض ، او ضوء الفجر رما داهلوا :

وفي مصطلح النلمار جمر كواكب علاها من الفجر المائل رما (٤)

- 
- (١) الديوان : ٢٢  
(٢) نفسه : ٢٢  
(٣) نفسه : ١٥٦  
(٤) نفسه : ١٢٢

✽ المجرّة : سميت مجرة على التشبيه ، كأنها مجر وسحب ، وهي تسمى أم النجوم أيضا لاجتماع النجوم فيها .



وكما فتن الليل الشاعر بنجومه وكواكبه ، فتنه النهار بضوء صباحه ، وشمس ضحاها  
 وشبهها تارة ، وبكشفت عنها أخرى ، فيختلط ضياؤها الاصفر بنظير الغمام ، ويصير  
 نفسه الاحساير بالفرحة والبعثاة :

ورداء شمس قد تمرى أصفرا ( ١ )

ورفلت بين تمير غيم المهل  
 وهو مشهد علق بذاكرة الشاعر ، وانطيمت صورته في مغبلته ، فهو اذا اشتاق الى وطنه  
 ولبيمة بلده ، كانت غزالتها ، وقد حرك عنها النسيم من الغيم برقما من جطة ما يعين  
 اليه :

أغازل منها للخرالذ سنقة  
 تحرك السبا عنها من الغيرتوما ( ٢ )

وانا حمي والوليمس ، وطار القتام في الجوى ، فخفف من أشعة الشمس ، وكسر سناها  
 بدت في عين الشاعر كأنها دينا ر عليه صدا :  
 والنقع بكسر من سنا شمس الضحى

فأناه صدا على دينا ( ٣ )

وقد يربط الشاعر بين الشمس وعناصر الداهية الأخرى بعلائق ودية عاطفية ، فهي  
 تضاهت الشجرة ، وتغازل الأعشوانة :  
 يضا حكها نثر من الشمس واضع  
 تنادى بفيه أقعوانة اجبرع

ولحظها آتف من الماء أزرى ( ٤ )

قد غازلتها الشمس غيب سماء ( ٥ )

والشمس اذا غشاها الغمام ، وألتصفتها الفائمة الى شعوب ، تذكر الشاعر بالمرضى  
 وآثاره ، فصورها مريضة شاحبة البهين :

---

* - الغزالة : الشمس .	( ١ ) الديوان : ١٢٩
* - النقع : الغبار .	( ٢ ) نفسه : ١٢٨
-	( ٣ ) نفسه : ٢٧
* هاء ( فيه ) تمود على الصباح .	( ٤ ) نفسه : ٧٠
	( ٥ ) نفسه : ١٥٤

- فالشَّمْسُ شاحِبَةٌ اللَّيْلِ مَرِيضَةٌ  
والرِّيحُ خَائِفَةٌ الْجِنَانِ بَلِيهَلْ (١)
- وهي تذكره أيضا في حال غروبها ، وضمتسناها ، وأسفرار لونها بالمرض فيدخل عليها  
من صفاته :
- والشَّمْسُ تَجَنُّ لِلشُّرُوبِ مَرِيضَةٌ  
وَالرَّعْدُ يَزِي وَالغِيَامَةُ تَنْفُكُ (٢)
- والشمس إذا كانت تفتنه في مشاهد ما المتنوعة فإنها في غروبها له أشد فتنة ، فهي  
تروقه بأشمتها الصفراء الدافئة ، فيطيل النظر إليها ، وتتوهمها وهي تتوارى شيئا فشيئا  
متلفعة في ثوب الليل الأخضر :
- وصفرة سواك العشي تروقتني  
إلى أن توارت بالحباب مريضة  
وهي تروقه ، كذلك ، وهي سلبها إلى الشُّرُوبِ ، وقد صبغت بأشمتها وجه النهر ، فهذا  
كأنه سبغ صبغ عليه بقية من م :
- وقد ولت الشَّمْسُ مَحْتَمَّةً  
لأن سناها على نهمه
- إلى الرب تروبو بكرن كهيَلْ  
بقايا تجيب بصرفا صقيبل (٣)
- وقد وصفت الشاعر الشمس في مشاهد غير هذه المشاهد ، ضمنها أغراضه الشعرية الأخرى  
تلك الأغراض التي اصطليحت في كثير من معانيها وصورها بمشاهد اللهبية ، والرائية  
ما يدل على أن مكانة اللهبية عند الشاعر ، كبيرة ، وإن إحساسه بها كان قويا عارفا .

(١) الديوان : ٢٥٤

(٢) نفسه : ٢٨٥

(٣) نفسه : ٣٧٧

(٤) نفسه : ٣٧٨

الفصل السابع

في

الطبيعة الحبيسة

لم يقتصر ابن خفاجة في وصفه على الطبيعة الصامتة ، يرسمها لها ، وصور مناظرها  
 ما هي في الواقع ، أو مستزجة بمشاعره واحساسه فحسب ، بل امتد بصره ، كذلك ، التي  
 ما هي بحيث من كثرات حية ، فوصفها وصفاعني فيه بالصورة الحسية العامة ، ومعنى عنده  
 ما هي في الطبيعة ، مرتبطة بالطبيعة ، ملتصقة بها ، ولهذا هذا الارتباط هو الذي جعل  
 لشاعر يستند في تصويرها عناصر الطبيعة الصامتة ومخاطباتها ، وابن خفاجة لا يستغنى في  
 وصفه بل ما عرفته بحيث من عبارات الهمزة والوحشية ، فهو لا يذكر من حيوانها الوحشي غير الذئب والأرنب  
 للفرس والذئب ، والنميمة والكبش والناقة ، ولا يذكر من حيوانها الوحشي غير الذئب والأرنب  
 إلا سد ذكرا عابرا ، كما انه لا يذكر من طيورها سوى الحمام والمكا ، والصقور والقلادة  
 البازي ، ولم يصف من الزواحف والعشرات غير السب والنحلة وذكر السمكة عرضا وهي موصوفات  
 تفاوت ، على قلتها ، من حيث عنابة الشاعر بها ، تفاوت وانعسا ، ففي الوقت الذي يعطس  
 به الفرس ، والحمام والطيور عامة ، بهناية الشاعر واهتمامه ، فيكثر من وصفها ، لا تغفر غير ما من  
 عناصر الطبيعة الدعة الا بصور قليلة ، ولعل لعل الشاعر بفرسه ، وحلة الحمام والطيور  
 لفردية بالطبيعة التي احبها الشاعر ، وهام بها أثرا في اتقائه بها ووصفه لها أكثر  
 من غيرها .

الخيال

ان أرضا واسعة كأرض الأندلس ، وهيئة جريسة كهيئتها لا بد الا أن تعتمد على الخيال  
 اعتمادا كبيرا ، فهي وسيلة السفر السريعة ، ووسيلة المرب المهمة ، كما أنها تشكل بمنظرها  
 وهي تسس وسلك من الطبيعة الفخيرة ، مشهدا من أجمل المشاهد التي تجد العين فسي  
 تليها وشاهدتها ممتعة كبيرة ، وابن خفاجة ، وهو ابن الجزيرة الفناء ، أحسن هذه المتعة

وشعر يدور الفرس في حياته اليومية ، فأحبه وارتبط به ، وصوّره في شعره تصويراً جليلاً  
محاسنه ، وأبرز صفاته ، وأنفق عليه جملاً ورعة .

والظاهر أن الشاعر كان مولماً بما تتناهى الأفراس ، وتدل أوصافه فيها على أنه كان يملك  
بعضة منها لا فرساً واحداً ، فقد وصف الفرس الأشهب ، والاشقر ، والادهم ، والبورق  
والابلق ، وأعدى إلى أعد اصحابه مهراً بهيماً . وقد حرص الشاعر على أن تكون  
أغراضه كلها كريمة الأصل ، ونجيبه ومروضة تلين راحتها وتسلس له القباد ، وتفهم إشارته  
وتشاركه احساسه ومشاعره ، وقد أجمل في أوصافه الصفات التي كان يعرض على  
توفرها في فرسه ، فهو فرس مشرف العنق ، أسيل الخدم ، ضافي الذيل والعرف :

ومشرف الهادي \* طويل الشّوى \* ضافي سيب الذّيل والمُشرف ( ١ )

.....

وأغلق الذّليّ لويل الشّوى \* مستشرف الهادي على العايل \* ( ٢ )

وفرسه بالاضافة الى ذلت قصير عسيب الذيل ، قصير الظهر ، قصير الأذن ؛

طويل سيب العرف ، العنق والشّوى \* قصير عسيب الذّيل والأذن والظهر ( ٣ )

---

( ١ ) الديران : ٢٨٠	* الهادي : العنق . الشّوى : جمحشواة ، وهي القوائيم
( ٢ ) نفسه : ٢٦٤	العايل : عامل الرمح ، وهو ما يلي السنان .
( ٣ ) نفسه : ٢٦	العسيب : عظمة الذيل أو منبت الشعر منه .

وفرسه طويل الشاوي ، عال مطواع :  
وأبلى\* نزار العيمان سلكهم

طويل الشوى والشاوي أوتوا ألقا (١)

وهو تصير الشعر أجود :  
ومش بتيه أتيبالا أجود

في شقرة لوسال سال نساارا (٢)

وعني نفس الصفات المادية التي تستحبهها العرب في أفراسها (٣) ، ولئن الشاعر  
خالقهم في واحدة ، هي تصرأ ذنب فرسه ، وطولهما عندهم .

وكما عني الشاعر بصفات أفراسه الجسمية ، عني بالوانها أيضا ، فصور منها الاشهب  
والاشقر ، والاسود ، والورد ، والابلق ، واستعان بها في بيئته الطبيعية من معطيات  
وعناصر والوان في رسمها ابرازها وتجميلها ، مع السرس الدائم على تنوع المشاهد ، وتغيير  
الالوان التي تحتضن أفراسه ، فقد يصفها في الليل ، حيث الظلمة ، والنجوم اللامعة  
أوفي الصباح ، حيث امتزاج الظلمة بالنهار ، وقد يصفها في جو المعركة ، حيث السيوف  
والرمح ، والقتل ، مشبها إياها ، في عركتها وألوانها بما يحدث به من عناصر وظواهر  
طبيعية مختلفة ، فالفرس الاشهب يروقه بلونه الأبيض ، ويوحى اليه ، وهو يصوره ، بهمس  
الصور التي يستوعبها من طبيعته ، في ظلام ليلها ، وحرها وموجها ، وكواكبها ونجومها  
كما قد توحى اليه سموته ببعض التشبيهات يستمدّها من بيئته العنصرية ، ويوظفها في تصويره .  
فهو يلاطم بعمر النلام ، ويناطح لبيقه بموجة هي فرسه الأشهب ، الذي بدأ بلونسه

(١) الديوان : ٥٧ \* - الأبلق : فيه بها فروسوان .

(٢) نفسه : ١٤٣

(٣) كتاب الخيل لابن عبيد : ٤٧ - ٤٨

الأيام في الليل المظلم لأنه غرة في جبهة دهائه أو نجما لامعا من نجومه :

لا طمئت لبعته بموجة أشهب	بربي بها بحر اللام فيرتمي
قد سال في وجه الدجاجة غيرة	فألليل في شبة الأعر الأدهم
اللمش منه ومن سنان أرق	ومهند عذب ثلاثة نجيم (١)

وإذا تصور نفسه في معركة ، لم يصور نفسه الا على فرس أشهب سريع ، مقدم ، يبدو في مثل المجاج كأنه صباح سفر ، أو كوكب منقذ ، ولا يغادر المعركة الا ظافرا ، مفضيا بالدم لما أصابه من جراح :

ورميت هبته بلبّة أشهب	فسفرت ليلا عن صبا مسفير
يجرب فتفسه انملاثا كوكبا	ينقش في غبر المجاج الأكدري
أوردته نالت الأسنه أشهبيا	ونزلت منه ظافرا عن أشقير (٢)

وقد بنى الشاعر الى فرسه الأشهب من خلال وساعله الكتابية ، فيتمظه في مسنه وبهائه بالرقعة السنه ، ولكن الذي يبعده سألورها وينقط مروفها البر القلم ، وإنما نعال السهوف وأسنة الرماح ، كما يصور حال الفرس في المعركة اتحالا وادبارا ، بحال الصحيفة طيها ونشرا :

وأشهب ونعل تامل رقصة	من العشن لم تعثر بها العيين في بشر
تعد سطور العرب يوما بها الطبا *	وبمجمها وغز المصنفة الشمير
وتدح منه السلم ما ينشر الرغسي	فأورا الى الي وطورا الى نشير (٣)

وقد يحمل اوجاف فرسه الأشهب في حالاته السعطفة في موتف واحد ، فهو لرف ، سريع لصدو ، يميل الى مدفه كصح البصر ، حتى ان ليك الديال في سراه لا يجاريه في عدوه فهو اذا سرن ليلا فكوكب ثابت مني \* ، وان اغان الغلاة فاشبه ما يكون بالسعلاة في صبرها وقوتها ، وهو في جربه ينساب في طواعية وسر ، حتى ليحس رايه كأن ربح الجنوب قد انقادت

(١) الديوان : ٢٤٤

(٢) نسبه : ٥٠ \* - اللبة : المنحر

(٣) نسبه : ٢٦ \* - الطبل جمع طلبة : حد السيف أو السنان

له ، أو كأنه است بعنان ربح الشمال ، ولكن الفرس وهو محلى غيره وهو عاقل ، فصورته هنا غير صورته هناك ، فهي هنا أكثر ضياءً وبريقاً ، فهو يبدو ، وقد جال في حلبة البراعة ، كأنه الصبح علقه الانجم ، أو كأنه صبح طبعم بالشرها ، وهو اذا جرن بدا كالهرق . المسج بالهلال :

رب لمرنك لمرنك سزعة عسدي	ليس يسري سراه لمرنك الخيال
إن سرت في الد بن فبحس الدراري*	أوسق في القلا فأحدى السقالي*
لست أدري إن قيد ليلة أسري	أو تمطيته غداة قتال
أجنوب تفتاد لي من جنيب*	أم شمال عنانها بشمال سي
جال في أنجم من العلي بيبي	وقمبي من الصباح مزال
أشهب اللون انقلته حليبي	حجب فيهن وهو ملقن اليبلال
فبدا الصبح طبعاً بالثريبا	وجرت البرق سرجاً بالهلال (١)

وسوره في حال عدوه ولاحقه ببصره ، ثم يرسم له صورة متتابعة ، يعتمد فيها على الطبيعة من حوله ، اعتماداً واضحاً ، فهو اذا اراد تصوير شبيهة فرسه ، تصور الصباح شبيهة لفرسه بعقلها اذا مش ، واذا اراد تصوير شدة سرعته تبادرت الى ذهنه ظاهرة الرياح في هبوبها وسرعتها ، فيتخيل أن فرسه ينتعلها في عدوه ، هذا عن العدو ، واما ما يخلقه الفرس وراءه من غبار متعاقد في السماء ، فانه يوصي الى الشاعر بظاهرة كونية اخرى ، هي ظاهرة الضامة المبرقة ليلاً ، كما يوصي اليه بقوة بدافعه ، وشدة وقع هوافره على الأرض ، يركن الديل الضمار من عل .

وأقب يحتمل الصبح إذا شقى	شبهة ويثقل الرياح اذا جرت
قد بات يحمل لبده ظبي النقا	ركضا وحمل لبده لبت الشرى

---

(١) الديوان : ٣٦٠ ، ١٤٠ \* - الدلف : الفرس الطويل القوائم ، الطويل العنق  
 الدلف الاذنين . الدراري : جمع دري : وهو الكوكب الثاقب المضي \* ، نسب الى الدر لبياضه  
 الشمالي : جمع سعادة ، وهي اغيث الخيلان .  
 الجنيب : الغريب . مزال : اي له ذيل .  
 اليبلال : جلال الثوب أو الكساء . الأطراف : حجب : اسرع .

أزجى \* هنا لفظاً برفى مسرى  
فكان ركناً آخرَ فهما من حيسراً \* (١)

وحث التراب على الصبا فأنما  
واسترجع الأرض الفضاة هويثيه

وفرس الشاعر فرس شجاع ، كبريم ، ويقدم على المد وغيرهما بولا وجل ، لهذا المد وكانه  
من الهوجاء ، تمثت بالهشوم ، ومد وبلونه الأشهب من وراء النقي لأنه البرق التالفة  
وكأن يلمد بشبهته الصافية الليل المهيم ، ونحو الظلعة المدلحة :

وتقريباً أكرهه كرميلاً  
فلسْتُ أردد الأكليةماً  
على شرفٍ تلقى به هشيماً  
تألق شهبتهً وعفا أديمياً  
ظردت من الظلام به ظليمياً \* (٢)

وطروراً أجرده صقيلاً  
إذا أتيلته سمر السواليبي  
وقد لفت المد وكان ربحاً  
يشيم به وراء النقي بترقياً  
إذا أولاتها أعتاب ليل

وقد يضار به الأهل ، فهو يوجب الدجى ، ويصد م ظلمته بفرس أعين ضامر ، يحمر بما حوله  
ويتأمل نجوم السماء ، حتى لأنه منجم ، ويتعلق في الصحراء مسرعاً لأنه سهم رمت به يمد  
البيداء ، والشاعر في هذا يشخص الظليمة ، ويبحث فيها المردة والسيارة :

رمت به ركن الدجى فتهبها  
كأن به تحت الألام منجمياً  
به في يد البيداء والشهم مرتقى (٣)

فبعت الدجى منه بأعين ضامر  
مقلب طرفاً في الكواكب ساعياً  
ومن عجب أني أرى القوس منحني

وأما الفرس الأشقر ، فيذكر الشاعر بكل ما في الظليمة من حوله ، من عناصر ومعطيات  
تشترك وفرسه في هذا اللون ، فهو إذا وصفه تذكراً للجنار ، والنضار ، والشهاب ، والجمر  
والشمر ، والنجين ، والبرق الملتهب ، والاعصار ، وهي ظواهر يستفد منها الشاعر فسي

(١) الديوان : ٢٥٢ \* - الاقب : الضامر . أزجى : ساق ودفع . حرا : جبل بمكة  
- المحبوب : الجدول الشديد الجري ، يشبه به الفرس  
(٢) نفسه : ١١٥ لذلك . الظليم : ذكر النعام  
(٣) نفسه : ١٧٣ - الاعين : من الأهل : الأبيح الذي يخالف بها ضمه  
شيء من الشقرة .



بناءً صورة عصانه في حالاته الصغيلة ، فهو يفتأ أما فرسه الأشقر الأجرد محجبا ، وهو يفتأ  
لضنيره الجميل ومهورته الرائحة ، وهو يفتأ في شقته التي لو سالت لسالت نضارا ، وهو يفتأ  
أعطافه لها في شية تهلو في النذر كأنها ناس عتار تدار ، وهو يفتأ بسرعة لأنه الاعصار  
ان صورته لجيلة ، وخطره لهدب ، ويستحق من الاسماع كل الطراء ، ومن الأبرار كل تأمل  
وامعان :

ومشى ربيته اغتيا لا أجـرر \* في شقرة لو سأل سأل نضارا \*  
تسترقق الاعاقمن طرب به \* شية تدرد على العيون عتارا \*  
لو كنت شاهده وقد ملا التلا \* ركنا وشدا على الكمي حضارا \*  
لرأيت فيما قد رأيت وقد بيتا \* نارا تكون ان اجرت اعصارا \*  
استعمال الاسماع المرأة لسه \* في صورة تستعمل الأبرار (١)

وانا خائفره الأشقر الحما الليل ، وأراد وصف تلك الحال ، تذكر كوكب الدجى  
الطائب ، والفحم والجمر الملتهب ففرسه كوكب مقصوب ، وشعلة نار مطهنة في فحة الليل :

ألا زاحم الليل في أشقـر \* تصوب تحت البدي كوكبا  
نناد وقد طار به شملـبة \* على فحة الليل أن يلمها  
وهاه بطارده بـلـرق \* أحال غراب الدجى أشهبها (٢)

وتشبهه الليل بالفم ، والفرس الأشقر في ظلمته بالشعلة ، تشببه بذرره الشاعر لما فيه

من مفاخرات لونه :

وليل قرنت به عزمـبة \* قد حث الألام بها فاضطرم  
وأولبات اعشاءه أشقـرا \* كاتي نقتت به في ضـرم  
كأن وقد غفها الليل بيـي \* قد حث به شعلة في فـم (٣)

- (١) الدهوان : ١٤٣
- (٢) نفسه : ٢٤٤
- (٣) نفسه : ٤٦ - ٤٧
- \* فرس أجرد : قصير الشفره قبيحه
- \* النضار : الذهب
- \* الحضار : القوة وجود السر

ومحبب الشاعر بلون فرسه ، وفتتن بشقرته ، فبرق فيه شعلة نار تنوم في العرب  
كره لونه بالطبيعة من حوله فلهجاً اليها ، يستعير بالوانها ومعالجاتها في رسم صورتها  
بها عرسه ، فلون فرسه من الجوار ناضر ، وأذنه المولدة من ورق الآس ، وخرته في شقرته تعكس  
نورها بلونها عهاب :

وأشقر تنوم منه الرقاسي  
من جلعان ناضر لونه  
بطلح للخرقة في شقرته

بشعلة من شعل الآس\*  
وأذنه من ورق الآس  
حباة تضحك في كاس (١)

وإذا وصف فرسه الأشقر وساء الحركة ، شبهه بما يناسب السقام من ألوان وظواهر  
هو ملهم ، شرق الأديم ، كأنه مخضب بالدم ، وكأنه وهو يغور المصرة ، ويغترق عجاجها  
ببنة رذها ما بارق يسوق سمبالقتام ، أو كأنه شهاب يرمج شياطين المدا في ليل النهار ؛  
هو إذا تلالأت على شقرته العلى ولمعت أشبه كأس خمر . علام حباب :

وملهم شرق الأديم كأنما  
الرب اذاغى العسام مسرق  
قد عت يد الهيباء منه بارقيا  
وردى العفانك به شياطين الصا  
بسام شر الئلي تحسب أنما

ألفتماطفه النعيم خيما  
ثوب الصجاجة جبهة وذهايا  
متلها يزي القتام سخايا  
فانقش في ليل الخبار شيايا  
كأثر آثارها المزاج حبايا (٢)

وأما الفرس ذو اللون الأسود ، فلا يستوقف الشاعر طويلا ، وكأنه لم يكن يستريح  
لهذا اللون ، ولا يلوذ به نفسه المرهالمقنر الفرير الأشهب ، والاشقر ، فهو يركب يوميا  
فرسا أسود يرمي به الصباغ ، فقلب ضياءه وباضه الى سواد ، وهو لشبهه بالليل ، فبين  
الشاعر يرفق به ثوبه اذا رث :

وأقبلت وجه الردى أدنما  
كأنني وقد رث ثوب الأجمي

رثت الصباغ به فاذلهم  
رثت به خرقة فالتأم (٣)

\* - الجلعان : زهر رمان البر .

- البأس : الشدة .

(١) الديوان : ١٢٣

(٢) نفسه : ٢١١

(٣) نفسه : ٤٦

صركب يوما آخر فرسا بفوق الليل سلكة وسوادا :

وأدهم من ليل اليتار ركشيه فايدعت أسرار الشرن صدر كاتيم (١)

وصف في موضع آخر مشهايا ، ودعته ، بليلة الهجر ، إلا أنه يتميز عنها بحسنه وجماله  
لا نلتما استلاعت العين التميز بينهما ، ثم ينتقل من اللون إلى الصفات الجسمية لفرسه  
ففسب عرفه ، وعنفه وشواه بالليل ، يسبب عيب الذيل والأذن والظفر بالقصر ، مستدلا  
لعل على جودة وعنف فرسه ، ويتفأل بفرته خيرا ، فيرون أن النمر معقود بها ، ثم يسود  
السورة العامة لفرسه الأسود وهو يخون نفع المصركة فينظر إليه من خلال وسائله الكتابية  
صعيفة وحبر ، فيتصور النخ صحيفة والفرس حبرا أسود سلكها على صفحتها :

لما عرفته العين من ليل الهجير  
تصير عيب الذيل والأذن والظفر  
كفات بها في سورة السنين من عشر  
لقد راع في تلك الصحيفة من حيتير (٢)

وأدهم لولا أن رأى صورة  
طهل سبب العرف والمعن والشوى  
له غرة تستصحب القدر الملتصقة  
أما وانتشار النخ عنه صحيفة

ويتخذ المبر الادم الهم الهميم ، الذي تقدمه هدية إلى احد اصحابه ، وقفة المول ، وصفه  
فيها وعفانته وجملة وثره إلى نفس المهدن إليه ، فهو مهر جميل الصورة ، حسن المنظر  
بدعته التي لو اسلمع بها الليل لراى عين المحب ، وطاب له فيه السهر ؛ سريح ، نشيط  
كريم الفعال ، يحسن إلى ندم صاحبه الجديد ، وهو إلى كرمه ، وهو يهدائه له انما يرسكل  
الريح إلى المار ، يزيد به جلاء ووضوحا لانه قمر ، والقمر لا يهدو على أتمه ووضوحه  
.....

(١) الديوان ٢٥٩ ؛ الشوى : من الفرس أو توائمه  
(٢) نفسه ؛ ٢٦

أرسل ربحاً به إلى مَكْرِبِ	تَقَبَّلِ المَهْرَ من أخي تَقْبَلِ
لهشتمَلِ ليلها على سَحَابِ	سُتَمَلَا بالذلالِ من شَيْبِ
إلى سواد الفراء والهِبِ	بنتسبا لونه وغرثُ
بهجة مرأى وحسن مَخْتَبِ	تحمسه من علات مُسْتَرَقِبِ
فما ظِلُّ به على نَهَبِ	عن إلى راحة تَفِيئُ نَسَبِ
ماشتت من فعممة ومن شَبَبِ	تروى به والنشابة يلهبِ
أمتع طرف النجيب بالسَّهَبِ	لو حَمَلَ الليلُ حَسَنَ دَهْمَتِ
ظهرا وأجرى به من القَسَدِ	أحسى من النجم يرم معركِ
فالتقت المشرُ منه عن حَبَابِ	اسودَّ وأبهر فعله كرمِ
مركب من محاسن الصُّبَابِ	كانه والنفوس تمشقُ
فالتلُّ أذكي لغزرة القَسَرِ	فازدَدَ سنا بهجة بدَّهَمَتِ
يتجمع بين النسيم والزَّهَرِ (١)	ومثل شكري على تقبَلِ

وأما الشاعر في هذا البيت ، استعارة وتشبيها ولها قاء على اللبحة العامة ، وإناذته من معانيها الكثيرة واضح جلي .

وتد يثق الشاعر برب الممرقة من كتب ، فبمجمه الغيل في عركتها وألوانها الزاهية في اتبالها وإدبارها فيصوره ، اتسورا حيا ، طيفا بالالوان ، يستلهم فيه اللبحة من عولته فيقول :

تعت الكماة وتذري أدم القمرك	والشبل تفرى بهوتب النقي من حرب
كما تفرأ أدم الليل عن فلكي	من أشهب شق عنه الركن شهوتك
كما تعلق بد الصبح بالخسقي	وأدم فض التحجيل أكرعك
كما تصوب نجم الرجيم في شفق (٢)	وأشقر سائل في وسبه وصمك

وهناك الفرس البرد وسفا يقترب كثيرا من وصفه للفرس الاشترا لا انه يزيد عليه سموته وهو معلن ، حيث يشبهه بلونه البردي ، وحليه الملائكة الناصعة ، الا خافة ، بهجارة نثرت عليها الدسبا زهر الاتاعي :

فوق ورد صعبل من الحسب من براه مائه وعشارة

(١) الديوان : ١٤١ - ١٤٢

(٢) نفسه : ٢٥٣

خَلَّصْتَ نَارَ الطَّبِيعَةِ سَهْكَانًا      وَأَمَلْتَ لُجْبَمَهُ وَنُضَارَةَ  
 تَدَحَّ الرَّكُونُ زَنْدَهُ فَاسْتَلَّكَارَتْ      فِي دَخَانِ الصَّبَاغِ مِنْهُ شَرَارَةَ  
 بَهَضَتْ أَلْحَلِي فَوْقَهُ عَنْ أَقْبَاحِ      نَثَرَتْهَا الصَّبَاغُ عَلَى جَلَنَارَةَ (١)

وهو أمر نلاحظ فيه اعتماد الشاعر الواضح على الطبيعة تشبيها واستعارة ، مما يروى ما ذهبنا اليه قبلا من أن الطبيعة المأتمنة كانت مهيمنة على مخيلة الشاعر ، تفسيروا ... حاسوبا عليه ، وتتحمم عالم صورته بمناصرها ومفاتيحها على اختلافها .

وإذا نظرنا إلى الفرس الأبلخ ، وأراد وصفه ، تداعت الصور المشابهة في مخيلته ، فمن صورة السماء السوداء المبرق ، إلى صورة الغراب الأبقع ، إلى صورة الظلام المرقع بالصباح ، وهي صورة طليحة يتكس على ظهرها الشاعري في إبراز لون فرسه ، ثم يترك اللون إلى ما سواه من صفات ، ففرسه سريع الجري ، لا يكاد البرق يجاريه في سرعته ، عمام ميسر الأصوات ، وطير للفتاة ، ويمن كما حبه إلى المدون فيمر به من حبه بصهيله :

وَأَبْلَقَ خَوَّارِ الْيَتَانِ مَدَلَّهِمْ  
 جَرِي وَجَرِي الْبَرِّي الْيَمَانِي عَشِيَّة  
 كَأَنَّ سَهَابًا أَسْتَمَاتِحْتِ لِئُسْدِهِ  
 وَعَسَبُ الْأَعَادِي مِنْهُ أَنْ يَزْبُرُوا بِهِ  
 كَأَنَّ عَلَى عِوَالِفِهِ مِنْ خَلَجِ الشُّسْرَى  
 رَكُضَتْ بِهِ بِمَرَاتِدَقِّ مَا عَجَبًا  
 يَوْمَئِذٍ مَنْ أُنْذِنَ فَأُنْذِنَ تَشْوُفًا

الموهل الشَّوْبِ وَالشَّأْوِ أَقْوَدُ أَتْلَمَا  
 فَابْطَأَ عَنَهُ الْبَرِّي عَجْزًا وَأَسْرَعَا  
 تَضَاحَتْ عَن بَرِّي سَرْدٌ فَتَصَدَّعَا  
 مَخِيرًا غَرَابًا صَبَّحَ الْعَيَّ أَبْقَعَا  
 قَمِيصَ ظَلَامٍ بِالصَّبَاغِ مَرْقَمَا  
 وَأَتْبَلَّتْ أُمَّ الرُّؤَالِ نَكْبَاءَ زَعَزَعَا  
 إِلَى صَرْخَةٍ مِنْ هَاتِفٍ وَتَلَمَعَا (٢)

(١) الديوان : ٥٧ - ٥٨

(٢) نفسه : ١١٢

فالوصف كما نلاحظ ، وصفتهم ، لا يشذ فيه الشاعر عما هو مأثور في وصف الفرس منذ  
الديانة العلمية وحق عصره ، إلا أن اتكأه على اللبيمة ، واستفاداه لعناصرها ومعالجاتها فسي  
بناءً صوره يبدو واضحاً جلياً . والشاعر لا ينسى أن يخلج ما بينه من مسبب لا يراهيم حسن  
يوسف وتأييد لدعوته التي خد منها بإخلاص ، ودافع عنها في شعره بصدق وحرارة .

ويبدو أن الشاعر كان يفتني أفراسه ، وفرسه كرم الوالددين ، نجيب وغفيل البركة  
شديد السرعة لا يعقان إلى أن يرمح بسوطه ، يحسن إلى شائر ، فيخلف على السرى ليل من يتلك  
الأرض الأبيد الحزينة عليه وعلى صاحبه :

أغر نريم الوالددين تجميساً	تخبرته من رهدك أتمق سايعساً*
يفوت عدواً أو يهزم حبيباً	خفيفاً ولم يحلم بمسولٍ قاتماً
يخون خلباً أو ينجوب كتيباً	وحن إلى شتر فضت على الشرى
ومرتبما فيها إلى حبيباً (١)	يوهّم بها أرضاً عليّ كريمة

وفرسه مؤدب ، لو أن الله للفه بالعبادة ، لدان من المتقين :

لم يمهّد الله على حرفٍ (٢)	مؤدّباً لو دان مستمبداً
----------------------------	-------------------------

(١) الديوان : ١٢٢ \* - الاعوج : اسم فرس نسب إليه " الاعوجيات " .

(٢) نفسه : ٢٨٠

وهو حساس ، ذكي ، يراجع صاحبه رجح الحنين ، ويشاركه شعوره بالفرقة ، ويفهم عليه ، وتعلم منه معاني الشوق الى الامل والا ولبان :

هَجَانِي رَجَحَ الدَّيْنِ عَلَى السَّرَى      كَأَنَّ لَهُ قَلْبًا هَنَاتٍ مُتَمَمًا  
وَدَلِيهِ سَجَنُ الدَّعَاةِ بِالصُّمَى      فَيَلْوِي إِلَيْهَا حَلْفَهُ مُتَقَيِّمًا  
وَمَا كَانَ يَدْرِي مَا الدَّيْنُ عَلَى النَّوَى      وَلَكِنِّي طَارَحْتُهُ فَتَعَلَّمَا  
فَاعْلَانِي بِجِدِّ عَلَى رَشْمٍ مِنْزِلِ      فَأَعْوَلْتُ إِلَّا حَنَّ شَوْقًا فَأَرْزَمَا \* (١)

واين مفاجأة في وصفه للفرس لا يخرج في كثير من معانيه وصوره ، مما هو معروف ومألوف في أوصاف الخيل في ديوان الشاعر المصري ، وان عرضها بأسلوبه الفاعل ، مما يلفتنا نظن أن له اطلاعاً جيداً في هذا المجال ، حصل عليه عن طريق مطالعته في ديوان الشاعر المصري القديم ، أو عن طريق الكتب المقتضية بهذا الشأن . ككتاب الخيل لأبي عبيدة مثلاً ، وهو كتاب كان معروفًا في الأندلس منذ أبي علي القالي ، وكان أبو محمد بن السيد صديق الشاعر ، وربما استأذنه أحد رواة (٢) ، ولعله يكون قد اطلع عليه من خلال ذلك ، ولكن الظاهرة التي يمكن أن تلحظ في أوصافه للخيل ، هي اصطغاعه لالوان الطبيعة ومداليها المختلفة ، واتكأؤه عليها في تشبيهاته واستعاراته ، مما يدل على تمكن الليمية من نفسه واستيلائها على احساسه وشعوره .

### \* الأبل :

أغلب الظن أن شبه جزيرة الأندلس ، قد عرفت هذا النوع من الأنعام ، فقد ذكر ابن الخطيب في أعمال الاعلام أن المتصور بن أبي عامر كان له من الجمال المتصرفة في حمل الاثقال

(١) الديوان : ١٧٣ \* أرزما : سهل

(٢) فهرسة ابن خبير : ٣٨٢

بمئة آلاف الا مئة بمان كورة تدمر\* (١) وهذا يعني أن الجمال كانت شاهية  
لوفة لدى الاندلسيين ، وليست كائنا غربياعنهم البتة ، وعمود من مصر ، لو وقف عليه  
لستشرق الاسباني غارثية غومت لمانق ووجود الجمال في الاندلس قبل معركة الزلاقة  
ذلك في قوله : « أقبل يوسف بن تامن بن المرابطي الى الاندلس بجماله معه ، فرعب منها  
لانديسيون ، ان لم يكونوا قد رأوها قبل ذلك ، جمال في اسبانيا ؛ لقد تأفرق الأندلس  
واصبى ولاية تامة للمغرب (٢) . فهو يوم لوجودها في الاندلس بدخول المرابطيين  
ولا تدري من أين استقى هذا الخبر ، فالصادر التي أرخت للوقعة ، وتحدثت عنها بالتفصيل  
لم تشر لا تصريحاً ولا تلصيحاً الى وجود جمال في المعركة ، ولكننا ، مع ذلك ، لا ننفي  
أن يكون المرابطون قد استخدموها في نقل مؤنهم ومعداتهم ، كما لا ننفي في الوقت  
نفسه عن الاندلسيين رؤيتهم للجمال قبل دخول المرابطين ، على أرض الاندلس ، أو في  
المغرب ، عن طريق الاتصال الذي لم يتقطع بين المدينتين منذ الفتح ، هذا اذا كسان  
غارثية غومت يعني بالاندلسيين سكان شبه الجزيرة عامة ، وأما اذا كان يعني بهم الجيش  
النصراني الزاحف من شمال شبه الجزيرة ، فحقي هو « لا يشك في عدم رؤيتهم للجمال  
قبل معركة الزلاقة ، فقد كان المنصور وهو الذي أدخل الى الاندلس ذات المدد اليهم  
من الجمال ، وساجته اليها في حروبه ، دائم الفارة على الممالك النصرانية في الشمال  
كما نشك هو « لا ، ومنذ بداية القرن الخامس الهجري ، في توحيد صفوفهم ، وإنه «  
خالفاتهم ، وشرعوا في شن غاراتهم المتوالية على المسلمين في وسط وجنوب شبه الجزيرة  
مفترسين ضعيفهم وانتسابهم ، وصرعاتهم الداخلية ، فمن المحتمل أن يكونوا قد رأوها  
في « بل ذلك ، ولا نستطيع أن نوافق غارثية غومت في رأيه الجازم هذا ، إلا اذا تأكد  
لدينا أن ذلك العدد الكثير من الجمال لم يتكاثر على مر الأعوام ، وانها انقرضت

(١) اعمال الاعلام : ١٠٠

(٢) الشعر الاندلسي : ٥٥



قبل عبور السرايين الى الاندلس ومعهم جمالهم التي رعب منها الاندلسيون على عهد  
 قرله . ونرى أن هذا اللطم لا يمد وأن يكون زعما يمزوه دليل يستند ، ولعل السبب  
 في الادلاء به لا يمكن بهداف تقرير حقيقة تاريخية ، وانما بهداف تأكيد بداوة المرابطيين  
 وخشونتهم وعدم تعرضهم . وقد أشرنا ، سلفا ، الى أن ابن خفاجة قد سافر الى الممدن  
 الاندلسية ، والى المغرب غير مرة ، ولعله في خلال اسفاره هذه يكون قد رأى الابطال  
 ولكن اوسانه فيها لا تتجاوز الاشارة الى أساطها وبعض صفاتها ، فهو يذكر الصبيح  
 والوجناء ، واخفاف الدلي ، والمنسم ، في مقدماته الفزلية ، وفي موضوع العنين والمدبث  
 عز البداء ذكر اسريحا ، فاذ تفرد على الطريقة الشريف الرضي ومبارك الديلمي وغيرهمنا  
 ولهج بذكر اسما الا ماكن النبدية والمجازية على سبيل الرمز ، رأى أنه من الأغرب له  
 أن يركب الصبيح لا العنبر :

رعبت السماء با حيث عان بيت الهوى  
 وتبلى رش الدار حيا لأهلها  
 وحقت ربابي والهوى يهت الهوى  
 فيها أنا والظلمة والصبيح صحبة

فحييت ما بين الكتيب الى الحمى  
 ومن لبيد الا صيدا تيمنا  
 فلأدر في تيمنا الا متيمنا  
 ترانى هنا أهدى النوى كل مرتضى (١)

وانا اشتاق الى السعوب ، حمل أنفاس الرياح تعيته الهه ، وترجها أن تلاسى دياره  
 وأن تلثم موالين أخفافا ، عيسها التي تروى وتغدو بين روعها :

ألا ليت أنفاس الرياح النواسيم  
 وترمين أكناب العتيد بنالسة

بممين عني الواضحات النواسيم  
 تردد في تدنلها والمعاليم

(١) الديوان : ٢٢٧

\* العتيق : اسم موضع .

ولئن ما بين النشيب إلى اليمسى مواليء أخفاف الصلي الرواسيم (١)

وإذا تذر البيداء ، وغومته وسعبه في بيناتها ليلا ، تخيل الليل بحرا متلاصقا  
فيه غرقى وكواكب السماء طافية على ساحله :

فبتنا وبمخر الليل ملتليم بنا  
نرت الصيغر غرقى والذواكب عومًا (٢)

ولكن السعوب ، يتدلفها الموت ، واحدا بعد واحد ، والأيام تسرع بالشاعر السن  
لشيخوخة ، حبسها المجر ، والأعراس ، والاستقام ، وسبت بجنب بنوع الشباب ، وتجدد بأرض  
لسرات ، فلا يتحقق غير المحل ، يلاقيه أنى توجه بناقته الشديدة :

فسرت وقد أبدت أرتان مرتما  
فلم تطأ الوجناء\* في غير ما حيل (٣)

كما يذكر الوجناء ويخدها في سياق الذكر ، والشرق إلى لقاء المدوح فيقول :

وهل تخذ الوجناء دوت ليلة  
فتفضي بآمالى إلبت سبيل (٤)

وهذه الأشارات ، كما نلاحظ ، لا تدل على علاقة قوية بالأهل ، وارتباط وشيق بهما  
بقدر ما تدل على أنها ليست إلا رجعا لثقافة الشاعر وقراءاته في ديوان الشعر العربي ، أو  
أنها لا تمد وأن تكون مجرد استجابة ، لمقتضيات السياق العام للحديث ، فذكر الأماكن  
النجدية والسجانية ، والبعد والصعاب ، يقتضي ذكر الأهل لارتباطها بها ، وملازمتها لها .

(١) الديوان : ٢٥٨

(٢) نفسه : ١٧٣

(٣) نفسه : ٢٦٢

(٤) نفسه : ٢٤٣

\* - الوجناء : النائمة القوية

\* الكلاب \*

عني الشاعر في وصفه الكلاب بـ كلاب الصيد ، فاعية ، ووصفه السقيم لها ، المستفسق  
 صفاتها الجسمية ، وطبيعتها العسية ، وحركتها الشاذة الملاحقة والمطاردة ، يوحى بأن  
 الشاعر قد خبر عملية الصيد ، ومارسها مرات عدة ، وحده أو مع الأصحاب من أمراء  
 ووزراء وغيرهم . فذلا به منتقاة مدربة ، تمتاز بصفات حسنة ، تؤهلها للمقام بدورها في  
 عملية الملود بنجاح ، كالسرعة ، وقوة الشم ، وحدة النظر ، واللبول في القوائم والتطهير  
 والضمور في البهائم ، والقدرة على الامتداد إلى مكن الطريدة ، والشاعر في وصفه للكلاب  
 يهتم بكل تلك الصفات ، ويضيف إليها صفة اللون التي تذكره بالظبيعة من حوله ، بمناسبة  
 المتنوعة ، فيستعين بها في تصوير كلابه .

فهو يصف لنا مجموعة الكلاب التي اصحبها مدوحه في عملية الطرد ، في رسم لنا صفاتها  
 الطادية ، وألوانها وسرعتها ، وحركتها ، فهي كلاب سريعة ، ذات أشدق قوية وأهل  
 حادة النظر ، ضامرة البياض ، مقلدة الأعناق ، تكشر عن أنياب كأنها النصال ، وتقف على  
 أرجل قوية كأنها قنوات الرماح :

طايوي العشا عالي المقلد ضار	وبكل ناي الشا وأشدق أخزر
يمشي على مقبل القنا الخطار* (١)	يفتر عن مثل الزبال كأنما

وهي كلاب ذات ألوان مختلفة ، فمنها الاسود ، ذوالطرف الأحمر الملتهب كأنه  
 البهرة المتقدة وسنبل القدم ، ومنها المورس الضامر ، الذي ينتقى على الطريدة كأنه  
 الشهاب ، ويدوم من وراء النقب ، وقد تقوس ظهره لضمور في بطنه كهلال السيرار :

ترميم فحمته بشعلة نار	من كل مسوي تلهب الرقسه
عن نجم رجم في سما غبار	ومورس السيرال يخلع قده

(١) الديوان : ٣٥ \* رمح خطار : ذوا هتزاز

والتَّخُّعُ بِمَجْهَدِهِ هَلَّالٌ سِيَّارٍ (١)

عَلَفَ التَّمُورَ سِرَاتَهُ فَذَانَهُ

وهي كراب مدربة ، تبعد عن القنبي ، وتستدل على وجوده بآثاره ، إن في الدارقات  
أوبين المصور ، ولا يحول ظلام الليل دون قراءتها لأحرف آثار القنبي والاهتداء إليه :

وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِشَطِطَةِ قَسَارِ  
قَدْ مَا فَيَقْرَأُ أَحْرَفَ الْأَثَارِ (٢)

مُشْتَتِرًا بِأَثَرِ الْقَنْبِيِّ عَلَى الْمَفَا  
يَسْتَقِنُ فِي سَائِرِ اللَّيْلِ وَتَدَعَا

وقد بكر الشاعر هذه الصفات مع تنوع في المراد والتمثيل ، متكفا على معانيها الدلبي  
وظواهرها ، نكبه هذه المرة ، مخفي ، شديد السرعة ، حتى لذاته ينالير بجناحين ، لمسايقه  
البرن لما لطف به ، قوي حاسة الشم ، يشم التراب ، فتخبره الرياح عن بني الارن ، وتهديه  
الى مكعبها ، ضامر ، موفى في سحبه ، لا تقلت منه الطريدة لسرعته وبراعته ، ثم يمسك  
الى اللون ، لون الكلب الأسود ، ذي العنق الطاق بالمعاني ، فيوفق في رسم هذه الصورة  
الابيهية العجبة ، صورة الليل الذي يغمر رأس الدلاب بنظارة الدامس ، والعبان السني  
بأخذ بخناته :

لَكَارَ مِنَ النَّجَاحِ بِهِ جَنَاحُ  
فَتَغْيِيرُ أُنْفِهِ عَنْهَا الرِّيحُ  
تَنْكَبُ قَوْسَهُ الْأَجَلَ الْمُتَّحِ  
فَشَدَّ عَلَى مَخْرَجِهِ تَمِيحُ (٣)

وَأَخَذَ لَوْ تَمَّ أَنْ سَبَقَ بِسُرِّي  
بَسُوتِ الْأَرْنَ بِسَأَلٍ عَنْ بَيْهَاتِ  
أَقْبَبَ إِذَا لَمَدَتْ بِهِ قَنْبِيصًا  
أَضَلَّ بِرَأْسِهِ لَيْلٌ بِهِمِ

وهناك يعيد ذكر نعر المعاني والصور في المقابلة القالبة ، غير انه يمثل للسرعة  
مننا بالسيان ، كما يضيف الى الصورة السائبة ، صورة القرائم المحجلة ، والتي يستمر

- |  |                  |
|--|------------------|
| * - السراة : أعلى الظاهر ووسله                       | (١) الديوان : ٣٥ |
| - القنبي : البردة . الصفاة : الصفرة الطساء           | (٢) نفسه : ٣٥    |
| - الاخذال : الضغيف السريح . صاف : من السوفي وهو الشم | (٣) نفسه : ٥٤    |
| - الاقب : الزمار البهلن . أضل : دفين وغيره           |                  |
| - الليل البهيم : الظلم .                             |                  |

لها ظاهرة طبيعية ، هي البرق ، فالقرب منخل ومستور بومض البرق ، وماكوك بنور الصباح :

مَوْلَانِي وَتَمِيلُهُ رَمَّاحُ	بِجَوْلٍ يَتَمَيَّضُ بِشِدْرٍ عَنِ نَمَّاحِ
أَوْنَةٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِلَّاحُ	فَلِوَرَايَتِي مُدْبِ الْرَّايِي
يَتَمَيَّضُ جَرِي ، وَلِلْبَرَقِ الْبِلَّاحُ	بِجَوْلٍ شَدَّاءُ لِلصَّبْحِ التَّمَّاحُ
جَرَى مَعَهُ وَطَوَّقَهُ التَّمَّاحُ ( ١ )	فَخَلَّغَهُ وَسَوَّرَهُ رَمَّاحُ

\* الانعام :

لقد مرَّ ومات كثرةً بلنسية ، بأنها كثيرة الزرع والضرع ، وهذا يعني أنها عرفت أعداداً كثيرة من الابتكار والاعظام ، ولكن منظرها البصير ، وهي تسرع في البطح والجهان والسهبول المخفضة لا يثير في الشاعر أي احساس بالبطال ، فهو لهيف سوي الثمن والنخبة ، وحقق مدين لهذا كرمها الشاعر الا في يوم عيد الأضحي المبارك ، حيث يكثر وجودها في الاسواق ويحمل الناس لشرائها ، ونحوها في ذلك اليوم ، فقد وصف نسيجاً سوداً ، وكباشاً أطلست وصفاً عني فيه بظاهر الموصوف ، وان كان يتكلم على التايهة من حيث استماراته وتشبيهاه .

\* الكباش :

يصف الشاعر كباشاً أطلست ، وحسن الصورة في بيتين من مقطوعة ، صورته فيهما وسط نماجه ، يلاعبهن في سائر مدخر ، وهن يتهادين ويتشمن ، وكأنه أحسن بالمدخر ، وعرف الحال التي سيؤول ونماجه إليها :

بِلَاعِبٍ رَبَاتِ الْعِجَابِ رَبَّابُ	وَأَمْرَتِي فِي سِنِّ الطَّبِيحِ طَابِحُ *
تَسْبِيحُ بِنَاوَاتِي مِنْهُ كِشَابُ ( ٢ )	تِهَابَاتُ تَنْتِي وَهَوِيَّاتُ عُرْفَالَتَوِي

( ١ ) الديوان : ١٤٧

\* الكباش الأطلست : هو الأملق بسواد وبياض

( ٢ ) نفسه : ١٥٢

النخبة :

وأما النخبة السوداء فقد حثيت من الشاعر بعناية كبر ، فقد وصفها في مشهديين قبل النحر<sup>وبعد</sup> ، وهي تسن بمنارها الراق على ضفة الوادي الخصبة ، وبين ظلالها الوارفة ، يبرعها صاعبها ، وسورتها من مكان لاخر ، ويرتاد بها المراعي ، ويوردها الماء العذب ، ومنارها بافار الصبر حلول اليوم الذي يدعها فيه ، ويخال من لسمها ، كأنه نكب في لبوس انسان ، مشى اليها وهي لا تدري :

تروى وأما نضبة فنجيب	وسوداء أمان نضبة فهي نخبة
مراد بهطن الزاد بين حصيب	أقام بهما بين ظل وقورد
وهل زار إلا في الظلام حبيب	اتشأ وانبا الشهابت لهما
تخشى إليها وهي تجهل ذيب ( ١ )	فلقت بهما تمشي البهوي وانما

وأما حال النخبة السوداء وقد خضها الدم بعد النحر ، فتوعى الى الشاعر بصورة الليل الذي يمتد في ظلمته حمرة الشفق ، كما يوهي اليه مشهد سلخها ، بانسلاخ النهار من الليل ، كما أن منظرها ، وقد كسفت السخ من حمرة لحمها ، وبهاش شحمها ، يروق الشاعر ويعسن في نظره ، ويثير في نفسه شهوة الأكل :

فهو مثل جاديب ، سوثر ، يستهوي الثلوب ، وأسر الأهمار :

كما اعترن الليل تحت الشفق	وسوداء تدعى به منحسرا
لعفت الكرى واستطبت الأرق	وأقسم لو ملئت ليلانة
سواد الدبي عن باغ الفسق	ستفخ من قروها ضحوة
ومقر شحم عليه يتفق *	فيا حسن فخر لها الخبير
ولا اشتمل شهرد الفسق *	وطارقت في تمير الدبي
هون وتدوب عليها العسق ( ٢ )	ولكن تيسل عليها الثلوب

( ١ ) الديوان : ١٥٢ - ١٥٣ \* شحم يتق : شديد البهاض ناصعه ، الفسق : الظلام .

( ٢ ) نفسه : ١٥٢

\* الارنب :

يصف الشاعر من الارانب ، الارنب الأبد ، فيصوره في شطه السام ، وسرعه ، وعالسه  
أثناء المطاردة ، فهو أذن الأطمار ، أبيض البطن ، حاد السمع ، يراوغ الغلاب التي تطارده  
ولا يمكنها من نفسه ، يجرى حذرنا خائفا ، يتفزع القفزات البصيدة ، ويهوي اثر ما منم لقلانسه  
السوار ، ويتلحق سرعا ، حتى ليبدو كأنه كرة تهاداها الغفجار :

فلربّ رَوَّاعٌ هَنَالِيَتْ أَنْتَـطِي*	ذَلِي السَّمَاعِ أَعْلَمِ الْأَطْمَارِ*
يَجْرِي عَلَى حَذَرٍ فِيبِجَمِّ بَسْطَانَةٍ	يَهْوِي ، فَيَنْعَطِفُ انْعِطَافًا مَنَوَارِ
مَمْتَدَّ هَيْلِ الشَّأْوِ يَحْسِلُ رَائِحًا	فِيهَاذُ يَفْلِيَتْ أَيْدِي الْأَقْبَادِ
مَتَرَدًا يَهْرِي بِهِ خَوْفُ السَّرْدَى	كِرَّةً تَهَادَاهَا أَكْفُ تَقْفَارِ (١)

كما يصوره مرة أخرى غائفا ، هالما ، فارا من الكلب ، يجرى بسرعة مذهلة تخاله فيها  
كأنه يالجير في الهواء :

وَأَلْسَرُ مَلٌٌ بِبَانِحَتَيْهِ خَوْفٌ	لَأَشْوَسَ مَلٌٌ شِدْقَتَيْهِ سِيْلَاحٌ
نَجْمًا يَهْرِي بِطَيْرٍ يَهْدَارُ طَسَاوِ	لَهُ رُكْنٌ يَخْتَشُّ بِهِ السَّبْرَاعُ* (٢)

\* الذئب :

من دون شك أن بهال شرق الأندلس كانت مأوى للكثير من الحيوانات المفترسة  
وعلى رأسها الذئب التي كانت كثيرا ما يرغمها الجوع على النزول الى البساتين ، والاعتراب  
من الديار ، وربما الاغارة على الاناس والانعام ، ووصف ابن خفاجة الواقفي لها يوصفي  
بذلك ، فدعبه زوار ، ومناور ، وختان ، فدار ، ولا يترك ساعات الديار الا ليلا ، ويخبرنا  
أن لقبه في عربى المغازة التي بابها وحيدا في ليل شديد الظلمة وأنه لطاف به وحاول المكربه

---

(١) الديوان : ٣٥ - ٣٦ \* - رَوَّاعٌ : من راغ يروغ ، وهو الذي يذهب ههنا وههنا  
(٢) نفسه : ١٤٧ - الأنتك : الذي في بطنه بهان ، وأواله بين البطنين  
- الأيلس : في لونه غبرة الى السواد ، ذلق السامع  
حادهما .  
- الشوس : الغرير بموخر الصين تكبرا وتشميطا  
- البراع : المتسع من الارض .

ولكن الشاعر لا يستمر في عرض المشهد ، ولا يتابعه إلى نهايته ، فينسى الذئب ، وينصرف  
بجمعه إلى اللمحة من حوله ، بهيها ومصورها في فتنة واضحة :

ومفازة لا نَجْمَ في ظِلْمًا هَبَا	يسري ولا فلكًا بهادًا وارُ
قد لَقِي فيها الظلامَ وطافَ بي	ذعبُ يلْمُ مع الدُّجَى غَدَارُ
طرائقَ ساحاتِ الديارِ مُفَاوِزُ*	ختانُ أبناءِ الدُّجَى غَدَارُ
يسري وقد نَضَحَ الندى وجهَ الصبا	في فزوةٍ قد مَشَهَا عَشِيرَارُ
فمَشَرَتْ في ظِلْمًا لم تُقَدِّحْ بها	الآ لثلتَه وهَاسِي نَمَارُ
ورقَلتُ في بَدَلِ عَلِيٍّ من الدُّجَى	عقدتُ لها من أنجِمِ أَرْزَارُ
والليلُ يتسَرَّ خطوهَ ولرَبْمَا	طالت ليلالِ الرِّكَبِ وهي قِصَارُ
قد شَابَ من طَرَفِ الحِجْرَةِ مَفْرِقُ	فيها ومن غَمَلِ الهلالِ عِذارُ (١)

ولتنتبه مرة أخرى في جنح الليل ، فبصوره لذاني مشهد مرعب ، فهو مقبر الشعر أغمشه  
بتظاء من شدة الجوع ، ويحوي مشتكيا ، تغريه نفسه بالشاعر ، فيندفع نهمه مكشرا ، ولكنسه  
سرعان ما يبتلع جميع خوفه من سلوته وهأسه ، وشرارة لهذمه الذي يحكي في وصفه هريق مبهيبه ؛  
ويبتلع ذئبه في همة مستمرة ، ما بين اقدام واحجام ، وطمع وخوف ، تاركا بذلك مجالاً واسماً  
أمام غيبان القارئ أو السامع لاتمام الصورة :

وَأَلِنُ زَوَارُ من اللَّيْلِ أَغْبَشُ*	سرى خلت أستار الدُّجَى بتدكُّرُ
تتأبَّبُ من سِرِّ الدُّجَى فهُوَ مَشْتَكِي	فيحوي وقد لَقَّته نَكْبًا صَرَصَرُ
وَدُونَ أمانيه شرارةٌ لهذَمِ	يَتَلَبُّ منها مثلها حين يندلُّرُ
فَمِنْ جَوْعَةٍ تغريه بي فهو يَدَّيِي	ومن رَوْعَةٍ تثنيه عني فيتصيرُ (٢)

فأين غفاجة كما هو واضح ، لم يتجاوز في وصف الذئب الواثق المشاهد ، ولما يتفصل  
منه على نحو انساني كما هو الحال عند كل من الشنفرى والبحترى ، ولكن ما يمكن ملاحظته

- 
- (١) الديوان : ٨٥ - ٨٦
  - (٢) نفسه : ١٨٠
  - \* - المخاور : كثير الغارة
  - الاطلس : الذي في لونه غبرة إلى السواد . أو هو  
الذي تساقط شجره ، وهو أغمض ما يكون  
من الذئاب .
  - الأغمش : الألام : هو الذي يخالف بياضه سواد .



في هذا الوصف ، هو عيئة الطبيعة الصائفة بطواعرها المختلفة على ما فيها من تشبيهه  
استمارة ، فهي الالار ، وهي مادة التلويح ، وهذا اذا لم تستول على احساس الشاعر  
متصرفه إليها عما سواها كما في المقارنة الاولى .

الحياة :

عاشيت الحياة من الشاعر بوقفه اطول ، فقد صورها في شكلها ولونها ، وحالاتها  
المختلفة ، مستعينا في ذلك بكل ما وقعت عليه عينه من الظواهر التي تحيط به ، فالسحاب  
وقد بدا أمامه في منحني النهر يذكره بالفرس ، فيتخيل النهر فرسا له ذواته هي السحاب  
واقال هي الرها ، كما يذكره السحاب في انسيابه وتشبهه بالثلج السكران المتمايل فسي  
سيره ، ويأكل شديدة لينة متألمة تصطفها الريح هنا وهناك ، كما يذكره في سرعته بالنيزك  
وفي تهاديه بالهلال ، ويذكره جلده في قوته وملاسته بالدرع ، فكانه - في تلك الحال  
درع القى بهاكمي أو ثوب موشى نزعته عنه انسان فختال . ثم يستمرغ الشاعر حال السحاب  
حرا وقرا ، فهو اذا اشتد عليه الحر امتد ، وتثنى في سهولة ويسر كأنه السوط الشافق  
واما اذا احس بلسمة البرد ، فانه يستدير حتى يصير كالخفاخ ، وقد وفق الشاعر في تشخيص  
صورته ، وتحريك اجزائها ، عند ما تصور أن للمهاجرة بدا تلوح بسوط هو السحاب ، وان  
لليلة القرسا قانا عند ثمن السحاب خفقا ، ولكن الشاعر لا يتوقف عند هذا الحد ، وانما  
يتابع العبة في حالاتها المختلفة ، وفي نظرها اليه بحنين تقدها ن شررا ، ثم في اندفاعها  
نعوه فانها السيل الخرد ، وعمات شي ، ملقت للنظر في هذا الوصف ، وهو ذلك الاطوار  
الدايحي التي بالسرعة والحياة ، فمياه النهر تجري ، وسرعة الشمس ، ومحدثه أصواتها  
فانما قايينها جدال . والذيصون تتحرك بفعل ربح الشمال فيألمر بعضها بعضها ، ويشتت  
بعضها ببعض كأنها ألراف متنازعة ، وهو بهذين التشبيهين اللذين أوجت اليه  
بهما بيئته الملحية والايتماعية ، يخلق على الطبيعة ما في اعماقه من احساس بالفساد  
فالذيصون تتنازع ، والمياه تتجادل ، ولأني به في هذا ، بهي الجوانب النفسي الملائم  
السومي بالحياة ، والمد بصانتي القوة والخلية ، التي تفيد في موثقه ، في ملاقاته السبعة

منه معها ، وكافحة بها بسيفها لا يخبر ، الذي يحكيها شكل ورثشة :

يسري به خلف الظلام **سَمِيَّالُ**  
 نَهْرٌ وَتَمَبَّشِبَا الْفُصُونِ **شَمَّالُ**  
 وَكَأْتَمَا بَيْنَ الْجَاهِ **جِسَّالُ**  
 خَصِرٌ **يَسْعُ** وَتَلَقَّةٌ **مِخَنَّالُ**  
 بِسَلَّتْ بِيحِينَ مِنْهُمَا **وَشِمَّالُ**  
 مَنَاقِدَةٌ عَيْتِ الرَّهَاءِ **أَكْفَّالُ**  
 هَيْمَانٌ نَشْوَانٌ هِنَاكُ **مُذَّالُ**  
 عَالِفَتْ جَعْنُوبٌ مَتْنَهُ **وَشَمَّالُ**  
 أَمْ لَا عَيْتٌ أَعْلَافَهُ **الْجِرِّيَّالُ** \*  
 وَإِذَا تَهَادَتِ فَالِهَالُ **هِيَالُ**  
 بِحَقْلِيهِ أُخْتٌ لَهَا **أَسَمَّالُ**  
 عَنْ لَبِيٍّ **مَسْتَلِّمٌ** سِرِّيَّ **سَمَّالُ**  
 بِبَلِّلٍ وَجَرْدٍ وَشَيْهٍ **مِخْتَمَّالُ**  
 وَسَيَانٌ لَيْلَةٌ قِرَّةٌ **خُلْفَمَّالُ** ( ١ )

ووراءَ سَنَانِ التَّيْبَانِ **شُبَّارِمُ** \*  
 أَلْقَى الدَّمَآ فِي عَيْتٍ يَمُتُّرُ **بِالْعَمَّسِ**  
 فَكَأْتَمَا بَيْنَ الْفُصُونِ **تَنَّاوُزُ**  
 وَأَرْبٌ يَبْرُدُ مِنْ عَشَاءٍ **مَكْنُورَعُ** \*  
 مَا بَيْنَ خَطْمِي جَدِّ وَلَيْتِنِ **كَأْتَمَّا**  
 مَلَّ الدَّمَابُ بِمَنْعِنَاهُ **ذَوَابَسَةُ**  
 وَأَنَسَابٌ ثَانِيٌّ مَعْلِفِيهِ **لَانَسَهُ**  
 أَوْ ظَلُّنَ أَسْمَرَ بِاللَّوْنِ **مَتَأَسِيرُ**  
 غَلْمٌ أَدْرِي عَمَلٌ يَبْزَمِي **فِيغْدِيرُ نَحْوَةٌ** \*  
 فَإِذَا اسْتَلَّآرَ بِهِ النَّجْمُ **فَتَيْكَزَتْ**  
 زُرَّتْ عَلَيْهِ هَبِيرَةٌ **مَوْشِيَّةٌ**  
 مَزَتْ كَمَا يَنْقُدُ فِي يَوْمِ **الْوَفَّاسِ**  
 فَكَأْتَمَا أَلْقَى هِنَاكَ **بِأَرْعَبِهِ**  
 سَيْدِ الْهَبِيرَةِ مِنْهُ **سَوْدٌ شَافِيْقُ**

ثم يستمر في الهمز ، فيصور المعركة التي غاضها من العمية بسيفه الذي يحكيها رقششة فالرا ، ويستسلم له سبلته ، فتتدا هي الصور أطمه ، وتكثر وتتنوع ، وهو تصوير يستفسر في الشاعر صفات العمية من حيث شكلها وحوالاتها ، ستمينا على ذلك بما يحيط به من أصغر الطليمة المتنوعة ، وابن خفاجة ، وان اتكأ في وصفه هذا على الموروث ما قبل في العمية من شعر ، الا انه اجاد في العرض ، وأحسن التوليد في المماني والصور ، وتوفل في ذلك من درجة الضموض .

- النجمارم : الاسد ، والرجل البرد على الاعداء . المكر  
 الفحصر : الماء البارد ، أرب : اقام ومكث ، الدمباب : العمية  
 الدهيال : العسر . النجاء : الهرب والخلاب ، النسيك :  
 الرمح القاسير ، وأواحد أقسام الشهب المتساقطة ،  
 الهبيرة : البرد ، المستلثم : لابس الأمة ، وهي الدرع

( ١ ) الديوان : ١١٩

وأما العشرات الذائعة ، فلم يصف منها الشاعر غير النحلة ، وحسب هذه لم يصفها لذاتها .  
 إنما جاء ذكرها في محراب وصف شهداء هديت اليه ، حيث نوه بجهد النحلة وسميها  
 بوجهها الإبريقا وشماها ، حيث ترشده من رحيل الأزهير ، وتغشى أنواع الثمار  
 تتماهى في آخر الدلاف ، فتأبها طيبا فيه شفاء للناس :

لله ريقاً نحل	رقع الزها والشعاب
وجاباً أرضاً فأرضها	يفشى مضاًباً مضاًباً
حق ارتوى من شفاها	يحم منه رضاباً
ان شئت كان طعماً	أوشعت كان شراباً (١)

الأمير :

لم يمتصرى ابن عفاجة في وصف الأمير كل ما عرفته بيئته منها ، فقد وصف الحمام  
 أنواع الأمير المفردة ، والثلاة ، والهازي ، وأشار في مجال التشبيه والاستعارة إلى  
 اللبم ، ولا ندرى ان كان رآه في الإبل أو في أثناء سفره إلى حدود المغرب ، وذكر  
 الماوس ، والفراب ، والعتاب أيضاً . ولكن فتنه بالحمام والطيور المفردة عامة كانت  
 كبيرة . فهولا يفتأ يصورها في شعره ، إما ساجدة ، مفردة ، تبعت على اللبم  
 الاستماع ، أو ناعداً هاكبة ، تبعت الأسى والألم وتذكي نار السنين ، وتبهج الشرق في  
 عمان التلويح .

✦ العمام :

لهي فرد الشاعر العمام ، بكل أنواعه وأشكاله ، بالوصف الا في مقالومة واحدة ، ولكنه  
 أكثر من ذكره في درج الافراض الأخرى من رط ، وسنون ، وغزل ومدح ، ومجلس أنس  
 وهو في ذكره له ، ولا يعني بصفاته العادية المنظورة الا في النادر ، وانما يوجه أكبر عنايته  
 الى صوته ، وفنائه وشدوه ، والذيق يؤوله تبعا للحال الشمورية التي يكون عليها ، فهو  
 اذا شعر بنشوة الحياة ، وأحسن بالفرحة تلاماً كيانه ، فخلج ما يحسنه في أعماقه على العمام  
 فصوره شاديا ، مننيا ، مترنما ، ساجما ، تطرب الشجرة لتفريده ، فتتزلله وتنشيني  
 وربما نثر عليه نورها مصرية بذلك عن تأثرهما ونشوتها ( ١ ) .

ولكنه اذا أحس بقل الحياة ومتاعبها وأحزانها ، وشعر بالآلام الضرية زمانا ومكانا  
 نظر الى العمام من واقع هذا الاحساس ، وفيما ت صورته منقضة للاولى ، فهو ينفق بمدح غنا  
 صهبي بمدح فرح ، وبذلك لواعج الهوى ، صهيح الإحساس بالآلام والأحزان ، بعد أن كان  
 يوحى بنشائه وهداه به بمعاني الفرغ والانشرام للحياة ، فالعظام تؤثر في نفسيته المرتبطة  
 بها ، فتلرب لها ، ويستعيد لسام اصواتها الشجية ذكرياته بما فيها من أفرار وأترار :

ألا أذكرني والذريم طـرـوب	حمام تبيكي والبكاء ضروب
لها خلف أستار اللآلام ماتيم	تمزق فيها للقلوب بليوب
سجفن وعهد به الهوى متفساد	فما ودت شجوي والشطوب تنوب ( ١ )

وقد يشوقه العمام بسجعه ، ويذكره بماضيه السعيد مع الأحبة ، فيشتد به الهمس  
 اليهم ، فيبكي كما يبكي العمام ، ويمشائها لحظات تفرحها فيها احساسات وجدانية واحدة

( ١ ) الديوان : ٨٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٢٦

( ٢ ) نفسه : ٢٩٨ - ٢٩٩

وشعر أن في ظلها ينشئ من العتارب والوحدة ، حتى إنه ليمعب التميز فيها بينهما :

وما شاقني إلا عفت أراكـ  
وحسبت من سببك وعمامة  
وسجع عمام بالغميم ترتميا  
فلم تدر حقاً أهما الصب منهما ( ١ )

وبعد هذا التلويح إلى العمامة ، فقد تدفع الشاعر إلى الاحساس به على نحو أعمق ، فيستعيره بعض صفاته ، يفض بهاعما تناوب عليه جوانحه من شدة الشوق وحرارة الحنين إلى صديقه البعيد عنه ، فالعمامة يشوقه في صديقه ، وفيه تر لذكره ، وتخفق أضلعه لذلك ، فقان العمامة الأورن بجناحيه :

ويهيئني نفس النسيم إذا سكرت  
وغفقت لذلك أشلمي فكان لي  
ويشوقني فبت العمامة الأورق  
في كل جناحة جناحها بهففق ( ٢ )

والشاعر إذا اشتد به الحزن ، وأزنته الذكرى ، فاشد السمام أن يطارحه شجوه وأحزانه لعله يجد في ذلك معنى التخفيف لما يمس به من الآم وأشجان :

ألا ساجل دموعي يا غمام  
وطارحني بشجوتها حمام ( ٣ )

ولكن هذا الإحساس بالعمامة يتزوج بمدق ، فطاردة بنثر البه على أنه مثل أعلى في رتبة الإحساس ، ومدق الحماطفة ، وحرارة الشوق ، فيتيسر عليه نفسه ، صبيها أنه لا يقل عنه إحساسا وشعورا :

فما بنت أبت بالمرء مرتبة  
وتندب عهداً قد تنقش برامة\*  
تتأبى هديلاً قد أشلتة : أعيابا  
ووكرا باكتاف المشقر خالبا  
وأشقر أنفاسا وأندى ما شبا ( ٤ )

( ١ ) الديوان : ٢٣٦ :

( ٢ ) نفسه : ٢١٢ :

( ٣ ) نفسه : ٦٤ :

( ٤ ) نفسه : ١٩٩ - ٢٠٠ \* - رامة : اسم موضع ، والمشقر مثله .

هناظر اليها طورا آخر ، من مثل النفسية التي استبدت بها الهموم ، وتناوشتها الالام  
والاحزان ، فيصوره دونه في الاعساس ، فهو يندب صاحبه الذين تضرعانهم ، ويكلمهم في  
شجولهم بمرفه العظام :

وَأُنْدَبُ أَشْجَى رَنَّةً مِنْ حَمَامَةٍ \* وَأَبْهَى فَأَقْنِي مِنْ نِيَامٍ رِيَامٍ (١)

وانذا تغنى الشاعر بالآله واشواقه ، ولوعته وحررته ، وتغالىحمام منه مؤقنا للتلميذ من  
معلمه ، يتعلم منه ويغيد :

وسَمِعْتُ أُنْدَبَ لِرَعَّةٍ وَلِرِيَامٍ \* صَدَّحَ الصَّمَامُ بِبِهْهِي فَتَمَلَّمَا (٢)

ولكن هذا الاحساس الوجداني بالحمامة يفتقر عندما ينظر اليها الشاعر بمقله لا بقلبه  
فيقارن فيما بين مظهرها وصفيرها ، متبها اياها بالتناقض والندب فيما تدعيه من شكوى  
الفراق ، والحزن الى الالف والمحبوب ، ان لو كانت صادقة في ذلك لما جاوبها من كل  
ناحية الف ، ولما خالف مظهرها الحزين الموهي بالفرحة رنة صوتها الشجي الحزين :

وما تَفِيَّ فِي الْبَّانِ تَعْلِي غَرَامَهَا \* عَلَيْنَا وَتَلُّوْ مِنْ صَبَابَتِهَا صَفَا

عَجِبْتُ لَهَا تَشْكُو الْفِرَاقَ بِهَا لَكَّةً \* وَقَدْ جَاوَيْتُ مِنْ كُلِّ نَاعَةِ الْفَا

وَشَجِي تَلُوْبَ الْمَاشِقِيْنَ أَنْيْنَهَا \* وَمَا فَهَمُوا مَا تَعْنَتْ بِهِ حَرْفَا

ولو صدقت فيما تقول من الأسى \* لَمَا لَيْسَتْ لِمَوْقًا وَلَا تَخَسَّبَتْ كَفَا (٣)

وهو وصف يستمد الشاعر في رسم بعض صورته على معانيات بيئته الملحية والاجتماعية  
فيذكر تلاوة السموت ، وفهم العرف ، كما يذكر الدوق ، وخضب الكف ، وهما ما تتزين  
به المرأة في أيام الافراح .

---

(١) الديوان : ٥٣ . \* النعام : الحق والعمرة . الرطام : جمع رمة : العظم البالي  
(٢) نفسه : ٢٨٣  
(٣) نفسه : ٣٧٠

\* الليور المفردة :

نفس ما قبل عن الحطام ، من حيث علاقة الشاعر به يمكن أن يقال عن الليور المفردة فهو لم يمن بأشكالها ، وانطاعني بأصواتها ، فجعل منها عنصرا رئيسيا في روضياتها وربادها وبين الشجر برمانك وثيق ، فهي تظريه بنائها ، وتشنت سمعه برجع ألحانها كما أنه في وصفه لها لا يذكرها بأسمائها إلا مرتين ، ذكر فيها الحكا ، والمصفور ، وأما فيما عدا ذلك ، فإن ذكره لها يأتي عاما ، كأن ينقشها بالذئب ، أو اللير ، أو اللير ، دون تعدد ، وقد مررت مدنا صور كثيرة منها في هذا المجال ( ١ ) .

\* القلابة :

وعرف الشاعر القلابة مرة واحدة في شعره ضمن قصيدة مدح ، وفي سياق الحديث عن السيد ، وقد وهم هنري بيرير ( ٢ ) عندما ظن أن الشاعر عنى بوصفه هذا النمامنة ( Autruche ) لا القلابة ( Ganga ) ، وذلك لأن الصفات المادية التي ذكرها الشاعر تدل على القلابة لا على النمامنة التي لا تنفي أن يكون الشاعر قد رأى لان الصفات المادية التي ذكرها الشاعر تنطبق على القلابة لا على النمامنة التي لا تنفي أن يكون الشاعر قد رأى في الأندلس أو في أثناء سفره إلى المغرب ، فالقلابة قسيرة الساقين قسيرة المنقار ، مقاربة الغطاء ، فهي توصف ، لذلك ، بحسن المشي ، وتتميز ، فضلا عن ذلك ، باستدالة ودقة ريشتين من إصبعها تكنتان الذنب ، كما تمتاز بقوة جناحها ، وسرعة طيرانها ، وتعتبر في صحراء أفريقيا وآسيا منتقلة من مكان لاخر في شدة أسراب كثيرة العدد بحثا عن الثوت والماء . وقد عرفت منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وجنوب فرنسا ، أحيانا

( ١ ) الديوان : ٦٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٦ ، ٢٣٦ ، ٣٦٤

( ٢ ) La Poesie Andalouse . P ; 245

نوعاً منها يدعى القالا الذرية ( Gargas catas ) ( ١ ) . وابن شفاوية في وصفه لها يذكر من هذه الصفات ، فهي خفيفة ، شديدة السرعة ، قاسرة العظام ، تشتال في شيتها ، لأنم افتاة تهرغلها فقل إزارها ، وهي صغرية المنقار ، كذنها كرميت في كأس من الخمر ، ثم يجهد لغرض اللذخ ، فهو يرميها في حال من الرعب والهلع شديدة ، فهي في حرة مستمرة ، وحذر دائم ، ولا تأمن في ليل ولا نهار ، ولو أنها استبارت بممدوحه مما تخاف لا يجارها ، ولو وجدت في نهدل طيرة آمن واستقرار :

فشالا بجار غلقه آييار  
 مشي الفتاة تهرغلها فقل إزار  
 دعت على ظميا بكأر عقار  
 من ليل ويل أو نهار بسوار  
 يحيى لآمنها أعز بسوار  
 له حشر من دور نال ، آيار ( ٢ )

ولرب ليأر غلقه آييار  
 من كل قاسرة العظام مشتال  
 صغرية المنقار تمشب أنها  
 لا تستقر بها الأديع غشبية  
 ولو استبارت منها بيمس أبي  
 عزم إذا اشتد الأهد باله

\* الامير الناسرة :

وأما الامير الناسرة فلم يكن الشاعر يوصفها الا قليلا فقد وصف البارز منها بتالفة نثرية ( ٣ ) ، وأجمل فيها صفاته وخصائصه ، كما وصفه بثلاثة ابيات من قعيدة مدح ، لخص فيها ما ذكره في القالفة النثرية من مميزات وميزات ، وذكرت الحجاب ( ٤ ) ، والنسر ( ٥ ) ذكرنا سريها له بقل بصفاتنا البيئية .

( ١ ) نهاية الارب : ١٠ : ٢١١ - ٢٦٢ ) الموسوعة في علوم الليمية : ٢٠٤ :  
 Le grand Larousse t . 5 . P : 359 .

( ٢ ) الديوان : ٣٦

( ٣ ) نفسه : ٥٤ - ٥٥

( ٤ ) نفسه : ٢٥

( ٥ ) نفسه : ١٣٦



\* البازي :

نقد من وراث الشاعر للبازي أن هذا اللغز دار ، إلى جانب الذلاب ، من الرضاة كل  
المهجة المستخدمة في عطية العرب ، التي كان يقوم بها الاندلسي من بين لآشر ، ومن هنا  
كانت المناجاة به كبيرة ، فلان برودر ويدرب على السيد تدريرا يوهله لأداء عمله بتدريج .  
والشاعر في وصفه له يهني بذلك ، كما يهني بسفاته الأشر ، فهو سري الأيران ، لا تقلت  
منه الأربعة لشدة سرته ، قوي البناسين ، مورد الألفار ، موسى الرينر ، أصر إلا بفان  
كأنما لك على اعرافه حبيزة ، أو انقل بنشار ، موقد غم سعيه ، فلورسي به الأمل النسبي  
لرجع لنا ، منسوب المنقار والألفار :

لورق القنير، بند قيد طريدة  
ملتفة أعرافه بعقب حيرة\*  
يرتق به الأمل التديني فيفتني  
زجل البناع مؤرد الألفار  
مذهولة أبعافه بنفسار  
مدهشوت رأ الأفر والنتسار (١)

هذا عن الليمحة الدمية في شعرا من مفاجئة ، وهو كما رأينا ، لم يكن به مناجاة  
بالليمحة الدماثة تلويها وتشويها ، ولم ينقل منها إلا بطله علاقة به ، أو بالليمحة الدماثة  
التي أسيها من كل قلبه ، والفرس ، والليور ، فوسفها وسفائل سفاتها الدية ، من لكون  
وسوت وحركة ، مستعينا في ذلك بما يجهل به في الليمحة من البران ونساء .

ولم يفت الشاعر في وصفه غمد هذا السد ، بل تجاوزه إلى ما صنعه يد الانسان من  
سلاح ونساء ووسائل حصارية متنوعة ، فوسف الذئير منها في عنابة واعباب .

---

(١) الديوان : ٣٥ \* - زجل البناع : أي ذر صوت وهلبة . الأمل التديني :  
الديوانية . الحيرة ، من الجرود : الرشيق المنجول .  
النتسار : الفرس النال .

الفصل الثامن

في

اللبحية المصنوعة

لقد سلف القول ان الاندلس قد بلغت في القرنين الرابع والخامس، وما بعدهما، مستوى  
 ربا راقيا، تمددت فيه غروب النشاط الفكري والاقتصادي وتنوعت، فنهيت الحساب  
 في سرور وشهدت البحر واليهامي الساعات لبرهة نضرة وعلمية متقنة، ولدت صناعة الزجاج  
 في راس والمديد، ومواد البناء، والشمع بأنواعه، ومواد الكتابة وغيرها، وأخرجت  
 من جبهة تشهد لصانيتها بالبراعة وحسن الذوق (١). وابن ابي عمير، وهو ابن  
 ندلس القرنين التاسع والسادس، الا أن يملك بشعره بعض معالم مشارقتها ووسائل  
 دنمها، فوضعت الدار والقصر، والعمارة والسفينة والقران والمداد والقلم، والزجاجية  
 للناس، والنباتات الباقوتة والموقد والشمعة والسراج، كما وصف من وسائل الغروب: السيف  
 والرج، والقوس والسهم والدرع، وذر البهيمة واللوا عرنا، وهي عورقات، كما سلف  
 متفاوتة من حيث عناية الشاعر بهما ووقوفه عند

ووصف السلطان :

لا شك في أن تشفي العيون بسبب كثرة الفتن والمرض بسرا فيها بين دول الأعراس  
 أم فيها بينهم انهم نهارا شمال شبه الجزيرة قد جعل الاندلسي يفكر تفكيرا جديا في الوسائل  
 التي يدفع بها من نعمة الاموال والجداعة في الليل والنهار، فأخذ يهتم بها، و  
 طبعها حرمه على من شيء عز لدية، وما بناء الحصون والقلاع، وتسيير المدن بالاسوار الخلية  
 الا سعي منه وراء الاموال والاستقرار للذين تلمح توفرا في ذلك الحين. كما أن بواقلنا كندان  
 الجوع، لا بد من أن يكون سوطا راجحة لانواع الاسلحة المتدارك من سيرة، ورجال ودون وغيرها

(١) انظر هذا البحث : ١٥ - ١٦

بل وتفيد من أوصاف ابن عفاجة فيها أن السيف كان يرقى الى مرتبة العاجب لضرورته  
عنه ، وهي علاقة قد تنقل السيف من جوارح العرب ، الى جوارحه الجمالية ، فحلم  
بين ، ومقتدر ومزكش ، استجابة لذوق الدهنارة ومستوى التمدن .

السيف :

يرد وصف السيف في شعر ابن عفاجة في مصر من الفجر والدماسة ، وخرش المدح ومبا  
لزمه من وصفه باعد المدح وبأسه ، وعزمه وتجدته ونصرته ، فيشبهه به في بياضه  
ناله وحدته وضمانه ، ولأن هذا لم يمنع الشاعر من انفراد السيف بالوصف في بعض  
مقالاته ، فسيفه سيف منقوش ، مزكش ، وصافي النصل ، يتألق ضياء ، لأنما يمد بمتنه  
دبر ما ، أو لأنه أشبه ما يكون بالشجاع عند ملاقاه به ضارعا اياه :

فدرأت بادرة الشجاع بأختر  
ببند الندير بمتنه ولربما  
وبجهد بين الشرفي وببته

في رقشة هو للشجاع مثال  
أعشاك إفرند له سيبال  
فتلاقت الأشباه والأشكال (١)

وعوا إذا سافر كان السيف أنيسه واخا غريته ، يماونه في تحديق مقلبه ويدراً به الاضفار  
فهو لذلك يتفاعل به فيرى في بريق إفرنده سنى يرق اليمن السوازن بالخير والغضب :

وظاهرني بمتنن حسام \*  
أشيم به سنى برى يمان

أنست به ونتم أخو الغريب  
بخفون الى الحرى القريب (١)

وقد تقوى علاقة الشاعر بسيفه الى درجة يرك فيه صورة محبوبه ، فببت ليله مناجسا  
له ومجاننا بجاعلا من نجاهه ذراعين يظنون بهما عنقه :

---

(١) الديوان : ١٢١ \* - الشجاع : نوع من العبات ، إفرند السيف : وشيه وأثره  
- المشرفي : منسوب الى المشارف ، وهي قرى من أرض العرب  
- الحسام : السيف القاطع .

(٢) الديوان : ٩٢

قَبِيَّتْ وَلَا غَيْرَ السَّامِ مَنَابِجِعُ      وَلَا غَيْرَ ظَهْرِ الْأَعْوَجِي \* مَهَانُ  
 مَعَانِقَ عَجَلٍ لَا يُعْجِلُ بِأَنْمَسَا      مَكَانَ ذِرَاعِيهِ عَلَيَّ نَجَسَانُ \* (١)

ويغازله لأنه رأى فيه وقد لونه الدم بدمرته لحي شفة محبوبه :

وَكُنْتُ عَلَى عَهْدِ السَّلْوِيِّ شَوْقِي نِي      حَسَامٌ تَفْتَحُ لِأَوْحَامِ تَرْتَمَسَا  
 أَغَازِلُ مِنْ عَضْبٍ دَائِرٍ مَهْبَسَا      وَمِنْ عَلَنَ عَجَلٍ بِضَرْبِهِ لَمَسَا \* (٢)

والسيف لبياضه وتألقه يذكره بنجم الليل فيشبهه به ، فهو بالبحر من فوسه الأشمب  
 وسنان رمعه ، وتصل مهنده ثلاثة أنجم ، تنحله الدرب ، وتعميه من كل غلب :

وَاللَّامُ لَيْلٍ لِأَشْمَابٍ بِأَفْقِيهِ      أَلَّا لِنَمَلٍ مَهْتَدٍ أَوْ لَهْمَدِيمِ \*  
 أَلْمَقْتُ مِنْهُ مِنْ سِنَانٍ أَرْوِي      وَمَهْتَدٍ عَضْبٍ ثَلَاثَةَ أَنْجُومِ  
 إِنْ يَمْتَكِرُ لَيْلِ الْعَبَّاجَةِ تَسْتَنِرُ      أَوْ يَدْتَرِي شَيْلَانُ رَبِّمِ تَرْجُمِ (٣)

وقد يشبهه لذلك باليد ول ، فيمثل الفارس السجدل على أرض المعركة ، وقد توسد  
 نمل سيفه حرج غصرة ، مستلقيا على شاطئ \* جدول جبار :

بَرَسَدًا فَوْقَ نَمَلِ السَّيْفِ تَسْتَبِيهِ      مَسْتَلْقِيًا فَوْقَ شَأْنٍ \* يَدْوُلُ شَيْلَا \* (٤)

وقد يتصور النخ فرسا أدهم أفرجهيل ، ولكن بهرين أسنة الرماح ونمال السيوف :

- (١) الديوان : ١٣٣
  - (٢) نفسه : ١٧٢
  - (٣) نفسه : ٢٤٤
  - (٤) نفسه : ٢٠٢
- \* - الاعوجي : نرب من بياد العبد تشبب إلى أعين .  
 حصان ليني هلال ، نجاد السيف : مماثله  
 - عضب : قالج . المبرير : معدن ، العبد والمهبط :  
 الدم الطوي .  
 - المهند : المظلم من حديد الهند .  
 المهندم : سنان الرمح  
 - الثمل : السدران

والنَّخْ أَوْ هُمْ لِلرَّمَا ، بِرَبِّهِمْ \*  
غَرَّرَ تَلَوْنُ وَالسَّيْفُ حُبُّهُ نَوْلٌ ( ١ )

كما يذُكره بريته وتوجهه بالذَّار المضطربة ، واللمهيب المشتدل فيستعير من ذلك :

وَسَامَ بِكَفِّ أَشْرُونَ \*  
فِي اللَّيْلِ مَاءً وَأَنْعَمَ نَكَارَةً ( ٢ )  
ويشبه بجمع المدا ، وقد استأصلت بجزء السيوف شأفتهم ، بههيم قد أضربت فيه النار  
فهي تلتهمه التهاما :

وَقَدْ غَنَى السَّمَامُ يَمَلُّ قَرْمًا  
وَمَلَّ بِجَمْعِ الْمَدَا الْأَهْسِيمِ  
وَأَفْسَسَ بِالْمَدِّ وَالنَّيْبِ  
وَمَلَّ بِيَسْ السَّيْفِ سَوَى كَهَيْبِ ( ٣ )

وقد يستجد شفافته التثنية في تسويرها من عمل سيفه وسفائه ، فيستعير له صرورة المدا  
في حاله محرما ومجلا فيقول :

تَرَى الْأَرْضَ نَمَةً كَمَا نَمَى تَرَى هَيْبَةً \*  
مُجَلًّا ، وَتَلَقَّى الصَّارِمَ الصَّامِبَ مُعْرِطًا ( ٤ )

ويذكر بلدته - ( بلنسية ) - قبل استرجاعها من أيدي الصارم بأنها كانت جنبا ، وأنه  
لم يكن يجرعها في إمارتها ، ولم يكن ليس غسلها ما دعي عليه لو لم تستهدم ماء السيوف  
مفتسلا لها :

فَلَمَّ السَّيْفُ مِنْهَا بِلْدَةً جُنْبًا \*  
لَمْ يُجْزِمَا غَيْرَ مَاءِ السَّيْفِ مُفْتَسَلًا ( ٥ )

وسيفه سيف قاطع ، مرهف الفصل ، لا يغيب حائله ، ينادى لعفته ومدته ، يحضي فيفتن

- 
- |                     |                      |
|---------------------|----------------------|
| ( ١ ) الديوان : ٢٥٥ | * - النخ : الضبار    |
| ( ٢ ) نفسه : ٢١١    | الأشوس : الكمي القري |
| ( ٣ ) نفسه : ٩٣     |                      |
| ( ٤ ) نفسه : ١٧٤    | - الأرض : الفرس      |
| ( ٥ ) نفسها : ٢٠٤   |                      |

المداد وشول هزل بيد في غمده ، ثم يزيد الويرت . مبروة عند ما يشخص السيف ، فهو حمله  
ساور حمله فمبشره بالنسر ، وكأنه أيقن بنهاية المبركة لماله ، فهو لذلك يهتر في نفسه  
يحدث :

وأبتر عندي ما لئال نسر صاعباً  
فناد ولم يستل يمشي ففتيت  
يبشره بالنسر إرهاباً فمك  
فبهتر في كف الدمي ونسك (١)

والموشى بريقه ، وضائه ، وسرعة فتله بالمداد ، والباعه بد ما فهم يمشي بجلان تد تناثرت  
د موعه من شدة الش وكثرة الضعت :

ومرقق الإفرنج يمشي في الصدا  
فداته والنار تضمت فوقه  
أبدأ فيفت ما أراد ينسك  
بجلان يهد للسرور وضك (٢)

كما أنه في سلووه كالشهاب ، وقد غضب زمله بالدم يمشي عند الشاعر ثمرا طالعها  
بمفرة السواك :

لله أوشهاب بأمر سا ليني  
فداته والنسر يمشي فمك  
أدني دلباه أي يوم عيرات  
شمر عليه مفرة المسكوك (٣)

ويحمل الشاعر معظم ما لقت به السيوف صفات في مقارعة شمسية أفرد لها له ، يشبهه  
فيها في رمافته وانما رته ، بلسان النار ، وفي بريقه من الصجاج بشعلة البرق ، وفي تلمبه  
وسرعة لورا التلق بالكوكب المني ، كما يشبهه في فتله بالاعداً وإهلاكهم بالنار الموتى  
ولكن بما زمله ، وتألوه ضيائه بجسمانه بيد ولسان ودانما غرضه يد في متنه أو كأنه الثلج  
بباضاً وتلقا ، وهو أمر يجل الشاعر بتصور أن ممبرزة ، فارتحة قد تمتعت فيه ، فقد اجتمع فيه  
التيضان :

(١) الديوان : ٢٢٠

(٢) نفسه : ٢٢٠

(٣) نفسه : ٢٦٤

الذبح والنار ، واستزجعا وتألفا بكيفية تشير المسجبر والد حشة في أن :

ومرهب كلسان النار منمليست	يشفي من النار أو ينفي من الحمار
تعال شملة يرق منه الماعسة	في عارضين عمواج الخيل سوار
يمشي فيهم وراء النتح ملتهبها	كما تسوي بيدي كوكب سوار
يمشي فتدرك نار فيه موقدة	تحق ويخرق ماء فوقه جوار
فما تالت الا تلت من	سيمان باع بين الثلج والنار (١)

وهي صور - دة لحمل - أكثرها مصروف مأنوف ، ولكن نظره إلى السيف من خلال الدبيمة  
بمصاباتها الكثيرة باد وواضح ، كما أن تشيله للسيف في بهاضه وتألقه بكثلة شمة يفسد  
في غمرتها الماء الباري تشيل فيه لرافة وتوليد .

\* الرمح :

يقترن ورمح الرمح - غالبا - في شعرا من خفاجة يوسف السيف ، وخاصة عند ما يصف  
المصونة ، أو يفقر بعماسته وشباعته ، وقد مرت معنا صور منها ، وهو في ذكره لها ينسبها  
إلى أصلها المصروفة ، فهي رمح رديفية ، وسموية ، وخافية ، ريفها بما توعد به في  
السادة ، فهي سمر وعزال وقتما ، والرص عامل وشقات وخمار ، فما قاله فيها ، وهو توسل  
نحوه في استيلاء الدبيمة اللبيمة على معن الشاعر ، فهو يتأثر إلى الرمح المطلق على  
الدرع ، في ال اندر نجر ، والرمح غسان ما لا عليه ، قوله :

ثم ألن إلا صعدة فرق لأمة \* قتلته قذيفة قد أطل على نهر (٢)

كما عثر الرمح بمقارعة من أربعة أبيات ، شبيهة فيها في سموته ، وسنانه الأزق اللامع  
بالشهباء الموقد ، واستعاز لتصوير قوة تأثير وسرعة نفاذه فعل الكرى في السبون ، والحزن  
في القلب ، ثم برسم للرماح - بعد ذلك - صورة وسط المعركة ، حيث يضور الوفي بعسرا

(١) الديوان : ٢٧١ \* - الصعدة : القذاة المستوية تنبت كذلك ، الألة : الدرع .  
(٢) نفسه : ٢٤

ون السهول أواجه والعمالي زده فقال :  
وأسمري لمعنى عين أنق  
يستيد العين اعطان الكبرى  
سيت الرضى بعد ربه الأسمى

لأنه فوجد رجم وقصد  
هنتعي القلب انتهاه الكمد  
موت وخرسان العمالي زكد (١)

ولكن الشاعر قد يتجاوز هذه الظاهرة السمية ، إلى الأساس بالموصوف والتفاعل معه  
منذ ما يهز رصحه مشاركاً له في أهزانه وأماله وأشواقه ، يشفق لاشتياقه ، وهزلا ههتزازه  
ويتأثر كما يتأثر ، حتى انه ، وقد اشتبهها شعوباً ونحوها ، يسميها بالتمييز بينهما :

ما شاتني فاذ الامتزجت تألمرا  
فلو التفت لما عرفت الأسمرا (٢)

ومتك لذن الصبر يشروته  
وقد اشتبهت ناسراً ونعاقبة

\* القوس :

يعد الشاعر القوس في متلوعة من بيتين ومفاهيمها يستعين فيه بما حوله من عناصر الطبيعة  
السمية والسامية ، فهو يشبه القوس في انحنائها وتلوينها ، وسهولة انحنائها حال الرمي بها  
بالصية المناسبة ، كما يشبهها في تقوسها وانحنائها السهم منها بهدل تمد انحنائه شهاب :

فأنا ما هي حية تنساب  
فهي الهلال انقلمه شهاب (٣)

عروسة تضاف ثم ترسل تبارة  
وان انتحمت والسهم منها غبار

\* الدرع :

وأما وصفه للدرع فنسى أيضا ، يتكفي فيه على الطبيعة من حوله ، فهو يشبهها في انعكاسها  
وبريقها بالخدير البامبي :

- |                 |           |
|-----------------|-----------|
| (١) الديوان ١٣٤ | من أشعاره |
| (٢) نفسه : ٢٥٦  | من أشعاره |
| (٣) نفسه : ٣٦١  | من أشعاره |

فإن الشاعر قد يتجاوز هذه الظاهرة السمية ، إلى الأساس بالموصوف والتفاعل معه  
منذ ما يهز رصحه مشاركاً له في أهزانه وأماله وأشواقه ، يشفق لاشتياقه ، وهزلا ههتزازه  
ويتأثر كما يتأثر ، حتى انه ، وقد اشتبهها شعوباً ونحوها ، يسميها بالتمييز بينهما :



يضعف عن يمين بَطْنِ طَفَا فيه ومن دُرِّ غَدِيرِ جَمَانِ (١)

ومجال عرب جَرَّ فيه لَأَمَّةٌ \* قد قام منها في غدير جَمَانِ \* (٢)

وهو رتلنا حال مد وبعه في القتال ، وقد امتص يد عَمِينَةَ ، وثقن بالحديد فيقول :

وخضراء تزرى بالسنان عَمِينَةَ ووجهه وقاع بالشد يد مقنع (٣)

كما يشبهها في لونها الاضمر وقد لبسها الفارس الكعب وكثر بها ببحر ملاحم يصدم اليبيل

بأواجه التوبة :

قد كُرِّ في لَأَمَّةٍ خَضْرَاءَ تحسبها بَحْرًا يلاطم من أعلافه جَمَلًا (٤)

ثم ينتقل ببحره من الأرض الى الفضاء ، ومن الطبيعة السماوية الى الطبيعة المائية بحرية  
وراء الشابهات ، فيرى في الغمامة وفي بولد الدية ، شيها بسورة الفارس الذي شن عجاج  
المعترك ، وقد كسا جسمه بسريال من حديد :

زرَّ العديدُ عليه بِمَيْبَغَامَتِهِ  
فَلَانَ بِحِلْدَةٍ حَتَّى عَلِمَتْ بِهِ

زرقاء في غبش الصَّجَانِ الأثَمِّ

يوم الكريمة قوت عَلْفِي صَيْفِمْ (٥)

\* الابنية :

لم يحن ابن العاجمة في وصفه . بالبناء عناية كبيرة ، فما بنا في ديوانه في هذا السجال  
لا بعد وأن يكون اشارات لا تواكب ما عرفه عصره من تقدم وثقن في بناء الساجد والتقصير  
والابنية والخطائر المختلفة ، فهو يد تناعن دار جديدة ملكها وينسجها بأنها كانت تفسيرية الارجاس  
ثيرة الضياء ، لا يخالجها الليل بالامه لحسنها وبهاضها ، ثم يخبرنا أن هذه الدار كانت  
صراعا لكثير من خلراته ومغامراته العاصفة من بين يديه هوى :

- (١) الديوان : ١٣٤
- \* - اللأمة : الدع ، الغدير الجمان : الثابت الماء أو جامده
- (٢) نفسه : ٢٣٠
- (٣) نفسه : ٨٤
- (٤) نفسه : ٢٠٩
- (٥) نفسه : ١٣١

وقورا\* بينما\* الدماسن\* للقسبة  
 بزء عليها الليل\* بهبه\* تميمير  
 هزرت لاغمان\* القدر\* وما\* لفا

وومن الاحكام مستلهما ثقافته الفقهية ، مشيدا بطايرس به في داخله من متعة وراحة

يقوله :

أهلاً بيئت النار من منبزل  
 نقيده ملتسي لسندي  
 شيد لأبرار وفجار  
 فدخل البتة في النار (٢)

بحر يزما بامر حسن الوجود ، جميل المنظر ، تد تكلف صاحبه الكثير من أجل تشييده  
 شتركة التي غير رجمه ، فأقرب بعد ما كان أهلاً ، وعمه صمت رهيب لا تسمح فيه غير بقاء الفدير  
 ونيان الدائر ، حزنا على سدااته وملكه :

ومرتج عدل الترتل منه  
 تنبؤ عمن مناره طيبك  
 فجربة ما بعد وله بكلاء  
 بحيث التل والماء القراع\*  
 تخرم لك القدر المتعاع  
 عليه وشد ودايره نيكاع (٣)

وتعد هذه الوثقة والوثقة التي وقفها الشاعر أمام ولده بلنسية . بعد عودته اليها  
 وقد غير النمارت مناسبها ، عدما وتعربقا قيل شروجهم منها مرتين في سنة (٤٥ هـ)  
 لبنة مهجة في بناء فن رباء المدن الذي جهوده من بعده أبو البقاء الرندي وابن الأبرار  
 وأبو المارف بن عميرة السوزمي وغيرهم .

(١) الديوان : ٢٢٣ \* - قورا\* : واسعة

(٢) نفسه : ٢٧٢

(٣) نفسه : ١٣٧

(٤) انظر هذا البيت : ١١ - وديوانه : ٢٥٤

- الماء القراع : الصافي . تخرم : اتلح واستأصل

\* المراكب الطائفة :

لقد أشرنا من قبل (١) الى أن الأندلسي قد أهتم بما في بلاد من أنهار ، وسماحيط  
 به من بعار ، وان عنايةه بذلك كانت كبيرة ، فقد استغل هذه الثروة الطائفة في تشييد  
 الشركة الاقتصادية ، وتوسيع آفاقها ، كما استغلها في امور العربية فأنشأ السفن العربية  
 والمراكب التجارية والزوارق على اختلافها وهو أمر ممكن من ديدنه الظاهرة الدليحية بمسعى  
 التمكن ، فأفاد منها في بناء مزارقه على الرضف ما كان يشمر به ازاءها من خرد وشوهدر ، وابن  
 شفاينة ما ركب السفن في سفره الى المغرب ، كما عاين حركة المراكب في نهر جزيرته  
 وهي تنقل الناس أو الأشياء من نيفة الى أخرى ، ولكنه لم يصفها الا في مواضع معدودة ، عني  
 فيها بالشلما والوانها ، فهو يشبهها لخرادها بالظلام والفرس الأدهم والخراب ، كما يشبهه  
 شرعها بالسيال في البياض ، أو بالبناح في الاضراب والفقان ، وقد مررنا هذه الصور  
 في فصل الطائفة .

فهو قد يردب للنزعة زورقا ينساب به فوق سطح نهر جزيرته في منظر يوصل من ، ولكنه  
 في وصفه للمشهد لا يسمو ما تشعب به نفسه من معاني الروعة والجمال ، وإنما يصرح بصغيتله  
 من ذلك الى عند مشاهبات شكلية حتى وان كانت متضمنة من حيث أبعادها المضمرة  
 للجوال العام للوصف ، فلا تشير في صغيلته صورة الزورق الذي استقله وتهادى به فوق النهر  
 المنساب ، غير صورة المترقب والحرية فيشبه الزورق بالمقرب والنهر بالخياب في انسيابه  
 وتثنيه :

فَتَحَلَّتْني عُرْبٌ وَخَيْابٌ (٣)

وانسابي نهر بيب ووزورق

(١) انظر هذا البحث : ١٨٥ - ١٨٦

(٢) الديوان : ٢٦٥

ويعيد التشبيهات نفسها عند ما يصف جسرا ما على زوارق مصالفة للعبور عليها ، فهو يشبهها في تناسفها بمواكب الاعراب ، كما يشبهها في لونها الأسود بالأفراس الدهماء والفرسان ، ولعل العميري في الروي المتطارد عنى هذا النوع من الجسور عند ما قال : إن بهيمة شقر كان يدخل البها في الشتاء على البرائب ، وفي السبق على مضاضة\* (١) يقول ابن خفاجة :

حيث استقل الجسر فوق زوارق  
لم تستيق ولأنها مصالفة  
من كل غريب الأديم لو أتته  
نسقت كاتت واكب الأقباب  
دعم تنازعت البهاق عراب\*  
قهل التيب لصيف منه غراب (٢)

ولعله قد اتسعت الآن صفاء السرب الاندلسي في عصر الشاعر ، فهو مركب كان يطلق بالقار ، أو الزفت ، للسهولة دون تسرب الماء الى داخله ، وهو ما يتسببه اللون الاسود ، وهو مركب يعتمد أولا وأخيرا في معرفة الماء على الدباب أوعلى الشراخ الذي ينسب في وجهه الرين ليندفع السرب الى الامام .

\* أدوات الكتابة :

لقد عني ابن خفاجة ، بعلم كونه أدبيا - بذكر ما عرفه عصره من وسائل الكتابة فذكر القلم والسبر والقرا من ووصفها وصفاً أبرز من خلاله قيمتها ومكانتها وغلرها ، قال القلم في زلله لا يقبل غلرا وتأشرفي تعميق الأمداف من السيئ القاطع في كفا الكمي الشجاع :

نشوتع\* ذعالموت شديتسه  
كأنه لهدم في كفا عسال\* (٣)

(١) الروي المتطارد : ٢٤٩

(٢) الديوان : ٢٦٦

(٣) نفسه : ٢٥٦

\* دعم . جمع دعم : وهو البواد الاسود .  
- عراب : عشقنا صلبة ، غريب الادب : حال كسه  
- النضو : التدم الرقيق ، والسهم بلا نمل ولا ريش  
والهزبل . الذئاف : السم .  
عسال : شديد الضرب سريعته .

والطد في ناله يكون أعز وأرفعاً بحسن عند ما يحسد المهتم القلم ، وتناغم صلابة  
لسبوت أيرام السروب :

فيا شمس مرأت الطد بين مهتدي  
وقد طارت السيف البراع فأطرتا  
منسب ورد للبراع نسيب  
يرجع تحليل رائع وسريبر

وهو يفت مدو حه بما يخلب عليه من الصفات والميزات ؛ فمدو حه وزير كاتب ، ومن ثم  
فان مكانة القلم لديه أعظم من مكانة الرمح ، بل ان الرمح ليحسد القلم على تلك الحال :

استد يد الاشراس من شرمه به  
فلرب سمره الأديم للهولة  
فشي البراع بكفه متبخترا  
حسدت براعته التصير الأصفر

كما ينوه بفشل القلم ، وقيمته عنده ، وكيف أن قد بعثت به ما لا تعتقه الرماح من الأمل ؛  
فالقلم على قمره يفوت صدر الرمح على طولته :

ولنم قسير من براعتك شاحب  
قد فات عذر الرمح وهو طويل

وللاقدام مكانتها ، ودورها في بناء الدولة وخطاباتها اذا ما هدتها النوايب ، وقدمت أركانها  
صروف الدهر :

وان هدت الأيام اركان دولة  
فثم من الأقدم أقون دعائم

ولعل هذه العلاقة بالقلم هي التي هدته الى انشاء بضعة أبيات في الاشار فيه ، أبطل  
فيها ما نعمته به من قبل ، وزاد عليها صفات وميزات جديدة ، أبرزها تلك الصورة التي عكس  
فيها حقيقة ظاهرة كونها هي البرق ، فما هو سر وعنان البرق اذا وما ملأ الدنيا إشعاعا

\* الرد : السون والدعم . البراع : القلم .

(١) الديوان : ١٨٣

(٢) نفسه : ٢٥٧

(٤) نفسه : ٢١٤

(٥) نفسه : ٢١١

سياه ، ولكن الشاعر يحكم الامر فيجعل البرق يسود ووجه الصباغ ، ويطبخ بياضه بالاسلام  
لنسيم ؛ ولذتنا لا نحب ان اعلنا ان الشاعر قد عنى بربيه الصباغ الصحيفة البيضاء  
ووارادته تصير فعل القلم من سحر اسود وان الامر الذي الجاه الى استخدام هذه الاستمارة  
صباغ وقلبت على ما عداه ، وشيها بما هو بمدد من تصير لفعل وأثر القلم في الصحيفة ، من  
حيث تسوده بياضها بما يسيله من حجر في أثناء الكتابة ، يقول :

يَحْمَرْنَ وَيَسْوُلْنَ بِتَمِّمْ  
بِالْأَمُورِ وَلِيَدِي يَحْمَلُكُمْ  
مِنْ صَدْرِهِ وَلِسَانُكُمْ  
وَجْهَ الصَّبَاغِ بِهِ وَقَمِّمْ

(١)

مَا سَأَفُحُ الْعَبْرَاتِ لِسَمِّ  
يَقْرَبُ وَلَا يَدْرِي رِيحَهُ  
تَلْقَى سَنَانَ رِيحَتِهِ  
إِنْ لَمَّا بَارَقَهُ دَبَّاسُ

ولما ذكر الشاعر القلم ذكر ما يتصل به من صحيفة ، وعبر أسود ، وفي سياق تقرن تصاعده  
أو تصاعده غيره من كذا براسلونه من اسماءه وخلافه ؛ فما وصف به شعرا ورد قوله :

وراء الدين برق تالغ لا مع (٢)

بشيت سواد اليقن عنه كما سرى

وتوله من قصيدة خاطب بها القاضي ابا امية بن عمام :

تالغ لفتا فهو ابي اسود (٢)

تلكه ملرر لكذا اسود اسرا

وقد بينت القلم أثناء عطية الكتابة وصفاً أقرب الى النزول منه الى وصف اللبنة  
فيصور الرقاع ويجوها بياضها ، والسطور مرشف لعماء ، والقلم عاشق يلثم أوتهاج تلك الرقاع ومرشف

(١) الديوان : ٣٤٣

- بغيري : بشق ويقطع . ربيعة : هو ربيعة بن مكرم : احد  
فرسان ضر الممدودين في الجاهلية  
أكثم : هو أكثم بن صيفي : حكيم العرب في الجاهلية وأحد  
السعيرين .

- اليقن : ما يكتب به .

(٢) نفسه : ٧٤

- الأرس : الصحيفة

(٣) نفسه : ١٤٦

سألوهما ، ثم يتساءل عما اذا كان القلم قد استمد حبره من سواد اللحن أو من سواد  
الشمور وهو وصفتك مثل فيه الشاعر يستدل مشاعره وأحاسيسه المادية الدينية بوضع :

اذا ما جرت فرفق تقرأ سيبه  
فيلثم أوضاع تلك الرقاع  
فهل نفسُه من سواد اللحن  
يراع جري حبره بالقُبُور  
ولحن مرأشفت تلك السطُور  
ومتهرقه من بيان الشمور ؟ ( ١ )

### بـ آنية الشرب :

يرتبط ذكر آنية الشرب في شعر ابن شمر ابن شفاجة بومضات النمر ، فقد وصف الناس والزجاجات  
والزق والدين في نحو مجاز لا ندر ، حيث أوجعت اليه ، وقد امتزجت الوانها بلون الخمير  
بصور كثيرة مشابهة ، ولم يصف الشاعر هذه الآنية بعد اعان النمر الا مرة واحدة وصف فيها  
كأساً مرتبة أنديت اليه ، وهي جميلة ، فنسبها للشاعر وسربها ، فمنظر الكوب لا زرق  
المنزى بريشات صفراء منظر مبهين بروفه بأسر بصره ، ويذكره بالابحمة التي أحبها من آل قلبه ؛  
فهو في زرقته ومفرته بذره بالجرى وعين زرقه بومضات النمر ، كما يذكر بالبيان اللحن  
تسلن بها حتى شهر بها بقول :

ومثلت مديمين النَّدى  
بأزرق سالت به صفرة  
أنتني به النار في صُور  
ليأزفت ما رأى من سحابة  
يميلني يطيبك عنان الخنجر  
كما طرز البرق ثوب السحر  
أرى للجنان عليها صور  
عليه وللشمس نور القمر ( ٢ )

( ١ ) الديوان : ٦٠

( ٢ ) نفسه : ٢٧٢

بواديات الانارة :

وصف الشاعر من اذوات الانارة السراج في مقطوعتين احدهما من اربعة ابيات  
والثانية من بيتين ، والشمعة في مقطوعة من بيتين . فهو اذا اوقد مصباحه في ظلمة الليل ،  
تسوره ذوبها مضيئا ، وقد تعلت به لبة الدجى ، وسنانا ازرق ينحدر منه جنح الدجى ويشرق  
جيب الظلام ، كما يرى فيه موهما سامرا ، يشافهه ويوعى اليه بالاسرار ، ويغف عنه وطأة  
الليل ، ويصرع به ارفه الابلق في السير نحو الصباح :

تعلت به من كركب لبة الدجى	فأوجفت في ليل من الليل أهلي
ويث وعند لي للشمع ملاءة	ثروث وجني للظلام يمتزق
يشافهني منه لسان ابن رملية	يمحى بسر الليل والليل ملق
وينحدر منه جنح كد جثقة	سنان صقيل للذباله ازرق

( ١ )

وقد يوازن الشاعر بين نور الصباح ونور جبين صاحبه ، فذلاله ما منحى ، مقلق ، ولكن  
نور ذنابه الصاحب هو الأتى والادوم ، والاكثر اشعا ، ومن ثم فهو المصدر الذي يستمد  
منه السراج مادة نوره ، وقوة اشعاعه ، اذا ما غبا أو ضعف دوره :

وأغر ضاحك وجهه مصبا عه	فأنا رذا تمرا وذاك فرتقدا
ما إن غبا تلقاه نور جبينه	عق ذكابذ ذاك فتوتقدا

( ٢ )

وأما الشمعة فيخلد الشاعر في تسورها بين جبينين : جوارح العيب ، حيث الهموم والاعتران  
وحركة الهوى ، وسكب الدموع ، وجوارح العيب ، حيث الدامن والضرب وسيلان الدماء ، فالشمعة  
المشتعلة ، وقد ذاب اعلاها بتأثير الحرارة فسال من على جوانبها تذكر الشاعر بعالم محسب  
يهي من شدة الوجد ، كما تذكره في استوائها ، ودقة وتلا لوه شعلتها بصورة الرمح ، فهي

---

( ١ ) الدهوان : ٢٠٥ - اللبة : المنحدر . ليل أهلي : فرس فيه بيان وسواد .  
الذباله : الفتيله .  
( ٢ ) نفسه : ١٨٢ - الفرقد : نجم يهتدون به . ذكا : اشتعل .



تلك من صدر الليل ، ولا تزال تلج في طعنه بلهذه مها سقى تسيل دمه شفقته ، ~~والتصوير~~  
وان كان مسبقا اليه ، وقد وفق في عرضه وتقديمه في أسلوب مشاعري مليء بالحركة والحيوية :

وَصَحْدَةٌ لَيْسَتْ سِيرِيَّالَ مُشْتَهَرٍ      بِالْعَمِيِّ مَنْفَسٍ فِي الدَّمِجِ وَالْعُرْقِ  
مَا زَالَ يَلْمَنُ صَدْرَ اللَّيْلِ لِهَذَا مَهَا      حَقٌّ بَدَا سَائِلًا مِنْهُ دُمُّ الشَّفَقِ (١)

\* النار :

وأما النار فقد خصها الشاعر بمناجاة أكبر ، فقد وصفها في خمسة مواضع من ديوانه ، سجل  
فيها ما رآته عينه ، وطأ أوصى به اليه منظرها في الجوارح وعناصره من صور أغلبها مستعارة  
من ألبسة المحبوبة ، وفي بنت الزناد ، وهي في حمرة وترانق ليهيبها في وجه الريح مبهرة  
شعراء ، قد ذعرت من ربي الشمال القوية ، أو مزهوة نشون ترتجى في قلبها الأسماء  
كما أنها في ذنابها وتوجهها تحدي حد قد من مد رسمة ، فكأنها وإياها من عنبر واحد :

وَلَقَدْ غَبِلْتُ الثَّابَّ أَشْأَلَ لِيْلَهُ      عَنِ صَبْحِ سَرِّ فِي حَشَاةٍ مَضْمُرِ  
وَمَا لَأُتَّ عَنْ بِنْتِ الزَّيْنَادِ قَنَاعَهَا      لَيْلًا لَسَارِ تَعْتَهُ مَقْتَنًا مَوْدُورِ  
وَمَسَدَتْ مِنْهَا مِنْ مَخَالِيقِ كَرِيَّةٍ      شَقْرَاءُ تَدْعُرُ مِنْ شِمَالِ مَسْرُورِ  
وَجَبْرًا الْعَدِيثُ بِيَعِينَ ذَكَرٍ طَاهِرِ      فَبَعَلْتُ جَبْرًا وَتَوَدَّعًا مِنْ عَشِيرِ  
وَالْيَقْتُ أَنْ دِيهَا وَأَنْ كَرْنَهُنَّ      فَأَيْقَانُ ذَاكَ وَهَذِهِ مِنْ عُنُورِ  
وَأَنَّهَا وَالرِّيحُ عَابِتَةٌ بِهِمَا      تَرْهَى فَتَرْهَى فِي عَمِيٍّ أَحْمَرِ (٢)

ثم يتتبعها بوصفه في أطوارها المختلفة ، منذ أن تكون عمراء تغرب شعلتها أمام الريح

(١) الديوان : ٣٧٦ \* - الصدقة : القذائف الستوية . اللهمم : السنان

(٢) نسبه : ٥

وأنها تنازعا رداً عنها ، وقد ارتفع لهما ، شمالاً ، دخانها ، وتطير شررها كأنه كواكب  
في سماء دخانها إلى أن يسكن اشتعالها ، ويصفو لمبيها ويخبو ، فلا يبقى غير الرماد  
والجدا التي تبدو من خلاله وقد اتحدت أنهما مبرة شقراء ترح في العجاج الأكلب :

سواء نازعت الرياح رداً عنها	وهنا وزا حمت السماء بدوكيب
بحريرت سماء من دخان فوثقها	لم تدر فيها أشعة من كوكيب
وتنفست من كل نفحة حمرة	باتت لما ربح الشبان يترقب
قد ألبست فتاة ظلت فدأته	لسكون شرارها لثلم كيب
تذكر وراء رادها فدأته	شتراف ترح في عجاج أكلب (١)

واللهيب في اشتعاله واضطرابه ، في وجه الريح يروق الشاعر ويجذبه ، فيميل إليه مسامحاً  
ظانته أنه طرب منتقي ، واللهيب لصفاء لونه يظن الناقد ذمها ، وهو حد محبر خجلاً  
تلثه الريح غير صالية بأعين الشرار التي ترقبها ، ثم ينظر الشاعر إلى الموقد من خيال  
الطبيعة في طواهرها الكونية فيخال الموقد وقد رقرق ضوء الصبح لونه رماه وجهه ماء حيايه  
في يوم ال... وإذا تطرأ إلى الموقد في رماه الأزرق ، وجره المتند بادرت إلى ذهنه  
سريرة كونية عتيقة تصدع السماء ، وأنكدار الشهب ليلاً ، فيشبه موقد النار بذلك ، فهو  
في زرقة رماه ، وإتقان جهره يبدو كأنها وقعت السماء نوقه ، فانتشرت شهبها ، ليلاً ، عليه  
يتأرق :

لاعب تلثه الريح ذاك اللهيب	نصاء عثر الجدر ذاك اللعيب
ريات في مسرى الضبا تصفحه	فهر لها مضطرب مضطرب
سامرت أعتبه منتقياً	يهز عطفيه عنك انطرب
لرجاء منتقد ل... أرى	الهمم متند أم ذهيب
تلثت عن الريح خدأ خجلاً	حيث الشرار أعين ترتقب

(١) الديوان : ٧٤ - الزهن والموهين : نحو من : صفا الليل أوحين إداره  
أكلب : أغبر مشرب بالسواد .

في موقدٍ تد رقرق الذئبُ بسفه  
 منفسٍ بين رماطٍ أوزن  
 كأنما حرت سماء فونقه  
 ماءً عليه من ن وم حبيب  
 وبين ر خلفه تهبب  
 وانكدرت ليلته شهب (١)

كما أن الموقد وقد شب لهيبه ، وحرق به وصاحبه كطابيف العقد باليد بعد اللسبون  
 بناره ، وقد انكدر ضوءه على وجوههم يستترعي انتباه الشاعر ، ويجذب نظره ، فيسوره محتدا  
 على اليبس من حوله في البراري المتنوعة ، فهو يذكره فيما يندم منه من راحة بالند ، وفي  
 داخه نانه بالبنفس ، وتوقد بذاه بالورد ، كما يذكره سواد دخانه بالفندار  
 وبسوا الا مر بالند الورد ، فالربح تبور منه عذاره وندده ، وتشيره وتهيبه حتى لبيس  
 نأه نور ورد يدرول في عنان الحيا ، ثم يلهي العيون تشبهها ، وهو في عرق العيون الرمان  
 بفلس الربح ، فيجسد للربح ، وفوقنا مكمولة بإ شمد اللهد وأعينارمدا تتقلب ، كما يلع عليه  
 صفات الاسماء ، فيسور الجمر يحمر بهشمر بالبرد ، فيرتعد من ذلك ويرتمش :

وموقد نار الحيا حتى كأنما  
 فألح من داخه دخان بنفسها  
 أرت نيرانها غير فتية  
 إذ الربح باسث من سواد دخانها  
 وتارتت تظا مابلا السنين الكهبا  
 رأيت في فور الربح والليل إشيكا  
 وبالجمر في أنافها مازر عثدا  
 يشب الندف فيه لساري الدن نذا\*  
 جعيا ومن ثاني شوا لاله وردا  
 أناقتهم بيدا وسوا بها عثدا  
 عذارا من محمرها جعيا شدا  
 وبعال شجوانا في عنان السبا وردا  
 تقلب من جمرا ليلنا أعينا رصدا  
 أن بحامي الجمر من شدة بردا (٢)

والموقد في لونه الاسود يذكر الشاعر بحمام بن نوع عليه السلام ، فيتمسور لأن حماما على  
 عليه بلذته ، ولدته وقد أشعل النار فيه فذالك لهيبه يذكر الشاعر بظلمة كونية هي البرق  
 فهيبه الموقد في اشتعاله يحرق فاصد ووجهه يهون تمزقت عنه الخيوم ، كما يذكره في اشتعاله

(١) الدهزان : ٧٥ - \* - خمر : سقطا من عل الى اسفل ، انكدرت : تناثرت  
 الندف الطيب : بامضاء قلبت ، الجعيا : الجوع الشديد ، الاشعال :

لهيبه وجمره بالشفق ، فيشبهه بدء النار في جناته بشفق لربيدته بذيل ظلام ، وموتشبيهه  
أنفس على السرور بلا ، ويعد فيها البركات والسياسة :

وأحتم مستور الآدمي كأنما  
زاد لسان النار تفسد أنسه  
وإن بدء النار في أراقفه  
شفت لوبده بذيل ظلام (١)

أدوات الزينة :

وأما السلي فقد وسأله اعرضها العاتم في متطوعتين ، والياقوتة في مقطرعة من بيتين :  
ووفى وعقلها يعنى بلها عرما العسي ، فيسور شلها وألوانها ويريقها مستحينا بعنا سر الالبيسة  
والوانها وعياها ، فالياقوتة الحمراء ، وقد وسدت في رعاء من الدرايبين مشرقا ، تثيرفسي  
منيلته سر الالبيسة مشابهاة فهي تيد وفي رعاءم الكشفتة في ثورة أو برنقة في سزنا أو جندوة  
في ماء :

تدست من ياقوتة حمراء  
كشفتة في ثورة أو برنقة  
في منقة من درة بيضاء  
في منزة أو جندوة في ماء (٢)

وأما الخاتمان فبالسلا بجميل ، متالين متالين ، يبرق في الالام ويروق النازر ، وتسد  
ت حل لك منم ما فيها زائد بسلا وسلا ، فهذا الال بفسه الالمر كأنه جف وتمتد على  
ماء سائل ، أو لأنه نجم اتقرن بهزل في سماءك الدم والبيود :

متحمل فدما يرون وهلكة  
في راحة نزلت سماء سماكة  
من برذ ووقدت رصاء سالا  
فتقارنا نجما بها وهلالا (٣)

(١) الدهران : ٨٤ \* - الأعم : الاسود من كل شيء  
(٢) نفسه : ٢٧٣ - الحقة : الرعاء . - المنزة : السابطة اليها المصارة  
(٣) نفسه : ١٤٨ - السابعة : القرم والبيود .

وبدا الثاني بنصفه الأزرق في منار جميل بهيج ، تكاد الشمس تكتم به لاستنسه  
فتتن به السنين لجماله وديع منعه ، فأن اليد الكريمة وقد تنهلست به تعتمت بنفاسمة  
ترت أمامها بنفسية الفن ، حتى ترى لها ، وتطر عليها من مائها ، وهو تصوير وفق الشاعر  
عرشه وتلويحه بنواصر الطبيعة ، فجاء بجميز رائعاً :

ومرتق الإفرند أبرىق بهبهمة	وندا فأطلع بالثلالم ضياء
كُنفت به للشهر في العسمن ابنة	تستوقف الراعي لها حيرة
وتدفتمت من فتمه بخطامة	فأ تنون على السماع سماء
قد سبي صبيانة فتنة أصبي لها	نفس الليم وما جع الدسك راء
ما إن ترت لها بنفسية بسسه	حتى ترت لها فتجرتي ملاء (١)

هذا عن الطبيعة الصناعية في شعراين فاجدة ، وهو فيها - كما رأينا - يعني بسا  
عومسي ظاهري ، يتفنن في عرضه وتصويره ، معتمدا على ما في الطبيعة عيها وما تمسها  
من عناصر وألوان شابهة ؛ تلك الطبيعة التي ملكت عليه حسه ومشاعره ، وعيمنت بذلار لها  
وبداياتها المتنوعة لا على باب الزمف عنده ، وإنما على الكثير من سناجبه وصوره في أغراضه  
اشعرية المدتلفة .

(١) الديوان : ١٤٤ \* - الإفرند : الرشي ، أصبي : شان وفتن ،  
العرباء : دوية نحو المظاية تستقبل الشمس برأسها .

الفصل التاسع

في

الطبيعة والانراغ الشعرية

ان أهم أمر يلحظه دارس شعر ابن خفاجة هو تلك الصلة القوية التي كانت تشد الشاعر  
 إلى الطبيعة ، حبها وامتصاصها ، من حيث توظيفه لمعطياتها في عمله الفني ، واستنساخه  
 في تشبيهاته واستعاراته لا في موضوع الوصف فحسب ، بل في موضوعاته الشعرية علس  
 فيها من مدح ورتاء ، وفضل وعنون ، وخمرة ومعارك حربية ، ووصف قمامة أو قمامة  
 من اصحابه وخلافه ، وما ذلك إلا لان الطبيعة قد تمكنت منه تمكنا ، حتى صار  
 يسمطياتها عما يتصل به ، ويصور خلجات نفسه ، وهو اجسه من خلالها ، وبالاعتماد  
 على في استغراقه بقول أن تجد مثله منذ غيره من الشعراء (١) ، هذا الاستغراق  
 في التمكن ، وإلى أي مدى تجلت الطبيعة في الموضوعات المتنوعة هو ما سنحاول انضائه  
 هذا الفصل ، ولنبدأ بقصيدة المدح :

الطبيعة وقصيدة المدح :

ليعرف في قصيدة المدح الفعالية ، من حيث معانيها العامة ، ما يشد عما هو مأخوذ  
 بقصيدة المدح الحربية القديمة والمحدث منها خصوصا من معان وأفكار ، وإن كانت  
 سرورية بليريقته الخاصة ، فهو اذا مدح أميرا نوه بشجاعته وكرمه ، وعراقة نسيه ، وحرمة  
 جدته وتقواه وعلاجه ، وانا مدح وزيرنا نعمته بما يناسب صفاته ومكانته الاجتماعية ، من  
 كرامة وفهم ، واستقامة وحسن تدبير ، كما مدح القاضي بطل هذه الصفات ، فبيننا اليه  
 خاصة لها علاقة بطبيعة عمله ، كالمعدل والاحد بالحق ، والرأي السائب ، والفهم النافذ  
 والتنون والورع (٢) ، وغيرها من الصفات والسمات التي تخص بها قصيدة المدح في تراثنا

(١) ابن خفاجة : ٦٦

(٢) المعبر والمضيق : ٤١ - ٤٥

شعري القديم ، وليست هذه المعاني هي هدفنا من هذه الدراسة ، لأن هدفنا هو محاولة  
 يرتكز على المكانة التي تتبوأها الطبيعة من هذا الفرع الشعري المهم في ديوانه ، والتعرف  
 على الكيفية التي استخدم بها الشاعر معطياتها وعناصرها في بناء صورته وصياغة معانيه فسي  
 هذا المجال . ربط تجدر بلاغته هنا ؛ هو أن اصطناع عناصر الطبيعة في هذا الفرع  
 قد تم تدعيمه في شعرنا العربي ، فقلطنا شبه المدون بالبحر في الكرم ، والأسد  
 في الشجاعة ، والشمس في رفعتة وإشراقه وجهته وبالفر في الحسن وغير ذلك ، وأين هنا  
 يرد هذه المعاني في مدحياته ، ولكنها تأتي معروضة بطريقته الخاصة ، ومنسجمة مع  
 ذوقه وحسه السوي ؛ فهو يجب بشجاعة مدحه وتميم بن يوسف وكرمه ، وقوة عزمه وشكوه  
 بأسه ، ورشاقته وإشراقه وجهه من وراء اللثام ، فيصور ذلك متكئا على ظواهر الطبيعة من حولها  
 يستمد ما معاني القوة والجمال ، ويستعين بها على إبراز تلك الصفات ، ويبان تلك الصفات  
 والميزات ، يقول :

يَفْتَبُ عَابَ السَّرْفِ السَّيِّمِ وَالْوَقَى  
 لَهُ فَنَكَّةٌ لَوْ زَا حَمَّ الدَّهْرِ تَعَمَّهَا  
 وَعَزَمَ بَرْدُ الْعُلُودِ \* هَذَا وَنَجْدَةٌ  
 وَوَجْهٌ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ لثَامُهُ  
 إِذَا لَشَّتْهُ بِالْمَقَاصَةِ رَوْعًا نَكَّةً

يَبْدُلُ الْيَدِ الْفَرَاءَ وَالْفَتَّةَ الْبَيْتِرِ  
 لَعَدَتْ بِهِ دَهْمُ اللَّيَالِي مِنَ الشَّقْرِ  
 تَهْتَزُّ قَدْوَدَ الشَّرْفِ الْعَلَلِ الْخُمْرِ  
 كَمَا شَفَّ رِقْرَاقُ الْغَطَامِ عَنِ الْبَيْدْرِ  
 تَرَاقُنَ هَدَلٌ مِنْهُ يَطْلُعُ مِنْ بَعْثَرِ (١)

ولا يخفى ما في النص من ذكر لعناصر الطبيعة استخدمها الشاعر في بيان التشبيه  
 والاستعارة . كما أن جود مدحه الفياض ، وهمة العلية ، وحسن فعالة وآثاره تذكره  
 بالداجية من حوله ، فيلجأ إليها ويتكى عليها مستمداً إليها تشبيهاته وأسعاراته ، فجاءه  
 سهل فيمر ، وهمة جهل وهو ، وحسن صنيعه <sup>حول</sup> اليد المصائب البهيم نهاراً مرا بالشمس  
 واليهاء :

(١) الديوان : ٢٥ \* الطود : الجبل  
 المفاضة : الدرع الواصلة .

تقسّمه جودٌ يفوق وهمّة  
له كلُّ ندىٍ يفيض كلُّ سفينة  
فلو مسّت مناه عن وجهه لباله

فمِنْ منهدٍ عميرٍ ومن قبلي وعبر  
بلك مكانٍ فالهيب من النسر  
لحسنت تناع الليد من تمر يسري (١)

وصعد ذات السمانى تقريبا ، وذات البريقة في قوله :

إمامٌ في الذّواهب من قريش  
تشيخٌ بسفحته بروقٍ يشير  
تصعّ الرّي أنفاس المجاتي  
ويجمل في حياه طلودٍ عليم

وحسبُ المجد من عودٍ تعليب  
تعبد بشاشة الرّوض التدييب  
به ومغارر العود السلييب  
تمدّ خلاله رمل الكشييب (٢)

وهي أبيات يبدو فيها توظيف الطبيعة في هذا الفرع بوضوح ، فالبرق والرّوض ، والعود  
المفروس ، والطرد والشييب ، عناصر طبيعة عرف الشاعر كيف يستند بها في شعره ، ويستعين  
به على تصوير عزايها مدد وجهه ، وتمداد حساسه .

وكان ابو بكر بن ابراهيم بطلا مقداما ، وقائدا مطفرا ، حسن التدبير ، سفيا كثير  
الدلاء ، وكنى الشاعر في تصويره صفات مدد وجهه هذا ، مستعينا بسنن امر الطبيعة ، كان  
يسدر عن تلك ما قدوة وسعة الشاعرة ، قد ربه فان مدتها وأمرها في أن ، وهو ما جعله  
يرفع من قدره الى درجة تفخمه على الطبيعة التي أحبها وهام بها ، فالرياح الذئب لا تكاد  
تضاميه في سماحة وسناده ولا تلحق به في ذلك الضطر :

وبعد الإمارة في رفيف نزار  
في حيث وشئ لثة بقيم لارة  
بجدلان بطلا نذعة وشاشنة  
متقسم ما بين شمر دن بئنة

جلت الذّجب في حلة الأنوار  
مشها وعلق مسما بسوار  
أيدب النفاة وأعين الكزوار  
طلعت وبين غماعة مئذارة

(١) المصدر السابق : ص

(٢) نفسه : ٩٢



متنفس عن روضة . عططار  
معه الرياح التكب في مضمار (١)

أرج الندى بذكره فكأنسه  
ببار الرياح الى السط فاجرت

وهو من يعتمد في تشبيهاته واستعاراته على ما في الطبيعة من عناصر ومعطيات اعتمادا جليا . كما يدعو الى شد الرءال الى المدون ، والتعرض لنفحات كرمه وعيائه ، فديمته هلاله ، تنصب لها الزهرة ، وتمشي لها ساحة الدار ، ويظل المرعى تحتها مريها  
خصيا :

منع ابن ابراهيم فتهي عذار  
ليمين يمين أو يسار يسار  
عنها وتمشي كل ساحة دار (٢)

دع عنك تيب كل نغم والتيس  
وارتق بحيث تموج أرضك ديمة  
هلاله تنصت كل زهرة صفحة

وإذا أراد أن يبره بأهل سد رجه وبكائه وثوبه من السيادة ، جعلهم شمساً ، وجعل  
غيرهم أبقارا ، وجعل منهم بارا في الكرم والسفا ، ومن غيرهم أمالارا ، فهم الاصل وغيرهم الفرع  
ومنهم يتعلم السراة كيف يسودون ، والآسفيا كيف يبعونون :

إن الشموس لعلل الأقطار  
إن البعير لفضا الأقطار (٣)

ساد السراة بما استفادوا منهم  
وسخا الترام بما استمدوا منهم

وأما الامير المظفر ابراهيم بن يوسف فذكرهم صفي ، فهو في بيوتهم بعمر طام ، وهو أنشد  
من المزن راحة ، وألمح بظلالا ، وأخصب تالعا ، وأمر مراعي ، وقد تأثر الفيت بهم  
وكره فانهن واكنا ، وتأس به البسما فساود النزول بعد طول إقلاع ، إنه النزل السوارف  
والمرعى النصب ، واليهن الشر ، إذا ما كف عارض الندى ، وخيب الجرق ظن مرتقبه :

- 
- (١) الديوان : ٣٦ - ٣٧
  - (٢) نفسه : ٣٨
  - (٣) نفسه : ٥٨
- الديبة : السحابة الممطرة بلا رعد ولا برق  
هلاله : كثرها تسابح وانفعال  
السراة : طلبة النوم وساداتهم

غَشِيَتْ بِهَذَا نَدَى مِنَ الْعَزِينِ رَاحَةً  
 طَمَعِ الْجُرُودِ فِي بَيْمَاهِ بَعْرًا وَأَنْصَبَا  
 وَأَعْدَى نَدَاهُ الْغَيْثُ فَأَنْهَلَّ وَكَفَيْتَا  
 فَيَا شَائِي بَرَقَ تَوَسُّعَ مَوْهِنِي كَلَا  
 إِذَا لَفَّ مِنْ قَلْبِكَ عَارِضُ النَّسَبِ  
 فَإِنْ أَمَا اسْتَوْجِبَ أَنْصَبَ تَلَمَّسَةً  
 وَحَسْبُكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ الْعَيْتَا

وَأَلْيَبَ أُنْفَاةً وَأَمْرًا مَرْتَمَا  
 تَدْفُقُ فِي أَرْبَاعِهَا فَتَدْفُقَا  
 وَحَسْبُكَ مِنْ سَقْمَا أَنْ اسْتَجْمَا  
 وَتَمْتَحُ إِعْرَادًا ابْتِجَادِي فَأَلْعَمَا  
 وَرَاقِدًا بَرَقَ الْبَشَاشَةَ فَارْتَمَمَا  
 وَأَشْهَى نَدَى ظِلِّ وَأَعْدَبُ مَكْرَمَا  
 فَعَاوَدَ مِنْ رَشْمَاهُ مَا كَانَ أَلْتَمَا (١)

وكيف يقصد غيره وبمناه للبحر منح ، ومرعاه أخرب ، وهنئته أحمى وأمن وأمنج :

وَلَمْ أُرِدِ الْأَوْشَالَ أَنْتَحُ غَلَسَةً  
 وَهَنْئَتُهُ أَحْقَى جَنَابًا الْخَائِسِي

وَهَنْئِي أَيْ اسْحَنِي لِلْبَحْرِ مَنَجْ  
 وَأَهْلُجْهُ أَنْدَى مَرَادًا وَأَمْسِرْ (٢)

ويشأن أن يتعرف الامير ابو اسحق للجيهاد في فصل الريح ، فيصاحف ذلك هوة نسي  
 ونصر الشاعر ، وفيه في وقت مظاهر الطبيعة الساحرة في جو الريح البديع ، فالزهرة نضرة  
 والقضيب لادن مكتس مزعر ، ويمر ريتني في وجه النسيم مبرها عن فرحته بقدر وم الامير الاجل  
 الذي حكى الريح بحاسنه وبيز فعاله ، فلم يدرا لشاعر أهو الذي أطل ، فاهتزت لسه  
 الطبيعة فرحة مستهرة أم فصل الريح بطلمته الجميلة وجوه الفتان ؟ ، ونلاحظ هننا  
 توأيف الشاعر للصالح الفلكي ، حلول الشمس برأس العمل ، وهو يدل على بسند  
 فصل الريح (٣) ، وقد عنى الشاعر ذات الاسر ، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من قبل ،  
 أن الشاعر كان يصدر في أوصافه للظواهر الكونية ، والتشبيه بها عن ثقافة وطبائع (٣)

أَلَا هَلْ أَطَّلَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ  
 فَمَا شَعَتْ مِنْ زَهْرَةٍ نَضْرَةٍ  
 وَهَزَّ سَائِلُهُ وَالْقَسْرَى

أَلَا الشَّمْرُ حَلَّتْ بِرَأْسِ الْقَمَلِ ؟  
 تَرَدَّى الْقَضِيبُ بِهَا وَاشْتَمَلُ  
 يَسْتَرَى النَّسِيمُ التَّوَاهُ الْجَسَدَلُ \*

(١) المصدر السابق : ٢٨  
 (٢) نفسها : ٨٩ \* مأمع : أخصب - الحيا : المطر  
 الحمل : من الأبراج ، الجدول : المنبل  
 (٣) كتاب الأنواء لابن قتيبة : ١٠١

سرورا به من فتى د ولّـــــــة  
 تهاهي بعلمها خير السدول  
 يشد اللثام على صفحتـــــــة  
 ترى البدر منها بمرق زحـــــــل (١)

ان قد ورا الأبر المرابطي يوحى الى الشاعر بقدم الربيع ، فكلما علمتني الحياة فسي  
 نلته ، فالأول كان سببا في انقاذ الاندلس من فناء يهددها ، والثاني يمثل بقلة الطليحة  
 من سياتها السميت وانيمات المركة والعبارة في ظواهرها ، وعناصرها المختلفة ، ومن هنا  
 فتحن لا ننكر على الشاعر هذا التشبيه ، كما أنكر الاسكندري ذلك (٢) ، فليس  
 في الامر ما ينكر لان ذلك يتلاءم ونفسية الشاعر السمية للحياة ، النافرة من الموت والفتاة .  
 وأما القاضي أبو أمية بن عمام فكان مراعي للشاعر في شؤونه ، براء به ، مقبلا عليه  
 وقد عرف الشاعر له فضله ، فدبغ في مدحه قصائد عدة ، عد فيها محاسنه ، وخلص من خلالها  
 أعماله وعفاته ، فهو قاض عادل ، صديق الرأي ، عالي الهمة ، وقع الشأن ، تنق ورع ، كريم  
 سخي ، وهي صفات ونعمت يحتمد الشاعر في ابرازها على ما يحيط به في الطليحة من عناصر  
 ومصطلحات ، فيذكر القمر والنجوم ، والشرا وكواكب الجوزاء ، والسما والظلمة والانوار ،  
 والابطح والهنزية ، والانوار والريحانة ، ويستمر لمدد وجه من صفاتها والوانها ما يجلسي  
 مناقبه ، يبرز خصائصه وميزاته :

وسرى فبلى ليل كل ليلتـــــــة  
 من منزل قد شب من نار القيسرى  
 لموشيت طلعت به الشرا قاعـــــــدا  
 ولشمت ظهر يد تندى حـــــــرقة  
 وملاّت بين جبهته رهنـــــــة  
 منها ديا ما بين ابطح شيتـــــــة  
 عيني الشا ندى الجنا ب كاتـــــــة  
 وثات من عزمة في رمتـــــــة  
 قمر العلاء وأنجم الآراء  
 ما شاب عنه مفرق الظلماء  
 ونشرت عند كواكب الجوزاء  
 فكانني قبلت وجه سما  
 جفتي بالانوار والانسواء  
 دشت وهضبة عزة قمساء  
 ريحانة مطلولة الافساء  
 متركب من جذوة في سما (٣)

(١) الديوان : ١٠٢ .  
 (٢) احمد الاسكندري . مجلة الصمغ . مج ١٢ / ج ١ : ٣٥ .  
 (٣) الديوان : ٤٠ - ٤١ . الدماثة : الشهولة . قمساء : ثابتة ومرتفعة

وقد وجد الشاعر في صور الذور ، وجمرة الماء ، والروى الفضى ، الفرس اللون المبهتر ما يشبه صفات مدوحه ، فأتى عليها واستعان بها على تشويره :

تَنْوِّرُ بِالْبِشْرِ أَخْلَاقَهُ  
وَجَرِي بِكَيْهِ مَاءُ الْكَرَمِ  
فَزَّرَهُ تَعِدُّ رَوْثَةً فَضَّتْهُ  
وَهِيَ تَعِدُّ هَمَزَةَ الْفَضْلِ تَمَّ (١)

وتلو صدق بن حميم ، يفتخم الشاعر لتعزله وإيحاده عن منصب ، كما أن خبر عودته إلى القضاء يفتن أحزانه ، ويهدد همومه ، ويحلا قلبه فرحا ، فلا يجد أسلوبا يعرب من خلاله عن فرحته غير الالتجاء إلى الطبيعة ، في أجوائها الجميلة ، بصور مظاهرها ، وبرز نواحي المسن والفتنة فيها ، فالرعد يرتجز ، والمطر ينزل ، والزهر يفتتح وأريج الزهر يملأ الأجواء ، والغسول تتثنى ، والطائر ينرد ، وقد مد جناحه صرعا عن فرحته وعبوره ، إنها لوحدة الطبيعة واتصية بديمة ، خلق الشاعر عليها إحساسه بالفرحة ، وصور بواسطتها ما أحس به في أعماقه من سعادة غامرة لتعود تصدقته أبي أمية إلى منصبه بعد عزله منه مد من الزمان :

بشرون كما أسفر وجهه الصَّبَّاحُ  
وَارْتَجَزَ الرَّهْدُ بِحَيْثُ النَّوْدَى  
فَدَنَّرَ الزَّهْرُ مَتَوْنَ الرَّهْبَانِ  
هَبَّتْ رَوَاجًا وَهَيَّ نَفَا حَسْبَهُ  
أَفْسَحَ فَرِيدًا بِهَا مَطْبُورِبِ  
وَاسْتَشْرَفَ الرَّائِدُ بِرَقًا الْآخِ  
بَيًّا وَحَدُّو بِسَلَابِ الرِّيَّاحِ  
وَدَرْهَمَ الْقَنْطَرِ بِطَوْرِ الْبَيْطَانِ  
فَطَابَ رِيحًا نَشْرَ ذَاتِ الرِّوَّاحِ  
يَنْشُرُ مِنْ بَطْرِ قَدَامِ جَبَانِ (٢)

وقد يكرر الشاعر بمثل صفات مدوحه ، ولكنه يفتن في طريقة عرضها وتصويرها ، وقد اتخذ من الطبيعة متكا يستند اليه في تشبيهاته واستعاراته ، كما في قوله :

لَهُ شَيْمَةٌ تَنْدَى فَتَشْفِي مِنَ الصَّدَى \*  
تَنْدَى عَلَيْهَا الظِّلُّ سَرِحَةً أَبْطَحَ  
وَتَنْقَعُ أَحْشَاءَ الْهَاجِرِ فَتَسْبِرُ  
بِهَا وَغَنِيَتِ الْقَمَامُ الطَّنْبِرِ

(١) الديوان : ٤٦  
(٢) نفسه : ١٦٥ \* الهمدي : العطش

فمن نور رأي لو تراى لناظر  
 ومن حرقيل قد أفاضته همتة  
 للاح به تحت الأجنحة فرقد\*  
 فساح به في سفن شهبان\* سود (١)

ولا شك أن ربيع كذا وفي عصر كعصر الشاعر ، قد يكون مرغبة للكثير من الدسائس والمؤامرات التي يهوكها الحساد والمخاضون ، وقد أشار الشاعر الى ذلك في محضر الموازنة بين مدونه ومناقبه ، وهي موازنة ينتهي منها الشاعر بتفاهيل مدونه على نفسه ؛ فهو يطن من الصفات والبيزات ما جعله يرتثي صهوة السجد ، ويتبوء من السوءد مائة لا يطاله فيها أحد ، ولا يلدغه فيها لاحق ، حتى أن الأعمار على رفعتها تغار منه ، وحسده على مدونه ، فهي لا تكسب إلا غيرته وحسداله على ماله ورفع شأنه ؛

ولا تكسب الأعمار إلا حسادة  
 لضطج بالسجد بسقى فيسقى (١)

ويكتب الى القاضي ابي عبد الله بن حمد بن ، متشفعا لمدق له من أهل بلدته مادعا اياه بما يناسب من صفات الكرم والسفاة ، واللين من فير ضمت ، والشوة والصراصة محتدا على عناصر الطبيعة في التوسر والبهان ، ويرجعه صديقه قائلا :

فأنزع الى قاضي الجماعة ربهية  
 واستسقى منه إن ظميت فمامية  
 ونفع الينان بخير راحة ساقين  
 بغضر عنها لعود باهين  
 فحذار من الهوب ذات الهاجين\* (٢)

والشاعر في سياق المدح ، قد تجره المبالغة ، أعبانا ، الى مساواة المدح بالطبيعة ؛ بل ربما الى تفضيله عليها ، وقد مرت معنا بعض من هذه العجالات ؛ ومن حالات التفضيل ما نعت به صاحبه الفقيه أبابكر بن عفوز من أنه ارم آثارا من المزن ، وأشهر أوضاعا من الهد

(١) الديوان : ١٩٦ - ١٩٧ \* الفرقد : نجم يهتد به ، شهبان : اسم جبل  
 (٢) نفسه : ٢٢٨ - الهاجين : الخناظر

الساري ، وأن الفصن المائل المزهر ، وقد ما بلا صفة الماء كماله ليس ألبين  
منه أعطافا ، ولا أعسن ، مشقولا أعمار اخلاقا ، يقول :

وقد نُلتَ تَمَالِي بِأَبْلَجٍ وَاضِحٍ	تَجَسَّمَهَا أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ عَارِبَتَا
وَأَكْرَمَ آثَارًا مِنَ الْمَرْزُوقِ غَادِيَتَا	وَأَشْبَهَرَأَوْضَاخًا مِنَ الْمُدْرِسَانِيَتَا
فِيهِ الْفَضْلُ الْمَلْمُولُ أَشْرَفُ بَاسِمَا	وَمَادَ أَصْلَانَا عَلَى الْمَاءِ صَافِيَتَا
بِالْبَيْنِ أَعْلَافًا وَأُحْسَنَ مَشْتَبَةً	وَأَهْلَرَ أَخْلَاقًا وَأَنْدَى حَوَاشِيَتَا (١)

وقد تذكره خلال مدوحه مجتمعة ، يشهد من شاهد الطبيعة الجميلة في أيام الربيع  
الزاهية ، هو مشهد الغمام الذي تساقط طله على الرياض المزهرة فزاد عاتحت أشمسة  
الشمس يريقا الى بريقها ، وجمالا الى جمالها :

بِغَالِلٍ كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ بِتَلَمَّسِيَةٍ	فَطَرَزَ أَثْوَابَ الرِّيحِ وَسَمَّيَتَا *
وَأَلْقَى السَّعَابِينَ الْآبَاطِيحَ وَالرُّبَا	فَدَثَّرَ أَعْلَافَ الْمَجَانِي وَدَرَعَتَا
وَقَلَّدَ نَعْرَ الرَّوْرِ عَقْدًا مَفْصَلًا	وَطَوَّقَ جِيدَ الْفَضْلِ وَشَبَّاهُ مَنَعَتَا (٢)

وهي أوصافه كما نلاحظ - عسبة واتصية ، أظهر فيها الشاعر براعة فائقة في النقل  
والتصوير ، مستوحيا منطلقات بيقته الأشارية ، وسقطا صور المرأة الحسنة على الذهبية  
فالغمام يقلد نعر الرور عتدا مفصلا ، ويطوق جسد الفاضل وشيا مزركشا ، وهذه الظاهر  
أين النظر الى الطبيعة من خلال أوصاف المرأة الحسنة ، ظاهرة تطرد عنه ، وتطفح على  
شعره من حين لآخر ، ولذلك جعلته بطبيعة شخصيته ونفسيته ، وهو اذا وصل في مدح  
للدرة مريم ، فزق أبي الملاءم تميم بن يوسف ، الى صفة الكرم التي تحلت بها وثق عند  
المرءة

(١) الديوان : ١٢٧

(٢) نفسه : ١٧٥

\* - الثوب المسهم : المخطوط ، الوفي المنعم : المزركش

يلا ، واستأنهرا في مغيته من صور طبيعية ذات علاقة بتلك الصفة من قريب أو بعيد  
ن حيا منسجم الى غمام مرزم ، ومن ربح اليه الى هشيم بندن نضارة الى غير ذلك  
السرور التي يحشد هذا الشاعر ليرمز من خلالها ما اتصفت به المد وهد من كر وسفنا :

من ذلك ما رفق كما انسجم العسلي  
عقلت بها حرا الثناء عقيلا  
يرون تنوء به اليراب على السرى  
بندى به التبت المشيم نضارة  
فبلا البلاد يتر غير مغسيم

والتشيل لصفة الثرم والمجد بمعاصر الطبيعة يلزم الشاعر أيضا في مدحه لآل رحيم  
فهم منسجم في الغر والسود ، وسور في الثرم ، وهم اذا ما سخوا أو جادوا أروا المسن  
الشيخ بساعتهم ، ويد وأما في طرفهم وشرفهم وساعتهم بدورا نيرة المعة فسوي  
بحر مترجمة ، يقول :

من آل رحيم حيث لا هضبة الخلا  
ترى الحزن شاجا بهم مشهلا  
ترى بهم من أشرا في ساحة

وهو وحسب أفترى الشاعر فيه قدرته المعجزة على التفسير ، وزاده الضخم من الصور  
والاشيلة فمعرض تلك الصور وغيرها ما تتوفر عليه شخصية المدون مرغابيت عليه الالبيهم  
بمعنا مرها ومعطياتها والمتنوعة ، وهو أمر إن دل على شي " فانما يدل على تمكن الطبيب  
من نفس الشاعر ، وسيطرتها على احساسه وشعوره ، وهو ما يظهر - كما ظهر من قبل  
في مدحه لأبي الحسين بن رحيم الوزير ، وذلك في قوله :

لهد ولا بحر الندى لمباور  
ساحة أيد وابتسام ثفور  
طلوع بدور في ارتجاج بحر (٢)

\* - الغمام المرزم : المتعل القطر

(١) الديوان : ٩٨

(٢) نفسه : ١٨٢

وأغراً أزمرّبات يحيقُ نَفْسَةً  
 ملقح المحبباً واليدمين كَأَنَّهُ  
 ليس الرداء من الشنّاء مطسّرزا  
 فثان في برّته رويّ أزهرا  
 تمرّ تالغ في غمام أطلّـرا  
 فوق القسرين من العبار عصفرا (١)

فالزهير والنفحة المبيقة ، والرويّ المزهري ، والقمر والغمام المطلر ، عناصر طبيعية وانفها  
 شاعر في مدحه واستحسان بهاء على ابراز صفات مدوحه المعنوية والمادية . وهو يفضل له لكرمه  
 حسانه الشيرة ، على الطبيعة ، فالروضه الغناء ، وقد تفتت زهرها ، وتضوع أرجبها  
 يست أجس منه منظرها ، ولا أعيق نشرها من أخباره الطيبة وسمنت العسنة ، وقد ذاعت  
 من النامروا انتشرت :

فما روضه غنّاء في رأي ريسوة  
 بأحسن مرأى من علات لناظير  
 تملّ بهنهل من المزن سا جسيم\*  
 وأعطر نشرها من قذات لناسيم (٢)

وهو يخلع اعساسة بالفرقة لتقوم مدوحه على الطبيعة ، فيصورها في نفس حاله  
 الشعرية ، مهتزاً بطورها ، مقلقة بشرا وسرورا ، فالخلج يصفى والسمام يفتي ، والخرسن  
 يهتز ويهين ، والزهر يتفتت ويتفتت رفق شذا وعبارا ، احتفاء منهم واحتفالا بمدوحه  
 الذي راقته الخالقه ، وحسن خبره وشهره :

لذكرت ما عاب الخليج يصفيق  
 ومن أهدت اهتز القضيبي على التقا\*  
 وما ذاب الا أن الخلق رائق  
 حسرت غنّاء واجتاد\* وخـبره  
 وباسمت ما غنى العمام الملوّق  
 وأشرف نوار الرها يتفتت  
 بهز كما عجز الرحيق الممتسق  
 فكلك موموق الملقى متعششقي (٣)

كما أنه اذا أراد أن يهني مدوحه ، وجد في عناصر الطبيعة ما هو أهمل لتخليج  
 ذلك عنه ، فيناشد النسيم العليل ، والبرق المألقي ، أن يموبا عنه في تهنئة كورة بلنسية

(١) الديوان : ٢٥٧  
 \* سا جيم : من ساء القطر : ان قطروا سال . النبت : ما  
 يخبر به عن الر من حسن وسي  
 (٢) نفسه : ٢٦١  
 (٣) نفسه : ١٨٤  
 الخلق : من الرلق : التماسه لثباته سجد ربه  
 موموق : من ومنمقا : أحب . الرحيق : العشر



ولاية أبي عبد الله بن النخعي إياها فيقول :

مع الفجر أوبرق تاللي يفتقني  
لبحرت شطاً أول شمسك مشرق  
فها أنقما تاج يروفا شـرق (١)

فهل من نسيم قد تنشق ينتحي  
يهتي يعني كورة الشرق إنهما  
تلابقتهما رأى جملاً ومنظرا

كما يحمل نسيم السباشوقه وعينه الى صديقه أبي عبد الله بن أبي النخعي الادييب  
الكاتب ، ويطلبه بان ينزبه عنه في لشم يده ، وضمه وعناقه ، وأن يبلغ تحيته اليه ، يفتقها  
بناديه زهرة عطرة ، كشمس الدجج في جمال منظرها ، وحسن اشراقها ، فيقول :

تشكرا وانعنه ضم عنق  
نفاضة تغني عن استنشاق  
ظلي وتحسن مجتلى إشراق (٢)

والنسيم يد الهادي الرمان من السلا  
واقترق بناديه التحيه زهـرة  
كالشمس يوم الدجج تندت مجتلى

وإذا سأل حاجباً من مدوحيه تطلب الى ذلك مصطنعاً عناصر الطبيعة ، فقال :

لدي وأهل موتما من جنى النحل  
فلكل معنى ليس للسار الوصل (٣)

ومن بها أندر نسيم من الصبا  
ولا تحتقرها من يدك بـسـر

والامطة في هذا الباب تكثر وتتوع ، ولئن نكتفي بهذه النماذج ، وهي تهور لنا الى  
أب مدن استفاد الشاعر عناصر الطبيعة ومغزياتها في صياغة معانيه ، وتلويح صوره ، وأظن  
لا أحميد عن السواب اذا قلت - اعتماداً على هذه النماذج الواضحة ، وغيرها من الجزئيات  
الاثيرة البهتة في قصائده المدحيه - : إن إحساسه بالطبيعة كان قويا ، وإن عبه له  
كان عميقاً ، ولئننا نلحظ أن الرجل كان يتخلى - أحيانا - عن إحساسه بالطبيعة ، وجهه  
لها ، تحت ضغط الجو الرسمي ، أو خضوعاً لأسلوب المغالاة في وصف المدح والمبالغة

(١) الديوان : ١٨٦

\* - الدجج : الفيم

(٢) نفسه : ١٥٤

- النخل : أخص الممر . الويل : الممر الشديد

(٣) نفسه : ٢٠٧

في نعمته ، فينظر إليها بعينه لا بقلبه ، ويفضل مدحه عليها ، ولكن حالات نادرة ، لا تتلوه في عالمة الشاعر نحو الطبيعة ، ولا في علاقته الوثيقة بها .

الطبيعة وتصيدة الرثاء :

تقل قصائد الرثاء عن قصائد المدح من حيث الكم في ديوان ابن خفاجة ، فقد ضم الديوان بين دفتيه ثمانين قصيدة ، أربع منها في رثاء الوزير أبي محمد بن ربيعة ، وواحدة في رثاء محمد بن أخته ، وأخرى في رثاء والده القاضي أبي أمية بن عمام ، وأما القصيدة التي البائتان فقد تصرنا فيهما لرثاء بطلانة من أسعابه وخلائه ، وهي قصيدة تتسم في بطلانها بصرارة العالفة ، ومدى الشعور ، وتزخر بالمعاني الرقيقة المشجبة ، والصور الحزينة القائمة ، وقد كان لموسى الرثاء صلباً كان الشاعر يعرضه في أعماقه من احساس بالزمن وفراق من الموت ، ومن ثم جاءت قصائده في هذا الباب محملة بالخير من احساساته ، ونظراته للكون وتصوراته للحياة ، فالأحداث الدامية التي شهد بها عصره ، وفراق الصاحب ، ومضي الشباب بطذاته وسيراته ، وزحف الشيخوخة بشيبتها وأسقامها ، وهرب الشاعر للحياة وفرقه من الموت والغباء . . . عواطف أثرت كلها في نفسه الرقيقة ، وعمقت احساسه بالألم وطبعت نظراته إلى الحياة - أحياناً - بسحنة من القلق والتشاوم ، أفصحها عنها القصيدة والرمان التي اشتملت عليها مرثيته ، فالشاعر إذا أثلته الهموم ، وداهمته الخطوب والتروب يلجأ إلى الطبيعة ، لعله يجد في أجوائها ما ينسيه آلامه وأحزانه ، أو يخفف وقع مصابه لتفده أترابه وشلائه ، ولأن شأبه بطلان ، وبلاءه عظيم ، لم تحتله نفسه الرقيقة ، وقد تدير كل شيء في نأله ، فأضحت الحلاوة مرارة ، واللذذة أماً ، والأفراح أحزاناً مؤرقاً لا يذهبها برد لندى ، ولا ينسيها ظل لمزنة :

فلف فجاءاً تحته بأكلام  
أما فيت من ظل يهل أوامي ؟

وقل لفظاً ألعف الأرض ذليله  
أما لست من ظل يبرد مضجعي

\* الأوامر : حر العطف .

وَأَيُّ نَدَىٍّ أَوْ بَرْدٍ نَادٍ لَسْتُ نَسِيًّا  
عَلَى عَثْبٍ أَسْرَابٍ يَرْكَبُ كَسْرَامٍ (١)

وقد بدون المصاعب ونقصها الشديد على الرقيّة ، ومزاجه الحساس ، فهو يجد تولي الشباب ، وبعد الأصحاب ليجد يرى في العيلة أما كان يراه فيها من جمال ولذّة وتمتعة فقد غيرت الأحداث مزاجه ، فأصبح لا يستسيغ الماء على الظم ، ولا يستطيب برد الليل ساعة الحر ، ولم يجد يجد في أنفاس الرياح ما كان يجده فيها من طيب ونداوة :

فَمَا أُسْتَسِيغُ الْمَاءَ يَهْرُدُ ضَاعِيًّا  
وَلَا أُسْتَلِيبُ الظَّلَّ يَهْرُدُ ضَاعِيًّا (٢)

وَأَنْشَقُّ أَنْفَاسَ الرِّيحِ تَعَلُّلًا  
فَأَعْدَمُ فِيهَا طَيِّبَ ذَاتِ التَّنَشُّقِ (٣)

وقد يشتد عليه الدرب ، وتتراكم عليه الهموم ، فيتلق ويبأس ، وتضيق به الأرض على سمعتها ، وتظلم الدنيا في عينه ، فلا يعود يرى سوى الظلام بلب الكون ويغمره بالسواد :

فَهَا أَنَا بِنِي لَلَّ مَمْهَدٍ رَاحَةٍ  
أَعْلَبُ طَرْفِي لَا أَرُو غَيْرَ لَيْلِيَّةٍ  
تَضَاعَتْ أَحْبَابِي بِهِ وَهَبَّتْ  
وَقَدْ غَطَّتْ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ نِقَابٌ  
نَادِي وَقَدْ ظَلَمَ الصَّبَاحُ حَسَابَةً  
يَسُدُّ «نَادِيَّ» عَلَيَّ كَسْرَابٌ

فَأُظْلَمُ تَرَوُّنَ الشَّمْسِ وَهِيَ مُنِيرَةٌ  
وَمَا تَمْتَلِكُ اللَّهُ وَهِيَ رِحَابٌ (٤)

وَأَلْقَى بِيَأْسَ السَّبِيِّ بِسُودٍ وَهَشَّةٍ  
فَأَسْبَغْنِي أَمْسِي عَلَى حِينِ أَصْبَحُ  
وَأَسْتَقْبَلُ الدُّنْيَا بِذِكْرِ حَمْسِدٍ  
فَيَقْبُحُ فِي عَيْنِي مَا كَانَ يَطْلُحُ (٥)

- الأرقام :

(١) الديوان : ٥٢

(٢) نفسه : ٢٠٠

(٣) نفسه : ٢٢٦

(٤) نفسه : ٢١٨ - ٢٢٠

(٥) نفسه : ٢٦٢

وهي أهيات تنم عن طرافة وبهاشة ، واحساس صادق ، كما تفسح عما في أعماق الشاعر من قلق ورهبة من شبح الموت الذي تنهطف أصعابه وأغلى ساحته من أتاهه وخلاجه ، وقد يصور حاله الشعورية مستوعبا بطبيعته العبية ، فيذكر الفرس الأدهم والفرس الأشهب بسبب مستصيرا لوتيهما وعركتهما لتصوير نظرتة السوداء ، ود معه المتناشر حزنا على فقدته ابن أخته

ففي ناظري للبل من بلد أنهم وفي وجنتي للدمع أشهب يجمخ (١)

ولكن هذا الموقف المعتم من الطبيعة لم يصرف الشاعر عن الطبيعة بنظرها مرهبا ومعالجاتها المتنوعة ، فقد اتقا عليها في تصوير حاله النفسية ، فشبهه بتاءه على اصحابه وقلائه الذين تغلبهم الموت من حوله ، بسع الغمام ، كما شبه لوعته وعرقته على فراتهم ، وتلقه واضطرابه بسددهم ، بشهاب تضربه ربح الشمال ، فتزيد توهجا وعريقا :

الأعرس الاشران في ساحة البلى وما رفعا غير التبور قبائبا

فدمع كما سح الغمام ولوعته كما ضربت ربح الشمال شهابيا (٢)

كما فتت إعداءه في رثاء الوزير أبي محمد عبد الله بن ربيعة بمطلع يستقي تشبيهاته واستعاراته من طبيعته المحيطة به ، حية ومماتة ، فيذكر الروضة ، وجدول الماء والخضن الندي ، والحنا ، والأنواء ، والأنوار ، مستعينا بها على تصوير الجو العزيب عن الذي أعقب موت صديقه الوزير فيقول :

في كل ناي مند روث ثناء وبكل حمد فيك جدول

ولكل شاعر هزة الخضن الندي تحت الهكاء ورثة المكاء

يا مالح الأنوار إن بحلقتي أسفا طيت لمالح الأنواء (٣)

\* عرس : نزل وأقام .

(١) الديوان : ٢٦٧

(٢) نفسه : ١٧٧

(٣) نفسه : ١٧٨

وقد يهتج على الالهية حزنه وألمه ، فيسورها نائجا مفاكية ، يطررها القلق ، ويسودها  
الاضطراب ، وتشرها ظلال العزن والاسن فيقول :

فكدم للعييا من أدمج فيك شـررةً      وللزعد من جناب عليه مشتقى  
وللمهرن من قلب به متطير لـ      وللنجم من طرف عليه مورق (١)

والشاعر يفتن في تسوير منزل الضحية ، وفداحة الخطيب ، مستندا من الالهية بما يعنيه  
على ذلك من عناصر وألوان ، فصباح يوم الخطيب أريد معتم لأنه يجرد وراءه ذيول الظلام  
ويومه مشطرب قلبي لأنه بحر تلاطمت أمواجه ، قد حزن القوم فيه فبكوا وناعوا كأنهم السمائم  
الزرف ؛ إنه ليوم عظيم مروع ، ذلك اليوم الذي تذوي فيه روحه الحلما ، وتسقط فيه  
الأم البر من علياء العزالي ظلمة القبر ، تلك الأم هي أهديقه القاضي ابن أمية بن  
عسام ، وذلك اليوم هو يوم وفاتها :

أهول به من يهززه فـادج      سحب الصباغ له ذيول عـداء  
ملاطم الأعماء تعسب أنـه      بحر طين ملاطم الأرجاء  
جمع الوجدان الى العويل فماترى      في القوم غير حيامة ورقـاء  
من ماسع عن وجنة مسـورة      أو رافع من زفرة مـداء  
وكأنما يستي بما يهدى شـرر      ما قد ذوى من رحة العلياء (٢)

وصورة البهر المتلاطم ، والنمام المطر ، والسمام الناع ، صور يرددها الشاعر في  
مصرغ تسوير حزنه والاعراب عن الآمه وأشدياته ، فهو يمثل لهاله العزينة ، ونفسيته القلعة  
الواجفة ، ودعوه المتناثر بالبحر الهائج المائج قائلا :

وقد يشار بحر بين جبهتي ماسج      له زمرأ في رة نقي ومـسـاء ( )  
وانه اشتدت عليه وألمة المهج ، واستهدت به الأعزان ، وللال عليه الليل ، نـا وكى

(١) الديوان : ٢٢٧  
(٢) نفس المصدر : ٢٧٣  
(٣) نفسه : ٢١٨

رتع ، ثم يوجل في تصير محتاتته ، فيخال الهم والدمع والدمع أبحرا ملاطمة ، ويخال  
نفسه شرقا بها ، مستسلما لقرتها ، فغمره بأواجبها العاتية حينها ، وتندفد به بعدان سرا حينها

ترتد بي إذا أعولت عرنا حمامة  
غريقا ببحر الدمع والهمم والدمع  
أحس أنفاس الشمال حقيبتة  
تبتن ولجورا أمة تترنح  
ولو كان بحرنا واحدا كنت أسبع  
تنوء بها من ما جفني فترنح (١)

ولكي يروض عبق حزنه ، وشدة كربه ، واضلرام لوعته وأشواته ، بلجا إلى التليبية  
السبية ، إلى الحمامة الناضحة الباكية على هديلها الشمال ، فيوازن حاله بحالها ، وواقمسه  
برواتحها ، فيرون أنها ليست أعف منه حزنا ، ولا أشد لوعة وأحر اشواقا فيقول :

فما بنت أيت بالأرا حمر ننة  
وتتعب عهد اقد القضي يرامنة  
بأحس أشاء وأنتي وحشيتة  
تنادي هديد قد أعلت نائبا  
ووكرا باكتاب المشقر خالبا  
وأضرم أنفاسا وأندك ما غيبا (٢)

وتد يستلهم في ذلك تظاهر في المنام العابر ، والبرق الخافق ، فيبرز عن طريق  
موازنة حاله الشغورية بهما وشدة حزنه ، وعن أساء وألمه ، وقلقه ومخاوفه وشواجه كفا في  
قوله :

فما ابر شمال بات يهفو كما  
سرى بين دقاع من الودني منبوق  
بأندى ذلولا من جفوني مؤهنا  
به خلف أستار الدمع من أولس  
يسخ ولطاع من الهرق مخرق  
وأهق جناحا من ضلوعي وأخفق (٣)

وهو يدعول قبر من يعجب بالسقيا ، كما يهدي اليه تحبته وسلامه ، وقالها ما بك  
رسوله في ذلك عارض المنام المبرق المتدفق (٤) ، الذي يروي القهر بقاءه ، ويكسوه عشا

(١) الدنوان : ٢٦٨ \* - رامة : اسم موضع ، المشقر : اسم حصن أو جبل  
(٢) نفسية : ١٩٩ - ٢٠٠ -  
(٣) نفسه : ٢٢٢  
(٤) نفسه : ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٦٨ - ٢٦٩

مرا ، وهو مذاهب قديم في قصيدة الرثاء العربية ، إلا أنه يتفق ونداء الشاعر الفني  
اصلنا عناصر الطبيعة ، واتكافه الواضح على عناصرها في بناء صوره ولا عراب على سن  
صانعه :

كما يست صديقه القاضي أبا أمية بن عمام على الصبر ، ويذكره بالدعاء : به يمثل قوله :

وأغز لها باب السماء بد عـ	تستملز الخضرأ للفـ
حق تجود بكل عارض رختـ	يستضرك الأ نور للأ نـ
زجل الرعود كأنما سحت بهـ	كف الصبا عن ناعشـ
فبظلمها من تربة قد قدست	نثر النسيم قلائد الأ نـ
وسرى بين غده قمر الدجـ	ويذيل فصل صغيرة الجـ

وهو توجيه يبد وفيه استناد الشاعر الواضح الى عناصر الطبيعة ، ومعطياتها الشعرية ،  
كما يفتن ، الى جانب الامثلة السابق ذكرها ، على مكان الطبيعة الركين من نفس ابن  
الطبيعة وسه ، ويذكرتها القوية به ، وسيلتها على فكره وخياله ، مما يجعلها تقتسم بمعطياتها  
المتعددة عالمه الشعوري ، طونة صورته بالونها ومعطية بلون احساسه وانفصاله  
فرضا وهزنا ، وقلقا واضطرابا ، وهي ظاهرة لا ينصح عنها عرض المدح والرثاء فحسب  
بل تندفع عنها كافة أغراضه الشعرية ، على تفاوت فيما بينها من ذلك .

اللبيمة وصف الممارت :

لقد اسلم ابن خلفا بتسط في تصوير الممارت الطامعة التي شهدها عصره ، خاصة  
منها ، تلك التي عاضها أمراء وقواد الدولة المرابطة التي أحبها وأصبح من دعواتها  
المدافع عنها ، والمخلد بين لآثرها ، ومفاخرها وانتصاراتها ، فقد تعرض في قصيدة  
المدح لما كان يتصف به مدد وسه من شجاعة وقوة وتقدم على خوض غمار الممارت وصبر على مكابحتها  
ومكابدة لمشاقها وأصوالها ، وقدرة على الهماق الهزيمة بالمدد والمتربس بها ، مهاكاً  
عدته وعتاده ، كما قصد الممركة بالوصف لذاتها ، في قصيدتين ، إحداهما في وصف الممركة

(١) الديوان : ٢٧٤ - ٢٧٥

أخيه القائد أبو عبد الله بن الحجاج في نواحي قرطبة ، والثانية في وصف ملبسات وكيفية  
 استعمال بلنسية من أيدياً النصارى في سنة (٤٩٥ هـ) . وهو في ذلك يستلهم أشار  
 من سبقه من شعراء العربية ، ويفيد من طرائقهم الفنية ، ولكن الذي يجدر ملاحظته  
 في هذا المجال ، هو اصطلاح الشاعر لمصطلحات الطبيعة وعناصرها الحية والجمادات في وصفه  
 وتصويره ، فهو إذا وصف خروى مدد وجهه إلى العرب بجمشه وسلاحه ، تداعى صور العناصر  
 الطبيعية في مخيلته ، وأسهمت بأشكالها وألوانها في تلحين صورته وتجميلها إلى حد قد  
 يصح فيه أقرب إلى جوار الطبيعة منها إلى الجووال الحربي وما يتطلبه من صلابة وعشونة ، وشدة  
 بأس : يقول :

سرى بين نوار الزرى أسنته  
 فهزّت إليه علفها نل رأته

هداب وأوراق لراياته غشيت  
 تهرّ عنه الفصن في الورق النضير (١)

وإذا وصف المحترق يادرت إلى ذهنه صور الطبيعة يستخد مها فيما دو بصدده من تصوير  
 الرياح فيتمسره شعرا تيمر ، ويريق السيوف والأسنما جارا ، كما يوهي إليه منظر الجيهر الزاحف  
 بسيوفه المشرعة وأسنته اللامعة بصورة العارنى المظفر المهرى ، ولكنه لا يحدار الماء وانسكا  
 السيلوة والشدة والبأس ، وهي ظاهرة كونية أفاد الشاعر منها في رسم صورته ، يقول :

قد ما تر في أريائه شجر القنكا  
 ما الأظجم منه عارض سلوة

وجرى به ماء الحديد فساعا  
 ورق الحديد ليجانيه فلا سكا (٢)

كما يفتتح وصفه لسال بلنسية بعد استرجاعها بقوله :

الآن سح غمام النصر فانهكلا  
 ويرف معتبرا اشر ، فيه تلح عناصر الطبيعة ، ويتكى عليها في تشبيهاته الكثيرة فيقول :

والشهب شهب والصباجة سدفة  
 والبرق روض فيه من خمر صانته

وقام صفو عمود الدين فاعتدلا (٣)  
 والشجر جحر والقنم دعبان  
 زهر ومن سمر القنم اغنسان (٤)

فالشهب والسدفة والروض والزهر ، والجمر والدخان ، والأغصان ، عناصر الطبيعة اعتمدها

- (١) الديوان : ٢٦
  - (٢) نفسه : ٢٥١
  - (٣) نفسه : ٢٠٨
  - (٤) نفسه : ٢٤٤
- \* - الصفو : الميل



الشاعر ، وأفاد منها في عرضه وتصويره مشهد العجزة بكيفية تغلب في جوال الهبة على  
بيد العرب ، وهو بفعله هذا يرغمي ميله ، ويشيح نزعتة الفنية في الاعتماد على الطبيعة  
وتوايها في بناء صوره وصياغة معانيه ، ويرحمي إليه مشهد جيش المد والضمزم أمام قسوة  
الرايحين وسيرفهم بصورة البهيم الذن تلتهم النار القهاط ، فيشبه جيش المد والبهيم  
وسير البهيم الذي يلاحمه بالهيب الذن يلتهم ذات البهيم وحرقته قافلا :

وئس يئس العدا إلا تشيخيم  
وسل برأ السيرف سون لهيب ( ١ )

وهو مشهد يوسي إليه بالذخير من الصور الدلبيعية ، العمبة والصامته ، يحرف الشاعر  
كهنيتهم بها في وصفه ، يستصيرها صفاتها ، ويشبه بها ، موضعها قوة مدوحه وسطوتسه  
وذلة المد و صفاره :

وأشارته غمًا من الفئث واكسًا  
بناهرة نيل من النيل بهم ماع

.....  
عيا ب غمّم قد طس يتد قس  
فأجفل إجمال النمامة بجمز  
فأقلع إقلاع النمامة تشم ( ٢ )  
وا ربّ جيش للعدو كأنسه  
عرشت له والليث ذن جرأة  
ولفته رين للمهابة بمان

فالليث الواث ، والويث الهموع ، والبحر الطامي ، والليث البوري والنمامة الخائفة  
والريح ، والنمامة ، عناصر دلبيعية ، اتكأ عليها الشاعر في تصويره ، واعتمدها في وصفه  
واستوعبها صفاتها ولا لاتها في التعبير عما هو يصدده من الموازنة بين شجاعة مدوحه  
وقوة جيشه ، وكثرة المد وسرعة تشتت شطه وانهمزاه .

ثم يشيد بشجاعة مدوحه وإقدامه وسرعة تجديته ، مخوفًا ابن رن مير عدوه ومنكأ را  
وناصعًا إياه بالفرار ، وبألا يتحرفن لسد وتمد وبعه وإلا ناله منه كل مكروه ، والشاعر فسي

( ١ ) الديوان : ٩٣

( ٢ ) نفسه : ٨٨

إبرازة لهذه النحائي ، وتجسيد هذه الصفات والمواقف ، يلجأ إلى التلميح باستمرار  
صتلكي عليها اتقا ، وانحما في استماراته وتصويره ، يقول :

أَتَى الشَّرْقَ بِفَوْجِنَاغِ الشُّرَى	به وتهبَّ رياحُ القَبَلِ
وَأَلْمَعَ فِي شَمْسٍ تَأْتِيهِ دَهْنٌ*	وَأَقْشَاعُ عَارِضٍ هَمِّهِ أَلْمَلُ
فَقَتَلَ لَابِنَ رَنْدَمِيرٍ* مَهْمَا تَشِيْرُ*	يَقُومُ صَفَاتُ الْأَمِيرِ الْأَهْلُ
يَهْرَقُ مِنْهُ سَنَا شَمْلًا سَهْلًا*	هَذَاكَ وَفَرَقْنَا طُورًا وَشَمْلًا*
فَقِيلَ عَنْ طَرِيقِ شَهَابٍ سَرَى	فَأَهْوَى وَوَادِي أَيْتِي* هَمَّ سَلُ
وَعَدُّ رَغْبَةً عَنْ عِبَابِ طَمَسَى	وَلَنْدُ رَهْمَةً بِصَيَاصِي جَهْلُ (١)

والومف ، كما هو ملاحظ ، يعتمد التلميح أساسا تستمد من الاستعارة ، وهو  
اعتماد أضنى على الومف بها ، وثوة ، فجناح السرى ، ودان العجل ، وعارض الهم  
المتشع ، وسنا الشعلة ، ، ، ، ، وفجراق الرشل ، والشهاب الساري ، والأتي  
السامف ، والشباب الدلامي ، استمارات توهي بالقوة ، استعدادها الشاعر من التلميح  
وأبرز من خلالها توتوش جماعة ونجدة مدوحه ابراهيم بن يوسف . ومن أغراضه الشعرية التي أفاد  
فيها من عناصر التلميح باب المتاب ، فهو يخاطب صديقه الوزير أبا محمد بن عامر ، معاتباً  
إياه لتأخره عن زيارته ، في أسلوب ليليف يندى بنظير النخامة ، ويفن براحة السور  
قائلاً :

أَنْسَأْتُ مَا أَنْشَأْتَهُ مِنْ عَيْبَةٍ	فَأَقَامَ تَسْتِ غَمَامَةً لَمْ تَهْمَلِي سِرِّي
وَلَوْ التَّقْنَعَاتُ بِصَيْفِي سَاعَةً	لَسَقْتَهُ بَيْنَ مَلَامَةٍ وَتَشْكُورِي
تَهَيَّبِي بِمَاءِ الزُّورِ فِي أُرْدَانِيهِ*	وَيْلًا وَتَعْدِيْبُ سَمْعِهِ بِالْبُؤْسِ سِرِّي
وَعَدَّهُ لَوْلَا بَرُّ وَعَدُّ شَمْتِي سِرِّي	فِي عَارِضٍ مِنْ بَيْرِهِ مَسْتَنْطِي سِرِّي

\* - ن . ن . : أصحاب . شز ، شزازة : بيسر ، بيسا شديدا  
الصفا : الممل والأعوجاج . الرشل : الماء الكثير  
( من الأضداد ) . الأتي : السيل . الصياصي :  
العاصون . أنسأت : أخرت .  
الأردان ، جمع ردن : أصل الكمي

(١) الديوان : ١٠٤

لنصف كتاب أسطر الكتاب كتاباً  
 كما يمتد صديقه الفتح بن خاقان ولجوه على نبله منه في كتاب القائد ، وكشفه  
 لأمر لان يدور على سترها وموارزتها لحنافاتها وأتى سمياته الجديد ، وتعارضها مع نهجه  
 السلوكي في ظل اندولة الجديدة ؛ فلم لم يكتف هذا الصديق بذكر محاسن صديقه وعند  
 فضائله ، والشا عليه دون التدرين به ، وهتك عرضه بكشف أسواره ٢ . ذلك ما يأخذ  
 الشاعر على صديقه فيحاطه عتابا بفيض رقة وعند هبة قائله :

بإذنا ثبات عن الشا ونشيره  
 أرباباً كما عثر التسميم بروضه  
 بزاد على الرسم الجميل جميلاً  
 لذنا كما نضج الغمام مقيلاً (٢)

ويصور نفسية هذا الصديق الذي يهش عند اللقاء ، ويغتاب في الخفا معتمد على  
 اللبيمة قائله :

لأن الخير أبقى الخير في ود صاحب  
 يهش من اللقب التي كأنطها  
 منير على عرش الصديق مقامير  
 أخل بربح للبشاشة عامر  
 وبجانت بصوب للضميمة هامر (٣)

وهذا الاتكاء على اللبيمة بمصطلحاتها الكثيرة ، والاعتداد عليها في مجال التشبيه  
 والاستعارات يلزم الشاعر في فن آخر من فنون القزل ، هو وصف القوائد الشعرية ، وهو  
 فن معروف لدرجة الشعراء من قبله وتفن شعراء الأندلس (٤) في القرنين الرابع والخامس  
 في نظم المقارعات فيه ، مشبهين شعرهم أو شعر غيرهم مبنى ومعنى بوشى الرباض ونور  
 والغمام والصيل والمسك والسطر ، وأنواع الأجرار الثريمة ، وبالبرود الموشاة وغير ذلك  
 وهم في ذابسون الشعراء في الكثير من المصاني والسور التي سطرقتها أو بصورها ، ولكن

(١) الديوان : ٥٠  
 (٢) نفسه : ٢٠٥  
 (٣) نفسه : ٢٠٦  
 (٤) التشبيهات لابن القاني : ١١١ - ١١٧

يقته الخاصة ، وقد وقع الخائن ، فمن ذلك قوله في ختام قصيدة مدح :

فألج لروايتيها صبراً حاناً صبراً  
يستضحيت الأتوار للثنا حوار ( ١ )

وفي قصيدته أخرى قوله :

تعدك أرفاقاً الرواة فتتمسكن  
تنفك في صدر الندى فتتمسك ( ٢ )  
تندد هاكنا حقيقت بها الهند مسكة  
وخمرة شهيات تملئ نفسي

وقوله :

فيا دوعة الملبأ حيثك رؤسة  
لها من صقيل النور ثغر مفلج ( ٣ )  
عليها رداة للربيع منسك

فقصيدته رؤسة عذبة ، مفتحة الزمير ، مخضرة الجنات ، عامرة بالنبأ ، وممدوحه

دوعة علياء وما قاله في وصفها شعر غديره :

فعبدا نأفة تنسأ بباردة  
وزهرة غرة تفتت عطره  
في طلقى زهوة للقبيل مشرقية ( ٤ )  
من منهل طافح الأذي سلسال  
من روضة لذنة الأنفاس منسبال  
وفتحن عارض لللمح هائل

وقوله :

وصحيفة همز البدع صفحمة  
وردت تذكري العديتة نفحة  
نقر البدان بمماليحها دهممة  
منها وثقف بالسكور رما حكا  
وتهزني همز القنصيب مرا حكا  
جرت الساميسن فوقها أوضاعا

( ١ ) الديوان : ٢٩

( ٢ ) نفسه : ١٨٧

( ٣ ) نفسه : ٢٠٢

( ٤ ) نفسه : ٢٥٦

فَلَا نَ رَوْحًا بَات يَفْتَقُ نَوْرَهُ      فِيهَا وَلَمَّا أَوْسًا تَدُبُّ جَنَاهَا (١)

وهذه الأوصاف وغيرها ، وإن كانت تعتمد التشبيهات الحسية أحيانا ، إلا أنها لا تدل على أن إسماعيل الشاعر بذلك يمدح مدانه كان قريبا ، وأن همه لها كان مبدعا ، وهو ما جعلها تستر على حسه وشعره وتهمين بظواهرها ومعطياتها على فكره وصفيلته ، تلبيح معانيه بالابحار ، وتلون صورته بأغليته بألوانها الزاهية ، وأشدالها المتنوعة ، وتلفس على شعره بأفراشه المتعددة في يسر وعفوية ظاهرة .

يو اللبحة والنمر :

لقد هتف ابن خفاجة بالنمر في مجالرأنسه التي كان يقيمها في أعضان اللبحة حيث الروان الفواح والغصن السواد ، والفي الندي ، والظير الساج ، والجدول الرقراق كما هتف بها في جو النور والخيوم والظيم والطيح والممر (٢) ولكن قيمتها ، كما أشرنا من قبل - تكمل محددة إذا ما ووزنت بقيمة اللبحة عنده ، ومكانتها من نفسه ، فقوله " كان صوت اللبحة مدنيا لا يقار إلى صوت النمر ، لأن حب ابن خفاجة <sup>لللبحة</sup> لا يعدله حب ، وأثره بها لا يقار إليه طرب " (٣) بل إن أوصافه في النمر ، كما سنرى بعد قليل تعتمد في تشبيهاتها واستعاراتها على ما في اللبحة من عناصر ألوان وأشكال ، وإن كان عموما ، لا نجد فيها ما يستأثر بزاد على ما أورد في شعرها وأوصافها الصبرون في وصفها وعلى رأسهم أبو نواس ، الذي أختص بها ووجهها عيانه وقته .

إن وصف ابن خفاجة لشعره وصف مادي ، لا يتجاوز المتأثر الحسي للوصف في شئله ولونه ، إلى معانيه وأسواره إلا نادرا ، فالتأثر الزباجية ، وقد صبت فيها النمر السراء أو السفراء ، فمادها البهاغي ، تروق الشاعر بمنظرها ، فيندفع إلى تصويرها مستعملا

(١) الديوان : ٢٨٨ ، أنظر أيضا : ٧٩ ، ٩٩

(٢) شعر اللبحة في الأدب العربي : ٢٨١

(٣) نفسه : ٢٧٩

بما حوله في رحاب اللبحة الفسيحة من عناصر وألوان ، فهو يشبه الناس بالناس في  
الرقية والبقاء ، والناس باللمحيب في الاستمرار ، وهباب صفون النهر الذي جعله على  
نصفه مستتما بالزهر ، وارتفاعه والكثيب ، فيقول :

وجاءَ بها حمراءً أَمَا زِيَابُهَا \_\_\_\_\_  
فَمَا وَأَمَّا طَلْوُهُ فَلَيْسَ بِسَب \_\_\_\_\_  
على لَبِيَّةٍ تَرْتَجُّ أَمَا عَابُهَا \_\_\_\_\_  
فَنَوَّرَ وَأَمَا مَوْجُهَا فَكَيْتَمُهَا (١)

وقد تذهب به النشوة بعيدا ، فلا يعود يفكر في غمرتها بين سور الأشياء ، فهي  
تتقارب في مشيخته ، وتتماثل إلى حد لا يرى فيه الشاعر حرجا في نحت بعضها بصفات  
بعضها الآخر ، والممكن ، فتضفي الدوحة الخورة كأسا مزودة ، وتصير الناس المزودة  
دوحة مزودة :

وعلى الأتداح والأنداح \_\_\_\_\_  
فَتَأَنَّ الدَّوْحَ كَأَنَّ أُنْسَ الدَّوْحِ \_\_\_\_\_  
حَبَبٍ نَثْرًا وَنَوَّرَ جَوْهَتَهُ \_\_\_\_\_  
وَكَأَنَّ الكَأْسَ دَوْحَ بَرْهِيْمٍ (٢)

والخمرة في حمرتها من بقها تذكره بالكوكب المضي ، فيشبهها به قائلا :

وقاصت بأجبتد من كأسها \_\_\_\_\_  
فبها تات بحمراء وقاصات \_\_\_\_\_  
لَأَوْقَسَ مِنْ دَيْهَا أَحَدَ بَسَا \_\_\_\_\_  
تَلَهَّبُ فِي كَأْسِهَا كَوَكْبَتَا (٣)

وبه صور الخمر حال امتزاجها بالماء تصورا فيه ود ، ووقام ، وأشعاع ونسبها ، وفلسح  
لما في أعلاه من أساسها مادية دقيقة فيقول :

وقد قَبِلَ الماءُ كَأْسَ الشُّدَامِ \_\_\_\_\_  
وَشَبَّ النِّزَاجَ بِهَا بِمَنْزَرَةٍ \_\_\_\_\_  
فَأَنْجَمَتْ شَفْرًا لِمِ الشَّنْبَتَا \_\_\_\_\_  
تَكَادُ بِهَا الكَأْسُ أَنْ تَلْمَ بِهَا \_\_\_\_\_

(١) الديوان : ٨٣

(٢) نفسه : ١٣٥

(٣) نفسه : ٢١٣

\* - الأوقس و تصير العنق .

مروسا ترى عذها أحمر  
الخبرني حمرةها ورقها تحكي عنده النار ، نكأنها نار مستمرة بصطن بها إشارتها ؛

لله ندمان صدق بات مصطنها  
نار من القدح الملاآن ، تحصر (٦)  
واجتماع لوني السراد والحمرة في شخص المناخي يوحي الى الشاعر ببعض اليرقان المتألمة  
من حمرة متقدرة يصلح بها الأسود المحدود ، وهي شرارة تلهم بين فحمة أطرافه  
من مذموب في لباس حداد ، وكوكب ضفي في تطوع من الليل المظلم :

وهجرة تغرم عن جنة  
يصلني بها أسود .. ذوديت

واعتقلت فحما أطرافه  
فيها ناهيها من كوكبه  
تأته والنأمر في كفيته  
شراقة من كاسيه ناهيها  
ثوب حداد كنه ما فاسب  
تقطع من الليل به كوكب (٦)

كما تذكره النورس نارغة ومثلثة ، في ألوانها ان يربطها بالبهمة الحية ، هذا فراس الشجر  
راس الشجر في نبيته ، بالوانها ويركتها كرا وقرأ ، في رسم المشهد الحي احباب  
من الاحباب والخلان ، على حفرة نهر جزيرة الفاتنة ، فبصف ذلك قال :

مازان بين مطرف الخليج جنة  
وكرك من ناس المدامة اشتكر  
فيه يطلع للشلافة كوكب  
بجرب يصد للرجا جفا شمس (٤)

والنأمر في رقة زجاجها وصفاته ، وصفرة لونها ترحي الى الشاعر بشي جميل في طيبته  
قصة ، و زهرة النرجس فوذهمتها بها قال :

- (١) الديوان : ٢٤٨
- (٢) نفسه : ٣٧٤
- (٣) نفسه : ٣٧٥
- (٤) نفسه : ٢٨٢

لأن بها أسودٌ محددٌ وديبٌ  
فخلت من سبي رهوة  
بالمرب من لهو به من لسة  
قد أنتت من ذريرجسة (١)

كما توحي إليه في ذلك ، بهذه الصورة الطبيعية المنتزعة من بيئته الطافية ، إنها  
صورة " شمر الغروب " وقد انعكست أشعتها الذهبية الهادئة على صفحة الماء السافية  
برقاقة :

شدت كما بالمشة البرقة سرارة  
صفراء في بياض تعسب أنها  
مفترة عن لؤلؤ الأندلس  
شمر المشية في ترار الماء (٢)

والشاعر ، في هذه الأوصاف السنية ، يلتقي ومن سبقه من شعراء العربية في كثير  
من الصور ، وهو التقاء يمكن أن يكون أثرا من آثار مالمعاته في ديوان الشاعر المصري  
كما يمكن أن يكون ، في بعض جوانبه ، نتاجا لظاهرة الحسية التي طبعت شعرا المصري  
بلاصها في عصوره المختلفة ، ولكن ما يمكن ملاحظته بهذا العدد ، هو أن القصور  
ليست إلا جزءا من كل ، ومعنى " من معاني الطرب المتعددة في الحقيقة (٣) ، وأنها  
ليست سوى وسيلة من وسائل المتعة ، لا غاية تالمب لذاتها ، وتصرف الشاعر عن التفتني  
بالطبيعة التي أحبها ، وتعلق بها ، إلى التفتني بها على نحو ما نجد عند أبي نواس  
مثلا ، فاللبيمة عند ابن جفاجة هي الغاية ، والمتعة بها في مفانها ومجالها  
الرائحة هي الهدف ، وما الغمر إلا خادم لها ، تصطبغ في أوصافها بصفتها ، وتلصق  
بالوان عناصرها المتنوعة :

---

(١) الديوان : ٢١٠ \* - السبع : الديوان  
(٢) نفسية : ٢٥٠  
(٣) شمر اللبيمة في الادب المصري : ٢٨٠



الطبيعة والغزل :

يأتي موضوع الغزل في ديوان ابن سفيانة في مقالبوعات وقصائد خاصة به حيناً ، وضمن  
 بصرعات أثار . كالمساسة والسدين ، والربا ، «مينا آخر» وهو في نفسه يسلك طرائق  
 ن سبته ، فقد «ماكي الشريف الرضي ومهيار الديلمي في الغزل الرقيق العفيف ، والالتفاف  
 لن نبيد والعباز ، واستيحاً» نفحاتها والحنين إليها ، وسائر عبد المحسن الصوري  
 في تصوير عشق المحبوب ، والتلف على لقاءه ، والاسراف في التودد إليه . . . وعرف في بعض  
 غزله على الطريقة السني من لغز الغزل بالمساسة \* ( ١ ) ، وهو في نفسه لا يعد وأن يكون  
 قلداً ، ولكنه صدف في كثير من شعره الغزلي عن نفسه ، وأعرّب فيه بالبريق وجدانية ، عن موتف  
 انساني ذاتي ، كان وليد تجربة شعورية واضحة \* ( ١ ) . وغزله يتسم في مجمله ببعض الخصائص  
 نوحها في ما يلي :

\* انه غزل عام لم يبرز فيه شخصية غزلية واضحة ، فقد هاشرا ابن سفيانة ضرورة ، لم يحسرف  
 عنه أنه تزوج كزول عمره ، كمال يحسرف عنه أنه كان مفرطاً بواحدة من بنات عصره ، ولم تتملكه  
 امرأة من نساء بيته الجميلات ، على نحو ما تطلكت \* ولادة ابن زيدون \* ( ٢ ) ونوبسرة  
 ابن السداد \* ( ٣ ) ، يقر غزله عليها ويتغنى بصفاتهما ومحاسنها دون غيرها ، فقلد  
 ان مولما بالجمال بلمحه ، يهتزل للحسن صميم بهومشقه أنى كان :

إني وإن كنت هنيئاً جليداً  
 فإتني والعنان من شيمري  
 لمرأ مني وتارة غزلاً  
 أهتر للشمس لومة غصناً  
 أبي الدنيا وأعشى الحسنات  
 أهدى الدنيا وأندب الدنيا ( ٤ )

( ١ ) ابن سفيانة : ٧٥ - ٧٦

( ٢ ) نفسه : ٧٥

( ٣ ) تاريخ الأراب الاندلسي . اللواتف والبراهيلين : ١٦٠

( ٤ ) الديوان : ( ١٢١ - ١٢٢ )

فهو يتنزل بالساني والسانية ، والسراة والفلام ، يخفل ذكر الاسم معنا ، ومن حيناً آخر ، ولكن تعنتاسم مستعار هو أثرب التي الرمز الشعري منه التي الحقيقة الدالة  
 أسماء معيونات مستعصومات ، لأن يذكر ليلى ، وودعد أومي ، ومية ، وسنى وسليسى  
 مال ، كما نجد في الديوان قصيد موجهة إلى أمة صغيرة له تدعى "عفراء" وفيها  
 بين الشاعر بالتثني من الحماشي النسبة الجنسية ، يتد أن بلغ من العمر عتدي  
 خمسين سنة .

أ انه غزل حسي في مجله ، يمتدح باهرازمحاسن المحبوب ، وتصوير صفاته المادية الخلوصة  
 قلما يلجأ فيه إلى " اظهارنا في النفس من شغبات ، وانعطام مطباتي " <sup>التي هي من شغبات المحبوب</sup>  
 من صد المحبوب ، أو حياي من بحد ، ومجده ، أو بحال من أشواقه وهيامه " (١) .  
 \* انه غزل ورثيخ التجارة ، وفي الاسلوب ، " لم يفتن فيه الشاعر - عموما - إلى التهتك  
 أو السجون ، ولهيزد في الوصف على المتيول المادي من الحديث " (١) ، إلا مرة واحدة  
 في مقلعة واحدة وصف فيها سرها "وصفا حسيا مكشوقا (٢) ، ولكنه صن بأنها ليست من  
 الحقيقة في شيء ، كما لم يفتن أن يذوق بين الحين والحين بصفته ، وأرم نفسه ، وهي عفة  
 قصده الشاعر التوت من التوت في السمية ، أنها السرية عدم مقارفة الزن لا كما ظن  
 " من بيريس " من أن قصده بها الوفاء لا مرة واحدة بعينها (٣) .

\* انه يلتقى في معانيه الفزلية ، وسوره وتشبيحاته ، مع شعراء الصريفة من قبله ، كما  
 أنه قد يفتق مع بعضهم في الاتقاء على الطبيعة في تصوير محاسن المحبوب ، ولكن أسلوب  
 في ذلك يفتق متحيزا ، كثرة وتنوعا ، فقد رأينا في الفصول السابقة من هذا الباب أن الشاعر  
 كثيرا ما يذأ إلى اللبيبة من غدل المرأة ، ويصفها بصفات ، وينمتها بنصرتها ، ولكنه  
 كما يمكن الأمر ، فينظر إلى المرأة من غدل اللبيبة ، ويستمد لها ألوانها ، وعناصره  
 المختلفة في تصوير صفاتها وإبراز محاسنها ، ولكنه يخلو بنا البحث لو تتبعنا هذه الأرة

(١) ابن عفاينة : ٧٥ - ٧٦

(٢) الديوان : ١٥٧

la poesie andalouse ; p.424.

(٣)

المعلومة في شعره ، يخل بمزجياتها وتفرعاتها ، فلا تكاد تخلو مقطوعة أو قصيدة في هذا المجال من سوز ذات علاقة بالليمة ، بيد أننا نرى أنه لا يد من الوتوفيد أبرز تجلياته الظاهرة للتصرف من غلالها إلى أي مدح استلح الشاعر أن يفيد من الليمة في بناء ذلك العرض الشعري المهم في ديوانه .

لقد فتنت المرأة ابن شفاجة بعسنتها ، وأسرت قلبه بجمالها وبهاجتها ، وهي فتنة تدفع ، وهو الشاعر المرءف الحس ، الذواقة لمعاني السحر والجمال ، في كل ما يحيط به من ذواهر وأشياء إلى التصوير ، تصوير محاسن المرأة وإبراز مفاصلها ، وإعلان الطهيمة من تلك الصورة البسيطة التي استرعت انتباهه ، وطكت عليه مشاعره وأحاسيسه ، فالمرأة الشابة الرائجة الحسن ، تذكره في احمرار وجنتيها بالورد ، وفي تثنيها وامتزازها في مشيتها بالبرق الأسلس المياح ، وفي بياض يديها بالسوسانة ، وفي غضاب أرافها بالعنقاب وفي بياضها وحسنها بالياء ، وفي اشراقتها وبهاجتها بالشمر ، كما تذكره في حسن صوتها وروعة ترتيبها ، وبسبح العمائم ولون الثياب وهي سوز متراكمة يوظفها الشاعر كلها في تصوير محاسن المرأة ، وتبسيد جمالها الذي لفت نظره ، وهز قلبه ، وذلك في قوله :

فتى الشباب بوجنتيها وردة  
وقسعت سوالف يديها سوسانة  
بينها فاني الحسن ما فوقها  
ناد متها ليلاً وقد طلعت به  
وترنمت حق سمعت حمامة  
بين النجوم ثلاثة تحت الظلال

في فرع إسحلية تمجد شبابها  
وتوردت أرافها عنقابها  
ولقا بها الدر النفيس عنقابها  
شمساً وقد رقى لشراب سرابها  
حق إذا حسرت زجرت غرابها  
م غمامة غلت الصباغ نوابها (١)

وهنا لب أمته الصغيرة ، عفاً ، مسلماً ، وراجياً أن يراها في حال ترضي احساساته الدية وتشبع رغباته الجنسية ، ويتوصل إلى ذلك بمناصر الطهيمة مثقالاً :

(١) الديوان : ٢٨٠

وأقرى\* غفيرا\* السلاموتل لها  
وهي يتثنى ذلك الغصن نضرة  
ومن لي بذات الغشفا\* من متثنى

ألا هل أرى ذات السهل قمراتنا\*  
بجزعي وهل ألوي معا فقه ضمنا  
فأكله عضا وأشرته لثما (١)

فهو بنعت أمته بالسها لصفرها ، وتمنى لو تصير قمرًا مكتملا ، وغصنا ثنايا ، وشرة  
أنية ، فيلوي عطفها ، وشبح منها لثا وعضا ، وهي رغبات ذات صلة قوية بشخصيته وحياته  
ذاتية .

ويتذكر ليل الومال ، وصف حاله في ظله مستمينا بما يتراءى له في ليله من نجوم  
برق وظلام ، فيقول :

فما أنسه لا أنزلها على الجصى  
وزار به نجم السها قمر الدجسى  
إذا ما عدا في فيه بارق مسم

وقد ران أوعاها ورن جمالا  
فباتا بهال الفرقدين\* وصالا  
أجن دجن فرع فحرت ضلالا (٢)

كما يذكر وشخص المتفزل بها بالهانة في الاهتزاز والتثني ، والاروى في طيب راءمتها  
بسميها بذلك وينادي بها به ، وينشد على طريقة عبد المحسن العموري في رقة خلاصة فيقال :

يا هانة تهتر فينا ننة  
لله أعلافات من خوطة

وروضة تنفج ممطارا  
وحبذا نورث نورا (٣)

وخصوبه أهيف غامر الغمر جديبه ، مكتنز الردف خصيبه ، يحكي الروضة في جمالها  
واشراقة وجهه ، والقضيب في لينة وحسن قده :

وأغد في صدر الندى لهشيه  
من الهيف أمارد فقه فمقمم  
ترق برون المحسن من نور وجهه

حلي وفي صدر القصير نسيب  
خصيب واما حوضه فجد يسب  
وقامته نورة وتضيب (٤)

- ضمير أقرى\* يعود على البرق . السهل : كوكب صغير

جدا . الغشفا : ولد الطيبي أول ما يولد

- الفرقدان : كوكبان نيران

- الاهيف : الضامر البطن والغامرة

(١) الديوان : ٨١

(٢) نفسه : ١٢٤

(٣) نفسه : ١٢٥

(٤) نفسه : ٨٣

ويتعزل في امرأة قد تناسب لون كسائها الاصفر مع لون بشرتها البيضاء ، فازدادت جمالا  
جمالها ، ويريد بينها وبين عناصر الطبيعة لونا وتأثيرا فيقول :

تَنْقَرُ عَنْهَا النَّمْلُ \* الرُّطْبُ وَالْجَمْرُ  
وَحَسُنَ إِلَّا فِي هَوِيٍّ مِثْلِ الصَّبْرِ  
وَبِالْمُنْبَهَا مَا وَظَاهِرَهَا \* (١)

وَبِضَاءٍ فِي سَرَّاءٍ تَمِيلُ نَفْسِي  
خَلَعْتُ رِدَاءَ الصَّبْرِ فِيهَا عِلَاقَةً  
وَلَا غِرْوَانَ تَرَوِي بِهَا عَيْنُ نَائِلِ

وهذا لطلب محبته بمثل قوله :

وَرَقًا صَفَتْ نَوْرَهُ نَسْرًا  
فَنَثَرَتْ مِنْ قَبْلِ حَلِيٍّ ثَمِيرًا (٢)

يَا غُصْنُ حُسْنٍ تَامَ يَنْشُرُ فِرْعَانَ  
مَا كَانَ شَرَكٌ لَوْ هَضُرْتَ لَيْلَةَ

فمحبوبه ، في حسن قده ، وجماله وروعته  
وأما ما يجنيه أو ما يأمل يجنيه من محبوبه من قبل ، فشاربانمة ، دانية تنتثر ، وهذه كلها  
صور بيد و من خلالها اتقاء الشاعر على الطبيعة واعتمادها أساسا في التشبيه والتصوير .

وهو يعد ثنا عن إحدى منامراته ، ويصف لنا الجو الذي زار فيه حبيبته ، كما يصفها  
هي نفسها ، مستعينا بصورة كل من الهلال والقمر ، والروض ، والقضيب المثمر ، فهي  
تصوير محاسن هاته المعبوبة ، وتجسيد نواحي الجمال والفتنة فيها فيقول :

فَكَأَنَّمَا رَوَعَتْ فِيهَا جُودًا رَا \*  
أَزْهَرًا وَأَدْرَتْ لِرَفَا أَحْوَرًا \*  
وَلرَّيْمًا اعْتَرَضَ الْحَيَاءُ فَمَضْمَرًا  
وَلرَّيْمًا . انْعَدَدَ النِّقَابُ فَأَقْمَرًا  
وَقَضَيْتُ بَارِئًا فِي وِشَاحِكَ مُشِيرًا (٣)

لَمْ أَتَدْرِ لَيْلَةَ رَعَتْ سَرِيكَ زَائِرًا  
فَأَقَمْتُ عِلَاقًا أَزْرًا وَجَلَوْتُ وَجْهًا  
وَرَقًا \* رِدَائِي مِنْ شِبَاهَتِ أَسْبَغِ  
وَهَذَا هَلَالٌ فِي نِقَابِكَ طَالِئِ  
فَجَنَيْتُ رَوْضًا فِي قَنَاعِكَ زَاهِرًا

\* - المنديل : من المطور

- الجودر : ولد البقرة الوحشية . الحور : شدة

بها العين في شدة سوادها

- ضفا : أسبح .

(١) الديوان : ٢٢٣

(٢) نفسه : ٢٧٢

(٣) نفسه : ٣٠٠

ونادى به من بهر من ، يرفل في أشوابه الهميلة ، ويورد له زهوا خيلا ، بهتر  
فنى في مشيته ، فهم تزله الشاعر ، وي زاد به لوعة ، ولا يطلع التسهير رسالة ، فيسور  
سنه في إعجاب قافلا :

مربنا رمو بدر تيم	يسحب من ذيلها
قد سال في صفحتيه ماء	يحرك من خجلة شراب
بقامة تنني تضييبا	وغرة تلتظي شهابا
كأنه موجه تهادي	تلمس من وشيه حبابا
فهو صبا رقة وفصا	لينا ونؤارة شبابا ( ١ )

وهو نص يظهر صد استناد الشاعر من الطبيعة في مآثرها وعناصرها المتنوعة  
بناء صورته ، والإعراب عن معانيه بكيفية واعية ، طبعته بطابع جميل ، زاد من رقتة  
بإدخال بها فيه من موسيقا عذبة . وسط وصفه لحظات اللقاء بمن يحب ، وما نال  
في ليل الوصل من محبوبه ، متكئا على الطبيعة في مآثرها المتنوعة ، تشبيها واستمارة  
وله على طريقة أبي العلي المتنبي في خلط الغزل بالعماسة :

أروى اليه ثم أغدو وإنما	أندب عن مجدي إلى ملتي وعبد
التي حيث أجنني الأفعوانة من قمي	شهي وأثني الخيزرانة من قدي
مسن يتشنى خولة فسألته	قطائف طار الوصل أو زهر الوعد
وليل تما أينا المدام وبيننا	هديت كما هدب النسيم على المورن
ونقلي أجاج الثمر أو سورن التلي	ونرجسة الأجان أو وردة الشهد ( ٢ )

وهو نص يعقل أيضا بعناصر الطبيعة ، على اختلافها ، فالأفعوانة ، والخيزرانة  
والدعوية ، والثر والزهر ، والنسيم والورد ، والسورن ، والنرجس ، عناصر طبيعية وطفها  
الشاعر في بناء صورة محبوبه ، وتصوير لحظات الانس به بكل معانيها وظلالها .  
لقد وجد الشاعر في الطبيعة من حوله مبعنا ثرا أسمفه بالكثير من الصور ، ع

( ١ ) الديوان : ٣٢٨  
( ٢ ) نفسه : ٣٤٨

كيف يستعد منها في تصويره لسان محبوبه ، وبارزه لمفاته ؛ فالجوية خيترانة تميثل  
بها رين الشباب ، وهي تعكس في جمال عينها وعنتها عيني الغزالد وعنق الريم ، كما  
أنها تعكس في رقها وسياح شعرها المر والعباب ، وانها في ثوبها المريري اللامع  
تشبه البدر المنير وقد حفت به النجوم الزهر :

ومرقت جيب الليل عنها وإنما	رفعت جناح البدر بيضة الودر
وتبلى ما بين السما إلى الللى	وعانقت ما بين التراقي إلى القوس
والرب سجع اللى من خيترانة	تمل بها رين الشبهة والسكسر
غزالته الأظاظ ريمية الللى	تدائمة الألى عباينة الثنوس
ترنن في موشية ذرهبية	كما أشتك زهر النجوم على البدر
وقد غلقت ليلا علينا يد الهوى	رداء عناي مرنته يد الفجر (١)

فهو بلجا - دائما - إلى الطبيعة ، يستمدها أفاضها ألوانها ، ونسبها ، ويستمد  
بها على رسمه وتصوره صورة محبوبه الذي جنى منه ما جنى ، وسهر منه في غفلة سوادرة  
لم يوتظها منها غير صورة صوت ردا الليل الاسود وهو يمتزج بين يدي الفجر الذي كشف  
عنهما ، وأسبح عليهما من نوره ونسائه ، في مشهد جميل ، قوي ومشغول في أن .

كما أن وجهه من يهيب في مياضه وتورده فجلا ، وارتسام الخيلان بسوادها على صفحته  
يرزى الشاعر وهاهنا بأبيات يصفه فيها قائلا :

غازلته من حبيب وجهه فلقى*	فما عدا أن بدا في وجهه شقى*
وارتج يمشق في أنيال جملته	عش من يحطفيه من استهرق* ورق
تعال غيلانه في نور صفحته	كواكب في شعاع الشمس تحكترق
عبيث والصين ماء والعشا لهب	كيف التقت بهما في سبه الطرُق (٢)

فهو يملك الفلق في نساعة بياض وجهه ، والشفق في احمرار وجهه خجلا ، كما يهك  
في تشبه الفصن الاضمر الندي ؛ وجهه شمس ، وعملانه كواكب تحترق لوجهها وإشعاعها

(١) الديوان : ٢٤ - ٢٥

(٢) نفسه : ١١٥ \* - الفلق : الصبح بضمه ، الشفق : حمرة العشي .

الاستهرق : الدباج الغليظ .

شبهات واستعارات تفصح عن مدى اعتماد الشاعر على الطبيعة ، تكائه عليها فهي  
تلوين صورة .

رجماله الجسدي ، وما يقدمه الهجر في القلب من لوعة وشوق ، هذه التي يقول فيها :

يا رَبِّ لَيْلٍ بِشُّبُهَةٍ	وَكأنه من وَحْبٍ شَتْرِينِ
تَنْهَدُ دَمْعاً مَرْمَرِيًّا	فِيهِ رَسَدٌ نَائِرٌ ذَكَرِي
أَتَمَّتْ فِيهِ وَقْدَ بَكْمِيَّتِ	عَقِيْقَ عَدَدِكَ دَرِّ شَفَرِي
وَشَرَقَتْ فِيهِ بِمَهْمَرَةٍ	قَدْ وَرَدَتْهَا نَارُ هَجْرِي
فَكَأَنَّمَا يَنْفُضُ عَيْنِي	حَبَابَ بَهَارِ مَنْ نَحْرِي
وَلِرَبِّ لَيْلٍ تَدُ صَدْعِي	ظِلَالَهُ بِجَمِيْنِ بَدْرِي
وَلَهْوَتْ فِيهِ بِسُدْرَةٍ	مَكْنُونَةٍ فِي هَيْئِ خِيْدْرِي
تَنْدَى شَتَائِي وَجَنَّتِي	بِهِ وَتَنْفَخُ رِيْحُ نَشْوِي
وَقَدْ اسْتَدَارَ بِصَفْحِي	سَوْسَانٌ بِجَمْدِكَ طَلِي

وتتمب من رجمان ردي

وهو نص يفيض رقة وعذوبة ، ويكاد يبطل ما استمده الشاعر من الطبيعة من تشبيهات  
استعارات ، ونعت به من يحب ، مهرزا محاسنه ، وصجليا مفاثه ، في أسلوب جميل ، وعرض

واين . فطابفة وهو الشاعر السرف الحس ، الرقيق القلب ، يولمه الفراق ، ويذكي عين  
نحه الشوق فيشتد لوعة ، ويضطرم عينا ، ويرجو من ربي الشمال والجنوب لا ينقلع  
بها ، لانهما الرسول الامين ، الذي يحمله بمن يحب ، ويحمل اليه أنفاسه ، ويجعله  
مضربا للقاء ، ويستضمر لذة لعنات الوصال ، يقول :

أَبْدَأُ أَمِينَ الْيَمِّ شَرْقِيًّا	م	دَالِمَ رَبِيْعِ الْغُرُوْبِ
وَأَتَوُّلُ لِلرِّيْحِ الْجَنُوبِ	م	مِنَ الْأَنْبِيلِ صِلِي الْهُبُوْبِ
فَهَلِ اسْتَنْبَلْتِ بِي الشَّمَالَ	م	كَمَا اسْتَنْبَلْتِ بِكَ الْجَنُوبِ (٢)

(١) الديوان : ١٦٢ - ١٦٣

(٢) نفسه : ٢٥١



ويقول :  
 ومن لي به أيفئذك بطرق مضجعي  
 وإني لسه تزلك كراك لوعك  
 نعبك تهادني الرياح فليتها  
 تهب بنا لورا جئوبا فلتقبي

وبين الكرى والقمين فدك عربوب  
 كما اهتز في سرى النسيم قضيب  
 شمال تهادي بيننا وحبوب  
 وتجري شمالا تارة فنكح حبوب (١)

وهي أبحاث رقيقة عذبة ، أفسحت عن عاطفة الشاعر ، وعبرت بألفاظها السلسة ،  
 وموسيقاها الشجية عن نفسية هزينة وقلب معذب ، ونظرة عذرية إلا أنها لا تطرد في شعره  
 الغزلي ، فالرجل محب ولهان ، يورقه الفراق ، وتهزه الذكرى ، وينعله الحب ، فيخفف  
 حتى ان الرياح لتتهادى به كأنه الفرس في مهب النسيم ، وباليتها كانت ربح الشمال  
 والجنوب ، وعند ما يتلاقى السبيان ، فيهنأان وسعدان .

ولكن هذه النفحة العاطفية لا تكاد تظهر الى جانب التصبر العسي لنواحي الجمال  
 البسدي في السراة ، والذي استوحى فيه الشاعر معانيات الطبيعة بأنواعها ، واستطماع  
 وحس انتقائي شاعري ، أن يصنع تمثالا جميلا للعبية مركبا من عناصر الطبيعة الجميلة  
 والجمامة . ونجد أنفسنا الآن ، وجها لوجه أمام سؤال يفرض وجوده في هذا المقام وهو :  
 ما السرفي هذا التداخل بين صورتني كل من المرأة والطبيعة في شعر ابن خفاجة ؟ . لقد  
 أجاب الدكتور سعد والسوان الدابة عن هذا السؤال بتوله " لقد وجد الشاعر في الطبيعة  
 مجالها كثيرة تذكره بالمرأة بصورة إجمالية ، كما ذكرته معالم جميلة من الطبيعة بمثابة  
 جمالية في المرأة ، ولد ذلك احساسه العام بالجمال ، وسماه وراء " الصورة الجميلة " .  
 كان واستطاع ابن خفاجة أن يبيد - ويشكل مطرد تنربها ، علاقة وثيقة بين المرأة والطبيعة  
 بل هي علاقة متبادلة ، فقد يتفزل ، وتحسروك أنه يصفنا شجرة أو جزءا من جزئيات الطبيعة  
 وقد يكون في أثناء رسم لوحة أو تصوير مشهد ، أو تقرير انفعال ما في جو الطبيعة ، فنادا  
 هو يستخدم معانيات الغزل ، أو يربط ربما وشيقا بين المرأة والطبيعة ، وحافزه الى ذلك

(١) الديوان : ٢٤٩

بعد الجمال ، والتداعي بين الابداعات المتماثلة للموصوفات المتفابرة . (١) وهو تحليل  
جبهه ، يدل على دراسة عميقة لعياة الشاعر وأدبه ، غير أنني أرى ، مضافاً الى ~~بعض~~ ما  
ستأتي ، ومؤكداً ما سبق أن أشرت اليه بشأن هذا الامر في فصول هذا البحث ، من أن  
لسر في هذه الناهرة ربما يمكن أيضاً في أن الطبيعة لم تعد شيئاً غريباً عن الشاعر ، منفصلاً  
عنه ، بل أصبحت جزءاً من كيانه ، وهدفاً لاهتماماته ، أضعت الوجه الاخر أن الشاعر  
يهيم به ، ويحن اليه في أعاقته : الحياة ، ومن هنا كان اتحادها مع صورة المرأة في  
عالمه الشعوري ، لأن هذه الأخيرة التي جانب الأهمية التي حظيت بها عنده من حيث كونه  
عاشراً محروماً منها في اول عمره ، تعني الحياة أيضاً ، تدني استمرارها ، فالرابط بينهما  
عنده هو الحياة ، بكل معانيها وأسرارها ، فكانت عنايته بهما ، تزويجا وتنصفاً ، وأحبباً  
وتغليداً ، أرضاءً لطهره من عبء الحياة ، وتمويهاً لما يشعر به في قرارة نفسه من خوف  
وتلقن من شبح الموت والفناء .

---

(١) ابن خفاجة : ٦١ - ٦٢

الفصل العشرون

في

الدراسة القرآنية

القسم الأول  
في  
الشكل

(أ) - البناء الشعري :

ان كل من يتصفح ديوان ابن خفاجة ، يفتنى الى أنه شاعر مالموع (١) ، تسوي الشاعرية ، قد انقاد له الشعر ، فأعرب بوساطته عن آلامه وآماله ، وصور من خلاله بهيئته ووطنه أجمع تصوير ، كما يفسر بثقافة الشاعر في مجال الادب شعره ونثره ونده ، وطرسه على اختلافها ، ويعد مرة ثالثة بتنوع الطرائق وتعده المذاهب لدن الشاعر ، فهو لا يفسر على سنن واحد ، يترسه ولا يحمده عنه ، وانما يتنوع في مجاله الفني ، فينسج على منسوال طريقة السنتي في مزج النزل بالحماسة تارة ، وينهج نهج مهباز والشريف الرضي في التلذذ والتلكد تارة ثانية ، وينظم على طريقة عبد الحسن الصوري الفنية والغزلية تارة ثالثة ، وقد لا يكتفي بأن يكون متبحرا فيهم ، بل يمارضهم في أشهر قصائدهم ، ولا يتردد في ابداء رأيه في اشعارهم ، مما يدل على تمكنه وتقديره الفني ، وهذه أمور أشرنا اليها قبلا (٢) . ومع هذا كله ، فقد نزل الشاعر مدينا في عطفه الفني لاسلوب بنينا القصيدة العربية القديمة والصحة منها خصوصا ، وعلى الأخص في مدلولاته ، فقد كان يميل - أحيانا - وخاصة في قصيدة المدح الى تنويع الاغراض ، فمن مقدمة في النسب ، أو في وصف المدينة أو في العنين الى الوطن والشوق إلى الأصحاب والديار الى وصف عام تتمدد ساعبه وتتشعب قضايها ، حيث يصف الليل وسراه فيه ، ويتعد شاعن وحدته واغترابه أو يصف فرسه أو غير ذلك ، ثم يطرئ الغرض الرئيس ، مدحا أو رثاء فيفتن ما شاء ، ويقفي ذلك بتدبير شواء ، أرحض المبه من دن الساج ، ثم يختم قصيدته بتعبية المدح واترائه السلام أو الدعاء له ، وغالبا ما تكون تهنيته ، ومدنيته إليه هي قصيدته التي يظنن في نقلها بما يزينها ويبرز صفاتها وخصائصها الفنية الجمالية . وهو لدرته وتمكنه من فننه يحسن التخلع ويخرج في الانتقال من غرض الى غرض ، ومن موضوع لآخر .

(١) قلائد الحقيان : ٢٦٦ ، الذخيرة . ٣/٢ : ٥٤١ ، المطرب : ١١١

(٢) رابع الصفحة : ٤٣

وتد يجمع في قصيدة واحدة الفزل والرتاء والمدح ، سوفا لذل ، بوجود الوحدة  
لنفسية والاشتراك الشعري بينه وبين من يتوجه اليه بالخطاب (١) . ومع ذلك فاننا  
نلاحظ ، كما لمعظ ذلك قارئ الديوان ، أن هنالك قصائد ومطلوعات كثيرة عرف الشاعر  
فيها وحدة الموضوع ، فقد وحد الموضوع في الرثاء ، ووصف الممرقة ، والنال والوصف ، ووصف  
اللبيمة ، وغيرها وصاقتها منه خاصة ، والشكوى والعنين ، فهو حصر القصيدة أو المقطوعة  
في الغرض المقصود وما يتعلق به لا يبعد عنه الى غيره ، ولعل هذه المرحة المتساورة في عمل  
ابن خفاجة الشعري قد تحققت عن قصد ووعي منه ، وجاءت نتيجة لتطور نوعي في فن بنائ  
القصيدة عنده ، فقد كان يمدل عن المقدمة أحيانا ، ويختزل في مراحل بنائها قصيدة  
المصروفة أحيانا أخرى ، وبدل ذلك في سعة الجلاء وعمق معرفته بفنه وأساليبه المتنوعة  
ومع ذلك فقد ظل شاعرا تقليديا ، فظنا على نمط الشعر القديم ، ولم يحاول مرة فني  
عباته الفنية الشروع عليه ، فقد رأيت من قبل يمد الشعر من خلال الجلة ، وحلية النبلاء  
العلية (٢) . وهذا يعني أنه لا يبعد من الشعر ذلك الفن الذي اكتلت أدواته  
الفنية عسره ، وضرب على أوتاره الكثير من عناصره من الشعراء ، أي الموشح والزجل ، فهما  
من اغتصم الصرامة لا النفاضة ، وكلام السوقة الذي يترفع عنه الأشراف ، وهو يسكن كونه من  
الجلة وطبقة النبلاء العلية ، فانه يأبى التوض فيه تنزها أو تميظا ، فهما ( أي الموشح  
والزجل ) مالا يرتقى الى رتبة الشعر ، ولا أن ينافساه فنا أوفي تحقيق الأهداف ويلبغ  
المآرب ، ولعله في ذلك ما يبرهنه مؤرخي الأدب في عصره الذين لم يهتروا بهذا  
اللون من فن القول ، على الرغم من اعجابهم به ، ولم يروا استناده في مؤلفاتهم وإن راحه  
ضمن اعتباراتهم الشعرية . فابن خفاجة إذا شاعر صانع ، لم يتجاوز التقاليد الغنوية  
لقصيدة الشعر القديمة ، ولم يرض بسواها بدلا في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه .

وتو قد يدل من أبول النظم ، لا عن تجربة شعورية بعينها ، وما ذلك إلا لقدرة  
الشاعرية ، وامتلاكه لخاصية فنه ، وهي ظاهرة لها ما عيب منهاج البلغاء في فنه ، فيلحسه  
في زمرة الشعراء المتصفين بالقوة على التشبه والمتميزين بالقدرة على نظم الشعر ، وتحويله  
الى درجة لا يماز فيها الطبيعي من المتألمح (٣) . ولكن ذلك قليل في شعره ، فشعره في

(١) الديوان : ٢٠٣  
(٢) الديوان : ٦  
(٣) منهاج البلغاء وسراج الأديباء : ٣٤١ - ٣٤٣

سماه عن الشمس ، لأربته كيف عوك الدابع السهذب ، وللوشي الذهب ، وكيف بعير الفلوس  
لأبوسر البكر ، ولألمعت منه في سماء محالبه نجوماتنير ورجوط تشير \* (١) ، وتبعاً لهذا  
قد اجتمعت في شمسه ظاهرتان : ظاهرة الجزالة ، وظاهرة الرقة ، وعدان تجلباها دقا  
تطبيعة شخصيته التي تجتمع فيها الصفتان اللتان عبر عنهما في مرة في شعره . كتوله :

إني وإن كنت مهنبة جلتداً  
تسوت بأسا ولتت مكرمة  
لست أحب الجمود في رجبل

وتولاه :

وإني لعقدام إذا الذمراً أحبط (٢)

ويا عجا لي كيف أجهن في الهوى

وتولاه :

الملوع جبين الشمس للأعين الرمد  
فللخبياي غني وللشوي ما يدي (٤)

وألمع للأعداء من عيشتنحسي  
على أن لي قلباً تطنه الهوى

فلان يتفنى عينا برقة شمسه ، وعند وباللفظه وسلاسته ، وبخاصة في سياق الفخر وهو بيت  
الشمرية وأعماله الفنية فيقول :

وحسبنا من شمريكاد لدوننة  
وهقول مزهدوا :

كلام إذا ما طرا أطرتنا  
فعباعن المشري المفرها  
هنوم الصحيفة أن تعشها  
ولله لفظي ما أعدبها (٦)

فلما ريدكري ما شئت  
تحمل ما شاء من رقتي  
وكاد بما فيه من بلنتي  
فله تمولي ما أهدبها

(١) الديوان : ٣٣٠

(٢) نفسه : ١٢١

(٣) نفسه : ١٧٤

(٤) نفسه : ٣٤٧

(٥) لنفسه : ١٨٨

(٦) نفسه : ١١٧ - ١١٨

\* الذم : الشجاع

ويقول في عنايته بـ إزالة اللفظ وجلالته في موضعها ، ورقة المعنى موجبة :  
واركتبي اللفظ الجليل

وسرالى المعنى الدقيق (١)

فهو إذاً ، يترجم في صنعة الفنية بين اللفظ الجزل ، واللفظ الرقيق تبعاً للسماني  
لورقة ، دون أن يصرفه ذلك عن العناية بالمعنى توليداً واعتراعاً ، ولفظه على الرغم  
من زلاته (٢) ، سهل غالباً ، لا يهوى التاري ، الى توامير اللفظة الا في النادر ،

ي أن منشأ الغموض الذي يكتنف شعره - احساناً - ليس راجعاً الى اللفاظ كما أن احسان  
ياحسين حيث قال : " ولو ألقينا نظرة على هذه الالفاظ الشعرية لرأينا أن ابن شفا جسة  
من بهوى اللثام الغريب ، فجاء شعره صعباً ، وفي بعض الاحيان غامضاً (٣) " . . .

تأثير الى اسلوب الایجاز والتكثيف في شعره ، والى ظاهرة الاستمارة التي حفل بها  
شعر ابن شفا جسة ، وقد كانوا ينكرون عليه " كثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد " (٤)

وهي ظاهرة لها صلتها بنفسية الشاعر الثقلة المتوجسة ، وما كان يطمح في أعماقه من معان  
وأفكار ، فقد كان يندوي على طاقة شعورية زاخرة ، كانت تضغط عليه ورقة ، فكان يلجأ

الى الافصاح عنها ، ولفظها غامضاً ، ولعل هذا هو الذي جعله يلجأ الى أسلوب التكثيف ، وهو من البهيم  
الأسلوب المورقة ، ولعل هذا هو الذي جعله يلجأ الى أسلوب التكثيف ، وهو من البهيم

عن اللفظة الدالة ، الموحية ، المعبرة بصدق عما يود قوله ، والاعراب عنه ، ويتوقف  
من ذلك الدقة في الاستعمال ، والانسياب الموسيقي والتصويري في شعره ، وهو أمر  
أكده الدكتور محمد رضوان الداية بقوله : " نجده يحسن اختيار ألفاظه ، ويأتي  
بها كما يقتضي المقام ، وكما تتلاءم مع الموضوع المطروق ، انما تحسن بأناقته ودقته ، وقدرته  
على ايراد اللفظة الدقيقة المناسبة في الطار الجملة ، والمعبارة ، وفي حيز الفكرة

المناسبة . . . (٥) "

(١) الديوان : ٤٣

(٢) ابن شفا جسة الاندلسي ، احمد الاسكندري : ٢٦

(٣) حياة وأثر الشاعر الاندلسي ابن شفا جسة : ٢٩٤

(٤) مقدمة ابن خلدون ٤ : ١٢٩٨

(٥) ابن شفا جسة : ٧١ ، ١٠٥

وإذا ألقينا نظرة فاحصة في قاموس ابن خفاجة الشجري ، ووجدنا زاغرا بالالفـاظ  
أفعالا واسما ، استمد هذا الشاعر من ثقافته الأدبية واللغوية والدينية ، ومن بيئته الطبيعية  
بكل ما فيها من عناصر ومصدايات ، مع ميل واضح إلى الاكثار من الأفعال الحاف في القمل من  
دلالة على الحركة كان الشاعر يحرص عليها في عنصر التشخيص ، ووصل إلى العناية بالعففات  
المتطوية على طاقة حركية وإيحائية ، كما في قوله على سبيل التمثيل :

نشأ بها سته سقا متفيسين      تحت الدبس من مارٍ تسير (١)  
وتوله :

تحفت بها ربح بليلى ورسوة      بحسرى غمام جاد هامتبيسين (٢)  
وتوله :

وإذا طحيت فمن تنهى قلادة      وإذا شربت فمن غماها راجس (٣)

فلا يخفى ما في العففات : متنفس ، متسمر ، متجسس ، راجس . . . من حركة ضميمة  
واشعاعات إيحائية ، وقد يلجأ الشاعر ، إلى استخدام الرمز ، فيجعل مادته أسماء الأماكن  
النجدية والسجارية ، والشامية ، والصراغية ، فيذكر : منصرج اللوى ، واللوى ، ووادى الغضا  
والحمى ، واللمح ، وتهمامة ، ودجلة والفرات ، وأم الرأل ، والخميم ، وروادة ، ونجسد  
والخيف ، وذا النقا ، والمقيق ، وجاسم وغيرها ، مبيها بأنه لم يورد لها في شعره إلا على  
سبيل الإيحاء والاشارة (٤) . وهوادرات منه لما للرمز من قيمة فنية في بناء العمل الأدبي  
وعلى كل حال ، فاستخدامه لتلك الأسماء أعطى شعره نفسا جديدا ، وأمد به طاقة إيحائية  
ونفحات من الدخون محببة . وتبقى عنايته باللقظ من حيث دقته وجرسه ، وموقعه في  
الجملة ، ملائمة وانسجاما ظاهرة بارزة في صنمته الفنية ، أكسبت شعره جمالا ولحمته  
بموسيقيات الرب لها الأذان وتهتز لها القلوب ، وهو أمر تنبه له هو نفسه فنمته بمثل ما  
ذكرناه (٥) ، كما تنبه له معاصره ابن خاقان فدل عليه بقوله : إنه " تصرف في فنـو  
الإبداع كيف شاء ، وأبلغ دلوه من الاجادة الرشاء ، فشحش القول وروقه ، ومد في ميدان  
الإعجاز الملقه ، فبإاء نالاه أرق من النسيم الحليل ، وأنق من الروض البليل ، يكاد يمتزج  
بالروح ، وترتاح له النفس فالنفسن الروح " (٦) .

(١) الديوان : ٤٨

(٢) نفسه : ١٥١

(٣) نفسه : ٢٢٨

(٤) نفسه : ٢٠٤ ، وهذا البحث : ٤٤

(٥) راجع هذا الفصل : ٣٢٣

(٦) القلعة : ٢٦٦



ت) الموسيقا :

تمثل الموسيقا من حيث قدرتها التأثيرية ، وثقوتها الاجتماعية عنصراً أساسياً في عطية البنسلا شعري ، هذا اذا لم نقل إنها صيغة تغلب عليه ، وتلجمه بالاهمها المميز ، فليس الشعر الشعري الشعري كما يقول ابراهيم آيين " الا كلاً ما موسيقاها تنفصل لموسيقاها الا فربما يتأثر بهما " (١) ، ولفظة الشعر الموثقة الموزونة كما يقول " جويو " انما هي موسيقا " (٢) ، فان " نيتشه " يميل الى هذا المنصر الموسيقي في الشعر و " يقدر جانب الوزن الموسيقي به أكثر من سائر الجوانب ، فهو " يفضل الشاعر الرائع الرنم ، الفائق الايقاع ، السيلر لس مادة الاوزان ، وأعظم مناصب الشاعر ، في نظره ، أن يكون شعره وتماثله سلاسل من لا تاشهد السالمة للترقيص " (٣) . ويذهب " كروتشه " أبعد من ذلك عندما يوحد بين البحر واللفظ والقافية ، وهي مادة الموسيقا الرئيسية في الشعر ، وبين الفكرة الشعرية فيقول : انك لو وجدت الشاعر من أبحره وألفاظه وفواقيه ، لما بقي هنالك فكرة شعرية كما يميل الى بعضهم ، بل لما بقي شي " ألبته ، فانما نشأ الشعر مع هذه الالفاظ وهذه القوافي وهذه الابحر " (٤) ، كما يحد " رتشارد ز " الايقاع ، وفي معظم الحالات ، " المفتاح لتأثيرات الشعر " (٥) . ويؤكد " كولردج " دور الوزن والقافية الايقاعي في الشعر فيقول : " إن الوزن والشكل المميز للشعر ، وان الشعر يصبح ناعماً معيباً بدون الوزن " (٦) .

ولقد أدرك تلكنا القدامى ما لهذا الجانب الموسيقي في الشعر من تأثير ، فتمنوا به وأكدوه ، فاشترطوا في الشعر أن يكون موزوناً متقياً ، كما أحسوا بدور الالفاظ في هذا الشأن ، فاشترطوا فيها " أن تكون بسيطة ، سهلة مفارج المعروف من مواضعها ، عليها رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة " (٧) . فللشعر مهمة جوهرية ، ودور أساس هو أن " يلرب ، ويهز النفوس ، ويحرك الابعاج ، فهذا باب الذي وضع له ، وبني عليه لا ما سواه " (٨) .

- (١) موسيقا الشعر : ٢٢
- (٢) مسائل فلسفة الفن المعاصرة : ١٦٩
- (٣) في الشعر الاوروبي المناصر : ١٣٢
- (٤) السجل في فلسفة الفن : ٧٠
- (٥) عن موسيقا الشعر العربي : ١٤٠
- (٦) كولردج : ١٧٨
- (٧) نقد الشعر : ٢٨
- (٨) السمدية ١ : ١٠٧ ، الصناعتين : ١٣٢

وقد كان ابن خفاجة، ولما افتعسه، وسعة ثقافته، ويحس بهذا، ا، يحس بما فسي  
 من موسيقا فيطرب السماعه أو نراوته، ويشعر بنشوة تقامرة، يقول "إن شطابت الذرير  
 في فانبس تخمة، وشذتني أريمية، ومز المدامة تتضى، والسماة تتفضي، فلولا أن يقال  
 لا لالتزمت سألوره ولثمت صالوره، وما أن لطقني صبرة، واستفرتني، فدوتني، ولكسن  
 ورفي كأس الشباب تناولته فكلما شربت، ولربيت، فلولا توتني تفامز الشيب، يتدرت شقي  
 حبيب، ثم صحت، والطرباه، وناديت وأحر قلباه" (١). ولعل هذا الأساس، هو  
 سرف في عنايته بنظامه، وترقيقا وتنميكا، وتهذبا واتقانا حتى أتى عذب اللفظ، عطفو  
 لصياغة، "تشين فيه رنة موسيقية قل أن تجد مثله عند شاعر آخر" (٢). ولكن هذا  
 بلا عام، فلننقل قليلا، أي لنلاحظ، من كتب، تجليات هذا المنحصر الموسيقي في شعره  
 ولنبدأ بالوزن والقافية، أو ما يسمى بالموسيقا الخارجية :

نظم ابن خفاجة شعره على أوزان الشعر العربي التي استقرأها الخليل بن أحمد  
 الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة، فهو يتحرك في أطارها، وينسج على أوتارها الأريمية  
 منمبات بينماتنها، وهي المضارع والهنج، والمقتضب، والمقدارك أو المحدث وهو البحر  
 الذي أضافه الأخفش، وقد أحصى أحد الدارسين (٢) - وهو الأستاذ حمدان عجايجي  
 ما استعمله الشاعر منها، وجمعه في نسب مئوية يتضح منها ما يلي : إن البحرين الطويل  
 والنامل، هما أكثر البحور الشعرية استعمالا لديه، يليها في الدرجة بحر المقطوع، ثم  
 بحر البسيط، ثم السريع، ثم الوافر، ثم المديد، فالعفيف، والمجبت والمنسرح، والرمل  
 والرجز. وإن استعرضنا الموضوعات وما استخدم في التعبير عنها من أوزان، وجدنا أن أكثر  
 البحور استعمالا لديه في موضوع الرصف هي : النامل، ثم الطويل، ثم يليهما غيرهما  
 وفي الخزل، نجد بحر النامل أكثر استعمالا ثم تليه الأبحر الأخرى، وفي الرثاء يستخدم  
 الطويل أكثر من غيره، ثم تتوزن الموضوعات المطروقة الأبحر الشعرية على تفاوت فيما بينها في  
 ذلك.

ولعلنا أن ينمو هذا المنحى عن وبي وإدراك لصان البحر الشعرية ومواضع استعمالها

- (١) الديوان : ٢٤١، ٢٥٥ - ٢٥٦، ٢٨٦
- (٢) تاريخ الادب العربي : د. عمر فروخ، ٥ : ٢١٩
- (٣) حياة وأثار الشاعر الأندلسي : ٣٢٨ - ٣٢٩

" فالسروى الطويل - كما يقول حازم القرطاجني - تجد فيه بها وثوة ، وتجد للسهل سبابة  
وملاوة ، وتجد للكامل جمالة وحسن الطراد ، وللخفيف جزالة ورشاقة ، وللمتقرب سبابة  
وسهولة ، وللمديرة قوة ، وللرمل لبنا وسهولة " ( ١ )

والوزن مشتق من القافية وبالمبال لها ضرورة كما يقول ابن رشيق ( ٢ ) . فللقافية دورها  
وفدائيتها في الإيقاع الموسيقي بقصيدة الشعر ، فهي " بالاضافة الى أنها تنظم ايقاع الشعر  
فإنها تسهم في نقل رواسب الشعر ولذات المعنى ، وسعيد التأمل مطالم تفلح مفردات البيت  
في أدائها " ( ٣ ) . هذا من حيث دورها ، وأما من حيث تعريفها فللقدماء في ذلك رأيان  
مشهوران ، أحدهما هو رأي النبطي بن أحمد ، وهو أن القافية من آخر حرف في البيت الى أول  
ساكن يليه من قبله ، مع حرف الذي يتبعه ساكن " أو هي " المقطع الشديد الطول  
في آخر البيت ، أو الـ... من الطويلان في آخره مع ما قد يكون بينهما من مقاطع قصيرة بحسب  
الاصطلاح الحديث " . والـ... وهو رأي الفراء يحيى بن زياد ، يرى أن القافية هي حرف  
الروي ( ٤ ) وعلى كل حال ، فإن خفاجة كان مراعيًا للتمريفين في قصائده ومقطوعاته يقتني  
قوافيه ، ويعرف ردها اقتناء ، وكما يقتضي النظام ، فهي تتلوا بموسيقا البيت ، قوة أولينا ،  
وتوحي بمركبة أصوات حروفها وامتداد تلك الأصوات في معظم الأحيان بكثير من المعاني والأسرار  
وغير قديذ هب مذ هب المصري في لزومياته ، فيلتزم حروفاً وأصواتاً بيمينها في جميع أبياته ، وقد  
يوفق أحياناً - في سعيه ، فيمنح قافيته بذلك طاقة موسيقية أكبر . وقد يتكلف ذلك - أحياناً أخرى -  
الأنه لم يكثر منه ( ٥ ) .

وهو يحرص على التمرير في شعره ، يلتزمه في مطولاته - غالباً - ويقل منه في مقطعاته لما له  
من جرس موسيقي ، تلرب له الأذن ، وتتهنزه النفس ، وقد يصرح أبياتاً أخرى في القصيدة  
كما فعل في قصيدته ( ٦ ) التي قالها في التشوق الى الوطن ، والسنين الى أيام

( ١ ) ضهاج البلقاء : ٢٦٩

( ٢ ) القصيدة ١ : ١١٣ ، ١١٩

( ٣ ) السروى وموسيقا الشعر العربي : ١٦

( ٤ ) القصيدة ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، و موسيقا الشعر العربي : ٨٩

( ٥ ) الديوان : ١٠١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٢

( ٦ ) نفسه : ٣٦٤ - ٣٦٥

ومجالس الانعقاد من الاصحاب أيام الشباب ، وفيها بعد لصوت حرف الهاء الـروفي  
 عند عبر الش الإل الذي مهبالا لتقفير أعزانه ، وإرسال آهاته وتأوهاته ، فبمع الأبيات  
 ثثة الأولى ، والبيت السادس عشر ، والقصيد لا يتجاوز عدد أبياتها الثلاثة عشر .  
 ثم ان أغلب توافيه مألقة ، ومثلها تنتهي بمقطع طويل مفتوح ، وأما المقيد منها  
 على قلته بسببه - اعيانا - مد ، أي أن القافية كانت تشتط على حركة قصيرة ومد وسرف  
 في ساكن ، الأمر الذي يجعل القافية تمثل مقطعا شديد اللول ، ولأن الشاعر كان  
 يترجم لهذا الامتداد الصوتي في القافية ، ولعله كان يفعل ذلك لأنه كان يعجب لا تقاسمه  
 ن تستد ، ولشاعره أن تتدلق ، عساه - بذلك - بعفت من ثقل همومه ، ووخز آلامه .  
 وأما حرف الـروي فقد كان مفتوحا أيضا ، وسهولة مخرجه ، أولطويحي به من معسني  
 بحركة صوتية ، فهو جعل الـ حرف الراء ، ثم حرف الميم ، ثم اللام ، ثم الباء ثم الدال ، ثم  
 لثاف ، ثم الحجرة ، فالنون فالسالم فالسين ، فالفاء ، فالسين والياء ، فالثاف والهاء ، فالثاء  
 والثاء والجيم ، ثم تأتي الزاي والسين والصاد والضاد والطاء والواو في الرتبة الأخيرة ،  
 وتلاحظ أن الشاعر قد استثنى من الـروف الأهجدية أربعة لم يستعملها هي : الذاء والسين  
 والدال والهاء ولعله كان يدرك أسرار جرس الـروف وما تصلح له من مواضع ، يدل على  
 ذلك ما جاء في مقدمة القصيدة التي بحث فيها إلى الفقه القاضي أبي أمية بن عمامة  
 أصابته بألم في رجليه ، فقد قال عن نفسه : " والتزم الفتحة عهد الـروي لمدى اقتضت ذلك " ،  
 وجاء في الهامش ، نقلًا عن نسختين أخريين : " ويقول هذه القصيدة في هذا الـروي  
 في هذا الـروف لحنى " ( ١ ) ، وفحرف الـروي هو الميم الساكنة ، والصروف بسر المتكسب  
 وقد وثق الشاعر في اختياره لأن الموقوف موقوف مواساة وإعساس بالمشاركة ، فهو يمس بها يحسن  
 به عديقه القاضي ويتألم لألمه ، ويسارع في الكتابة إليه ، مخففا ومعبرا ، فجاء الوزن بمس  
 لحنه من زخاف مناسب للموقف ، كما أتت القافية بمثلها الاخير ( أي الفتحة المتبرعمة  
 بالميم الساكنة ) موحية بحركتها وجرسها بمماني الآس والألم والمشاركة الوجدانية .  
 وقد يُحسر الشاعر برتابا الموسيقى التي يحد منها الوزن المرشد أعيانا ، فلهذا إلى التثني

( ١ ) الديوان : ٤٤ - والقصيد مثلها : هذا يتلوه ذات الألم  
 وفي الله ماناب تلك القيدم



بأشراقه المختلفة . في طالع قصائده أرفي أشاعها وتزافيها ، مما يدل على أنه كان يتعمد  
إعطائه شعره فترة الاعتاج المناسبة ، والصيغة الموسيقية المطلوبة . أكتبت شعره بالبحر  
الذي يدرسه كل تارفيه ارسا .

وتتمايز الموسيقى الخارجية ( الوزن ، القافية ، الإقفاظ ) والموسيقى الداخلية ( التسميع )  
سماوي ، والسور في اشاعة نزع من الموسيقى الخفية لها دورها الخليل في الأثر في  
الفرس ، وقد غسما - لا شعوريا - الى الانفعال والتجارب ، والمشاركة الوجدانية ، فلترأنا  
بيد الشاعر الذي يتشوق فيم الي وطنه شغرا ، والى معاهدتها ومرايح صباه وسيا المع أنسه  
للحبا :

بين شغور ملتقى نهرين  
حيث ألتشبنا الآماني عصاهنا ( ١ ) .

لا حسنا بمشاعر الأسن والألم تتبنا ، ولشعرنا بنوع من التجارب مع الشاعر في مشاعره  
وانفعالاته التي يرسلها آهات تقولية ، تنصح من عمق حزن ، وتصرح بما في أعبائه من حرارة  
الشرق الى وطن ، وعظيم التعلق بالحياة ، وشدة الاحسان بالروحانية وروعة الوزن ، وهي  
سماوي توهي بها التصيدة ككل ، بما في ذلك الكل من وزن يخفيف ، دال على الرفقة ، وسيا فيها  
من قافية متبيرة ، وحرف روي منح ، ثم بتلك الالفاظ المنتقاة المتناسقة ، والحروف المتجملة  
المتألفة ، والبدون الموزعة بذكاء في كل بيت ، ثم بتلك الآهات المتتالية ، والأانات المنهشة  
المتاريناك ، كز هذه العناصر تتمايز وتتمايز ، لتشبع تلك الموسيقى المشجية ، وتوهي بتلك  
البحران الرقيقة الموهنة .

ثم اننا لترأنا أوسعنا مطرعتنا التي نظمها في وصف متفرج يصددها بقوله :

وعقلية التوار تلوي علفها  
روح تلف فروقها محطار ( ٢ )

لا حسنا مع الشاعر جيلان المكان الرسم ، ولحسنا منه بروعة المشاهد المصورة ، بهر كفا  
وحيرتها ، وعناصرها ألوانها ، ولشعرنا منه بالفرحة تنغمر قلبنا ، وبالخير بهلا جران من  
ونحن نتلقى جيلان الحديثة ، ونتفيا طلال أشجارها الندية ، ونستشق شذا زهرها المتفاح

( ١ ) هذا البحث : ١٤٢

( ٢ ) نسه : ١٣٥

من الدار بمشهد سياهها العذبة الرقراقة ، ونستمتي بنشاطيها الى اح ، إننا نحسن  
 عن نقرأ هذا الشعر ، وأننا نعيش في جو الطهارة عفا ، ولعل ذلك يرجع إلى القدرة  
 تسوية التي تميز بها الشاعر ، والتوفيق اللطيف في انتقاء الوسيلة التعبيرية الملائمة  
 من حيث الوزن والتافية والألفاظ ؛ فالوزن ، وهو بحر الكامل مناسب - لول مقاطعه  
 كثرة حركاته ، لسياق وصف وتعلي السان ، والاستفراق في جو مشاهد ال بهمة الفاتنة  
 والقافية بمقطعيها الطويلين ، وصوت الروي ( الراء ) المضمج المركزي المقت مناسب  
 للمقام ، فدأته ترجيع لأصوات عناصر البيعة ، ثم تلك الألفاظ الرقيقة الموحية ، والمصهرة  
 بسانيها وأصوات مرزفها عن جمال المشاهد ، وروعها وبهاها ، وعن فتنة الشاعر  
 وأعجابه بها ، وقد زاد الوصف إبعاء ، والتصوير تأثيرا ما اصطغعه الشاعر من جناس فسي  
 البيت الثاني ثم ما استخدمه من التقسيم في البيت الثالث ، ثم ما أحدثه في تنديلات البيت  
 من زخاف ، وأسهم في تنوع الإيقاع الموسيقي للمقطوعة وزادها حيوية تناسب هوية سياقتها  
 العام ، وهذه الظاهرة ، أي عنابة الشاعر بفته ، وعلاقة فنه بنفسية وعاطفته ، ثم علاقة  
 ألفاظه وسيلته بها ، ( ١ ) ، ظاهرة بارزة في شعره ، وخاصة مهمة في فنه ، ما يدل  
 على قوة شاعريته وتمثله من صنعته ، ومعرفته لعناصرها وأساليبها .

(ت) - الاسلوب :

لقد عني ابن خناجة بأسلوبه عنابة كبيرة ، فقد كان يعتقد أن الشعر صنعة ، تنصق  
 وترق ، وتتمثل وتهدب ، لتكون أدق تعبيرا وأوضح بيانا ( ٢ ) . وقد كان ولعه بتصور  
 البيعة وانته ، وانجابته ومرصه على ذلك ، ثم ربطه ذلك كله بمشاعره وأحاسيسه الدفينة  
 داعيا إلى الإلتزام من التشبيهات والاستعارات في شعره ، وتوشيته بأنواع الجناس  
 واللباق وغيرها من المقومات الاسلوبية المتنوعة ، وقد ساعدته معرفته العميقة لعلوم العربية  
 على حسن استخدام هذه العناصر الاسلوبية في شعره ، كما أدته مهيته القوية  
 بزيادة مضمج من الصور والسماني التي قد تزدهم لديه في القصيدة ، بل في البيت الواحد

( ١ ) ابن خناجة الاندلسي . - جبير : ٤٦ - ٥١  
 ( ٢ ) هذا البحث : ٤٤

الامر الذي يبين شعره - أحيانا - بسدسة من الخموس ، وهو خموس ، ينفى على الشعر  
جوا من الشعر تبعد النفس في ذلك ممتدة غامرة ، إلا أن شيق ابن مالك أنكر ذلك  
عليه ، وعدوه عياشي شعره ( ١ ) .

وستشرع الآن في دراسة هذه النواحر الفنية في شعره ونقدوها التشبيه .

### ( ١ ) التشبيه :

للتشبيه قيمة كبرى في تراثنا القدي القديم ، لما له من حضور في النتاج الأدبي على  
مراسم ، فهو عند " بن أشرف ، دلال العرب وفيه تكون الدلنا والبراعا عند دم ، ولما  
كان المشبه منهم في تشبيهه أليف ، كان بالشعر أعرف ، ولما كان بالصنى أسبق ، كان  
بالحدق أليق . " ( ٢ ) والتشبيه أحد الأسرار التي تقوم عليها نظرية عمود الشعر في نقدنا  
القديم ( ٣ ) ، ولأنه والاستمارة : " بحر جان الاغص الى الأوضح ، وتريان البصيد " ( ٤ ) .  
وابن ، فاجة قد أدرك - بعدم ثقافته الأدبية والتدريما لهذا الظاهر الفني من دور في  
بناء السط الأدبي ، فراح يفتن فيها القول ، وكأنه يفتن من بحر ، فقد يشبه الابهمة  
بالأبيمة ، وقد يشبه الابهمة بالانسان في صفاته واحواله أو العكس ، ولكن ظاهره المسببة  
تخلب على تشبهاته ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان معجبا بالطبيعة ، صعبا لها ، هائلا  
بناحي الجمال والفتنة فيها ، حريصا على تسميرها في شعره ، والافادة منها في الافساح  
عن شاعره والابانة عن معانيه ، وهو في تشبهاته ، قد يأتي بالتشبيه التام ، والتشبيه  
المرسل البسيط ، والسوكد المنسل ، والتشبيه المتلوب والبلغ ، وتشبيه التمثيل ، وهو  
لهذا الاخير أميل ، وعليه أحرص ، تشهد على ذلك كثرة وروده ، ونسب التشبهات الست  
قيلت فيه بالموازنة مع غيره . فمقاله في التشبيه التام قوله في صفة النهر :

( ١ ) هذا الفصل : ٢٢٣

( ٢ ) نقد النثر : ٤٩

( ٣ ) الوساطة : ٣٢ - ٣٣

( ٤ ) الحمدة : ٢٨٦



أشبهت زوداً من لآلئ التسنن  
والزهر بكفه مجرماً  
من فنة في برة خضراء  
هدت تحت بقلة زرقاء (١)

للّه نهر سار في هذا  
متصلاً مثل السوار كأنه  
قد رقى عتي ظنّ توساً مفرغاً  
وقدّت تحف به الخسبون كأنها

حيث يشبهه في تصدقها بالسوار ، وفي إحاطة الزهر به بالمجرة ، كما يشبه في رقتها  
فائه وبريقه ، وسد المساتين الخضراء بقدر فني وضع فوق برة خضراء ، كما يشبهه وتك  
ت بفسون الشجر بقلة زرقاء . عنت بها أهدابها ، وفي تشبهات كالمسالك ، وسبب  
تأرا الشاعر من بيئته بدارها المتنوعة .  
ومنه قوله في وصف الحفازة :

يسري ولا فلك بهما دار  
في كذنجي الدجى دينار (٢)

ومفاز لا نجم في ظلماتها  
تتلهب الشورى بها وأنتها

فالشورى في تلالها وريقها في عرض الليل الصالتي تحكي ديناراً قد وضعه زنجي في قفه  
وتشبهه له ملت بيئته أيضاً ، فقد عاشر في ظل الدولة الرباطية ، وتعامل في كنفها بالدينار  
الذعبي الرباطي ذي القيمة الشهيرة .

وقوله في العيون والشوق إلى من يحب في كلام دقيق جميل هو :

الفريغ الفُـرُوب  
مع الاصيل يلي الكهوب (٣)

أبداً أحن الياء شوقاً  
وأثول للريح الكهوب

فهو يشبه نفسه في لوعته وعينه بالفريغ الذي تشتد به الالاساسات ، وتورقه تلك الحشا  
أشد ما تكون مع الفريغ حيث يخلو بنفسه ، وتمرد إلى مشالته ذكرياته مع أهله وخلافه في ربح  
ولنه ، فيتحرق قلبه شوقاً ، وتفقد جوانحه لوعته وعينها .  
ومما تاله في التشبيه المرسل المصطل قوله :

(١) هذا البيت : ١٩٢ ، أو ديوانه : ٢٥١

(٢) نفسه : ٢٢٥ ، نفسه : ٨٤

(٣) نفسه : ٢١٥ ، نفسه : ٢٥١

ويك مرقبة مناخ فما سـ  
فذكر الامة واشفى وجه الشبه ، بين الطح والغام الجمل أو الفرسي زبد الذي يلفظه  
فيه ، وهو البياض .

وساقله في التشبيه المراءد المفضل قوله في صفة وزن مرعد مرق :  
والوزن طرفه جال يختمه أشهب  
فشبهه المزن الحرقة بالفرس ، ول يهتمه ، كما شبه البرق في لونه ، وشدة بريقه بهرد أصمر  
مزن .

وقوله من ذلك في التشبيه المطلوب :  
والنور طرقت تذه داسـ  
فالنور وقد بله قطر الندى يحكي الطرشا الدامع ، والماء في صفائه وترقيقه يشبه المسم السقيل ،  
ومن ذلك قوله في صفة سحابة :

رغامة لم يستتر بها الشرى  
فمشت على الألباء مشي مقيسد (٤)  
فهي تحكي في سيرها ومروءة ماشية المتيد من حيث البلية في الحركة والتنقل .  
ومن قوله ، وهو من التشبيه المطلوب كذلك :

والرؤض وجه أزهر والظل  
وهو هنا يحكى الامر ، فيشبه الطبيعة بمفات لانسان المادية ، من وجه وشعر وشعر  
وعراير يدعي لديه ، والاعية وأنه قد أتمام وحدانية بين المرأة والالهيمة في شعره ، فالـ  
بذات يندى وجه المرأة الأزهر ، والظل شعرها الأسود ، والماء شعرها الشنيب .  
ومن التشبيه المطلوب وهو تشبيه تشيل أيضا قوله :

- |                 |     |              |     |
|-----------------|-----|--------------|-----|
| (١) هذا البحث : | ١٦٨ | ، أوديواته : | ٨٤  |
| (٢) نفسه :      | ٢٠٩ | ، الديوان :  | ٣٤  |
| (٣) نفسه :      | ١٨٨ | ، نفسه :     | ٢٤٣ |
| (٤) نفسه :      | ٢٠٧ | ، نفسه :     | ٢٨٩ |
| (٥) نفسه :      | ٣٢٩ |              |     |

وربتون من شربك أرتق ساوي  
وجبري دموع واضطرب بجهانيج (١)

أستتج من سابع أرتق سايح  
يسيل في يميني صفاء سريرة

فالما في صفائه وشفافيته وانسيابه وخويره واضطراب أواجهه ، يعكس الش عصفاء سريرة  
وجبري دموع ، واضطراب جهوانيج .  
رمنه في وصف الزورن قوله :

إذ انخرمته الرين أحشاء غائس (٢)  
بالير بنا فيه شعاع كأنه

فالزورن في ثقافته على ظهر الماء ، وقد أمالته الريح بمناموسة ، يحكي العفاف الهليج  
في رعدته وعدم استقراره .

ومنه في صفة نهر ، وفيه يستعين الشاعر بصفات إنسان المادية الجميلة في رسم  
سيرته ، وبفاته الحاشوشية المظلمة قوله :

ونهر كما ابيض المتبل سلسلا  
وجزعا كما انخرم العذار شهبيا (٣)

فالنهر في صفائه ورقته يمشي الشتر ، كما أن الينع يحكي العذار في انخراره .

ومن التشبيه البليغ قوله في صفة ليل :

والليل سترد وثقا رسل  
قد طررت أنجم زسر (٤)

فالليل في شدة ظلمته ، وحجبه الاشياء عن الانظار يحكي ستر طرزا ، ولكن بنج  
السماء الناصبة البياض ، وهو تشبيه مستوحى من بهيته التي اشتهرت بمناعة النسيج بأنواعه .  
ومنه في صفة الليل والزل :

---

(١) هذا البحث :	١٩٠	، الديوان :	٢٤١
(٢) نفسه :	١٨٩	نفسه :	٢٢٠
(٣) نفسه :	١٣٩	نفسه :	١١٢
(٤) نفسه :	٢٢٦	نفسه :	١٥٦

وَاللَّيْلُ فَسَطَاظٌ مِثْلُ النَّسَبِ ضَرَبَتْ لَهُ مِنْ أَنْجَمٍ أَوْتَانًا (١)

فالليل في عموم ظلمته ، سطوته لظواهر الذون الا ما يدام من نجوم متناثرة في عرض السماء  
فسطاطا ضربت أوتانها ، وضدت بحاله ، وذلك أدمى لرسوخه وثباته .

ويقول في إحدى قصائده :  
مَا زَالَ يَنْدِطُفُ الْبُحُجُ مِجْرَةً فِيهِ وَيَلْمَعُ لِلسَّلَافَةِ كوكَبُهَا  
وَيَكْرُمُ مِنْ كَأْبِرِ الْكُفْرِ أَشْقَرُ يَجْرِي وَيَصْدُرُ لِلزَّبَاجَةِ أَشْهَبُ (٢)

فالألوان ، تنسبه ، وتوصي ، كما يصور مشابهة ، قرينة أو بعيدة ، في بيئته أو في الكسوف  
سبح ، فالشمس في زرقته وانحطاطها ، وصفوف الزهر به يعكس السجرة ، والسلافة تعكس في  
لونها كوكب السماء ، كالتعكس العبر بلونها الأحمر ، وهي تتحرك في أيدي الصمصم  
ما أشقر بجري ، كما تشبه الزواجعة ، وقد خلقت من خدرتها ، ويدشبهها شفافة ، فرسها  
بهب ، وهو تصور لمن لها رنا وسها .

ويقول في إحدى غزليات يصف امرأة :  
غَزَالَتِي الْإِلْمَاطُ رِيحِيَّةُ اللَّيْلِ  
تَرْتَلُ فِي مَوْشِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ

مدامية الألقى عبايئة القننير  
كما اشتبكت زهر الثبور على البندر (٣)

في ويصف يند الدبيحة الدمية والمامقة ، في رسمه لسورة المرأة التي نعم بلحظات قريبها  
ورمالها ، وهي تحدي الغزالة في سواد وسمة عينيهما ، كما تشبه الريح في ليل حتمها ، ولسون  
باسمها الداعي البراق ، ولون العباب الأبيض بشارهما ، ولحنها تبد وانثر بطلا وقتنة وهي تغتمال  
أ تشبه المرأة في لباسها الذهبي بيدر السماء ونجومها ، تشبيه تمثيل جميل ، وقد ذكرنا  
قبلا ، أن ابن خلفا قد طال الى هذا اللون من التشبيهات ، أكثر من غيره ، وما ذلك  
الا لارما نزعته التصويرية ، فقد وجد في تشبيه التمثيل فسحة لم يجد ما في غيره ، من حيث  
كون وجه الشبه فيه مستعدا من متعدد ، ومتولدا من أمرين أو أكثر (٤) . فهو على كل حال  
بهاجته حور في سيات رائد ، وذلك يفتق ، وذوق الشاعر ، وتلاهم ولربقته في الوصف والتصوير

(١) الديوان : ٢٣٤  
(٢) نفسه : ٢٨٩ ، هذا البحث : ٢٠٦  
(٣) نفسه : ٢٤ ، نفسه : ٢١٤  
(٤) صناعة النثابة : ١٤٠

ما إن يذكر الشبه الحق تنفر إلى مغيلته صور موحية شتى ، وقد ينسبها مشهد أو مشاهد  
فيها الشاعر على بعضها في تسلسل في بدعي ، كقوله في سياق عذاب :

مَازَا شَاكَ عَنِ الشَّأْءِ وَنَشْرِهِ  
بُرْدًا عَلَى الرَّسْمِ الْجَرِيهِ **بِهَيْلًا**  
أُرِيحًا كَمَا عَثَرَ التَّيْسِيمُ بِرُؤْسِهِ  
لَدَنَا كَمَا نَفَى الضَّمَامُ مَقِيهِ **بِهَيْلًا** (١)

فهو يوسم معاني الأخلاق السيئة ، والصفات الحميدة ، والسمة السيئة ، في صور  
بهيلة تزيد حاسنها ، فيلون صدقته على هتكه ستر أسرارها ، وتشفه لسرايته ، ونشرها  
في الناس ، وانحرابه عن نشر حسناته التي تحمي البرد الجميل على الرسم الجميل ، وتخرج  
فيها التيسيم المتضمن بأريج زهر الورد وعطره ، وتندى في الذكر ، كأنها الشيد الدالول .

وقوله في سياق المدح :

بَهْدَلٌ كَمَا مَرَّ الضَّمَامُ بِتَلْقِيهِ  
فَطَرَزَ أَثَابَ الرَّبِيِّ وَسَمِيهِ  
وَأَلْقَى الْحَمَامَ بَيْنَ الْأَبَالِيحِ وَالرِّمَاءِ  
فَدَنَرَ أَعْرَافَ الْمَجَانِي وَدَرَمَمَاءِ  
وَقَلَّدَ نَبْرَ الرَّوْعِ مَقْدَامًا **بِهَيْلًا**  
وَلَوَّقَ جَيْدَ الْمُضْمِنِ وَشِيًّا مَمْنَمًا (٢)

فمدحه في عظيم بخله ، وكرم آثاره ، وحسن فعاله في أمته ، وبكي فعل الضمام في  
الأرض ، وبعثه العباة في أوسان عنابر البيضة ، من نجوم عشب ، وتفتح زهر ، وانتسأ  
فمن ، وتغبرميين ، وتدفق مياه ، وقوله في موضع في نعر السيان :

وَأَعْرَأَزْهَرِبَاتٍ يَهْبُتُ نَفَقَتَهُ  
فَكَانَ فِي بُرْدَيْهِ رَوْضًا أَوْسَرًا  
الْمَنِ الدُّبِّيَّ وَالْيَدَيْنِ لَأَنَّكَ  
تَمَرَّتْ لَبْحٌ فِي فَعَامٍ أَتَمَّلَسَرًا (٣)

وقوله في سنة مؤتد نار :

ذَائِي لِسَانِ النَّارِ تَسْتَبُ أَنَّهُ  
بُرْتُ تَمَرَّقَ عَنْهُ بِهَيْلِ فَعَامٍ  
وَلَأَنَّ بَدَأَ النَّارِ فِي أَسْرَانِيهِ  
شَفَقَ لَوَى يَدَهُ بِدَيْلِ ظَلَامٍ (٤)

والسورتان . سبيتان . برهتان موحيتان ، وقد أسبغ الشاعر على السورة الثانية بطلا بحسا  
اصطنعه فيها من تشبيهين ، فجعل للشفق يده ، وجسم الظلام كسأ أسود تصب به يد الشفق  
من أرائه ، وهذا النوع من فيض ، والأقارن هذه السورة الغنية ، والاشارة التشبيه والتشبيهي

، هذا البيت : ٢٠٢

، نفسه : ٢٨٩

، نفسه : ٢٩١

، نفسه : ٢٧٩

(١) الديوان : ٢٠٥

(٢) نفسه : ١٧٥

(٣) نفسه : ٢٥٧

(٤) نفسه : ٨٤

صحة بخامة ، تلد في شعره ، ويكثر حضورها ، وعسنا ، الامانة السابقة تشيلا لها ، لنفسج  
لأما ، ظاهرة فنية أخرى كان لها دورها في أسلوب الشاعر الغني تلك هي ظاهرة الاستعارة .  
الاستعارة :

تمد الاستعارة الى جانب التشبيه عنصرا مهما في بناء العمل الشعري عند ابن خنافة  
في بهاءناية ترينيسو على عنايته بالتشبيه والعناصر الاسلوبية الاخرى . ولعل كثرة ورودها في  
وه راجع الى نزعته في إتيان اللميمة ، وتأكيد الوحدة بين ظواهرها المختلفة ، ثم الى  
العلاقة الوثيقة التي أقامها بين اللميمة والانسان ، والتي وصلت الى درجة امتحت فيها الفارق  
شت فيها . عدد التمايز ، فتبولت الصفات والخصائص بطريقة عفوية واضحة . وكأنه أدرك منذ  
بعميد ايمان هذه الظاهرة الاسلوبية ، ودورها الذي أبرز أحد مشاهير النقاد المعاصرين ،  
وتشارلز في قوله : " ان الاستعارة هي الاداة الرئيسية التي ترتبط بوساطتها الاشياء"  
تفايرة وغير المرتبطة ( ١ ) . وهو نفس ما ذهب اليه الدكتور مصطفى ناصف في رده ما قرره القداما  
نظرية الاستعارة من أنها تشبيه حدس لغوي ، وأن اللميمة تقربها الشبه بين المستعارة  
استعارته ، وأثبتته ( ٢ ) وذلك في قوله : " إن المشابهة الموضوعية لا وجود لها في الاستعارة  
فالباطن والواضح أننا لسنا أمام أشياء تتداعى لاشتراكها في صفة أو صفات ، فالاستعارة بنت الحدس  
لحدس تماطف يتجاوز المشابهة ولا يتقيد بها " ( ٣ ) . وهو أيضا نفس ما ذهب اليه " والتز " عندما  
أكد الفرق بين الاستعارة والتشبيه بقوله : " إن الاستعارة تدو قاب قوسين من التشبيه ، ولكن  
فرق بينهما في الحقيقة عميق ، وليست الاستعارة تشبيها ملخصا موجزا ، ولكنها صورة مستقلة ،  
مادرة عن حركة فكرية مخالفة له كل الخلاف ، فعملية الفكر التي تتلها الاستعارة ، بل تشيها  
فرقا ، عملية تتسم بمزيد من الشدة والسرعة " ( ٤ ) .  
ابن خنافة في توظيفه لهذه الاداة الاسلوبية يذهب في اتجاهين واضحين ، فهو تارة يناسر  
الى عناصر اللميمة من خلال عناصر الطبيعة فينسب لهذه ما تماز به تلك والعكس ---

- 
- ( ١ ) الشعر والتجربة : ٩٥  
( ٢ ) أسرار البلاغة : ٢٣٨ . الرسالة : ٤٠  
( ٣ ) الصورة الادبية : ٤٠  
( ٤ ) عن حياة وآثار الشاعر الاندلسي : ٢١٧

يتمثل على عناصر الطبيعة الموصوفة صفات الانسان وأحواله ، فيكسبها بذلك حركة وحيوية  
 كما يستعير من الطبيعة صفاتها وأحوالها ، لإبراز معانين الإنسان ، وتصوير آلامه ،  
 وضآفته ، أو مشاعره وأحاسيسه ، وقد أسففته مغيلته في ذلك ، فجاء شعره عامساً  
 بالاستسارة ، عافلاً بالصورة المشخصة الدالة السبيرة ، فهو إذا أراد أن يصف حاله وصحبه  
 وهم يركبون الخيل ، ويفدون السير في الليل المدلهم الذي لم تبد فيه كواكبه ، استعار  
 صورة البحر ، بما فيه من ألما ونوح منظم ، وبما يتعلق به من غرق وعموم ، ورسم عنده  
 الصورة تافلاً :

فَبَيْتًا وَبَيْتًا اللَّيْلِ مُتَطَلِّمٌ بَيْتًا      نرى الصبيح غرقى والكواكب عمومًا (١)  
 وسورة البحر بتلاده وارتطام أحواله ، صورة يستعيرها الشاعر غير مرة في وصفه  
 فهو يجسد خوفه من الليل المظلم ، وقلقه من جوه الموحش ، ورغبته في النور والنشيط ،  
 في هذه الصورة التي تلمس فيها معنى الصراع والصدام ، ومحاولة التخلص :

لَا أَلَمْتُ لِحَبَّةٍ بِمَوْجَةٍ أَشْهَبَ      يرمى بها بحر الظلام فيرتضي (٢)  
 فهو يهدم لحبة بحر الظلام بموجة فرسه الأشهب ، فبشقا وبغرا ،  
 وفي سورة يستعيرها كذلك لتصوير ما يعانيه في أعطائه من آلام واحزان ، تفصح عنها  
 وجهته التي تعذب عياب البحر المائج الزاخر :

وقد جاش بحر بين جنبي مائج      له زخرة في وجني وعباب (٣)  
 ويستلذ منها في نفس السياك وسياك وصف الحال ، وتصوير ما ألم به من أحزان ، وما  
 أثقله من هموم ، فهو غريق أبحر ثلاثة ، وقد أطبقت عليه موجة ، وغمرت ، فمن بحر مع  
 إلى بحر علم ، إلى بحر نلام ، ولا يخفى ما يوحي به هذا التركيب في الصورة من تعب حير  
 دقيق عما يحس به الشاعر من أسى ووحشة ، وعما يرهقه من هموم وآلام :

ترى بي إذا عرلت سوزنا حماسة      ترى ولو رأيت أمة تترنح  
 غريقاً يهجر الدمع والدمع والدمع      ولو كان بمرأ واحداً كنت أشتي (٤)

(١) الديوان : ١٧٣ ، هذا البيت : ٩١٢  
 (٢) الديوان : ٢٤٤ ، هذا البيت : ٢٢٢  
 (٣) نفسه : ٢١٨ ، نفسه : ٢٩٦  
 (٤) نفسه : ٢٦٨ ، نفسه : ٢٩٧

والشاعر قد يحسن بوحشته ، ويفر ساحتها من اللان والاصحار والاهل ، فقد تفاهلهم  
 موت الواحد تلوا الآخر ، وبقي عونها للآلام والأسقام ، لا مؤنس ولا معين ، وبصور  
 له ، فلا يجد أدق تصويرا ، ولا أقوى تعبيراً من هذه الصورة التي يجتوي عناصرها  
 الصحراء ، والصحراء في وجهها الحفر الاجدب ، دون أن ينسى ما يذم السياق ، فيذكر  
 بوجعنا ، وهي الناقة القوية ، فهو يسير في صحراء ، ولا نبت فيها ولا ماء ، فلا شيء غير  
 سهل ، والرخصة الثالثة :

فسرت وقد أجدبت أرتان مرتصاً فلم تلبأ الوجعنا بي غير ما حل (١)

ومثلاً من الخصب والجدب ، والرياح الحسنة المنظر ، مظاهر طبيعية يستعيرها الشاعر  
 في وصف ردف الصحيرة الممتلئ ، وخصرتها النحيف ، وحسنها وجمالها ، فيقول :

من الهيف أما ردفه فمتقنم  
 تحف بررض الحسن من نور وشبهه  
 فخصيبٌ وأما حفزه فجديب  
 وقامت نواراً وقنيريب (٢)

هذا الى غير ذلك من الصور التي يستوحىها الشاعر من الطبيعة ، ويستعيرها في سياق  
 تصوير آلامه واهزانه ، أو أفراحه ومسراته ، فهي كثيرة ، وكثيرة مثلها تلك الصور التي يستعيرها  
 الشاعر من الانسان وما يتعلق به ويتعلق به ، ويذمها على الدابة ، فهيمت في عناصرها  
 الحركة ، وينفخ في أوصالها روح الحياة ، فتند وأترب إلى النفس وأدنى إلى القلب والشعور  
 منها ، لو أنها بقيت جامدة ، أو وصفت وصفاً موضوعياً لا أشرفه لماطفة الشاعر وشاعره  
 وتسمواته . ولعله في ذلك ، أي في نزعه الى إحياء الطبيعة وأنسنتها ، كان يرضى ما  
 رويته للحياة ، لا بحساسه بالموت والفناء على سبيل التوضيح . فالانسان ينفثه الدابة  
 والنفسية ينسج منها ثرا يستمده الشاعر الاستمارة تلوا الاستمارة لا يمل ولا يكل ، فالأش  
 رائد بالها القليل ، وتنتج زارها ، وتنفجرت عيونها ، فهدت تحت ضياء الشمس ، متلاً  
 زاهية تذكر الشاعر بالرجوه الجميلة ، التي تسفر عنها أفتحتها ، فيسفيها بقوله :

(١) الديوان : ٢٦٢ ، نفسه : ٢٤٥  
 (٢) نفسه : ٨٣ ، نفسه : ٣١١



- والأرض تسفر عن رءوسها من  
والشجرة تسرح وتسمع الضلوع وتطرب وتتمزج من أعاليها تأثرا ونشوة  
وأراكة سجج الهدبل بقرعها  
والبرق تلب يخفق هلمعا ورعبا ، كما أن للنجم جفنا لا يعرف النوم من  
بغرق قلب البرق خفقة رومعة  
بمهب بيت النجم يسهر رهبة  
والغبار ينام والنور يستيقظ بعد سقوط الظل  
نام الغبار يهاوند وضخ النحدي  
والشمس تمرض فتعالج بما يعالج به الانسان ، فمن رقبة يقدسها الرعد ، الى نفسة  
تنفثها الضامة :  
والشمس تجزع للغروب مرضعة  
والارض وقد غطاها الثلج ، يشهب شبرها وشملك مفرقا :  
شابت وراء قناعها ليم الربا  
والرعد يرتجر ويهلي ، والبرق يكتب :  
وقدر ارتجز الرعد المرن بأفقيه  
وللمثريا قدم تتعثر في برد الليل المزركش بنوم المجرية :

(١) الديوان : ٢٤٤ ، ٣٢٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨١ ، هذا البحث : ١٤٦  
 (٢) نفسه : ١٣٢ ، نفسه : ١٧٩  
 (٣) نفسه : ١٤٤ ، نفسه : ١٧٦  
 (٤) نفسه : ٢٥١ ، نفسه : ١٢٥  
 (٥) نفسه : ٢٧٧ ، نفسه : ٩٠٦  
 (٦) نفسه : ٢٨٥ ، نفسه : ١٩٩  
 (٧) نفسه : ١٤٣ ، نفسه : ١٩٩  
 (٨) نفسه : ٣٠١ ، نفسه : ٩٠٦

تتمشرت قدم الشريفة شمساً ...  
واللهيمة تنس ، فتعززن مشاركة الشاعر مصابه الجبال ... والجبوزاء تنفض

وسرى يعرغ خده قمر الداجسي  
والكلب في تنصيه أظار الطريدة ، يسأل عن بني الأرض ، فتجبيه الريان وتهديه :  
يسرف الأرض يسأل عن نبيها  
وقد تلبجاً الشاعر في تصويره إلى التجسيم ، تجسيم الممنوي وإبرازه في صير حسية ، فيجعل

ردى وجهها يستهدفه بفرسه الأدهم :  
وأقبلت وجه الردى أن ...  
ويجعل الموت فما يفخره ، وللقدر جهدا يدهه :  
وقد ففر الرماح هناك فساء  
فما أدري أوج أم قلوب

ويجعل للهوى يدا تدلع عليه ومحبوبه رداً الود والأنس ، في فتر الليل ، ولكن يمد  
الخير تزقه فتفسد عليها اللقا ، وتكشفها للعيان :  
وقد ...  
وهي لا تدرى تدو وجمالية في وصفه لكل من الزردة والشجرة المنورة ، حيث يدخل عليها

من صفات المرأة وخصائصها ، ما يجعلنا نحس وكأن الشاعر يصف امرأة لا عنصر طبيعيها ماثلاً  
أمامه ، وهو أمر قد مرمحنا ، وفعلنا فيه القول في مواضعه من هذا البحث .  
(٢) الجناس :

لقد أحسن خلفاً بظاهريه الجناس من تناغم وتألف وانسجام بين أصوات العروض فقال  
إليه ، ووشى به شعره ، فلا تثار تملو قصيدة أو مقطوعة من بيت أو أبيات فيها نوع أو أنواع

- (١) الديوان : ٢٤٢ ، هذا البحث : ٢٤٤
- (٢) نفسه : ٢٧٤
- (٣) نفسه : ٥٤ ، نفسه : ٤٧
- (٤) نفسه : ٤٦ ، نفسه : ٤٣٧
- (٥) نفسه : ١٣٨ ، نفسه : ١٩٥
- (٦) نفسه : ٢٥ ، نفسه : ٣١٤

- (١) في برد ليلها بقره منسليم
- (٢) ونديل فضل صغيرة أجبوزاء
- (٣) فتعبر أنفه عنها الرباح
- (٤) ربح السباح به فاذلتهم
- (٥) وأنفاً تصعد أم ربحاً
- (٦) رداً أيقناها بمرقة يد الشجر

منه ، كما لا تغلو قواعبه منه في كثير من الأحيان ، وهو أمر أكسب شعره إيقاعاً موسيقياً  
عذبا ، وقد أُلحنا إلى هذا من قبل ( ١ ) . فهو مستخدم التجانس النماثل ، والمستوفي  
أو الممتق كما يسميه علماء البلاغة ، ولكنه لا يكتر منه كتوله في صفة شجرة نارنج شجرة :  
بِالْأَيْكَةِ النَّضْرَاءِ مَعَ خَضْرَاءِ ( ٢ ) .

نَجْمَتٌ تَرْتَقِي بِهَا نَدْوَمٌ حَسْبُهَا  
فبما نسه بين ( نجمت ونجوم ) والنضراء الأولى وهي صفة للأيكة ، والنضراء الثانية وعنى  
بها السماء . وكما في قوله في صفة سترك :

وَالشُّهْبُ شُهْبٌ وَالشُّهْبُ شُدْفَةٌ  
وَالشُّقْرُ جَمْرٌ وَالقَتَامُ دِيمَانٌ ( ٣ )

فبما نس في سياق التشبيه البليغ بين الشهبوعني الأفراس الشهب ، وشهب : جمع  
شهاب ، وهو الشعلة الساطعة من النار .

ويستندم التشبيه السابق ، وربما اتفق حرفا لا وزنا ولا يكتر منه كذلك ، كقوليه  
من شعر بصف فيه حاله وقد أدركه الضار :

لَقَدْ أُبْتُ بَيْنَ الرَّعْدِ وَالْقَابِرِ أَشْتَكِي  
بِسْمِي مِنْ وَثْرِ وَظَهْرِي مِنْ وَثْرِ ( ٤ )

فبما نس بين وتر الأولى ومعناها أن باب السمي بعضه أركله ، ووتر الثانية وهي الحمائل  
الثقل .

وقوله في قصيدة غزل :

وَإِنْ سَتَمِي لِمَنْ طَرَفَ بِهِ سَتَمٌ  
فِي أَنْسِ بَيْنَ الكُجْلِ وَالكَحْلِ ، وَيَبِينُ سَتَمٌ وَسَتَمٌ .

ولكن النوع الذي مال إليه الشاعر وطأنت إليه نفسه ، فاكتر فيه القول ونوع ، إذ  
هو تجنيس الضارعة ( ٦ ) بصغلتها ضرورة ، فقد يأتي بالتجنيس الذي تتساوى حروفه  
ولكنها تختلف من حيث الترتيب ، كما في قوله في صفة شعر :

- 
- ( ١ ) هذا البحث : ١٦٣ ، ٢٢٩ / ١٦٨ ، انظر إليها : ابن خالوية : ١٠٨ - ١٠٩ .
  - ( ٢ ) نفسه : ١٥٦ ، الديوان : ٧١ .
  - ( ٣ ) الديوان : ٣٤٤ ، هذا البحث : ٢٩٩ .
  - ( ٤ ) نفسه : ٢٠٧ ، نفسه : ١٩٤ .
  - ( ٥ ) نفسه : ١٤١ .
  - ( ٦ ) الحميدة : ٣٢٥ .

وصحيفة هزّ الهدى صفيحة  
وردت تذكرني الهدية نفحة

منها وحف بالساور رماحها  
وتهزني هزّ القضياب مراهها (١)

فجانس بين ( الصحيفة ) و ( الصفيحة ) ، و ( رماحا ) و ( رماحا ) في قافيتي  
بيتين ، كما جانس بين ( تهزني هز ) في البيت الثاني . وكتوله :  
لا أجهلي لسهّا حتى أعي ملهّا  
عدّآ من اليكم بين السّمح والبصر (٢)

فجانس بين ( لساها ) و ( طحا ) نجسها اتسق وزنًا واختلف ترتيب حروف ، وهو  
بعض ماها خاصة بالجناس الدانس ، أي ذلك الذي تتفق فيه الكلمتان في بعض الحروف  
لا كلها ، فقله في صفة التمر :

تمر من نائس حورا ومكتمل كورا  
ومن مرتي طورا ومنحدر (٣)

فجانس بين الكلمات : ( حورا ، كورا ، طورا ) تجنيسا لها ، وكتلوه في صفة

مدح وجهه :

فيهني المعالي كفى أو كقل (٤)

ويكفي ويكفل في حاله

وتوله :

فما كان إلا أن طوتهم يد الرّدى

وطارت بهم ربح النوى والنوايب (٥)

فجانس في البيت الأول بين ( يكفي ويكفل ) و ( كفى ، كفل ) ، كما جانس في  
البيت الثاني بين ( النوى و النوايب ) .  
وقوله في سياق المدح أيضا :

- 
- (١) الديوان : ٢٨٨
  - (٢) نفسه : ١٣٠ ، هذا البحث : ٢٢٢
  - (٣) نفسه : ١٣٠ ، نفسه : ٢٢٢
  - (٤) نفسه : ١٠٣
  - (٥) نفسه : ٢١٦ ، نفسه : ١٨٢

أضاف الى مجتلى مجتلى  
وفات الرياح ، وطلال الرّماح

فهرقُ يشامُ وروغنُ يشم  
فطولٌ عميمٌ وخلقٌ عممٌ ( ١ )

فجانس بين ( مجتلى ومجتلى ) و ( يشام ، وشم ) و ( الرياح ، الرماح ) و ( عميم  
عمم ) . وقد يعمرون على أن تكون الحروف التي حدث بسببها الاختلاف بين اللفظتين  
المتجانستين ، من نفس المخرج الصوتي أو متقاربة في ذلك ، كما ينشئ على الكلمتين نوعا  
من الانسجام الصوتي ، وتناظرا يعمرون لاجلها من الاختلاف ، كأن يأتي بلفظتين  
تتشاركان في جميع الحروف ، ماعدا حرفين قد يكونان الراء واللام كما في قوله :

وتأذير قد كان لي عابدا

وقوله من ذات التصيدة :

علقته أحوى اللس أحورا

عاطر أنفاس الصبا عابلا ( ٢ )

وقد يكونان الراء والنون ، كما في قوله :

فتجمع أوباري علي وأطاني ( ٣ )

فيا ليت شمري هل لد هري عافه

وقد يكونان الباء والميم كما في قوله :

فهولها مضاروم مضطرب ( ٤ )

ويات في سرى الصبا تصفمه

تجمعها وحدة الاشتقاق ، كقوله في الفزل :

وقد يجانس في أحيان كثيرة بين ألفاظ

فلم أر في تيبا إلا متيما

وحنت ركابي والهوى يبعث الهوى

ترامى بنا أيدي النون كل مرتسى ( ٥ )

فها أنا والظلماء والميسر صعبة

فجانس بين ( تيبا ، وتيما ) وبين ( ترامى ومرتسى )

وقوله في سيات الدعاء للمدوح :

وسياسة ووقيت عين النافيس ( ٦ )

وقيتت تنقلب النفوس نفاسة

( ١ ) المصدر السابق : ٤٥

( ٢ ) نفسه : ٢٤٨

( ٣ ) نفسه : ٣٤٥

( ٤ ) نفسه : ٧٥

( ٥ ) نفسه : ٢٣٧

( ٦ ) نفسه : ٢٣١

وتوله في صفة خسر :

(٢) عقاراً نساء الكرم في كرمه  
 ولم تزل من بين المزدري فهي تدعان (١)  
 فإِنَّهُ فِي الْأَوَّلِ بَيْنَ (وَقَبَّتْ وَقَبَّتْ) تَهْنِئَةً نَاقِصَةً ، وَجَزْراً (النفوس ونفاضة و) (النافس)  
 وجائس في الثاني بين (الكرم وكريمة) ، تجنيساً جامعاً الأصل الاشتقائي الموحد في كل  
 وكما جازع بين الفاتحة في درج الأبيات ، جازع بينهما في القوافي ، كذلك ، وخاصة في  
 مدلولاته (٢) . وقد أوجاه إلى ذلك حسه الانتقائي ، وحرصه على التلاؤم اللغوي  
 والانسجام الصوتي في شعره ، ساجمه أتمى على التأثر ، وأبهرت على الدرس ، والنسوة  
 والاستمتاع .

(٤) اللباق :

وهو ثاني ظاهرة بدعية استعملها الشاعر في تلحين فنه وتعميقه ، ولكنه لا يكثر منها (٣)  
 ولأنه لم يكن يحمل اليها كما كان يزجده بين موصوفاته من تعاطف ، وحس به من وحده  
 خفية تجمعها ، وهو يوردها كما عرفها علماء البلاغة : أي يجمع بين الشيء وعنده في الكلام  
 سلباً أو إيجاباً ، ولا يخفى مال لللباق من دور في إبراز المعنى وتوضيحه ، فما يقوله في  
 ذلك في سياق الاستعارة بالزمن قوله :

فعدت متى أبقيت ويظمن صاحب  
 وعدت متى أرى الكواكب ساهراً  
 أو دغ منه راحلا غير آيب  
 فمن طالع أخرى الليالي وضارب (٤)

فقد طاب بين (أبقيت ويظمن) وبين (راحلا وآيب) في البيت الأول ، واللباق  
 في البيت الثاني بين (طالع وضارب) . ويقول في صفة أغمان تصلبها الريح فتتاسر شابهة :  
 أمقام وعمل أم مقام فـــــــراق  
 فالتعب بين تاسفح وعـــــــراق  
 أنسيني غلق الوقار ورميها  
 أنكرني بمواقف الشـــــــراق (٥)

(١) الديوان : ٢٣٥

(٢) نفسه : ٢٢٨ - ٢٣٠ ، ١٤٧ ، ٢٩٣ - ٢٩٦ ، ٢٠٠

(٣) ابن فاجية : ١٠٨

(٤) الديوان : ٧١٧ ، هذا البحث : ١٨٢

(٥) نفسه : ١٥٨ ، نفسه : ١٥٣



ورمافة حسه ، وقوة شاعريته ، وهي براعة لا تهد وفي اللمحة الى الوب فحسب ، بل في نزعتيه  
التسويرية أيضا ، فقد كان - ومعظم شعره الروعفي يشهد على ذلك - رساما بارعا ، يعنى  
بالمسورة وما يتعلق به من عناصر ومعالجات ، يفتني لها الاداة المسورة ، والالوان المناسبة  
ويبتغي فيها الحركة والحياة ، مما جعل شعره يزهو بالصورة الجميلة الالية الموحية .

(٥) المسورة الشعرية:

لقد عني ابن خفاجة في شعره بالصورة ، واتخذ منها وسيلة مهمة في عمله الفني ، كما  
التبس فيها من فعالية وقدرة على : بعبارة والتأثير ، فهي وسيلته في تصوير طبيعته السقي  
بهييم بها قلبه ، كما أنها وسيلته في الافصاح عن مشاعره ، والاعراب عن معانيه وتصوراته  
ومن هنا كان تركيزه على الصورة ، يسهلها تلك المكانة في شعره ، والصورة " الخفاجية"  
قد تكون مركبة ، بمعنى أنها قد تكون مشهدا يشتمل على عدة عناصر ، وقد تكون صورة  
مفردة ، وبمعناها يدل على براعة الشاعر ، ودقته في التصوير ؛ إنك تحس ، وأنت تقرا  
للشاعر ، كأن لهبهمة شقر بهيالم ارجحيتها وأصواتها قد نقلت اليك ، فأنت تشاهد هذا  
المشهد تلو المشهد ، والصورة تلو الصورة ، تسمع الاصوات ، وتشم الروائح المطيرة  
وتحس باحساس الشاعر من خلال ذلك كله ، فتتفعل له ، وتشاركه الاحساس والشعور  
فرعا أو حزنا ، وهو قد جبرك الى ذلك ببراعته في الروعف وقدرته على التصوير ، فلورجمت الى  
احدى روضياته ، ولتكن الروضية الاولى ( ١ ) ، مثلا لمشت مع الشاعر لمثلات  
في روضته الشعرية ، وأنت تنتقل معه من صورة الى أخرى ، ومن مشهد لاخر ، فببراعة  
يستدعيها تنوع المناظر وجمال العرض ، فمن مشهد الصبح وهو يكشف بضيائه سر  
فتتلاها قطرات الندى على زهرها فتزداد جمالا ، الى مشهد الغمامة التي تروي النسيم بطاها  
فتشرب الاقاسم ، وتبتل الأشجار ، الى مشهد الماء السائح المترقق ، وهو يشق حراه  
وسيل الروح الخضراء ، الى مشهد الاراقة ، والبطائر الشادي على غصنها ، وهي مشاهد  
متعددة ، وينسبها البار واحد هو الروض ، ولكنك تلاحظ أن الشاعر لم يعرض عليك مشاهد

(١) هذا البحث : ١٣١



المدّة ، وإنما عرضها عليك في صور حية متلاحقة ، متلوّنة بشاعرا لا نسان وأحاسيسه  
 لم يبح يحدرتناح الزهرة ، وفتفتق كما صمتها ، وبشفت عن جمالها ، وفتاحة ترضع أخلاف  
 منطمة الصلوة ، وهد الصبا تنثردر الندى ، والريح تنفض لمم الربا ، والثلج ينضج  
 وبيد الأشجار ، ثم تلك التي للربالذو اللير ، ففتتزله ، وتخلج عليه من نورها تمسيرا  
 من فرحتها ونشوتها ، فالأمة في حرا بن حفاجة ، وان كانت منقرة ، احياننا ،  
 عن الواقع الموسوي بسند ، إلا أنها لا تنقد ، عياتها ، وسرقتها ، بل تزداد ، بملاهما  
 بعلده علم الشاعر من أحاسيس ومشار ، وما يوجد بين عناصرها من ارتباط وتعالف  
 وهي ، فصائص نرى ضرورة التندت عندها ، وهو باختصار .

اللون :

لقد أحسن ابن حفاجة بجملة الألوان ودورها في التسيير والتزيين الى جانب فعاليتها  
 في التأثير ، فصني به ، وزين بها صر ، بلهفية تشهد له بسلامة الون ، ورهافة اللمس  
 وحسن الانتقاء والاستخدام ( ١ ) وأبرز مثال على هذا قوله

يوم جرى برقه أشقرا  
 ترى الأرض فيه وقد فتت  
 وقد ألتج الروض من أيد  
 ولرز أوثاب تلك الضم  
 وقد تبل الماء كأس المدام  
 وشرب المزاج بها حفاجة

تكاثر بها الكأس أن تلهها ( ٢ )

وهو من تزدحم فيه الألوان ، فمن البرق الأشقر الى الزن الأزهب ، والى الأرض  
 الحفاضة ، والسما الذهبية ، والأبيدة المغامرة ، والزنبقة البيضاء ، والى لون الكس  
 المشف ، عما بداخله من مدام أسمر ، وهي ألوان كما نلاحظ ، صارخة ، تزيد الصورة ساطعة  
 والمشهد ضياء ووضوحا ، وهو هو مناسب لاقامة الافراج ، وعند مجالس الأيس والسب لرب  
 مع الصبيب ، في أحضان اللميمة الفاتنة ، وقد يستخدم الشاعر اللون للتعبير عن أحزانه

( ١ ) ابن حفاجة : ١٠٤

( ٢ ) هذا البحث : ١٢٦

واشبهانه ، فيصور النهار من الماقاتا كما في قوله :  
 وألقى بها من الصبح يسود وحشة  
 وهو يستمد ألوانه من اللمبة ، وهذا ما تراه من هذه المتنوعة ، ولون بها صوره بالقسدر  
 الذي يزيد من جمالها وبهاشها .

\* الحركة والحياة :

الميزة الثانية التي تتميز صور ابن خفاجة هي الحركة والحياة ، فهي في غالبها  
 صور مليئة بالحركة ، عامرة بالحياة ، وقد شهد ذلك على نزوع ابن خفاجة إلى احياء اللمبة  
 وتحريك اجزائها ، وقد اتخذ من التشخيص وسيلة فعالة في ذلك ، فهو يبحث الحركة  
 والحياة في كل ما يحوله من ظواهر الكون ، ولذلك علاقته بنفسيته المحبة للحياة ، والناصرة  
 من الموت ، وكان هذه الظاهرة ، ظاهرة التشخيص ، اسقاط لحيه وتعلقه بالحياة ، فقد  
 أشفى على موصوفاته اللمبية حياة انسانية ، ولعل للعلاقة التي أوجدتها الشاعر بين  
 اللمبة والبراة أثرها في ذلك . فكل ما ترمز إلى الحياة في نظره ، واليديد عنهم  
 وتغليبها لتخليد للحياة فيها ، ومن هنا جاء تشخيصه لللمبة تميرا أصيلا عن نفسه  
 ذات علاقة تريا بها ، سواء اليه غيره من الشعراء ( ٢ ) ، وقد لاحظ الدكتور سعد رضوان  
 الداية هذه الظاهرة في شعر ابن خفاجة ، فأشار اليها بقوله : " ويرز عنصر " التشخيص  
 بشكل صريح لا يدع حيزا ، والأشياء تتحرك ، وتنبه في مظلواته ومقاييسه . فاللمبة تتحرك  
 والجمادات تتكلم ، والأشياء تتحرك ، وهو ما ذكرناه غير مرة في هذا البحث ، وتعد قصيدة  
 الجبل " أوضح مثال على ذلك ( ٥ ) .

\* الانس :

وهي خاصية تتولد من الشعاعية التي قبلها ، ان خاصية التشخيص ، فمن نشعر في  
 تسير ابن خفاجة ينبو من الرود والتماثل ، يربط الانسان واللمبة ، كما يربط عناصر

- 
- ( ١ ) هذا البحث : ٢٩٤
  - ( ٢ ) الفن ومذاقها في الشعر العربي : ٤٤٥
  - ( ٣ ) ابن خفاجة : ١٠٧
  - ( ٤ ) الفن ومذاقها : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٣
  - ( ٥ ) هذا البحث : ١٨١ - ١٨٤

اللبيمة بدسها ببعض ، ونادرا ما نعس في صوره بمعنى الصراع والتنافر ، وما هو وجود منه انما هو تجل للصراع الناشب في أعماقه بين الحياة والموت .

الواقعية والخيال :

لقد رأينا من قبل ، أن الشاعر قد ذكر مصطلح "التخييل" ، ولكنه قرنه بفكرة الكذب فاعا عن شخصيته وفنه في وجه الاتجاه النقدي الاخلاقي الذي كان به . شاعر على قوله "لاني فعلت" واني "صنعت" (١) ، ولكننا لو أنعمنا النظر في شعره ، والوجه في منحه خاصة ، لوجدناه يعسر الواقع ، ويستسلم لخيالته يستمد مما الصورة تلو الصورة هيئا آخر فنعين نحرر بواقعيته في رسم المشهد في إطاره الكلي ، فجزئياته ، كما نحس بدور مغليته في اثراء وصفه بالصور المتتابعة ، والتي أثارها مشهد بعينه ، أو واقعة ، بعينها ، فتناجت وتلاحقت ، ولكننا نحس مع ذلك كله بتدرة الشاعر على التوحيد والصور ، أي ضم تلك العناصر أو الصور المتفرقة في وحدة ، وصورها في بوتقة واحدة . ما يدل على أنه كان يمتنع بخيال يعي مقتد ، يشبه ما أسماه "كولردج" بالخيال اللاتري ، أي ذلك الذي "يذيب ريلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد ، وعينها لا تتأني له هذه العملية ، فانه على الأقل يسمن الى ايها الوحدة ، والتي تؤول الواقع الى المثالي" . أو تلك "القوة التي بوساطتها تستأبح صور معيناً وإحساس واحد أن يهيمن على عدد صور وأحاسيس..." فيحقق الوحدة فيما بينها بالربط أشبه بالنهر . (٢) ولعل قدرته على التوحيد بين عناصر اللبيمة ، وبين اللبيمة والانسان ، بما استخدمه من تشخيص واستمارة كانت : حرة لهذا الخيال الذي يشهد تصويره ، بسيرته وابداعه .

وعلى العموم ، تظل الصورة عند ابن خفاجة ، وسيلة مهمة ، عبر بوساطتها عن إسهاته ومشاعره نواح من خالها بنزعاته وميوله وتصوراته ، فجاءت محبرة عن نفسيته الرقيقة ، فقد بما كان يعرض به في باطنه من صراع بين حياة يعشقها ، وموت يرهبه ويكرهه . وسنحاول فيما يلي ، إضافة هذا الجانب المهم في حياته ، ورصد تجلياته من خلال فنه .

(١) هذا البحث : ٤٣ ، ٤٤ - تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٤٦٦

(٢) كولردج : ١٥٦ ، ١٥٨ .

## القسم الثاني

### في المعنى

لقد أسلفنا أن ابن خفاجة كان يحتفي بالمعاني الى جانب اعتقائه بالالفاظ  
لاختفائه بالمدالمة الجدلية بينهما ، وأنه كان يتنقلت في معانيه من أرضية ثقافية واسمسية  
ومتفرقة . . . فبدأ شعره زاغرا بالمعاني ، وما زاد بروز هذا الجانب في شعره  
استغناؤه بالمدورة ، وعرضه على توشيه شعره بأكثر قدر منها ، وشحنها بأحاسيسه وشاعره  
الامر الذي جعلها تزدهم الى درجة أضحت فيها شعره غامضا عصيا على الفهم أحيانا  
وابن خفاجة كشاعر موهوب ، ذي شاعرية مبدعة ، يضرب بسهم في كل فن من فنون الشعر  
المدرونة في عصره ، فقد مدح ندرى وأمال في ذلك ، ووصف الأبيمة وغيره وتنزل ، وشعر  
رثيا ومن رثوه ، وورد الموضوع أو العرض تارة ، ويخلط الموضوع في القصيدة الواحدة  
تارة أخرى ، ولكن البلاغة التي تبدت وجليت واضحة في فنه ، هي غلبة موضوع الأبيمة  
بمدالياتها المتنوعة على معاني الشاعر وصوره ، فهو يستمد منها استعاراته وتشبيهاته ، ويتكى  
عليها في إبراز معانيه و . . . به بكتيفية طفلة للنظر . وقد أشار الدكتور محمد رشيد الدايمة  
الى هيمنة الأبيمة على شعره ، وأثرها في معانيه ، فقال " إنها سيطرة تعالي الشعر رونقها  
خاصا ، وبها ، وتعاليه نفحة خاصة ، رقيقة بعيلة " ( ١ ) وهو يضي في معانيه في  
اتباعهين : " محاولة الإغتراف والابداع في المعاني ، ومحاولة بعض المعاني التي سبقت  
التيها برفعة جديدة ، أي هو كان بين الإبداع والتوليد " ( ٢ ) . وهو أمر تنبه له القديس  
شاروا اليه في مؤلفاتهم استعسانا وموازنة كما أشار اليه داروا ابن خفاجة من المعاصرين ( ٢ )  
ريد تمرننا ، الى هذا في اثنا هذا البعث ، والذي يهمننا هنا هو التركيز على معنيين  
مهمين هما معنيا الحياة والموت أو البقاء والفناء في فن ابن خفاجة .

- 
- ( ١ ) ابن خفاجة : ١٠٣ - ١٠٤ .  
( ٢ ) الذخيرة ٢ / ٢ : ٥٧٣ - ٥٧٦ . بدائع البداء : ٢٥٣ . غرائب التنبيهات :  
١١٧ ، ١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ . الخيش المنسجم : ١٤٥ ،  
٢٤١ - ٢٤٧ ، ٢ : ٦١ ، ٢٦٠ . المطرب : ١١٥ - ١١٦ .  
تزيين الاسواق : ٢ : ٧٦ ، ٩٤ - ٩٥ . ديوان الصباينة :  
٣٧ . معاهد التنصين ٢ : ٢٣٠ ، ٣ : ١٥٢ . نفع الطيب :  
١٠٦ . ابن خفاجة الاندلسي ، لأحمد الاسكندري : ٤٩ - ٥٥ .  
ابن خفاجة : ١١٢ - ١١٣ .  
ابن خفاجة : ١١٠ - ١١٢ .

إن الحديث عن الحياة والموت أو البقاء والفناء في شعر ابن سينا هو حديث  
 عن فلسفة الشاعر وتأثره وتصوره للثون والنياق والانس ، فقد عاش الشاعر في شبابه مقبلا  
 على الحياة ، منصرفا بجمعه الى كل ما فيها من متع ووطنات ، يفرح من معينها وينهمس  
 غافلا ، سادرا في غفلته ، غير متذنب لطايد ورهولة من تقلبات وصعوبات أحداث ، فعقد مجالس  
 اللهو والارتب مع الارباب والمحبوب في زبوع الطبيعة ولنه الفناء ، كان هدفه في اهتمام  
 شبابه النفس ، وساعات صباه الهادئة الهنية ، كان السيف في ناله مدا ما أسر بهتاه غلام  
 أحر ( ١ ) ، وكانت محبة المحبوب دائما له ، ومثواه كعبته ، ورويته حجه ، وقد كراه قرآنه ( ٢ ) .  
 وان اغتنام اللذات وعدم تفويت الفرص ، هو عين المقل ومسن التدبير ( ٣ ) وان ذلك العيش  
 لا يطيب في أجواء الطبيعة الفاتحة ، ولا يعلو بعيدا عن ليلها الندية ( ٤ ) . ولكن ساعات  
 الانس وأيام الرضال - كما يقول - قصيرة ( ٥ ) . فلم يكن وهو ذو النفس الرقيقة ، والعين  
 المرهفة ، يهتق بمنأى عن تأثير الزمن ، والاساس بالعبادة في تغيرها وسيرورتها وتناقضاتها  
 والاساس بالموت ، والذات ، والشعور بالفناء الذي يهدد الاحياء ، وما على الأرض من  
 موجودات . فأعرب عن احساسه بذلك ، وأبرز مخاوفه وفرقه من الموت ، وقد علق هكذا  
 الاساس لديه دواع وأسباب أخطا القول فيها قبلا ( ٦ ) . وهو احساس ينمو لديه حتى ينحني  
 حالة مرضية تراوده في حله وترحاله ، وليله ونهاره ولكن حبه للحياة يبال ينمو - في مقابل  
 ذلك - ويتعمق ، فهكذا الشاعر من العنين الى أيام الجمال ، وساعات الانس ويذوب شوقا  
 الى معاهده وذكرياته التي قضاها في ظل شبيبته وشرخ عمره ، ويبكي لذهابها بكاء  
 يتأوه لذلك الآهات تلوا الآهات مما يدل على تعلقه بها وسبه الشديد لها :

- 
- ( ١ ) الديوان : ١٢٥
  - ( ٢ ) نفسه : ٣٤٥
  - ( ٣ ) نفسه : ٢٤٩
  - ( ٤ ) نفسه : ٢١١
  - ( ٥ ) نفسه : ٢٨٥
  - ( ٦ ) هذا البيت : ٥٠

فأهـ طـولاً ثم أهـ لكـسـرة  
بكت على فقد الشباب بهادماً (١)

\* \* \*

ألا بان عثر كان يندى غصارة  
فيا لمت شمري هل لدرى دلفة  
فيما لمت ذاك الميتر لو كان منكس (٢)

\* \* \*

فيا لمت شمري هل لدرى دلفة  
ميا بين أرتاري ومهد لذتي  
ومشاً تنهماي وطحب غزلاً نسي (٣)

لقد أثرت ثقافة الشاعر الدينية ، وواقعه الاجتماعي والسياسي في شخصيته ، فحول مجرى حياته ، وعاش حياة إيمانية صادقة ، وتطورت نظرتة الى الحياة ، وأقبل على نفسه بحاسنها ولمسها ، وبأيد التفكير في ما يضرها وينفعها :

غيري يحقد من أتسيه  
وشأن مثي أن يرى خاليها  
مانال من ساني ومن كاسيه  
بنفسه يبحث عن نفسه (٤)

وهو تحول نوعي ، جعله وجهه الوجه أمام شعب الموت الذي يغفل عنه مد من الزمان كما جعله يفكر طيافي مصيره الذي ينتظره ، ونهايته التي سيؤول إليها ، وهو أمر لا ترغبه نفسه المحبة للحياة ، المتملقة بها تعلقاً شديداً ، فازداد حبه للحياة ، بقدر ما زاد فرقه من الموت والفناء ، وهو شعور طفا على شعره ، وعبرت عنه صورة الشعرية في غزله وروايات وأظنني لا أبالغ إذا قلت : إن فترتي الحياة والموت قد تجلتا بصورة أو بأخرى في وصفه للطبيعة ، وانهما تمثلان ظاهرة بارزة في نتاجه الأدبي عامة ، وشعره في الدليمة على الرتبة الأولى . فلرأنا هذا الدأري شعره وربطناه بحياته ونفسيته لالفيناه :

يتخلزل بدائع الاعتسار بالبطال ، والانجذاب الغلري الى الطرب الأخر الذي يشاركته تستمر الحياة ؛ ومدح الربانيين لانه رأى فيهم القوة المنقذة التي وثقت بهزم في وجه الفناء الذي كان يهدد الوجود الاسلامي في الاندلس ، ورث من تغافلته الموت من الاصحاب والتملان في نعمة حزينة مشجبة ، تتغللها أهات وأنات تصرب عن أساه وأسفه على ذهابهم وفهمهم

- (١) الديوان : ٢٢٧
- (٢) نفسه : ٢٧٨
- (٣) نفسه : ٢٤٥
- (٤) نفسه : ٦٢

كانت تسلو الحياة رثاها . وقد يترون بين النزل والرثا (١) حينما ، وبين المدح والرثا (٢) حينما آخر ، وكأنه بذلك يتقابل بين الحياة والموت ، والبقاء والفناء .

\* - ولوجودنا يخلق على موضوعاته من نفسه ، يتركها ، يتركها ، يبحث فيها الا اساس والحياة ما يجعل عنصر التشخيص يبرز بجلاء في شعره ، وكأنه بذلك يخلق عليهما ما يدلانه من عيب للحياة ، وتعدت بالبقاء .

\* - وهو يوجد بين المرأة والابمية ، وحرب من خلالهم عن عبه للحياة ، فالمرأة سبب في استمرار الحياة ، وعمره الشاعر ، فدناش وحيدا ، كفن من وحيد في شجرة مهددة بالفناء ،

والابمية شرح يتجدد فيه معنى الحياة ، فصحنى الحياة المشترك بين الابمية والمرأة هو هدف الشاعر الاول ، ونمايته القصوى ، وكأنه بتوسيده بين المرأة والابمية ، وتغلبته لهما في شعره ، كأنه بذلك يولد معنى الحياة ، الذي تتعلم به نفسه ، ويهواه قلبه على سبيل التصوير .

والا اساس بالحياة والتشبيث بها ، والا اساس بالموت والتفوق منه يهدد و أيضا في تصويره الليل والنهار والبحر ، فالنميا يعني - عنده - الحياة ، والذلام يوسي بالوعشة والافراد ، فكانه تبرز يغمر الاعميا بأستاره الثقيلة ، ويحجب عنهم الحياة ، فهو لذلك يمدعه ويحرقه ، بشبهة فرسه ، أو بضياء الصباح أو بوميض البرق ، في صور عنيفة قوية ، توهي بمعنى الصراج ، ومجارية التخلع من أمر ترعبه نفسه ، وتتوجس منه خيفة ناليل يعني - في دارة - السموت ، كما أن البحر يهنيه كذلك . فهو لذلك يوعده بين صورتيهما ، فيمرور الليل بحرا مثلا لطم ، والبحر ليل قاتما ، فكلاهما يخرق ، ويوهي بالموت والفناء .

- والشجرة توهي بمعنى الحياة ، فهي - دائما - أما مورقة أو مزهرة ، تنتشي وتهتز ، وتلرب وتتأيل ، وكأنها رمز حياة الشاعر في عز عمره ، ويربحان شبابه (٣) .  
- والسيك يعني صاحب الشاعر وشغله الوفي ، بل يأخذ مكان محبوب ، أحيانا ، فيمانق ويضامع ، وما ذلك إلا لأنه سلاح يساعد على استمرار الحياة ، ويدفع دونها عوامل السموت والفناء (٤) .

(١) الديوان : ٥٤

(٢) نفسه : ١٦٨ ، ٢٧٥

(٣) عن البحث : ١٦٧ - ١٦٨

(٤) نفسه : ٢٦٢ - ٢٦٣ وما بعدها .

والقمر عند رمز للزمن، في منبهيته وممرورته (١) . والجميل رمز الثبات والرسوخ ، ومنوان النسيب والتعدية ، فهو لذلك يلقب بالآية ، ويستثناه ويستثنى منه ، ويستمدد الحبرة والنسيب على مراجعته ضميره (١) . ولكن صورة الصراع بين الحياة والموت - مع ذلك كله - تلت ذلك تلاحقه وتؤرقه فهو وحيد يسير نحو الفناء تدريجياً ، وواقعه الايمان والسياسي لا يزحم ، فهو مثل الفناء فيدأ ترون من عوامل البقاء ، وتمائر الحياة والموت في عناصر الطبيعة التي ركن اليها ، وبشأن الآله وأفراده ، طائفة أمامنا فيه ، ولا وسيلة تنجيها ما يحدنا فيغير فرسه الذي يجريه يسره بسرعة مذهلة ، تسبق الريح والبرق ، بل ويغير ويخلق به بعبداً ، وكأنه بذلك يماضي الزمن ويتعالى عما في واقعه من دواعي وعوامل الموت والفناء .

لقد عاش ابن خفاجة مذهباً للحياة ، مرتبطاً بها برباط وثيق ، ولهج بذكرها ، فصرحنا وتلمحها ، ولكنه عاش ، - في مقابل ذلك ، وخاصة في سن الكهولة والشيوخوخة - بخائفاً من الموت ، تلقا من كل شيء مهدداته أو يذكريه ، ولكن ، ويحد هذا كله - هل كان ابن خفاجة أبيقوري المذهب في الحياة (٢) . وللإجابة عن هذا السؤال بقين بنا أن نذكر أن ابن خفاجة شاعر مسلم ، وهذا يعني أن تصور الحياة والكون والإنسان ، تصور إسلامي يحترف بوجود الله واحد مدبر لهذا الكون ، وهو من بأن الدنيا مهمات استرول إلى نهاية محتسنة وفناء محقق ، وأن هناك يوماً هو يوم القيامة ، يعرض الناس فيه على ربهم ، فيحاسبون على أعمالهم ، فيأما إلى رحمة وأما إلى عذاب ، ويترنحان حياتهم في شبهته ما هي إلا رموزاً لنفس وليس أمانهم ، وقد أطلع عنها ، وبكى وقرعه فيها ، وندم على ذلك ندماً شديداً (٥) . وقد يهول ألسانه ، ويستدرك ذنوبه إلى درجة يزيد فيها توتره ، ويقوى فيها احساسه بالموت الذي يشعري لديه لنزايود مصرفة أسرارها فينادي الصب الثمين تمسوا ، ويسألهم عن سر السرور ولكن لا يجيب (٦) . وهو أمر قد يجعله يقدم مواعظ فيها نفعاً من شك ، إلا أنها طارئة لا تقدر في يتقنه باليون الأثير ، وطافية من خلود وشواب ومثاب (٧) .

(١) هذا البحث : ٢٢١ - ٢٢٢

(٢) نفسه : ١٧٩ - ١٨٢

(٣) دراسات في تاريخ الأدب العربي : كراتشوفسكي : ١٢١ ، حياة وأثر الشاعر الأندلسي : ٣٣١

(٤) الديوان : ١٠٥ ، ١٥٢ ، ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٠٦

(٥) نفسه : ٢٥٨ ، ٣١٠

(٦) نفسه : ٢٣٤ ، ٣٠٦

(٧) نفسه : ٢٢٦ ، ٣٦٢ ، ٣١٥



وأما "أبيقوروس" ففيلسوف يوناني أخلاقي ، دأله ما يعاني الناس من شقاء واضطراب  
فبحث عن أسبابه ودواعيه ، فوجد أن ما يعانيه الناس من ذلك مترتب عن الخوف : الخوف من  
الالهة ، والخوف من الموت ؛ وأن تفليس الناس من هذا الشقاء الذي ينقص عليهم حياتهم  
يكن في تغلبهم من هذين السببين ، فأعلن أن الألهة موجودة ولكنهم " لا يمتنون  
بنا ولا يكدرن نفوسهم بشؤوننا ، ولا يملنون عن ارادتهم بالنذر كما تعتقد العامة . . . فعلينا  
أن نأمن نحن من جهتهم ، وأن ننفي عن نفوسنا الخوف منهم . " وأن النفس الانسانية  
جسم عار لحيات الدنيا تتألف مع الجسم وتفحل بأنحلاله " ( ١ ) .

ومادام الالهة يمتنون بعديدينا ، غير معنيين بشؤوننا ، ومادامت الروح تحيا مع  
الجسد وتنتقل معه ، وتندثر بانتهائه ، فما الداعي الى الخوف اذا ؟ . وعلى هذا  
الاساس يقيم "أبيقوروس" مذهبه الاخلاقي ، فيرى : " ان الناية من الحياة هي الحصول  
على السعادة ، وما السعادة الا في اللذة " ثم يقسم اللذة قسمين : لذة الجسد ،  
ولذة النفس من أمان والاعتناء براحة بال ، وهي أفضل من الاولى ، وهذه تنقسم بدورها  
قسمين : لذات متحركة ومثابها للتحفة ، ولذات ساكنة ومثابها لسلامة القلب عن الرغبات  
الانسانية فير أنها ثلاث ، أولاها الطبيعية وضرورية للحياة كغبة الأكل والشرب والثانية طبيعية  
غير ضرورية للحياة كذا الزكاح ، والثالثة غير طبيعية ، ولا ضرورية كذا السيطرة ، والعكيم  
عنده هو الذي يشيخ الا الى يقف من اشباع الثانية ، ويحرض عن الثالثة . وهو يصنف  
مفهومه للذة من افسوس الفهم والتأويل فيقول : " عند ما أقول أن اللذة هي غاية السعادة  
لا أقصد بذلك لذات الذين لا يستطيعون كبح شهواتهم ، ولا اللذة الجسدية ، كما يدعي  
الذين لا يفهمون مذهبي أولا بمرفونه ، وإنما أعني باللذة عدم الألم الجسدي والاضطراب  
النفسى " ( ٢ ) . هذا باختصار هو مذهب "أبيقوروس" وتسميه للحياة ، وهو كما نلاحظ يناقض  
في أسسه ومطلقاته تصور ابن زرقاجة الشاعر المسلم للحياة ، وصحح أن ابن زرقاجة أحب الحياة ،  
وأقبل عليها بوجهه ، متمتعا طمنا ، وأن حلاوتها لا تتراخه طوال حياته ، مما جعله

( ١ ) تاريخ الفلسفة اليونانية : ٢٩١ - ٢٩٢

( ٢ ) تاريخ الفلسفة السريية ١ : ٩٦ - ٩٨ . تاريخ الفلسفة اليونانية : ٢٩٢

اليها ، ويتمنى عودتها ، وهي على ذهابها في حرارة وشوق ، وصريح أيما أنه عاش  
 رذلة يتزوج قط ، وأنه اندرف ، من مسرح السياسة في عصره ، وأعرض عن التهافت على  
 ذلك ، وللب السراتب ، وكان بها جديوا ( ١ ) ، وهي صفات قد ذكرها " أبيقوروس " في  
 ريفه للإنسان العظيم ( ٢ ) ولكن هل يكفي أن يتوفر شرط أو شرطان لهذا مذهب معين في  
 سان ، لأن نسب ذلك الانسان الى ذلك المذهب ؟ . انني أرى أن هذا التسلسل  
 فسدنا في أخطاء منهجية تفللنا عن الاعتدال الى الحقيقة ، أو ما يترتب منها ، وهو ما ينشده  
 بهنك الحلبي ، وهذا يعني أنني أرى أن نسبة ابن شفاجة الى " الابيقورية " نسبة غير  
 دقيقة ، أو أقل غير صحيحة منهجيا ، فالابيقورية مذهب فلسفي أخلاقي له أسسه وفروعه  
 التي يمت بروشيدية قوية إلى الاساس الذي يتكئ عليه وينطلق منه ، وابن شفاجة عاش حياته  
 بساطة ، وفي غير تعقيد فلسفي ، بنفسية معينة ، في واقع اجتماعي معين ، غرتة النهمسة  
 والشباب ، فنقل عن الحقيقة وجوده مدة ، ثم لم يلبث أن استيقظ من سباته ، وتنبه لنفسه  
 وتاب اليه رشده ، فتغير تبعا لذلك مجرى حياته ، وإن ظل يحن الى حياته في ظل شبابه  
 يلهج بذكرها ، ويتننى بحلاقتها ، ووصفوة القول : إن تأثرته الى الحياة نظرة ناميكية  
 تأثرت بإفقه ، وأثرت في سلوكه وتصوره ؛ وقد وجد في طبيعته وولنه الجميل فسحة ، فركن  
 اليها واستراح ، وأقبل عليه ايمور شاهدها ، ويجسد نواحي الجمال فيها ، ويشتمل  
 الآلام والاشجان ، ويهرب من خلالها عن مشاعره وانفعالاته ، وتصوراته ورواه بأسلوب مباشر  
 صيغ ، وبالريثة عفوية تلقائية حينئذ آخر ، الأمر الذي لم ينج شعره بتابع خاص ، وصيغة بنسبة  
 صيغة ، وهي صيغة نسبة ابن شفاجة بكل خصائصها وميزاتها .

( ١ ) هذا البحث : ٤٧ - ٤٨

( ٢ ) تاريخ الفلسفة اليونانية : ٢٤٦

القسم الثالث  
=====

مكانة ابن خفاجة بين وصافي الطبيمة  
في الشرق والمغرب

هذا هو ابن خفاجة ، ذو الحس المرهف ، والنفس الرقيقة ، والذوق الانتقائي  
لسليم ، وتلك هي طبيعته بأشكالها ومعطياتها ، جمال وتناسق ، ورزقة وإبداع ،  
لقد التقى الاساس المرهف بالجمال ، والنفس الرقيقة بالتناسق والابداع ، فكانت  
الهزة ، وكان الميل واللعب ، وكان - ثمره لذلك - أي ارتباط ابن خفاجة بالطبيمة ،  
وتعلق بها تعلق المحب الولهان بمن يحب ويهوى ، فركن اليها ، يتغنى بحمائلها ،  
ويصور معالم الروعة والفتنة في عناصرها وظواهرها المختلفة ، ويبحثها من حين لآخر  
اللامه وأمزانه ، وشاعره وتصويراته .

وهو في هذا كله قد يلتقي وشعراء العربية من قبله ، في معانيه وصوره ، تبعا لمامل  
الثقافة الواحدة ، والمشارك الحضاري ، أو غرضها للفرقة الحسية ، وسار التسلسل  
الذي طبع معظم شعراء الوصفي ، قديمه وحديثه ، بطابعه الخاص ثم ان الحديث  
عن مكانة الشاعر بين شعراء الطبيمة ، سرا منهم من سبقه أو من عاصره ، أو من  
جاء بعده ، وهو حديث يدخل في باب الموازنات ، وهو باب خطير ، لا يقوم الا على  
الدراسة الجزئية المفصلة والحقيقة المتجردة لحياة وأدب كل شاعر على حدة ،  
وهذه الدراسة هي وحدها التي تخول لنا السكم الصحيح أو القريب من الصحة على  
هذا الأريب أو ذلك بأنه أسبق من غيره ، أو أنه أضاف جديدا ، أو عاش حالة على  
غيره ، يتأثر معانيهم وصورهم ولا يخرج عن إطارهم ، وهو أمر لا تخفى صعوبته  
وروعيته ، ولكنني - مع ذلك - حاولت تحديد مكانة ابن خفاجة عن طريق موازنته بشعراء  
العربية من قبله ، وفي عصره وحده موازنة سريعة وعامة ، ممتدا على داوين أولئك

الشعراء ، وستميننا بالدراسات الأدبية المتوفرة عنهم .  
فهو قد يلتقي وذا الرمة في ربط الطبيعة بالحس والنظر الى الحياة ، والتعلق بها من  
خلال ذلك ، كما يلتقي وأياه في نزعتة الى إحياء الطبيعة وتشخيص عناصرها ، وهي  
خاصة ( أي التشخيص ) تجمعه بأبي تمام والبهتري وابن الرومي أيضا ، مضافا اليها  
تأثره طريقة الأول في القصد إلى استعمال المحسنات اللفظية والمعنوية ، متجنبنا  
تسقيده الفلسفي ، مع الميل الى الطبيعة والاتكاء عليها في ذلك ، وتشبيهها الثاني ، فضلا

عن ظاهرة التشخيص ، في العناية بالأسلوب الشعري وموسيقا الموشية ، وشبه الثالث في صياغته المعنى الصبوح اليه صياغة بهلادة ، ونزوعه الى محاولة الاختراع المستمر للمعاني الجديدة .

وأما ابن المعتز ، فيمكن أن يكون الشاعر قد استوحى طريقته في التشبيه ، والاكتشاف منه ، واعتماده فيه على الطيبي المحسوس ، وخاصة بهريق الذهب والفضة ، وألوان الانحجار الكريمة ، ولكنه يفترق وإياه في ولعه بالتشبيه التمثيلي ، وتوجيهه فيه الى الطبيعة يمثل بها لأساسه ومشاعره ، ويتكى عليها ألقاً عرف به واشتهر (١) .

ويتأثر طريقة أبي الطيب المتبني في مزج الفزل بالحاسة ، وينهج نهج عبد المحسن الصوري في نوتة أغزاله ، وولعه بالجناس الناقص ، كما يسير على ذات نهج عمر بن أبي ربيعة في أغزاله الحسية ، وعدم تقيد به بوحدة تلك عليه احساسه ومشاعره ، فسي تتبعم للجمال الحسي في المرأة ، ويسلك درب أبي نواس ومن تأثره ككشاجم والوأوا<sup>٢</sup> الدمشقي والصنوبري ، في جعل الطبيعة مسرحاً لتماطي الراح ، وعقد مجالس الأئس ، ولكنه لا يرفل إيفالهم في ذلك ، ولا تنسيه القمر طبيعته الجميلة ، ولا تصرفه عن تصوير مشاهدتها الرائعة الفاتنة (٢) .

وهو يستلهم طريقة الشريف الرضي ، ومهيار الديلمي في اللحن بذكر الأماكن النجدية والسجارية والشاسية على سبيل الرمز (٣) . كما يلتقي وشمر<sup>٤</sup> الأندلس في الولع بالطبيعة ، والانكباب على تصويرها ورسم مشاهدتها في حب وهيام ، فنجده يلتقي مع ابن عبد ربه في الاحتفاء بالطبيعة ، والتفزل بمناصرها غزلاً حسياً مكشوقاً ، ومع ابن هانئ<sup>٥</sup> في مغلح صفات المرأة الحسية على عناصرها الطبيعة ، وفي الاعتفاء<sup>٦</sup> بالسما<sup>٧</sup> ونبهر<sup>٨</sup> ، في بناء صورة الشعرية ، ويلتقي وابن دراج القسطلي في وصفه الحسي لعناصر الطبيعة وجعله من الطبيعة مذكراً بالخمر وداعياً لها .

(١) - انظر هذا البحث : ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٢ .

(٢) - الصدر نفسه / ٤٢ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ .

(٣) - نفسه : ٩٣ .

كما يلتقي مع غير هؤلاء ، وهم شعراء البديع <sup>(١)</sup> ، في التصوير المسمي لعناصر الطبيعة تارة ، وفي خلع صفات المحبين والعشاق على عناصرها الموصوفة تارة ثانية ، ولكنه يتنكب نزعهم في المفاضلة بين الأزهير ، وهي نزعة تأثروا فيها ابن الرومي ، وكأنه فان لعتمها وعدم جدواها ، ويلتقي وابن زيدون في مزج الطبيعة بمعاني الحب والفرام ، من جهة ، وهي عند ابن زيدون أصدق وأعمق ، والمعنين من جهة ثانية كما يلتقي وابن حمد يس في تألب الصورة ، وحرارة المعنين أيضا ، والمعنين الى الوطن ، ومرايح الدنيا ، ومبالس الأئمن ، خاصة يكاد يشترك فيها شعراء الأندلس في الترنيم الخاص والسادس ، وما تلاه من قرون ، وكان لأدوار حياتهم ، وأطوار حيواتهم أثرها العميق في ذلك . ولكنه يتميز عنهم جميعا في انصرافه الى الطبيعة ، وكلفه بها ، ولجؤته اليها ، يستمد منها معانيها وأسرارها ، ويستعين بمسورها على الانساج من شاعره وأحاسيسه وتصويراته وأفكاره ، وهي ميزة أكدناها غير مرة في هذا البحث .

ولعل الشاعر الذي تمكن موازنته باين خفاجة في هذا المضمار ، حتى أنه لقب بلقبه ، وهو شاعر الطبيعة في المشرق أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري <sup>(٢)</sup> فكلاهما أحب الطبيعة وأخلص لها الحب والتعلق ، وهام بها وركن اليها ، وكلاهما صور الطبيعة ومعنى بذلك ، عناية ناعقة .

ولعل ابن خفاجة قد ألتح على شعر الصنوبري ، وأخذ عنه طريقته في تلوين الطبيعة واسباغ النضياء على مشاهدته وصوره فيها ، وخاصة في ثلجياته ، ولكنه يختلف واياه في طريقة التصوير ، ففي الوقت الذي يمرض فيه الصنوبري صورته في وضوح وساطة وجمود في غالب الأحيان ، نجد ابن خفاجة يحرز صورته في دقة قد تصل الى الغموض أحيانا ، دون أن يفقد ما خاصة الحركة والعمية التي تزيدها جمالا وروعة ، كما يختلف عنه ، وعن شعراء العربية جميعا في قدرته على خرق حاجز المسم في التعامل مع الطبيعة ، والشغاف الى أمطاقها ، والاحساس بها على نحو عميق ، وقصيدته في الجبل مثال رائع على هذا التجاوز والسبق في تصوير الطبيعة والتفاعل معها والانفعال لها على نحو ايجابي حي .

١- أي كتاب البديع في وصله الربيع لاسماعيل الحميري ومنهم : ( ابو عمر يوسف بن هارون الرمادي ، والحاجب المصحفي ، وابو عمر أحمد بن فرج ، وابو مروان عبد الملك بن جمهور ، وابو جعفر بن الابار ، وابو بكر بن القواية ، . . . وغيرهم ) .

٢- فنون البعث / ٨٢ - ٨٩ /

لقد كان ابن خفاجة صادقا مع نفسه - أولا - عندما أقبل على الطبيعة بصورها تصويرا يتم عن تعلق شديد وحب عميق ، واحساس قوي بالجمال والتناسق فيما يحيط به ففي تلك الطبيعة البهيمة والكون الفسيح من حوله من ظواهر وكائنات ، فقد كان يعتمد الصورة وسيلة للأعراب عن معانيه ، والافصاح عن مشاعره وأحاسيسه وتأثيراته ، فكانت الطبيعة ، لذلك بكل عناصرها ومعانياتها معينا ثرا استمد استماراته وتشبيهاته - وموره بكيفية مطفئة للنار .

كما كان صادقا معها ، ثانيا ، عندما أوجد في عالمه الشموري ، تلك العلاقة السميكة والوحدة المتناسكة بين صورة كل من المرأة والطبيعة في وصفه ، فهو نثار الى المرأة من خلال الطبيعة ، ونثار الى الطبيعة من خلال المرأة ، ونفي ذلك اعراب عن احساسه بالجمال ، وخلق لما في أعماقه من حب للحياة .

كما صدق ، مرة ثالثة ، عندما أعرب من خلال الطبيعة عن احساسه بالزمن ، ثم بالموت والفناء ، فقد كان ممبا للحياة ، مقبلا عليها ، لهجا بذكرها ، كارهيا للموت ، ناضرا منه ، ومن كل ما يدعو اليه أو يذكر به ، لقد أحس بالزمن يسرع به نحو الفناء ، وهو الوحيد في أسرة تختلف الموت أفرادها ، كما أحس بالفناء ، يهدد الوجود الاسلامي في الاندلس ، فكان نزوعه الى تشخيص الطبيعة ، من تحريك ساكن وانطاق صامت ، وكان موقفه النافر من كل ما يذكره بالموت والفناء ، وتصويره القوي المعنوي لذلك تعبيرا حيا عما كان يمتلج بين جوانحه من حب للحياة والبقاء ، وكراهية للموت والفناء ،

ولعل هذه المعاني مجتمعة ، مضافا اليها ما تميز به أسلوبه من عذوبة لفظ ، ورقية موسيقتا ، وهي التي أكسبته الشهرة والذيع ، وجعلت القدا ، والمحدثين ، من المهتمين بالأدب وشؤونه ، ينظرون اليه على أنه صاحب مدرسة في شعر الطبيعة لها أتباعها وأنصارها المتأثرين ، أريثتها في عصره وحده .<sup>(١)</sup>

فقد عد محقق الديوان جميلة ما ذكرته المصادر من أسما تلاميذ ابن خفاجة ورواة شعره ، كما ذكر صاحب المغرب ، نقلا عن المسهب للحجاري أن ابن الزقاق استمد من خاله أبي اسحق بن خفاجة ونزع منزهه<sup>(٢)</sup> . وذكر الدكتور إحسان عباس أن الرصافي البلنسي " والوريث الشرعي للمذهب الذي افترقه ابن الزقاق وخاله ابن خفاجة "

(١) - الديوان ( مقدمة المحقق ) ٨ - ٩ / انظر أيضا ، صلة الصلة : ١٨٥ - ١٨٦ ،  
التكلمة ١ : ١٥١ - ١٥٢ . المغرب في حلى المغرب ٢ : ٣٨١ ، الاحاطة ١ :  
٢٢٢ - ٢٢٣ .  
(٢) - المغرب في حلى المغرب ٢ : ٣٢٣ .

في الشمر<sup>(١)</sup> ، وانه تأثر طريقته في وصف الجبل في قصيدته التي مدح بها صيد  
المؤمن بن علي<sup>(٢)</sup> وقال المقري ، عند ذكره لأبي عبد الله بن زمرك ، إن شمره خفاجي  
النزعة<sup>(٣)</sup> ، وعد الدكتور محمد رضوان الدايم كلا من أبي البقاء الرندي ، وابن خاتمة  
الانصاري ، من جملة من تأثر طريقة ابن خفاجة ونهج نهجه<sup>(٤)</sup> . ولعل غارثية غومت  
قد اعتمد ما ذكرته المصادر السابقة في قوله : " إن الطريقة الخفاجية ظلت  
محتددة حتى أواخر أيام مملكة غرناطة<sup>(٥)</sup> " .

وفعلا ، فإننا لو رجعنا الى ديوان هو<sup>(٦)</sup> الشمر<sup>(٧)</sup> وغيرهم ، لوجدنا أثر ابن خفاجة  
فيها ، من حيث معانيه وطريقة تصويره وانحائها جليا ، فنجد عند ابن الزقاق  
نزوحا الى تالبا الصورة ، وتشخيص عناصرها أحيانا ، ونجد لديه قدرة على صياغة المعاني  
وتواييدها واغترافها ، كما نجده يمزج أوصاف الطبيعة بأوصاف المرأة ، والنظر الى  
الصعب من خلالها ، كما يمزج معاني أغراضه الشعرية المختلفة بوصف الطبيعة ، ويلونها  
بالوانها ، ويصفيها بصيغتها ، ويربط بين الطبيعة وموضوع الحنين برباط وثيق ، كما  
يلهج في المجال ذاته بأسماء أماكن نجد والحجاز على طريقة خاله ابن خفاجة ،  
وقد يمسد معانيه وصوره ، وخاصة في وصفه للهرد<sup>(٨)</sup> .

ويمكن أن نتلص أثره في شعراء بلنسية وغيرهم في العصر التالي ، عصر الموحدين  
فقد تأثر الرصافي طريقته في تطلب الصورة ، وفي اللهج بذكر أسماء الأماكن الشرقية  
وفي الركون الى الطبيعة والتعبير من خلالها عن معانيه في الأغراض الشعرية المختلفة ،  
ولعل أثر النزعة الخفاجية يبدو أوضح ما يكون في وصفه لكل من الوردة والجبل ،  
فقد شغف الجبل على طريقة ابن خفاجة ، فنتار اليه على أن ، شيخ كبير ، قد جرب  
الحياة ، وسخر الأيام ، قد قدم مطرقتا ، ينفكر في مصيره ، وحتى ان لونه اكفهر من شدة  
خونه ما سيؤول اليه في يوم القيامة من ذلك وتسيير ، وهو تصوير لا يصل الى مستوى  
الصورة الفنية الرائعة التي رسمها ابن خفاجة للجبل<sup>(٩)</sup> .

(١) - ديوان الرصافي البلنسي ( مقدمة المحقق ) : ١٦ - ٠٨ - ١٩ .

(٢) - أزهار الرياض ٢ : ٩ .

(٣) - أبو البقاء الرندي : ٥٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ديوان ابن خاتمة الانصاري ( مقدمة

التحقيق ) : ٢٤ .

(٤) - الشعر الاندلسي : ٥٩ .

(٥) - انظر ديوانه : ٩٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٧٨ ، ٢١٦ ، ٢٧٦ - وهذا

البحث : ١١٤ - ١١٦ .

(٦) - ديوانه : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٢ - ٨٣ ، ١١١ ، ١١٧ ، والشمر

الاندلسي عصر الموحدين : ١٩٩ - ٤٠٠ .

كما ينزع أبو بكر صفيان بن ابراهيم نزعاً ابن خفاجة في تشخيص الطبيعة ووصف الجبل ،  
ويذهب مذهبه في الحنين الى الوطن ، واللحن بذكر مواطن اللهب ، ومجالس  
الآنس فوق ريوحه ، وبين أحنان طبيعته الفناء (١) .

ويولج ابن من الكحل ولح ابن خفاجة بالطبيعة ، ويمنى عنايته بالتوليد والاختراع  
أما بتأثر اريته في تصوير الطبيعة وتشخيص عناصرها (٢) ، كما يمكن أن نتلمس  
آثار ابن خفاجة في شعراء " زاد الصافر " (٣) من أمثال أبي جعفر بن عاصم المرسي  
وأبي عيسى بن عبد الودود ، وأبي عمرو بن بدل الشريف ، وأبي الحسن ابن الخبير  
البلنسي ، وأبي القاسم بن البراق الوادي أشي ، في تصويرهم الطبيعة ، وتوظيفهم  
لها في موضوعات الفزل والمدح والعتاب واللحن بذكر الأماكن النجدية والحجازية  
في سياق الحنين .

وينزع ابن سهل الاندلسي نزعته أيضاً في تشخيص عناصر الطبيعة ، وخلع الاحساسات  
والنزعات النفسية على الطبيعة ، وتصور المحبوب من خلالها ، وفي توظيف الطبيعة  
في شتى الموضوعات كالمديح ، ووصف القضاة الشعرية ، والنزل والرشا ، ووصف الحرب  
وغيرها (٤) .

كما يمكن أن نجد مشابه لنزعته لدى شعراء التصوف ، كابن خميس التلصاني وأبي  
مدين شبيب التلصاني والمصنف التلصاني (٥) وابن عربي وغيرهم ، وان كانوا ذهبوا  
بها الى الرمزللمعاني الروحية والفيوضات الرائية ، التي كانوا يشمرون بها فسي  
ساعات المدلوة والمناجاة والتوجه الى الله والتفكير في الآله ونعمه ، ولعل الشاعر  
الوحيد الذي ضرب على الوتر الحساس والمهم في وصف ابن خفاجة للطبيعة ،  
وترا الطبيعة الرمزية ، وألبيمة العبرة ، هو ابن خاتمة الانصاري ، فقد وصف  
الطبيعة على أنها في جمالها وتناسقها وروعيتها ، كتاب الله المنظور ، الناطق  
بالعبرة ، والبدال بوضوح على المانع الجدد ، والمشير الى عظامته وديع صنعه .

(١) - زاد الصافر : ١٩ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢) - المصدر نفسه : ٢٨ والمضرب في حلى المضرب ٢ : ٣٧٣ .

(٣) - المصدر نفسه : ٤٧ ، ٥٦ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٩ .

(٤) - ديوانه : ٦٨ - ٦٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٦٣ - ١٦٦ ، ١٩٩ - ٢٠٠ .

٢٠٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٥) - أزهار الرياض ٢ : ٣٠٨ ، ٣١٥ ، والمصنف التلصاني شاعر الوحدة المألقة ؛

١٥٢ - ١٧٤ .



كما يتأثر طريقته في غلغ الاحساسات النفسية على الطبيعة ، وفي توظيف  
 الطبيعة في شتى الموضوحات الشعرية وقد يقتبس بعض معانيه وسوره (١) . وهي  
 أمور من السهل العثور على ما يماثلها من حيث العموم في ديوان حازم القرطاجني  
 فهو أيضا نهج سلك ابن خفاجة في تصوير المحبوب من خلال الطبيعة ، ووصف  
 القوافد الشعرية من خلالها كذلك ، وتوظيف عناصرها ومعطياتها في بناء  
 قصيدة المدح (٢) .

كما يمكن أن نجد أثر " المدرسة الخفاجية " واضحا في شعر ابن الخطيب  
 وتلميذه ابن زمرك ، فقد نزع الأول منزع ابن خفاجة في تشخيص الطبيعة ، ومن  
 أوصافها بصفات المحبوب ، وتوظيف الطبيعة بمعطياتها في سياق المدح ، والثناء  
 ووصف القوافد الشعرية ، ويقتفي أثره أيضا في اللفح بأسماء الأماكن نجد  
 والتهجيز في سياق المدح والاعتماد بالزمن على سبيل الرمز (٣) ، وهي آثار  
 تبدو واضحة أيضا في شعر ابن زمرك ، فاننا نحس ونحن نقرأ شعره بوجود  
 خصائص المدرسة الخفاجية ، من تطلب الصورة ، وتشخيص للطبيعة ، وغلغ  
 للاحاساس النفسية تجاه المرأة على عناصر الطبيعة الموصوفة ، واستخدام لعناصر  
 الطبيعة على اختلافها في بناء الموضوحات المختلفة ، كالمديح ، ووصف المعركة  
 واللفح يذكر أسماء الأماكن النجدية والحجازية ، في سياق الحنين ، وتذكر  
 مجالس الانس مع الصحب في أحضان الطبيعة الفاتنة ، فقد نجد عنده وعند غيره  
 صور ابن خفاجة ومعانيه مكررة دون كبير تحوير ، وهو أمر يدل على أن أثر ابن  
 خفاجة كان قويا ، وأن اشعاع شاعريته ظل قويا وماجا حتى بعد موته بزمن  
 طويل . بل اننا يمكن أن نقلس آثاره في شاعري الطبيعة الدمشقيين ، ابن  
 الساعاتي ، وابن النقيب ، في العصرين المملوكي والمماليكي ، فنجد عند الأول  
 صدى لطريقة ابن خفاجة في تشخيص الطبيعة ، والنفار الى المرأة ، من خلالها  
 والمكس ، واستخدام الطبيعة بعناصرها ومعطياتها في تلوين معاني المدح ، والمرب  
 كما نريه يتأثره في تصوير النهر والسفينة ، ووصف المنار ، وقد تنبه الصفدي  
 لهذا التأثير فأشار اليه . (٤)

- (١) - ديوانه : ١١ - ١٢ ، ١٢ ، ١٢ - ٢٢ ، ٣٠ - ٤١ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٧٦ ،  
 ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٥٠ .  
 (٢) - ديوانه : ٢٨ - ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٥٦ ، ٦٠ - ٦١ ، ٦٣ .  
 (٣) - ديوانه : ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٤ - ٤٢٢ ، ٤٢٣ - ٤٢٤ ،  
 ٤٩٨ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ، ٥٥٤ - ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٩٤ .  
 (٤) - الفيت المنسجم ١ : ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ٢٣٧ .

كما يلهم على طريقته التي نهج فيها نهج الشريف الرضي وسهيم الدباسي ، بأسماء الأمكنة النجدية والحجابية ، في مجال الحنين الى الديار والتشوق الى الحبيب (١) ونجد الثاني يلتقي وابن خفاجة في الاحساس القوي بالطبيعة والحب لها ، كما يشتركان في تشخيصها ، وخلق الصفات الانسانية ، وخاصة ما تعلق منها بمحاسن الفزل ، على عناصرها الموصوفة ، وقد يشتركان في وصف الشجر والفصون ، ونمت الحمام وفي بحث موضوع الطبيعة في الموضوعات الأخرى ، كما يلتقيان في الاستطراد في ذكر شاهد الطبيعة بين ( ما النافية ) و ( الباء الزائدة ) المتبوعة باسم تفضيل يهدف من وراءه الى بيان صفات الممدوح أو المحبوب وإبرازها أو الاعراب عما بالنفس من بسوى ولوعة وحرقة شوق (٢) .

بل اننا نجد في ركونه الى الطبيعة ، وتصويره لها تصويرا يوحى بالحب والاحساس بالجمال ، وفي اندماجه فيها ، وشهها اياها الآلام والأحزان ، وفي الاحساس بهنسما

على نحو عميق كما في قصيدة الجبل ، من حيث تشخيصه الطبيعة ، وخلق الشاعر والأحاسيس الانسانية عليها ، نجد ، يلتقي في ذلك كله مع شعراء وأدباء ما قبل الرومانسية من أمثال : تومسون ، وروك ، وروبو ، ورامون ، وشكسبير ، وفوته ، وشيلر ومع شعراء الرومانسية من أمثال لامرتين ، وهو جو ، وكولريدج ، ووزد زورث وشيلي وكيتس ولنسج وغيرهم في القرنين الثامن والتاسع عشر ، فهم أيضا نزعوا ذات النزعة في الركون الى الطبيعة والاحساس بها ، ولكن مع فروقات اقتنناها تقدم الفكر الانساني وتنوع التجربة الشعورية واختلاف التصور ، فهو يلتقي معهم في " أنسنة الطبيعة " ويعملها اطارا لشتى الشعائر والتصورات ، والشكوى والحنين ، وهو يميل الى الطبيعة الباسمة ، العامرة بالضياء في معظام الحالات ، على حين يميل الرومانسيون الى الجانب الكئيب والظلم فيها ، ولذلك اهتموا بالطبيعة في جو الخريف والشتاء ، واستسلموا فيها لأحلامهم وأفكارهم ، ويطبع بذكر الموت والفناء كما يلهجون ، ولكنه يرهيبه ، ويشرق منه ، لأنه يعلم مصيره الذي سيؤول اليه ، ونهايته التي سينتهي اليها ، على حين يدأب الرومانسيون الموت ، ويهرعون الى الأرض الخراب ، ويجدون في ذلك راحة

- 
- (١) - ديوانه : ج : ٧١ - ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ج : ٢ : ٥ ، ١٥ ، ١٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ .
- (٢) - ديوانه : ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٥١ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ . وابن النقيب شاعر الطبيعة : ٦٢ - ٦٣ ، ٩١ - ٩٢ .

وانطلاقا ، وجوا ساعدا على الاحساس بالحياة على نحو عميق ، وهم مهرعون السرى  
القبور في جو الليل ، ويجهلون منها سرها للذكرى والتأمل ، والاحساس بالزمن ،  
والاعتبار ، وهو يفعل ذلك الا أنه ينفر من الليل ، ولا يستريح اليه ، وكأنه كان يذكره  
بالموت الذي ترهبه نفسه وتفرق منه . وهو يسبقهم في وصف الجبل ، والاحساس  
به على نحو عميق ، هذا اذا لم نقل : إن وصفه للطبيعة قد كان من جملة المبررات  
التي أثرت في الشعر الشنائي الأوربي عن طريق جماعة " التروبادور " وقد كانت  
الصلة وثيقة بين الأندلس الاسلامية والدول الأوروبية المجاورة (١) .

واذا ، فقد استلهم ابن خفاجة ثقافته الشعرية والقرآنية ، كما استوحى بيئته الطبيعية  
الفاخرة ، مستمينا على ذلك باستمدادات فطرية وشعورية ، في ميله الى الطبيعة  
والاحساس بها ، وتصويرها تصويرا فيه جدة ، وأصالة ، جعلته قمينا بلقب شاعر الطبيعة  
في أدبنا العربي القديم .

---

(١) - الرومانسية في الأدب الأوربي ١ : ٧٥ - ٩٦ ، ١٢٦ - ١٤٣ ، ١٩١ ، ٢٣٠ .

٢ : ١٩ - ٢٤ .

دول الطوائف : ٢٨٥ Histoire de l'Espagne : 16

ماتمہ

---

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

بعد ، فقد بدأنا هذا العمل ، مدخل أضأنا فيه جوانب عصر ابن خفاجة ، السياسية  
الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ورأينا أن الأندلس في القرنين الرابع والخامس تسد  
بغت مستوى حضاريا راقيا ورائدا ، ولكن زوال الخلافة ، وانقسام الأندلس إلى  
ولايات متنافسة ومتصارعة ، وظهور القوة النصرانية في الشمال ورفضها لولا الاستغلاب  
بشنها الهجمات المتتالية على تلك الولايات الواهنة ، قد قلب حياة الاستقرار لدى  
سلمي الأندلس إلى قلق واضطراب ، وكان النصارى يستولون على الأندلس في القرن  
لخامس لولا تدخل المرابطين ، وحيلولتهم دون ذلك ، بعد أن استجابوا لصريخ  
لانديسين ونداءاتهم الحثيرة ، فدخلوا الأندلس في بداية الأمر مساعدين ، ولكنهم  
لم يلبثوا مدة حتى رجفوا إليها فاتحين ، بعد أن تهيئ لهم أن طوك الطوائف لضعفهم  
وتنافسهم ، لا قبل لهم بالقوة النصرانية المترددة بهم ، والتي فرضت عليهم هيمنتها وجبروتها  
واضطرتهم إلى دفع جزى ثقيلة أرهاقوا بها كاهل الأمة ، وانتزعوها من الرعية انتزاعا  
مقابل الكداعن شن الدارات ونسف الزرع أو الدخول في حياطة مزينة من جشع هذا  
الملك أو ذاك من طوك الطوائف الكثيرين ، وقد وفر المرابطون الأمن والاستقرار في  
الأندلس ، وظلوا يدافعون عنها حتى تفرقت قوتهم بين المدنتين ، بسبب ظهور المهدي  
بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، كمنافس ذي دعوة وقوة لها حسابها ، وهو أمر  
أثر في الوجود المرابطي في الأندلس وأضعف من قوتهم أطام قوة النصارى المتزايدة ،  
فمنوا بهزائم عدة ، مما جعل أهل الأندلس يثيرون بهم ، ويستبدلون بسلاطنتهم سلطان  
الموحدين الذين ظهروا في المغرب على المرابطين واستولوا على ملكهم فيها .  
ورأينا أيضا أن الهبوط السياسي ، والقلق الذي أصاب الحياتين السياسية والاجتماعية لم  
يؤثر في الحياة الفكرية بفرعها المختلفة ، فقد ظلت الحركة الفكرية نشطة مدة طوك  
الطوائف واستمر نشاطها بعد استقرار حكم المرابطين في الأندلس على تفاوت في  
ذلك النشاط ، بين ملك وملك ، ومرحلة وأخرى .

ثم تناولنا في الباب الأول ، درسا وتحليلا ، حياة ابن خفاجة ، من حيث نشأته وتعلمه  
وشخصيته ونفسيته وعلاقاته وأسفاره ، ورأينا أنه كان يتمتع بشخصية ذات ميزات واستعدادات  
وخصائص ، أهله لأن يلتجئ إلى الطهيمية ، ويرتبط بها برباط وثيق يجعلها تستولي  
على حسه وشاعره ، وتستأثر بحبه وهيامه ، وتحظى بمنايته وتصويره ، ثم خلصنا  
بعد ذلك إلى باب الداهية في الشعر العربي ، فأضأنا في شمول وتركيز ، أسهام شعراء  
العربية في مجال وصف الطهيمية قبل ابن خفاجة ، وحاولنا الوثوق على نواحي التأريفي  
هذا الفن عبر المصور التاريخية للشعر العربي ، ورأينا أن ارتباط الشاعر العربي ببيئته

كان قويا ، وأن ارتباطه هذا ظل ينمو ويتعمق على مر الزمن ، ولكن الولع بالتشبيهات الحسية ، والتنافس في اطرافها ، توليدا واختراعا ، طبع شمرنا الومفي ، وشعر الطبيعة بالتالي ، بتطبيع الحسية والتسلح في معظام الأحيان ، فقلما نجد في هذا الشعر محاولة سبر واستكناه ، لمناظر الطبيعة الموصوفة ، والتفاعل معها ، والانفعال لها على نحو عميق حي .

ثم انتقلنا الى الموضوع الرئيس في هذا البحث ، وهو الطبيعة في شعر ابن خفاجة ودأناه بومف لبيعة الشاعر الطبيعية ، وساولنا الربط بين حياته ونفسيته وشاعريته وبين الطبيعة التي نشأ في أحضانها وترعرع بين ربوعها ، ورأينا أن احساس الشاعر ببيئته كان قويا ، صادقا ، وهي صلة أثرت ذلك الديوان الشمري الفصم بمشاهد الطبيعة بمناظرها ومعطياتها .

واتبعناه بدراسة الومف ذي الطابع الكلي للطبيعة ، ويتمثل ذلك في رؤى حياته التي صورها في حب وإعجاب ، وإحساس قوي بجمال الطبيعة وروعة مشاهد ها .

فرواياته شاهد عامة ، مصورة تصويرا واقصيا ، غالبا ، ولكنه تصوير مليء بالحركة والحياة ومسير بقوة عن مشاعر الشاعر واحساساته تجاه كل من المرأة والحياة .

ثم رأينا أن نغمت هذا المجموع الى أجزاء وعناصره ، وأن تنأر الى تصوير ابن خفاجة لأجزاء الطبيعة وتبين من كثب علاقته بها ، ونظارتها اليها ، فوجدناه يصورها في إعجاب ، ويمرغها عرضا جذابا ، يدل على رهافة حسن ورتقي ذوق ، كما يفتح عن شمر ابن خفاجة ازايا المرأة التي حرمها في حياته كزوج تشاطره حياته ، بأفراحها

وأحزانها ، وأوصافه في الشجرة ، منورة حيناً ، ومورقة ندية الظلال حيناً آخر ، لاعارية مجردة دليل على حبه الحياة ورغبته في البقاء .

ثم انتقلنا معه الى ما في طبيعته الفناء من ربا وسهول ، فتمعنا النظر بمنظرها البهين ثم وقفنا وثقة ماولة ، نستمع الى حوار الانساني الخالد مع الجبل الذي نفخ عنه الشن غبار الخمول ، وألان جساوته صمت فيه الحركة والحياة ، نادا ، نورا ينداق ، ويحدث ، ويطي الصبر والعذات ، في أسلوب مهيب مؤثر يدل على تجربة شمورية عميقة ، ومماناة نفسية صادقة ، ثم سرنا معه في سهول وطراح أرضه النيعا ، وتمعنا البحر بمنظر نهرها الجميل ، وعشنا معه أطواره المختلفة في مدونه

ومفائه ، وخبره ، وفي تنوعه الى سواق وحداول تتخلل البساتين والحقول ، ثم فسي تحوله ، بعد نزول المطر الى سيل عات يجرف ما يمترض مجراه من مراكب وأشجار ومبان ، كما وقفنا معه نرقب البحر من كثب ، في إعجاب مزوج بالخوف والرهيبة

ثم شهدنا مع الشاعر ظاهرة الثلج ، وظاهرة البرد ، فأخذنا بما في تصويره من ألوان وضيء ، كما أوهبنا تصويره البرد على أنه غيب إلهي منزل ، يرحم الأرض والناس عقابا لهم على سيئاتهم وبمهودهم .

ثم حولنا البصر الى الظواهر الكونية ، من ليل ونهار ، وشمس وقمر ونجوم ، وسحاب ورعد و برق ، فشرنا بأحاسيس الشاعر وشاعره متزجة بوصفه هذه العناصر الكونية ؛ فهو لا يستأهب صوت الرعد ولا يستريح لظلمة الليل ، ولكنه يهفو الى الضياء والنور فهم ينشر من الليل ، على الرغم من تفتنه في وصفه ، فيمزقه ويصدع ظلامه بشبهة فرسه أو بضيء البرق ، أو لعمان نصل سيفه أو بهياض الصباح ، فكان ذلك كان انعكسا لما كان يكنه في أعماقه من احساس بالزمن ، وصراع بين الموت والحياة ، والفناء والبقاء .

ثم انتقلنا معه الى طبيعته الحية ، فلاحظنا أنه لم يمن بكل ما عرفته طبيعته من حيوان ، ولكنه عني بمعنصرين فيها هما الفرس والطيور ، فأحسننا بالتمتع ونحسن نطق المشاهد الملونة والمتنوعة التي رسمها لفرسه ، وهي شاهد تجسد الى جانب الصفات الحسية المتناورة الصفات الممتوية والنفسية ، كما تركز على ابراز قوة الفرس وسرعة عدوه وتجميعها ؛ فسرعته تشد حتى تصل الى درجة الطيران ، فنلاحظه يسبق البرق ويندفع كالمصارفة ، وهو تصوير له علاقته بنفسية الشاعر ، الرقيقة القلقة ، الخائفة المترقبة . كما شرفنا الاذان بترنيم طير طبيعته ، فأرنا لمكانه ، وأحسننا بالحزن لسجع حطامه الباكي ، ولكننا لم نتمع النظار بحظاها الحسي الا في النادر .

ثم تجولنا مع الشاعر في بيئته الحضارية ، فلفت انتباهنا تصويره المتمدد للسيف ، ثم للقلم والقاتم ، من دون غيرها من الوسائل الحضارية التي تنوعت في عصره ، وولفت صناعتها مستوى فنيا راقيا ، ولعل قصده السيف بالوصف ، والفرس من قبله ، ومعانيته بهما ، فضلا عن الجانب الجمالي ، رمز الى ما كان ينهني التحلي به ، والمحافظة عليه واستخدامه في وقت ، من أشد أوقات الاندلس الاسلامية قلنا واضطرابا ، فهما وسيلتا الجهاد الذي بواسطته يدفع الخطب ، ويذاد عن الوجود الاسلامي في الاندلس ، المهدد بالزوال من قبل حركة الاستغلاب النصرانية .

وقد لاحظنا أن ابن خفاجة قد اعتمد في تصويره للطبيعة الحية ، والمصنوعة ، الطبيعية العمامة ، واتكأ عليها بما اشتملت عليه من عناصر ومعطيات في تلوين صورته ومشاهدته المرسومة ، وهو اتكأ <sup>بدا</sup> واضحا في كل الأعراض الشعرية التي طرقها ، من مدح وثناء ، وثناء ، ورويف المعركة ، والخمر والقائد الشعرية ، ولعل الفرض الذي بدت هيمنة

الطبيعة عليه بوضوح وهو غرض الغزل ، ففيه انعكست الآية ، فبعد أن كان ابن خفاجة يندار الى الطبيعة من خلال صفات المرأة الحسية ، أضفى بنظر الى المرأة مسن خلال الطبيعة ، وهو تداخل وتمازج ، لعل السر فيه يرجع ، زيادة على المشترك الجمالي الى احساس الشاعر بالحياة ، فكانه رأى فيهما رمزا للحياة التي كان يحبها ويتعلق بها ، فدنى بوصفهما ، والتوحيد بينهما ، وتشليدهما على سبيل التمويه .  
ثم قفينا ذلك كله بدراسة مكثفة للجوانب الفنية في شعر ابن خفاجة ، فأشرنا الى ما يلي :

- ١ - عناية الشاعر بأسلوبه الشعري ، من تخيير للألفاظ السهلة الموحية ، وانتقاء للأوزان حسبما يقتضيه المقام ، وعناية فائقة بالجانب الموسيقي في قصائده الشعرية ، وقد أسمفته ثقافته الأدبية وذوقه الحضاري ، وحسه الرفيف في ذلك ، فجسده شعره سهل العبارة ، متقنها ، متناغم الأصوات ، تطرب له الأذن ، وتهتز له النفس .
- ٢ - كثارة فن التشبيهات ، والتشبيه التمثيلي منها خاصة ، والاستعارات ، وعشده لها في البيت الواحد - أحيانا - ما يطبع شعره بمسحة من الفموض ؛ وهي وسائل فنية اعتمد في استخدامها على الطبيعة من حوله ، يصب منها وينهل ، دون كلل أو طلل .
- ٣ - اعتماد السورة الشعرية وسيلة للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، وقد رأينا أن فكرة الصراع بين الحياة والصوت ، وأحاسيات ابن خفاجة النفسية ، قد لونت صورته ، وأبعتها بطابع خاص .
- ٤ - واقعيته التصويرية - غالبا - وأنها واقعية احتفظت الموصوفات في إطارها بحيويتها ودركتها .
- ٥ - مزجه بين الخيال والواقع في بناء الصورة وهو مزج يبدو في حرص الشاعر على أنسنة الطبيعة ، وتشخيص عناصرها الموصوفة بوضوح .
- ٦ - سميح الى ايجاد الوحدة فيما بين عناصر الطبيعة من جهة ، وبين الطبيعة والانسان من جهة أخرى ، وهي خاصة تجعلنا نحس في وصفه بالانس ، والحب والانجذاب ، وقلنا نشعر بالصراع والنفور ؛ وما نشعر به منها هو تجل لما كان يصطارع في أعماقه بين حياة يحبها وموت يرهبه ويفرق منه ، ولعله لهذا السبب لم يكثر في وصفه من الطباق لما يوحي به من معاني التضاد والتقابل والصراع .



ثم حاولنا أخيراً تحديد مكانة ابن خفاجة بين لّداته من شعراء الطهيمية في أدبنا  
السري القديم . وهي محاولة لا تخفى صحتها ووعوثتها وخطورتها ، فأشرنا اشارات  
عامة الى نواحي الالتقاء والاختلاف بينه وبين من سبقه ومن جاء بعده من شعراء  
وصف الطهيمية ، وهي محاولة أبرزت مكانة ابن خفاجة ، من حيث كونه حلقة مهمة  
في سلسلة وصف الطهيمية في شعرنا السري القديم ، كما أشرنا الى أن ابن خفاجة  
قد ضرب على أوتار حساسة في شعر الطهيمية سبق بها شعراء الرومانسية بما يزيد  
عن ستة قرون .  
وكل ما أرجوه هو أن أكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة عين الطهيمية فسي  
شعر ابن خفاجة الاندلسي . كما هي في الواقع او كما تمثلتها نفسه ومخيلته ممزوجة  
بشرايفه وشاعره وتصوراتيه ..

وأخيراً دعوانسا أن الحمد لله رب العالمين

فهارس البحث

=====

- ١ - فهرس الاعلام والامم والقبايل والطوائف .
- ٢ - فهرس الاماكن والبلدان .
- ٣ - فهرس المصادر والمراجع .
- ٤ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الاعلام والامم والقبائل والطوائف

(أ)

- ابن الأبار : ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٢٦٩
- ابن الأبار : (ابوجعفر) ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٢٦١
- ابراهيم (انظر بن ميمون)
- ابراهيم بن يوسف (انظر ابن تاعيشة)
- ابراهيم بن عصام (أبو أمية) ٥٤ ، ٢٧٣
- ٢٦٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٨٠
- ابراهيم بن أبي الفتح (انظر ابن خفاجة)
- ابراهيم (بن مملو الطرسوني) ٢٩
- ابن الأبرص (عبيد) ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧
- ابن الأبيثي (ابوبكر) ٣٧
- أبيقوروس ٣٥٧ ، ٣٥٨
- أحمد الاسكندري ٢٨٦
- أحمد بن جحاف ١٠
- أحمد بن رشيق (أبو المياس) ٣٠
- أحمد بن فرج (أبو عمر) ٣٦١
- أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدمري ٣٦
- أحمد بن محمود (انظر الصنوبري)
- أحمد بن محمد (انظر ابن طهاطها)
- أحمد بن محمد (انظر النامي)
- أحمد بن هود (الستمين) ٨ ، ١٠
- الأخطل ٧١
- الأخفش ٣٢٦
- الأخفش القهذافي ٢٨
- الادريسي (الشريف) ٣٧ ، ١٠٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥
- ابن ادريس (انظر صفوان)
- ابن أرفع رأسه ٢٧٥
- ابواسحق (انظر ابن صواب)
- ابواسحق (انظر ابن ميمون)
- ابواسحق (انظر ابن تاعيشة)
- اسماعيل بن سيدة ٣١
- اسماعيل (انظر ابن النضراللة)
- اسماعيل بن ذي النون ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧
- الأصمعي ١٦٠
- الأفارقة ٣٣
- ابن الأقطس (انظر المتوكل)
- بنو الأقطس ٣ ، ٦ ، ٣١
- الافرنجة ١
- الأعشى (ميمون بن قيس) ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧
- الأعشى القطيلي ٢٢ ، ٢٧ ، ١١٣ ، ١١٤
- بنو الأقلب ٤٨ ، ٤٩
- أكثم بن صيفي ٢٧٣
- ألفونسو ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١
- الأمويون ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢
- الأندلسيون ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٣
- ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٥
- ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩
- أنيس ابراهيم ٣٢٥
- ابن أيمن (أبو عبد الله محمد) ٢٦

(ب)

- ابن باجة ( ابو بكر بن الصائغ ) ٣٥٠٢٨
- ٢١٩٠٥٥٥٠٥٤٠٣٦
- الباجي ( ابو الوليد ) ٣١٠٣٠
- البيهنا ( ابو الفرج ) ٨٦٠٨٤
- البحري ٢٥١٠٨٢٠٨١٠٨٠٠٧٦٠٤٢
- ٣٥٩
- ابن بدل الشريف ( ابو عمر ) ٣٦٤
- ابن الهادش الفرناطي ٣٦
- البربر ٤٣٠٣
- بنو برزال ٤
- ابن اليراق ( ابو القاسم ) ٣٦٤
- بروك ٣٦٦
- ابن بسام ( ابو الحسن الشتريني ) ٢٥٠٢٤
- ١٠١٠٥١٠٤٢٠٣٧٠٢٧
- بشار بن برد ٧٦
- ابن بشكروال ٤٩٠٤١
- ابن بهال ( ابو عبد الله ) ١٢
- ابن بطلال البكري ٣١
- ابن بطلال ( انظر ابن النجوم )
- اليفداري ( ابو الفضل ) ٢٧
- ابن باقي ( محمد بن حكم بن محمد الجذامي )
- ابن بتي ٣٧
- أبو بكر الطرطوشي ٢٨
- البكري ( ابو محمد ) ٣٩٠٣٧٠٢٥
- البكري ( ابو الحسن غلام ) ٣٧
- ابن بلقين ( انظر عبد الله )
- ابن بلقين ( انظر تميم )
- بالنشيا ٣٢
- بمرين هنري ٣٠٩٠٢٥٨٠١٨٤٠١٢٤
- ابن البين البطلوسي ٢٦

(ت)

- ابن تاشفين ( انظر محمد بن تاشفين )
- ابن تاشفين ( يوسف ) ٣٣٠٣٢٠٢١٠١٠٠٧
- ٢٤٣٠٥٣
- تاشفين بن علي ٢٣٠٨
- التروادور ٣٦٦
- ابن تاعيشة ( ابو اسحق ابراهيم بن يوسف )
- ٢٨٥٠٢٨٤٠٢٤١٠١٤٧٠٥٣
- ٣٠١
- ابن التاكربي ٣٠
- ابن أبي تليد ( ابو عمران ) ٤٠٠٣٤
- ابن أبي تليد ( ابو الطريف ) ٣١
- أبو تمام ٤٢٠٧٨٠٧٩٠٨٠٠٨١٠٩٧٠٩٠
- ٣٥٩٠١٠٤
- تمام بن غالب بن عمر ( ابن التياني ) ٣١
- تميم بن بلقين ٨
- تميم بن المزين باديس ٥٦٠٥٢
- تميم بن الممز ٩٨
- ابن تومرت ( المهدي ) ٣٦٩٠٢٣
- تويسون ٣٦٦
- ابن التياني ( انظر تمام بن غالب )
- ابن تيفلويت ( ابو بكر بن ابراهيم ) ٣٥٠١١
- ٢٨٣٠٢١٩٠٥٥٠٥٤

(ث)

ثعلبة بن عمرو المدي ٦٥

(ج)

- جابر بن أفلح ٣٦
- جبير ( عبد الرحمن ) ١٨٤
- جبر ٧١
- ابن جعفر ( أبو عاصم المرسي ) ٣٦٤

الحدانين ٨٤

بنو حمود ٤٥٣

الحموي (ياقوت) ١٢٣

الحميري (ابو الوليد اسماعيل بن عامر (١٠١، ١٠٤)

الحميري (ابن عبد المنعم) (١٠٠، ١٢٣، ٢٧١)

ابو حنيفة الدينوري ١٦٥، ٢١٩

حوا ٢٢

ابن حيان القرطبي (٢٠٠، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٠)

(خ)

ابن خاتمة ٣٦٤

الخالديان ٩٣

ابن خاقان (ابو نصر الفتح) (٣٧، ٤٢، ٤٦)

٤٨، (٥١، ٥٢)، (١٠١، ١٤٩)

٣٠٢، ٣٢٤

ابن أبي الفصالح (ابو عبد الله) (٣٧، ٥٤، ٢٩٢)

ابن أبي الفصالح (أبو مروان) ٣٧

ابن الخطيب (لسان الدين) (٢٣، ٢٨، ٢٤٢)

٣٦٥

ابن خفاجة (ابو اسحق ابراهيم) (٢١، ٢٢، ٢٣)

٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩)

٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧

١٠٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩

١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠

١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢

١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠

٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠

٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠

٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠

٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠

٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠

٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩

٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩

٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠

بن جعفر (قدامة) ٤٤

بن جعفر (ابو عاصم المرسي) ٣٦٤

جلالقة ١

جهور (ابو الحزم جهور بن محمد) ١٨، ٢

بن جهور (ابو مروان عبد الملك) ١٠٤

٣٦١

جوهره (جارية الممتد) ٥٣

جويو ٣٢٥

(ح)

ابن الحاج (أبو بكر) ٥٤

ابن الحاج (ابو عبد الله محمد) (١١، ٢٩٢)

٢٩٩

الحاجب الصحفي ١٠٤، ٣٦١

حازم القرطاجني ٣٢٧، ٣٦٥

حام بن نوح (عليه السلام) ٣٢٦

حبوس بن ماكسن ٥

حجاجي حدان ٣٢٦

المجاري (٥، ١٢٢، ١٢٣، ٣٦٢)

المجام (غالب بن رباح) ١١٣

ابن الحداد (الفقيه القرطبي) (٢٧، ٢٨)

٣٠، ٤٩

ابن حسداي (ابو الفضل) ٢٨

حسان بن ثابت ٦٩

الحسن بن عطيه (انظر ابن الزقاق)

ابو الحسن (انظر ابن القبطرنة)

بنو الحصين بن الدجن بن عبد الله ٤٩

ابن حمديس ٢٥، ١٠٨، ١٩٧، ٣٦١

ابن حنين (ابو عبد الله) ٢٥، ٣٤

٣٥، ٣٨، ٥٥، ٢٨٨

( ن )

الذبياني ( انظر الناهضة )

( ر )

الرازي ١٢٥

رامون ٣٦٦

روثة بن العجاج ( ٧٢٠ ٧١ )

ربيعة بن مكرم ٢٧٣

ابن الربيع ( ابو الحسين ) ١٧٦ ، ٥٢

ابن ربيعة ( ابو محمد عبد الله ) ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٥٢

رتشاردز ٣٣٨ ، ٣٢٥

ابن رحيم ( ابو الحسين ) ٢٨٠

ردريق ( انظر السيد )

ابن رذمير ٣٠١ ، ٣٠٠

ابن رزين ٢٧٠ ، ١٨

بنورزين ٤٨ ، ٤

ابن رشد ( الجد ) ٣٤

ابن رشد ( الحفيد ) ٣٦

ابن رشيق ( انظر أحمد بن رشيق )

ابن رشيق ( ابو الحسن ) ٣٢٧ ، ٣٢١

ابن رشيق ( عبد الرحمن ) ٥

الرصافي البلنسي ( ٣٦٣ ، ٣٦٢ )

الرضي ( الشريف ) ٤٢ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٤١ ، ١٣٠ ، ٨٠

٣٦٦ ، ٣٦٠ ، ٣١٩

الرفاء ( السري ) ٩٠ ، ٨٤

الركابي ( جودت ) ١٨٤

الرمادي ( سهل بن هارون ) ٣٦١ ، ١٠٤

ذوالرمة ( غيلان ) ٣٥٩ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧١

الرندي ( ابو البقاء ) ٢٦٩

ابن رواحة ( عبد الله ) ٦٩

ابن رويش ( ابن عبد العزيز ) ٣٠

ابن خلدون ( عبد الرحمن ) ٣٢٣

ابن خليفة المصري ٢٧

الخليل بن احمد ٣٢٦ ، ٣٢٧

ابن خميس ٣٦٤

خمينا ١١

الخنساء ١٢٤

بنو خويلد بن سمان بن خفاجة ٤٩

ابن خير الاشبيلي ٢١٨

ابن خير التاطيلي ٢٩

ابن الخير ( ابو الحسن ) ٣٦٤

شيران

( د )

الداشل ( عبد الرحمن ) ١٠٢

الداني ( ابو الصلت ) ٣٧٠ ، ٣٦ ، ٣٥

داود بن عائشة ١١٠ ، ١٠

الداية ( د . محمد رضوان ) ت ١٨٤ ،

٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٣

ابن الدباغ ( ابو الطوف ) ٢٨

ابن دسية ٢٢

ابن دراج القسطلي ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦

٣٦٠

ابن دريد ٢١٩

دعد ٣٠٩

دوزي ٣٢ ، ٣٣

ابن أبي الدوس ( محمد بن أغلب ) ٣٦

الدبلي ( مهيبار ) ٤٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٤٤

٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦

السلاوي (أبو الحسن) ٩٥	روسو ٣٦٦
سلي ٣٠٩	الرومانتيون ٣٦٦
سليمي ١٥٠، ٣٠٩	ابن الروصي ١٠٣، ٩٧، ٨٨، ٧٩، ٧٦، ٤٢
سليمان بن الحكم (أبو أيوب) ١	• ٣٦١، ٣٥٩
ابن سهل الأندلسي ٣٦٤	• ريجيرا ٢١٨
السهيلي ٣٦	• ريموند ٩
السيد (الكميطور) ٦، ١٠٠، ١١٠، ١١٩، ٢٠٠، ٢٠٦	( ز )
ابن السيد (أبو محمد البطليوسي) ٣٥، ٣٦	• الزاهي (علي بن اسحق) ٨٤، ٨٦
• ٢٤٢، ٢١٩، ١٤٧، ٤١	• ابن الزير ٤٢
ابن سيدة (انظر اسماعيل بن سيدة)	الزنيان (أبو مقال) ٧٢
ابن سيدة (أبو الحسن) ٢٩، ٣١	• ابن الزقاق (الحسن بن عطية) ٣٧، ٤٨
سير بن يوسف (أبو بكر) ٧	• ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ٣٦٢
( ش )	• ٣٦٣
شانجه ١	• ابن زمك (أبو عبد الله) ٣٦٣، ٣٦٥
ابن شرف (أبو الفضل) ٢٥	• ابن زمر (أبو العلا) ٣٥، ٣٦، ٥٤
ابن شرف (القيرواني) ٢٧	• ابن زهر (أبو مروان عبد الطك) ٣٦، ٣٧
الشقندي ٣٢، ٣٣، ١٠٠، ١١٥، ١١٩، ١٢٠	• زهير (الهامري) ٥
• ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧	• زهير ابن أبي سلمى ٦٢، ٦٥
الشريف (انظر الأدرسي)	• ابن زيدون (أبو الوليد) ٢٥، ٢٨، ١٠٧
شميب (أبو مدني التلساني) ٣٦٤	• ٣٦١، ٣٠٨
• شكبير ٣٦٦	• بنو زيري ٤، ٦، ٢٧
• الشنغري ٦٣، ٢٥١	( س )
ابن شهيد (أبو حفص عمر) ٢٥، ١٠٤، ١٠٦	ابن الساعاتي ٣٦٥
• شيلر ٣٦٦	ابن سراج (أبو الحسن) ٢٨
• شيلي ٣٦٦	• سيف الدولة الحمداني ٨٤
( ص )	ابن السقاط (أبو القاسم) ٣٧
ابن الصائغ (انظر ابن باجة)	• سميد بن هشام (انظر الخالديان)
• الصابي (أبو اسحق) ٣٤، ٤١، ٤٢	• ابن سميد المفري ٢٠، ٢٥، ٤١، ١٠٢
• ابن صارة الشنغري ١١٠، ١٨٩	• ١١٩، ١١٧، ٢١٨

- صفر ١٦٤  
الصدفي ( أبو علي ) ٤٢٠٤١٠٣٤  
صدر ٩٣  
الصفدي ( الخليل بن أيك ) ٣٦٥ ، ٤٢  
صفوان بن ادريس ( ابو بحر ) ٣٦٤  
ابن صطاح ( انظر الممتصم )  
بنو صطاح ٣١٠ ، ٢٥ ، ٥  
المنوري احمد بن احمد ( أبو بكر ) ٤٠٤٢  
٣٦٥ ، ٩٧ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٧٨  
٣٦١  
ابن صواب ( ابو اسحق ) ٤١  
الصورى ( عبد المحسن ) ٣٠٨ ، ١٤٧ ، ٤٢  
٣٦٠ ، ٣١٩ ، ٣١١  
ابن الصيرفي ( ابو بكر يحيى ) ٣٧  
( ن )  
الذهبي ( ابن عميرة ) ٥٠٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٦  
ضيف ( د . شوقي ) ١٨٣ ، ١٢٩  
ابن اللوت ٣٠ ( ط )  
الظاهر ٢٧٦  
ابن ظاهر ( عبد الرحمن ) ٢٨  
بنو ظاهر ٥  
ابن الطباطبا ، احمد بن محمد ( أبو القاسم )  
ابن الطراوة ٣٦  
ابن طفيل ٣٦  
الطشيري ( ابو عبد الله محمد بن مالك ) ١٢  
ابن طلحة ( ابو يعقوب يوسف ) ٤١  
( ع )  
ابن عائشة ابو عبد الله ( القائد ) ٥٤  
ابن عائشة ابو عبد الله ( الأديب ) ٥١ ، ٣٦  
١٢٣ ، ١١٤ ، ١١٣
- عاصي ( د . ميشال ) ١٢٩  
ابن عامر ( ابو محمد ) ٣٠١  
ابن أبي عامر ( انظر المنصور )  
العامريون : ٣ ، ٥ ، ٩  
ابن عباد ٢  
ابن عباد ( انظر الممتضد )  
ابن عباد ( انظر الممتد )  
بنو عباد ٣ ، ٢٥ ، ٣١ ، ١٠٧  
عبادة ( القزاز )  
عبادة ( انظر ابن طه السطام )  
ابن عبادة ( انظر ابن القزاز )  
عباس ( د . احسان ) ٣٦٢ ، ١٨٣  
ابن عباس ٣٠  
المباسبون ٧٦  
ابن عبد البر يوسف ( أبو عمر ) ٣١ ، ٢٩  
عبد الجليل ( انظر ابن وهبون )  
عبد الرحمن ( انظر ابن طاهر )  
عبد العزيز بن أبي عامر ٥ ، ٩ ، ١٩ ، ٣٠  
ابن عبد العزيز عبد الملك ( الظاهر ) ١٩ ، ٩  
ابن عبد العزيز ( انظر ابن رويش )  
ابن عبد العزيز ( ابو بكر الهذليوسي ) ٢٦  
عبد العزيز بن سميد ( ابو بكر ) ٢٦  
ابن عبد العزيز ( ابو بكر ) ٤٠ ، ٣٠ ، ١٩ ، ٩  
عبد الله ( انظر ابن فاطمة )  
عبد الله بن بلقين ٨  
ابن عبد الله ( محمد عليه الصلاة والسلام ) ٦٩  
عبد المجيد بن عبدون ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧  
عبد المؤمن بن علي ٣٦٣  
عبد المحسن ( انظر الصوري )  
عبد الملك ( انظر ابن عبد العزيز )



- عبد الملك بن أبي العلاء\* (انظار ابن زهر) .  
عبد الملك بن أحمد بن هود ٨  
عبد الواحد المراكشي ٢٢ ، ٢٥ .  
ابن عبد الودود ( ابو عيسى ) ٣٦٤ .  
ابن عبد ووف ١٥ ، ٢٣ .  
عبيد الله الشبيمي ٤٨  
ابو عبيدة ٢٤٢  
عبيد ( انظار ابن الأبرص )  
عتين بن أسد ( أبو بكر ) ٤١ ، ٤٢  
عثمان بن أبي بكر ( ابو عمرو ) ٩  
المجاج ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ .  
الصرب ٤٩  
ابن عربي ( صفي الدين ) ٣٦٤ .  
ابن الصري ( ابو بكر ) ٣٤  
ابن عذارى المراكشي ٤٨  
المدري ٤٢  
المسكري ( أبو هلال ) ٣٢١  
عضد الدولة ٩٥  
عزرا\* ٣٠٩ ، ٣١٠  
المصيف التلمساني ٣٦٤  
عقبة بن رويش ٧٦  
المعقلي ( علي بن محمد بن علي ) ٤٩  
المعقلي محمد بن عمر بن عبد الله بن محمد ، ٤٩  
المعقلي ( محمد بن مارك ) ٤٩ .  
المعقليون ٤٩ .  
علقمة ( الفحل ) ٦٠ ، ٦١ .  
ابن علقمة ( محمد بن خلف ) ٣٧ .  
علي بن الحسين ١٠١  
علي بن عيسى بن خلف ( انظار ابن النجم )  
علي بن اسحق ( انظار الزاهي ) .
- علي بن مجاهد ( اقبال الدولة ) ٣٠ ، ٥٥ .  
علي بن يوسف ٨ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ٥٥ .  
عمر بن أبي ربيعة ٣٦٠ .  
عمرو بن عقيل ٤٩  
ابن عمار ( محمد ) ٥٥ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ١١١ .  
ابن عميرة ( ابو الحارث ) ٢٦٩  
بنو عميرة ٤٨ .  
عنترة ٦٢  
ابن الصوام ١٢ .  
( غ )  
ابن غالب ( محمد بن أيوب ) ٣٤  
غرثية غوث ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٥ ، ٢٤٣ ، ٢٦٣ .  
الغزالي ( أبو حامد ) ٣٥ ، ٣٨ .  
الفساني ( ابو علي ) ٣٤ .  
ابن فغن الحجاري ( ابو مروان ) ١١٣ .  
غوته ٣٦٦ .  
( ف )  
ابن الفارس ( أبو الحسين ) ٤٢  
ابن فاطمة ( عبد الله ) ١١  
الغزالي ( يحيى بن زيد ) ٣٢٧  
أبو فراس الحمداني ٨٤ ، ٨٥ .  
الفرزدق ٧١  
الفرس ٩٣  
فرناندو ١٨  
( ق )  
القادر ( انظار يحيى بن ذي النون )  
بنو القاسم ٢٧ ، ٤٤  
القاضي التنوخي ٩٥  
القالي ( ابو علي ) ٢٤٢  
ابن القاملنة ( ابو محمد ) ٢٦ .

مارك ١٩٠٩٠٥

ميشر ١١٢

المتنبي (ابو الطيب) ٢٦٠٤٢٠٢٦٠٤٦٠٤٢٠٤٦٠٤٨٥

• ٣٦٠٠٣١٨٠٣٠٨٠١٦٥٠١٠٤

التوكّل بن الاطّس ٢٦

• مجاهد (ابو الجيش) ٢٦٠٩٠٥

• مجنون ليلى ١٨٣٠٧٢

محمد بن احمد بن عثمان ٥٢

• محمد بن أيوب (انثار ابن غالمر)

• محمد (ابن اخت ابن خفاجة) ٢٩٣٠١٧٠٧

• ٢٩٥٠٢٩٤

محمد بن تاشفين ١٠٠٧

محمد مزديلي ١١

• محمد بن صلحة (ابو عامر) ١٠١

• محمد بن مارك (انثار المتنبي)

• محمد بن دشام (انثار الخالديان)

المرابطون: ٢١٠٢٠٠١٦٠١٤٠١١٠١٠٠٧٠٥

٥٠٦٠٥٥٠٥٣٠٣٨٠٣٤٠٣٢٠٢٣٠٢٢

٣٠٠٠٢٩٨٠٢٤٤٠٢٢٣٠١١٣٠١١١

• ٣٦٩٠٣٥٤

• امرؤ القيس ٦٨٠٦٦٠٦٥٠٦٤٠٦٠٠٥٩

المراكشي (انثار بن عذاري)

• المراكشي (انظر عبد الواحد)

ابن مرج الكحل ٣٦٤

• مريم ٢٨٩٠٥٥٤٠٢٢

• المستنصر (الحكم) ٤٢٠٢٤٠٢٤٠٢٤٠٢٤٠٢٤٠٢٤٠٢٤

ابن مسعود ٣٦

• السلمون ٣٤٠١٥٠٦

صوفة ٢٢

• مظفر ١٩٠٩٠٥

المظفر ٢٦

ابن المعتز ٩٧٠٩٠٠٨٩٠٨٥٠٨٣٠٨٢٠٧٦

• ٣٦٠٠١٧١

ابن القبطرنة (ابو الحسن) ٢٦

بنو القبطرنة ٢٦

ابن قتيبة ٢١٩

قريش ٢٨٣

القزاز (عبادة) ٢٥

ابن القزاز (ابن عبادة) ٢٥

ابن قزمان ، أبو بكر (المم) ٢٦

ابن قزمان ، أبو بكر (الزجال) ٢٦٠٢٨

• ابن القلاس (ابو عمرو) ٢٨

(ك)

ابن الكثاني (الخطيب) ١٠١٠١٨

كروثشه ٣٢٥

• كشاجم ٣٦٠٠٩٠٠٨٩٠٠٨٤

• كعب بن مالك ٦٩

• كولردج ٣٦٦٠٣٥١٠٣٢٥

كيتس ٣٦٦

(ل)

لا مرتين ٣٦٦

ابن اللبابة ١١٢٠٢٥

• لبيب ٩٠٥

• لبيد ٦٥٠٦٢

• لسني ٣٦٦

لحونة ٢٧٠٢٣٠٢٢٠٢٢٠٢٢٠٢٢٠٢٢٠٢٢

• ليلي ٣٠٩

(م)

ابن ماسم (عبادة) ١٠٤

المأمون بن ذي النون ٢٧٠١٧٠٩٠٦٠٣

المؤمن بن حو ٢٨

• أم مالك ٣٠٩٠٢١٤



( ٩ )

والتز ٣٣٨

الوأراء\* الدمشقي ٣٦٠ ، ٨٥ ، ٨٤

ورد زورث ٣٦٦

• ابن وكيع التنيسي ٩٧ ، ٩٦

ولادة بنت المستكفي ٣٠٨ ، ١٠٨ ، ٢٨

ابن وهبون ( عهد الجليل ) ٥٦ ، ٥١ ، ٢٥

• ١١٣

ابن وهيب ( مالك ) ٣٥

( ١٠ )

اليحصي ( القاضي عياشي ) ٣٤

يحيى بن حمود ( المصلي ) ٣

• يحيى بن زيد ( انظر الفراء )

يحيى ( انظر ابن الصيرفي )

يحيى بن ذي النون ( القادر ) ٤٦ ، ٤٤ ، ٣

• ١٠ ، ٩

• يحيى بن هذيل ( ابوبكر ) ١٠٤

• أبو يحيى ٢٥٩

• ابن ينيق ( أبو عامر ) ٥٤ ، ٣٦

• يوسف ( انظر ابن عبد البر )

• يوسف ( انظر ابن الحبة )

٢- فهرس الأماكن والبلدان

=====

(أ)

أبذة ٢٠

ابرة ( نهر ) ١١٤

أريولة ١١٩٠٥ •

الاسكندرية ١٤

آسيا ٢٥٨

اشبيلية ٢٠٢ ، ٦ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٠٠ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٧٤

• ١٧٩

أفريقية ١٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٤٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ •

الأقاليم الشرقية ٩٢ •

ألموت ٢٧ •

البيرة ١٣ ، ١٠٠ ، ١٢٠ •

التشي ١٢٤

الخاصة ٤٨

الأندلس : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

• ٣٧١

أندة ١٢٢

الأكواز ١٠٠

أورن ٩٩ ، ٣٦٧

إيطاليا ١٥

(ب)

باب السمارين ١٨٦

بجانة ١٤

البحر الأبيض المتوسط ٢٥٨ •

برشلونة ٩

بريانة ١١٩

بالميروس ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٣١ •

بفداد ٧٦

بلنسية ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ •

٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠ •

١٧٤ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٦٣ •

( ت )

تدمير ١١٩ ، ٢٤٣

تهامة ٣٢٤

التيهان ( جبل ) ١٨٣

تيطه ٢٤٤

( ث )

ثبير ٦٦

ثهلان ٢٨٨

( ج )

جاسم ٣٢٤

جبل الثلج ١٠٠ ، ١٢٠ •

جبل الشرف ١٤

الجزائر الشرقية ٢٩

الجزيرة ( انغار شقر )

الجزيرة الخضراء ٤

الجزيرة الصربية ٥٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ •

جيان ١٤ ، ٣١ ، ١١٤ ، ١١٩ •

( ح )

الحجاز ٩٣ ، ١٤١ ، ٢٤٤ ، ٣٠٨ ، ٣٢٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ •

حصن شاطبة ١٢٢

حلب ٨٤



(ص)

صقلية ٤٨ ١٠٨٠

الصين ١٠٠

(ط)

طبرية ٨٥

طرابلس الغرب ٤٨

طرابلس شرق ٥ ٩ ٢١ ١١٨٠

طرابلس ٣ ٤ ٦ ٨ ٩ ١٠ ١٧ ٢٦ ٤٨

(ع)

عدن ١٠٠

المدوة ٧ ٢٣ ٤١ ٤٨ ٥١ ٦٦٩

الصراق ٧٦ ٨١ ٩٢ ٢٠٠ ٣٢٤

المتيق ٣٢٤ ٣٢٤

(غ)

الغبيات ٦٦

الغرب ١٥

غرناطة ٤ ٥ ٦ ٨ ٢٧ ١١٨ ١٢٠ ٣٦٣

الضميم ٢١٤ ٢٥٦ ٣٢٤

(ف)

فامس ١٥

الفرات ٢١٤ ٣٢٤

فرنسا ١٥ ٢٥٨

(ق)

قاعون ١٢٢

قرابية ٢٠١ ٣٠ ٥٥ ٩٠ ٢٣ ٢٤ ٢٨ ٥٢ ١٠٠ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٧ ١٠٨ ١٧٤

١٧٦ ٢٦٩

قرمونة ٤

قشتالة ٣ ٦



قويق (نهر) ٨٨، ٨٩

القيروان ٤٨

(ك)

الكنيسة ١٤٢

(ل)

لبنان ١٥٩

لملح ٢٠٣، ٣٢٤

لقت ١٤

• اللوى ١٤١، ١٤٧، ١٥١، ١٤١، ١٤١، ٢٠٨، ٣٢٤

• لييل ٧، ١٠، ١١، ٥٣

(م)

مالقة ٤، ٨، ١٥، ١٠٠

مدينة التراب (انثار بلنسية)

المنج ١٤٢

مرسية ٦٤٥، ١١، ١٥، ٢٨، ٤١، ٤٠، ٣١، ١٣، ٥٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٧٤، ١٨٥

• مراكن : ٨، ١٥، ٢١

• المربة ٥٥، ٦٤، ١٣، ٢٥، ٣١، ٥٢، ٥٦، ١١٨

المشرق ٣٢٣، ٣٦٣

المشقر ٢٥٦، ٢٩٧

• مصر ٩٠، ٩٦، ٩٧

المغرب ٧، ١٥، ١٦، ٢٣، ٢٤، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ١٠٠، ١٧٣، ١٧٧، ٢٢٣، ٢٤٤

• ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٧٣، ٣٦٩

مفتشة ٤٩

منورقة ١٣٥

منية بن أبي عامر ١٢٢

الموسل ٩٠

ميورقة ٣٠، ١١٢

( ن )

بافار ٦

• ٣٦٦٠ ٣٦٥٠ ٣٦٣٠ ٣٦٠٠ ٣٦٠٠ ٣٢٤٠ ٣٠٨٠ ٢٨٥٠ ٢٤٤٠ ٢١٤٠ ١٤١٠ ١٢٠٠ ٩٣

والنقا ٣٢٤

النهر الابيض ١١٩

( هـ )

لهند ١٠٠

( و )

ادي اش ٤٩

ادي اشيلية ( النهر الكبير ) ٢٠

• ٣٢٤٠ ٢٠٨٠ ١٧١٠ ١٥١

بيدة ٣

( ي )

باسة ١٢٢٠ ١٣٠٥

ليمن ٩٩

## ٣ - فهرس المصادر والمراجع

- العربية والمترجمة :

- الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب لسان الدين (- ٧٧٦) تحقيق . محمد عبدالله

عنان . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٧٣-١٩٧٧ .

- الأديب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة . د . أحمد هيكل . طه . دار المعارف

بمصر ١٩٧٠ .

- الأديب الاندلسي موضوعاته وفنونه . د مصطفى الشكعة . ط ٢ . دار العلم للملايين بيروت

١٩٧٤ .

- أسرار الرباعين في أخبار عمارة لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (- ١٠٤١ هـ)

تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة .

والنشر . القاهرة . ١٩٣٩ .

- اسبانيا شعبها وأرضها . تأليف دورقي لودر ترجمة طارق فوده . دار القومية . مصر ١٩٦٥

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . لآبي العباس أحمد بن خالد الناصري . تحقيق

جمال الناصري و محمد الناصري . دار الكتب . دار البيضاء ١٩٥٥ .

- أسرار الهلافة . لعبد القاهر أحمد بن محمد الجرجاني (- ٤٨٢ هـ) تصحيح وتعليق

السيد محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت . ١٩٧٨ .

- أعمال الأعلام لابن الخطيب - لسان الدين . تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال . دار المكشوف

بيروت ١٩٥٦ .

= = = : القسم الثالث ، في تاريخ المغرب العربي . تحقيق وتعليق . د . أحمد

مختار المبادي و محمد ابراهيم الكتاني دار الكتاب . دار البيضاء . المغرب الأقصى ١٩٦٤ .

- أعجب العجيب في شرح لامية العرب للزمخشري ( جلال الله أبي القاسم محمود بن عمر (- ٥٣٨ هـ)

ط ١ . دار البزاقة ١٣٤٢ هـ .

- كتاب الاثواء لابن قتيبة أبي عبدالله بن مسلم الدينوري (- ٢٧٦ هـ) ط ١ حيدرآباد

الهنيد ١٩٥٦ .

- الأندلس الخليل . روس القرطبي . تولى أبو بكر بن زرع الطاسي (- ٧٥١ هـ) دار المنصور الرباط . المغرب الأقصى ١٩٧٢ .

- بدائع البدائع لمصلي بن خلف الأزدي (- ٦١٣ هـ) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٠ .

- البديع في وصف الربيع . لآبي الوليد اسماعيل بن عامر العمري توفي قريبا من (- ٤٤٠ هـ)

تصحيح ونشر . هنري بيهس . الرباط . المغرب الأقصى ١٩٤٠ م

- بشية المتوس للفضي أحمد بن عميرة (- ٥٩٦ هـ) دار الكتاب العربي . القاهرة ١٩٦٧ .

- ١٤ - بغيمة الوعاة . للسيوطي جلال الدين عبدالرحمن (- ٩١١ هـ ) ط ١ . تحقيق . محمد ابوالفضل ابراهيم . مطبعة عمسي باهي الحلبي . القاهرة ١٩٦٤ .
- ١٥ - أبو اليقظة الرندي شاعر الرثاء في الاندلس : د . محمدرضوان الداية ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٦ .
- ١٦ - البيان المنرب في أخبار الاندلس والمنرب لابن عذارى المراكشي ( ت نحو ٦٩٥ هـ ) حقق الأجزاء ( ١ - ٣ ) ج . س . كولان وا . ليفي بروفنسال . وحقق الجزء الرابع د . احسان عباس . ط ٢ . دار الثقافة . بيروت ١٩٨٠ .
- ١٧ - تاريخ الادب الاندلسي . عصر سيادة قرطبة . د . احسان عباس . دار الثقافة بيروت ١٩٧٥ .
- ١٨ - = = = عصر المراتف والمرابطيين . د . احسان عباس ط ١ . دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .
- ١٩ - تاريخ الادب العربي . احمد ميمس الزيات ط ٢٥ الفجالة . القاهرة . السنة ( ٩ )
- ٢٠ - تاريخ الادب العربي . المصر الاسلامي . د . شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٣
- ٢١ - = = = العصر الجاهلي . د . شوقي ضيف ط ٤ دار المعارف بمصر ١٩٦٠
- ٢٢ - = = = العصر عباسي الاول . د . شوقي ضيف ط ٦ دار المعارف بمصر ١٩٦٦
- ٢٣ - = = = العصر عباسي الثاني . د . شوقي ضيف ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧٢
- ٢٤ - تاريخ الادب العربي في صقلية + أمريتوريزيتانو منشورات الجامعة الاردنية . عمان ١٩٦٥
- ٢٥ - تاريخ الادب العربي ج ٥ . مصر المرابطيين والموحدين . د . عمر فروخ ط ١ دار العلم بيروت ١٩٨٢ .
- ٢٦ - تاريخ الاندلس في عهد المرابطيين والموحدين . يوسف أشباح ترجمة . عبدالله عنان مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٠ .
- ٢٧ - تاريخ ابن خلدون او كتاب المعبر وديوان المبتدأ والخبر ) . تأليف عبدالرحمن بن خلدون (- ٨٠٨ هـ ) . مطبعة بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ .
- ٢٨ - تاريخ علما الاندلس لايح الغرضي عبدالله بن محمد (- ٤٠٣ هـ ) . الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢٩ - تاريخ الفكر الاندلسي . لاثغل جنثالث بالنشا . ترجمة . د . حسين مؤنس . ط ١ مطبعة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٥ .
- ٣٠ - تاريخ الفلسفة العربية تأليف حنا فاخوري وخليل الجبر . دار المعارف بيروت ١٩٥٨
- ٣١ - تاريخ الفلسفة اليونانية . تأليف : يوسف كرم . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر ١٩٣١ .

- ٣٢ - تاريخ النقد الادبي عند العرب . د . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٨
- ٣٣ - الهمسان ( او مذكرات الامير ) . عبدالله بن بلقين . دار المعارف . القاهرة ١٩٥٥
- ٣٤ - تزئين الاسواق للاندلسي داود بن عمر (- ١٠٠٨ هـ ) المطبعة البهية . القاهرة ١٣٠٢ هـ
- ٣٥ - التشبهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكثاني أبي عبدالله المتطبب (- ٤٢٠ هـ )  
تحقيق د . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ .
- ٣٦ - التصوير الفني في القرآن . سيد قطب . دار الشروق . بيروت السنة ١
- ٣٧ - التلوين والتجديد في الشعر الاموي . د . شوقي ضيف . ط ٣ . دار المعارف مصر ١٩٦٥
- ٣٨ - الكلمة لكتاب الصلة لابن الأثير أبي عبدالله محمد بن عبدالله أبي بكر القضاعي (- ٦٥٨ هـ )  
نشر السيد عزت الدطار المسيني . القاهرة ١٩٦٠
- ٣٩ - ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب . تحقيق إ . ليفي بروفنسال . القاهرة ١٩٥٥
- ٤٠ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لابن عبدالله محمد العسدي (- ٤٨٨ هـ ) - القاهرة  
١٩٦٠ .
- ٤١ - جغرافية الأندلس وأوروبا للبكري أبي عبيد عبدالله بن عبدالمعز (- ٤٨٢ هـ ) تحقيق  
د . عبدالرحمن علي السدي . دار الارشاد بيروت ١٩٦٨ .
- ٤٢ - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . تأليف آدم متر . ترجمة محمد عبد الهادي  
أبوهدية ط ٤ . مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٢ .
- ٤٣ - الحلة السيرة لابن الأثير أبي عبدالله القضاعي . تحقيق د . حسين مؤنس . ط ١ .  
الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٣ .
- ٤٤ - العنبل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول <sup>تحقيق</sup> . سهيل زكار وعبد القادر زمانة  
ط ١ دار الرشاد المدينة . الدار البيضاء ١٩٧٩ .
- ٤٥ - حياة وآثار الشاعر لاندلسي ابن خفاجة . حمدان حجاجي ط ١ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع  
والتوزيع الجزائر ١٩٧٤ .
- ٤٦ - ابن خفاجة . د . الداية محمد رضوان . ط ١ . المكتب الاسلامي دمشق ١٩٧٤ .
- ٤٧ - ابن خفاجة الأندلسي . عبدالرحمن جيبور . دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٨٠
- ٤٨ - غرابة القصر وجرادة مصر للعقاد الاعفاني الكاتب (- ٥٩٧ هـ ) . قسم شعراء  
المنرب والاندلس . تحقيق . آذر تاش آذر نوني . تحقيق . محمد المزوقي ومحمد الجبروسي  
السلوي والجملائي بن الحاج يحيى . الدار التونسية للنشر ١٩٨٠
- ٤٩ - كتاب الخيل لابن عبيدة مصر بن المثنى (- ٢٠٩ هـ ) ط ١ . مطبعة دائرة المعارف  
العثمانية . حيدرآباد الهند ١٣٥٨ هـ .

- ٥٠ - دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية .
- ٥١ - دراسات في تاريخ الادب العربي . أغنايموس كرتشوفسكي . ترجمة . محمد المصري  
علم . موسكو ١٩٦٥
- ٥٢ - دراسات في الشعر الاندلسي . د . سعد اسماعيل شلبي . دار نهضة مصر للطباعة  
والنشر . القاهرة ١٩٧٣ .
- ٥٣ - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المبرطي . محمد عبدالله عنان ط ١ لجنة التأليف  
والتربية والنشر . القاهرة ١٩٦٠
- ٥٤ - ديوان الأعشى ممنون بن قيس . تحقيق محمد حسين . مكتبة الآداب القاهرة ١٩٥٠
- ٥٥ - ديوان الأعمى التليلي (- ٩٥ هـ ) تحقيق د . احسان عباس . دار الثقافة بيروت ١٩٦٣
- ٥٦ - ديوان البحري . تحقيق . حسن كامل الصيرفي . دار المعارف . مصر ١٩٦٣ .
- ٥٧ - ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف  
مصر ١٩٥١ .
- ٥٨ - ديوان هازم القرطاجني . تحقيق . عثمان الكماك . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٤
- ٥٩ - ديوان ابن حمد يمس (- ٥٢٧ هـ ) نشر د . احسان عباس دار صادر ١٩٦٠
- ٦٠ - ديوان ابن خاتمة أحمد بن علي الانصاري الاندلسي (- ٧٧٠ هـ ) تحقيق د . محمد  
رشوان الدايم . منشورات دار الحكمة . ١٩٧٨ .
- ٦١ - ديوان ابن خفاجة . د . السيد مصطفى غازي . منشأ دار المعارف . مصر ١٩٦٠
- ٦٢ - ديوان ابن دراج القسطلبي (- ٤٢١ هـ ) تحقيق د . محمود علي مكي . ط ٢ . المكتب  
الاسلامي . بيروت ١٣٨٩ هـ
- ٦٣ - ديوان ذو الرمة (- ١١٢ هـ ) تحقيق د . عبدالقدوس أبوصالح . مطبوعات مجمع اللغة  
العربية بدمشق ١٩٧٢ .
- ٦٤ - ديوان الرماضي أبي عبدالله بن غالب البلنسي (- ٥٧٢ هـ ) تحقيق د . احسان عباس  
ط ١ . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٠
- ٦٥ - ديوان ابن الرومي . تحقيق د . حسين نصار . مطبعة دار الكتب . مصر ( ١٩٧٣-١٩٧٧ )
- ٦٦ - ديوان ابن الزقاق الحسن بن علية تحقيق عفيفة ديراني . دار الثقافة . بيروت . السنة ؟
- ٦٧ - ديوان ابن زيدون (- ٤٦٣ هـ ) تحقيق . علي عبدالملكيم . مكتبة نهضة مصر بالقاهرة  
١٩٥٧ .
- ٦٨ - ديوان ابن الساعاتي ابي الحسن علي بن محمد (- ٦٠٤ هـ ) تد : أنيسل المقدسي  
المطبعة الامركانية . بيروت ١٩٣٨ .

- ديوان السري الرفاء . نشر مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٥٥ هـ
- ديوان ابن سهل الاندلسي . تقديم د. احسان عباس . دار صادر . بيروت ١٩٦٧
- ديوان الشريف الرضي . دار صادر . بيروت ١٩٦١
- ديوان ابن شهيد . جمع . يعقوب زكي . قرطبة ١٩٧٥
- ديوان السهابة لابن ابي حجلة أحمد بن يحيى المغربي ( - ٥٧٧٦ ) بهامش تزئين الاسواق للا نطاكي المطبعة البهية . القاهرة ١٣٠٢ هـ .
- ديوان الصنوبري . تحقيق د . احسان عباس . دار الثقافة . بيروت ١٩٧٠
- ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام للسان الدين بن الخطيب . تحقيق د . محمد الشريف قاهر ط ١ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ١٩٧٣ .
- ديوان لطفة بن المهدي بشرح الأعلام الشنتري . تحقيق . د رية الخطيب ولطف الصقال . مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٥ .
- ديوان بن عدي . تحقيق د . محمد رضوان الداية ط ١ . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٧٠ .
- ديوان المساج . تحقيق د . عبد الحفيظ السطلي . المطبعة التعاونية . دمشق ١٩٧١
- ديوان عبيد بن الابرص . نشر أكرم البستاني دار صادر . بيروت ١٩٦٤
- ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الشنتري تح : لطفى الصقال و د رية الخطيب ط ١ دار الكاتب العربي . حلب ١٩٦٦
- ديوان عنتر بن شداد . تح : محمد سعيد مولوي . المكتب الاسلامي . القاهرة ١٩٧٠ .
- ديوان كشاجم . تحقيق خيرية محفوظ . مطبعة دار الجمهورية بغداد ١٩٧٠ .
- ديوان المتنبي ابي الدليب . تصحيح . عبد الوهاب عزام . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٤ .
- ديوان مجنون لولي . جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج دار مصر للطباعة . مصر ١٩٧٩
- ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف . مصر ١٩٥٨ .
- ديوان ابن المعتز ( - ٢٩٦ هـ ) بشرح محي الدين الخياط . مطبعة الاقبال بيروت ١٣٣٢ هـ
- ديوان المسند بن ماز . جمع وتحقيق أحمد أحمد بدوي وعامد عبد المجيد . المطبعة الاميرية . القاهرة ١٩٥١
- ديوان ميهار الديلمسي . ط ١ دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٥
- ديوان ابن النقيب ( - ١٠٨١ هـ ) تحقيق عبد الله الجهوري . المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٦٣ .

- ديوان أبي نواس . تحقيق . أحمد عبدالمجيد الفزالي . مصر . ١٩٥٣ - ٩٠
- ديوان ابن هانوق الأندلسي ( - ١٢ هـ ) شرح كرم البستاني . دار صادر . بيروت - ٩١
- السنة ( ٥ )
- ديوان الواواء الدمشقي . تحقيق . د. سامي الدخان . المجمع العلمي العربي . دمشق . ١٩٥٠ - ٩٢
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابي الحسين علي بن بسام الشختريني ( - ٥٤٢ هـ ) تحقيق . د. احسان عباس . دار الثقافة . بيروت ١٩٧٩ . - ٩٣
- ذو الرية شاعر الحب والصحراء . د. يوسف . خليف . دار المعارف . القاهرة . ١٩٧٠ - ٩٤
- رايات المبرزين وغايات العزيم . لابي الحسن علي بن سعيد المصري ( - ٦٨٥ هـ ) تحقيق . د. النعمان عبدالتمتع القاضي . مطابع الاهرام التجارية . القاهرة ١٩٧٣ . - ٩٥
- رسالة الشقندي ( انظر فضائل الاندلس واهلها ) - ٩٦
- رسالة ابن عدون ( انظر ثلاث رسائل في آداب الحسبة ) - ٩٧
- الروى المعطار في خبر الاقطار لمحمد بن عبدالمنعم العميري تحقيق . د. احسان عباس - ٩٨
- دار القلم بيروت ١٩٧٥
- الرومانسية في الادب الاثري . تأليف بول فان تيبينغ ترجمة صباح الجهم . منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٨١ . - ٩٩
- ابن الروي في الصورة والوجود . د. علي شلق ط ١ دار النشر للجامعيين - ١٩٦٠ - ١٠٠
- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر لابي بحر صفوان بن ابراهيم الرسي ( - ٥٩٨ هـ ) نشر وتعليق عبدالقادر محداد . بيروت ١٩٣٦ . - ١٠١
- ابن زويدن عصره وحياته وأدبه . د. علي عبدالعظيم ط ١ مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٥٥ . - ١٠٢
- سرور النفس بحدارك الحواس الخمس لأحمد بن يوسف التيفاشي ( - ٦٥١ هـ ) . تهذيب - ١٠٣
- ابن منظور . تحقيق . د. احسان عباس . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ١٩٨٠ شرح ديوان ليهيد . تحقيق . د. احسان عباس . مطبعة الحكومة . الكويت ١٩٦٢ . - ١٠٤
- شرح ديوان المتنبي . عبدالرحمن البرقوقي . المطبعة الرحمانية . القاهرة . ١٩٣٠ - ١٠٥
- الشعر الاندلسي تأليف غارثية غوث ترجمة . د. حسين مؤنس ط ٣ . مكتبة النهضة العربية القاهرة ١٩٦٩ . - ١٠٦
- الشعر الاندلسي في عصر الموحدين لـ د. فوزي سعيد عيسى ط ١ . الاسكندرية . ١٩٧٩ . - ١٠٧
- الشعر والبيئة في الأندلس . د. ميشال عاصي . ط ١ المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥ . - ١٠٨
- الشعر والتجربة تأليف أرشيبالد مكليش . ترجمة سلس الخضراء الجبوسي . دار المقننة العربية . بيروت ١٩٦٣ . - ١٠٩



- ١١٠ - شعر اللبيمة في الادب العربي . د. سيد نوفل ط٢ . دار المعارف ، مصر ١٩٢٨ .
- ١١١ - شعر ابن اللبائمة جمع وتحقيق د . محمد مجيد السعيد . منشورات جامعة البصرة ١٩٧٧
- ١١٢ - صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس . من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تأليف الشريف الادريسي عبدالله محمد بن محمد ( - ٥٦٠ هـ ) نشره ر. دوزي . ليدن بريل ١٨٦٦
- ١١٣ - الصلة لابن بشكوال خلف بن عبد الملك ( - ٥٧٨ هـ ) . الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ .
- ١١٤ - صلة الصلة لآبي جعفر بن أحمد الزهير ( - ٨٠٧ هـ ) نشره إ. ليفي بروفنسال . المطبعة الاقتصادية الرباط المغرب الاقصى ١٩٣٨ .
- ١١٥ - صناعة الحرب الأعشى الكبير . د . مصطفى الجوزو ط١ . دار اللبيمة . بيروت ١٩٧٧ .
- ١١٦ - صناعة الكتابة . تأليف . أسعد علي ود ، فكتور الكك . ط٤ . دار السؤال ، دمشق ١٩٨١
- ١١٧ - كتابة الصناعتين لآبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ( - ٣٩٥٠ هـ ) ط٢ نشر محمد علي صبح مصر السنة ٤
- ١١٨ - الصورة الادبية د . مصطفى ناصف ط٢ دار الاندلس بيروت ١٩٨١
- ١١٩ - لبقات الأثم لآبي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي ( - ٤٦٢ هـ ) مطبعة السمادة مصر السنة ٤
- ١٢٠ - أبو اللمب المثني تأليف د . ر بلاشير ترجمة د . ابراهيم كيلاني وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥
- ١٢١ - اللبيمة في الشعر الاندلسي . د . جودت الزكابي مكتبة أغللس . دمشق ١٩٧٠
- ١٢٢ - اللبيمة في الشعر الجاهلي . د . نوري القيسي ط١ . دار الارشاد للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٠
- ١٢٣ - المعراج حياته ورجزه . د . عبد الحفيظ السطلي . مكتبة أغللس دمشق ١٩٧١ .
- ١٢٤ - السروس وموسيقا الشعر العربي د . محمد علي سلطان . المطبعة الجديدة دمشق ١٩٨١
- ١٢٥ - العمدة في صناعة الشعر ونقده لآبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ( - ٤٦٣ هـ ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط١ مطبعة حجازي . مصر ١٩٣٤ .
- ١٢٦ - المصنف التلمساني شاعر الوحدة المطلقة . د . عمر موسى ياسا . دار الجليل للطباعة دمشق ١٩٨٢ .
- ١٢٧ - عيون الانباء في لبقات الالباء لابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم ( - ٦٦٨ هـ ) تحقيق د . نزار رضا . مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥

- ١٢٨ - غرائب التبهات على عجائب التشبهات لعلي بن ظافر الأزدي ( - ٦١٣ هـ ) تحقيق  
د . محمد زغلول سبيلام . ومصطفى السباوي الجمهني . دار المعارف القاهرة ( ١٩٧١ ) .
- ١٢٩ - الفئحة المنسجم في شرح لامعة المعجم لصلاح الدين خليل بن أبيبك الصفدي ( - ٧٦٤ هـ )  
ط ١ . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ .
- ١٣٠ - فرحة النفس في تاريخ الاندلس . قطعة منه - لابن ظهير محمد بن أيوب النرناطي  
تحقيق د . لافي عبدالهديج . فصلة من مجلة المخطوطات المجلد الاول . الجزء الثاني  
ط ١ . ١٩٥٦ .
- ١٣١ - فرائد الاندلس وأهلها ( لابن سعيد والشقندي ) لشرمان . صلاح الدين المنجد  
ط ١ . دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ .
- ١٣٢ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي د . شوقي ضيف ط ١ . دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
- ١٣٣ - فهرسة مارواه عن شيوخه لابي بكر محمد خير الاشبيلي ( - ٥٧٥ هـ ) . طبع وتحقيق  
الشيخ فرنسكة قداره وخلصان ربارة طرفوه ط ٢ . دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ .
- ١٣٤ - فن الشعر الايوبي المصاصر . د . عبدالرحمن بدوي ط ٢ . المؤسسة العربية للطباعة  
والنشر . بيروت ١٩٨٠ .
- ١٣٥ - القاوس السعيد لجمال الدين العمري آزادي ط ٢ . المهمة المصرية ١٩٢٣ .
- ١٣٦ - القرآن الكريم .
- ١٣٧ - قصة الادب في الاندلس . د . عبدالمنعم خفاجي ط ١ . المطبعة النهرية . مصر . ١٩٦٢ .
- ١٣٨ - فلائذ العقيان في محاسن الامان لابي الفتح بن خاقان ( - ٥٣٥ هـ او - ٥٣٦ هـ ) .  
قدم له ووضع فهرسه محمد الغنابي . دار الكتب الوطنية تونس ١٩٦٦ .
- ١٣٩ - قيام دولة المرابطين . د . حسن أحمد محمود . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة  
١٩٥٧ .
- ١٤٠ - كولودج . د . محمد مصطفى بدوي . دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
- ١٤١ - لسان العرب لابي الفضل جمال الدين بن مكرم المعروف بابن منظور ( - ٧١١ هـ ) ط ١  
المطبعة المصرية بولاق مصر ١٩٣٠ هـ .
- ١٤٢ - مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٤ . السنة ١٩٧٠ - مقال : علماء الزراعة الاندلسيون  
لسيد الله عنان .
- مجلة العربي الكويتية العدد ١٥١ / ١٩٧١ - مقال : محكمة المياه ببلنسية . لسيد الله  
عنان
- مجلة العربي الكويتية العدد ٢٧٦ / ١٩٨١ - مقال : النقود العربية فزت أوروبا القرون  
الوسطى للدكتور أمين توفيق الدليمي .

- ١٤٣ - مجلة المجمع العربي بدمشق مجلد ١١ لسنة ١٩٣١ . مقال: ابن خفاجة الاندلسي لأحمد الاسكندري .
- مجلة المجمع العربي بدمشق مجلد ١٢ لسنة ١٩٣٢ تنمة مقال : ابن خفاجة الاندلسي لأحمد الاسكندري .
- ١٤٤ - المجلد في فلسفة الفن تأليف: كروتشه . ترجمة د . سامي الدروبي ط٢ الاؤابد دمشق ١٩٦٤ .
- ١٤٥ - مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ( - ٦٦٠ هـ ) المكتبة الاموية بيروت . دمشق ١٩٧٨ .
- ١٤٦ - مسائل فلسفة الفن المعاصر تأليف جان ماري جوهو . ترجمة د . سامي الدروبي ط٢ دار البقطة العربية ببيروت ١٩٦٥ .
- ١٤٧ - السارب من أشعار أهل المضرب لأبي الخطاب عرب بن حسن بن دحية ( - ٦٣٣ هـ ) تحقيق د . ابراهيم الأبياري و د . حامد عبدالمجيد و د . أحمد أحمد بدوي . دار العلم للمجمع القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٤٨ - ملحق الأتفس ومسرح التأسس في ملح أهل الاندلس لأبي نصر الفتح بن خاقان . ملهمة السعادة . مصر ١٣٢٥ هـ .
- ١٤٩ - مع شعراء الاندلس والمقنبي تأليف ا . غرثية غوث . تمهيد د . الطاهر احمد المكي ط٢ دار المعارف . القاهرة ١٩٧٨ .
- ١٥٠ - مساهمة التتبعين لعبدالرحيم بن أحمد العباسي ( - ٩٦٣ ) تحقيق الشيخ محمد صبي عبدالحميد . دار السعادة . القاهرة ١٩٣٧ .
- ١٥١ - المعجب في تلخيص أخبار المضرب لعبدالواحد بن علي المراكشي ( - ٦٤٧ هـ ) تحقيق محمد سعيد المريان ومحمد العربي العلمي ملهمة الاستقامة القاهرة ١٩٤٩ .
- ١٥٢ - المعجم في أصحاب القاضي لامام الصدفي لابن الابرار محمد بن عبدالله القضاعي . دار الكتاب العربي . القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٥٣ - معجم البلدان لأبي عبدالله شهاب الدين ياقوت الرومي الحموي ( - ٦٢٦ هـ ) دار صادر بيروت ١٩٥٧ .
- ١٥٤ - المضرب في حلى المضرب لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد المصري ( - ٦٨٥ هـ ) تحقيق د . شوقي خليف دار المعارف بدمشق ١- ١٩٥٣ ، ٢ ١٩٥٥ .
- ١٥٥ - مقالات في الشعر الجاهلي . يوسف اليوسف ط٢ دار الحقائق بيروت ١٩٨٠ .
- ١٥٦ - مقدمة ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد . تحقيق د.علي عبدالواحد وافي ط١ لجنة البيان العربي القاهرة ١٩٦٢ .

- ١٥٧ - منهاج المبلغاء وسراج الأديباء لابي الحسن حازم القرطاجيني (- ٦٨٤ هـ) تحقيق محمد الحبيب الخوجة تونس ١٩٦٦
- ١٥٨ - منهاج الفن الاسلامي . محمد قطب دار الشروق بيروت، السنة ( ٤ )
- ١٥٩ - الموسوعة في علوم الطبيعة . إدوار غالب . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٥
- ١٦٠ - موسيقا الشعر . د . ابراهيم انيس . ط ٤ دار القلم . بيروت . ١٩٧٢ .
- ١٦١ - موسيقا الشعر العربي . د . شكري محمد عياد ط ١ دار المعرفة القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٦٢ - كتاب النبات لابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (- ٢٨٢ هـ ) - نشره ب . لوين برنهارد .
- كتاب النبات - قطعة من الجزء الخامس . بريل . ليدن ١٩٥٣
- = = = الجزء الثالث . فرانز شتاينر . فسبان ٢٩٧٤ . ودار القلم بيروت ١٩٧٤
- ١٦٣ - كتاب النبات لابي سعيد عبدالمك بسن قريب الاصمعي (- ٢١٦ هـ ) تحقيق عبدالله يوسف الغنيم مطبعة المدني . القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٦٤ - نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب تأليف الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني . تحقيق . د . احسان عباس . دار صادر بيروت : ١٩٦٨ -
- ١٦٥ - نقد الشعر لابي الفرج قدام بن جعفر . (- ٣٢٧ هـ ) . تحقيق كمال مصطفى . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٧٩
- ١٦٦ - نقد النثر لابي الفرج قدامة بن جعفر . تحقيق طه حسين وعبدالحمد العبادي مطبعة الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٣ .
- ١٦٧ - ابن النقيب شاعر الأبيمة في العصر العثماني . د . عمر موسى باشا . ط ١ المكتبة العباسية دمشق ١٩٧٠ .
- ١٦٨ - نهاية الأدب في فنون الأديب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (- ٧٣٣ هـ) المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . القاهرة السنة ( ٤ )
- ١٦٩ - الوافي بالسوفيات لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفي . نشر . س . ديدرنيغ . دار صادر بيروت ١٩٧٢ .
- ١٧٠ - الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالمعز الجرجاني (- ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد ابراهيم علي محمد الهجاوي . ط ١ . دار احياء الكتب العربية مصر ٤٥
- ١٧١ - الوصف . تأليف لجنة من اديباء الاقطار العربية . دار المعارف بمصر . القاهرة . دون ذكر السنة .
- ١٧٢ - ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر جمع وتحقيق . د . حسين نصار . دار مصر للطباعة السنة ( ٤ )
- ١٧٣ - يتيمة الدهر في محاسن أهل مصر لابي منصور الشمالي (- ٤٢٩ هـ ) . تحقيق محمد محي الدين عبدالصميد . دار السمادة . ١٩٥٦ .

- 1- La civilisation arabe en Espagne . Vue générale, nouvelle édition. E. Levi Provençal. Paris - 1948
- 2- La description de l'Espagne Par AL-RAZI Ahmed. Traduction française par (E. Levi Provençal) . Al - Andalus , Vol. 18, fasc : 1/1953
- 3- Encyclopédie de l'Islam . t. 3 et 4 Leiden E. J. Brill Paris 1971 et 1978.
- 4- Le grand Larousse encyclopédique . Librairie Larousse Paris 1962.
- 5- Histoire de L'Espagne (Que sais-je ?) par Pierre Villar Presses universitaires de France . Paris 1947.
- 6- Histoire des Musulmans d'Espagne , t. 3 et 4 . (Dozy. R) edit. par E. Levi Provençal Leyde - E. J. Brill 1932
- 7- La poésie Andalouse en Arabe classique au 11e siècle, ses aspects généraux , ses principaux thèmes et sa nature documentaire. 2e édition. Par Henri Pérès , Maisonneuve Paris - 1953.

أ  
ب - ت

الاهدا  
المقدسة

- مدخل الى عصر ابن خفاجة ..... ٣٨ - ١  
- الحياة السياسية ١١ - ١  
- الحياة الاقتصادية ١٦ - ١٢  
- الحياة الاجتماعية ٢٣ - ١٧  
- الحياة الفكرية ٣٨ - ٢٤

الباب الأول : حياة ابن خفاجة ..... ٥٧ - ٣٩

- الفصل الأول : نشأته وثقافته ٤٤ - ٤٠

- الفصل الثاني : شخصيته وحياته الاجتماعية ٥٠ - ٤٥

- الفصل الثالث : علاقاته وأسفاره ٥٧ - ٥١

الباب الثاني : الطيبة في الشعر العربي ١١٦ - ٥٨

- الفصل الأول : الطيبة في الشعر الجاهلي ٦٨ - ٥٩

- الفصل الثاني : الطيبة في الشعر الاسلامي والاموي ٧٥ - ٦١

- الفصل الثالث : الطيبة في الشعر المباسي ٧٨ - ٧٦

- الفصل الرابع : الطيبة في الشعر الاندلسي ٩٩ - ١١٦

الباب الثالث : الطيبة في شعره ابن خفاجة الاندلسي ..... ٣١٧ - ١١٧

- الفصل الأول : بين الطيبة وابن خفاجة ١٣٠ - ١١٨

- الفصل الثاني : الروضيات ١٤٣ - ١٢١

- الفصل الثالث : الشجر والشعر والزهر ١٦٦ - ١٤٤

الشجرة ————— ١٥٤ - ١٤٤

الاراك ١٤٤ ، الهان ١٤٧ ، السرح ١٤٧ ، الايكة ١٤٩ ، البشام ١٥١ ، النارنج ١٥١

القصون ١٥٣ ، الريحان ١٥٤

الشعر ١٥٥ - ١٥٥

التمر ١٥٥ ، النارنج ١٥٥ ، التين ١٥٦ ، العنب ١٥٧ ، الرمان ١٥٨ ، التفاح

١٥٦

الزهر ١٦٠ - ١٦٩

النارنج ١٦١ ، الخيري ١٦١ ، الورد ١٦٢ ، النيلوفر ١٦٤ ، الاقحوان ١٦٤ ، الشقيق

١٦٥ ، الريحان ١٦٥ ، الفرجس ١٦٦ ، زهر الشجر ١٦٨

- الفصل الرابع : الربا والبطلح والجهال ..... ( ١٧ - ١٨٤ )  
الربا ١٧٠ المبطاح ١٧٣ الخرق ١٧٤ الجهال ١٧٧

- الفصل الخامس : الطائيات ..... ( ١٨٥ - ٢٠٠ )  
النهر ١٨٦ السيل ١٨٣ ، البحر ١٩٤ البرد ١٩٧ الثلج ١٩٨

- الفصل السادس : الطوائف الكونية ..... ٢٠١ - ٢٢٨

الرياح ٢٠١ الفطام والبرق والرعد ٢٠٥ الليل والنهار ٢١١

الكواكب والنجوم ٢١٨ القمر ٢٢١٠ الهلال ٢٢٣ الثريا ٢٢٤ الشمري ٢٢٥ النسر ٢٢٥

الحية ٢٢٥ العجزة ٢٢٦ الشمس ٢٢٧

- الفصل السابع : الالبيحة الحية ..... ( ٢٢٩ - ٢٦٠ )

الدخيل ٢٢٩ الابل ٢٤٣ الكلاب ٢٤٦ الانعام ٢٤٨ الكيش ٢٤٨ النسجة ٢٤٩ الارنب

الارنب ٢٥٠ الذئب ٢٥٠ الحية ٢٥٢ النحلة ٢٥٤ الثور ٢٥٤ الحمام ٢٥٥

الليزر المخردة ٢٥٨ القطاة ٢٥٨ الثور الكاسرة ٢٥٩ البازي ٢٦٠

- الفصل الثامن : الالبيحة المصنوعة ..... ( ٢٦١ - ٢٨٠ )

وصف السلاح ٢٦١ السيف ٢٦٢ الرمح ٢٦٦ القوس ٢٦٧ الدرع ٢٦٧ الالبيحة ٢٦٨

المراكب المائية ٢٧٠ ادوات الكتابة ٢٧١ نية الشرب ٢٧٤

ادوات الالانارة ٢٧٥ النار ٢٧٦ ادوات الزينة ٢٧٦

- الفصل التاسع : الالبيحة في الاقراض الشمرية ..... ( ٢٨١ - ٣١٧ )

الالبيحة وقسيده المدح ٢٨١ . الالبيحة والربا ٢٩٣ الالبيحة ووصف الهمركة

الالبيحة والمتاب ٣٠١ الالبيحة ووصف القواعد الشمرية ٣٠٢ الالبيحة والخمر ٣٠٤

الالبيحة والنزل ٣٠٨

- الفصل العاشر : الدراسة الفنية ..... ( ٣١٨ - ٣٦٧ )

القسم الاول : ..... ٣١٩ - ٣٥١

البناء الشمري ٣١٩ الالفاظ ٣٢١ الموسيقى ٣٢٥

الاسلوب ٣٣١ التشبيه ٣٣٢ الاستمارة ٣٣٨ الجناس ٣٤٢ الطباق ٣٤٠

التمرة الشمرية ٣٤٨ اللون ٣٤٩ الحركة والحياة ٣٥٠ الالئس ٣٥٠

الواقعية والخيال ٣٥١

٣٥٢ - ٣٥٨

القسم الثاني : الممنس

٣٥٩ - ٣٦٧

القسم الثالث : مكانة ابن خلدون

٣٦٨ - ٣٧٣

خاتمة

فهارس البحث

( ١ ) فهرس الاعلام والقبائل والدول ٣٧٥٠

( ٢ ) فهرس الاماكن والبلدان ٣٨٥

( ٣ ) فهرس المصادر والمراجع ٣٩١

( ٤ ) فهرس الموضوعات ٤٠٢

صواب (١)	خط	تصويبات	سفر	ص
بذلك عني	فكشتموا بذلك علي		١٥	١
ودافع	ودافع		٢	٢
حقيقة	حقيقته		٢	٣
والمرية (٢)	والمرية		١٠	٤
الاسلام (١)	الاسلام		١٨	٥
قد	انه		١٥	٦
الصانع	الصانع		٢	٧
لمتونة	المتونة		٦	٨
انتنت	انتانت		٦	٩
عزير	عزير		٢	١٠
ينتقدهم	ينتقدهم		٦	١١
بمريته	بمريته		١١	١٢
بلاط	بلاطه		٤	١٣
من البصر به	من البصرية		٨	١٤
عن مدحه	على مدحه		١	١٥
اصاب	اصاب		١٠	١٦
انفسهم (٢)	انفسهم		٤	١٧
في مذاق	في هذا		١٦	١٨
اسفه ... عن	اسفه لانصرافه على		٥	١٩
للغرض، انصافه: ٩٩	للغرض	ما في قوله (٢)	٥	٢٠
انصاف	جو مساعدا		١٢	٢١
قوي	وانصاف		١٢	٢٢
صدر	قوي		١	٢٣
قوي عن	قوي من فوره		١٨	٢٤
اثر اي اثر	اثر اي اثر		١	٢٥
الانسان	الانسان		٢	٢٦
قدر على طبع	قدر طبع		١٥	٢٧
البيضاء	البيضاء		٤	٢٨
وروعها جذعا	وروعها		٥	٢٩
... بتجميل	كما عني في تجميل		١١	٣٠
وصفا	وصفا		٦	٣١
الشعرية	الشعرية		٦	٣٢
وتفتت	وتفتت		١٢	٣٣
الموصفات	الموصفات		١٠	٣٤
جياتها	جياتها		١	٣٥
الانسا	الانسا		٦	٣٦
تصفيها	البرق		٤	٣٧



يعكس	يحيى	١٠	١٠
وحي سير	يحيى سير	١١	١١
ثم يذكر	لم يذكر	١	١٠٥
البرق الأول تحذف	قعه المسار	١٤	١٠٩
ذات المسار	لم يدخل	١٢	١١١
لم يدخل	أثر	١٧	١١٢
أكثر	التلذذ والتلذذ	١٤	١١٤
التلذذ والتلذذ	العروس وموسيقا الشعر	٧	٢١٩
الصعود و--	كأله عمر لوسف	٢٤	٢٩٧
كأله عمر لوسف	المسائل والاجوبة	٢	٢١
الحدائق	جيجيكا	١٥	٢٥
جاء الى	لما وفر	٤	٤٤
لما وفر	تحدثنا على	٢	٤٦
تحدثنا عن	أو بالعربي	٤	٤٥
أو بالدرية	وأنكاساتها	٥	٥٢
وأنكاساتها	يفقد	٦	٥٦
يفقد	محرما	٨	٦٦
محرما (٧)	فيها	١٥	٢٥
فيها	أشرفا	٢	٨٦
أشرفا	وإعجاب	٤	٨٧
وإعجاب (٨)	فصورها	١٦	٨٨
فصورها	أفصح	١٠	٩١
فصح	تحت العنوان وفي وسط السلم	٥	١١٦
(٧)	٤٢		١١٨
٤٢	فجعله		٢١٩
فجعله	عاشه (٩)		٢٢٠
ابن زيدون	٢٢		٢٩٢
قدامة	ابن زويدون	١٩	٤٠
قدامة	قدامة	١٥	٢٢٧
على التقية والتصريح --	وهو يصرح على التصريح --	١٨	٤٠
يلتزمها -- منها -- لها --	يلتزمه .... منها ... له	١٨	٢٢٧
وقد يصرح أو يفتي --	وقد يصرح كإياتا	١٩	"
فيصرح البيت الثالث وفتي	فيصرح الإيات الأولى والثالثة	٢-٢	٢٢٨
البيتين الأول والثاني --	الأولى		

تصويبات (تابع)

صفحة	خط	ملاحظات
١١٨	٧	خط
١٢٢	٨	الأدلى
١٢٧	٩	يعد
١٣٥	١٠	في بالأدلى
"	١١	وصقلية وثيقة
١٤٨	١٢	ما ظهر من معاني... عادية
١٥٥	١٣	لا تعدوا أن تكون مادية
١٦٣	١٤	الصحاب
١٧٠	١٥	المحضرة
١٧٤	١٦	٨٠
١٨١	١٧	يعدل منه
"	١٨	والشعر
١٨٤	١٩	الجبل الشد
١٨٦	٢٠	شبه الجزيرة الأندلس
٢٠٦	٢١	وقد ارتجز
٢١٠	٢٢	الرياح
٢١٤	٢٣	ما قاني
٢١٥	٢٤	حسا
٢١٧	٢٥	يهدف
٢٢٠	٢٦	والوطيس
٢٢٢	٢٧	فيتمثله
٢٢٢	٢٨	من على
٢٢٧	٢٩	رئيه
"	٣٠	في أشعر
٢٣٩	٣١	٥٨ - ٥٧
"	٣٢	١١٢
٢٥٥	٣٣	تلمسه
٢٥٦	٣٤	البيد
٢٥٨	٣٥	وذكرت
٢٦٣	٣٦	عمر
٢٦٤	٣٧	لعتا
٢٦٥	٣٨	مقار
"	٣٩	غصان
٢٧٢	٤٠	كما يذكر
٢٧٢	٤١	تصدع
٢٧٧	٤٢	الديوان : ١٢٢
٢٧٨	٤٣	مشرق

(١٢)

صواب

الأعلى

يحت

بالأدلى

وصقلية

وثيقا

ما ظهر على ... مادية

لا يعدوا أن يكون مادية

الصحاب - ب لا

المحضرة

٨٥

يعدل منه

والشعر

التشديد

شبه جزيرة الأندلس

وقد ارتجز

الرياح

من قاني

حسا

ويهدف

يستهدف

الوطيس

فيتمثله

من على

رئيه

في أشعر

٥٨ - ٥٧

١١٢

تلمسه

البيد

وذكرت

عمر

لعتا

مقار

غصان

كما يذكر

تصدع

الديوان : ١٢٢

مشرق

تقويات (تابع) (٤)

استعارته	استعارته	١٨	٢٨١
غرم	غرم	١١	٢٨٢
هو	هو	١١	٢٨٣
المتنوعة	والمتنوعة	١٨	٢٨٦
العليق	العليق	٥	٢٨٩
ذولا	ذولا	١٦	٢٩١
طبيعية	الطبيعة	٥٥	٢٩٨
العبث	العبث	١٠	٢٩٤
عنه	عنه	١٦	٣٠٠
وشيه	وشيه	٤	٣١٥
سومان	سومان	١٢	٣١٤
وهذا البحث: ٤٣	-		
على الحركة التي كاه -	علم الحركة كان	عاشوراء (٤)	٣٥٠
ونبتع	ح	٤	٣٥٢
مبسم بروق	مبسم بروق	١	٣٥٠
وتأكيد	وتأكيد	٨	٣٥٢
أبرزه	أبرز	٦	٣٥٧
قد	وقد	٦	"
يفغره	يفغره	١٦	٣٤٠
٣١	٣١	١٠	٣٤١
يفتق	يفتق	عاشوراء (٦)	٣٤٤
فغني بـ	فغني بـ	٢	٣٤٨
لا يطيب إلا	لا يطيب إلا	١١	"
يججب	يججب	٩	٣٥٢
رفز على الحياة	رفز حياة	١٤	٣٥٤
وفي تبعه	في تبعه	٥١	"
المسند بن الخير	المسند بن الخير	١٠	٣٥٤
للصورة	المصورة	١٢	٣٦٢
لسنج	لسنج	١٦	٣٦٤
أراه: ١١	أوهنا	١٦	٣٦٥
		٠	٣٦٤
المستعار له .	المستعار به	٥	
		١٥	٣٦٧

Université de Damas

Faculté des lettres

Institut des lettres et  
de langue arabe .

LA NATURE DANS LA POESIE D'IBN KHAFADJA  
AL ANDALOUSI

Thèse de Maîtrise

Préparée par

Kerroum Boumediene

Dirigée par le Docteur

Omar Moussa Bacha

## CONCLUSION

On a commencé cette thèse par un<sup>e</sup> introduction de laquelle nous avons éclairé l'époque du poète IBN KHAFADJA , du point de vue politique, économique, sociale et intellectuelle; et on a vu<sup>que</sup> l'Espagne Musulmane, durant les siècles 4 et 5 de l'hégire ~~qui~~ atteint un niveau de civilisation très élevé; mais la chute du "KHALIFA OMAYYADE " a comme conséquence sa division en petites royaumes vivaient en état de compétition et de lutte; et l'apparition de la force Chrétienne au nord de l'Andalousie ( ex: la reconquête) , qui assaillit ces royaumes faibles dans le but de récupérer toute le peninsule, a détourné la vie stable et tranquille de l'Andalousie en vie perturbée et instable, ils ont faillit récupérer l'Andalousie, mais l'intervention des ALMORAVIDES l'a empêché.

Les ALMORAVIDES ~~se~~ sont venus comme aidants, mais apercevant que les "Moulouk de TAÏFAS" n'ont plus la force de se défendre, ils sont devenus des conquérants en forme de défenseurs de l'Andalousie; les ALMORAVIDES ont favorisé la paix durant leur existence en Espagne; mais l'apparition du "MAHDI" le chef des ALMOHADES au Maghreb, comme une nouvelle force compétente a bouleversé les forces des ALMORAVIDES qui selon le MAHDI ne sont plus sur le régime exacte de l'Islam.

Affaibli par les guerres successives des Chrétiens et force du MAHDI au Maghreb, a poussé les Musulmans d'Espagne ~~à~~ se mettre contre eux et les remplacer enfin par les ALMOHADES.

Et malgré la dépression politique et sociale qu'a connu l'Espagne à cette époque, on trouve que la vie intellectuelle en ses différents domaines n'a pas changé, mais au contraire elle a été prospéré durant la période des "Moulouk TAWAIF " ainsi que pendant la période des ALMORAVIDES .

Nous avons consacré le premier chapitre sur la vie d'IBN KHAFADJA, du point de vue, éducation et naissance, sa personnalité, ses relations et ses voyages, et on a vu qu'IBN KHAFADJA, avec sa personnalité et ses caractères propres a pu se tendre vers la description de la nature et ses beautés. Puis nous avons étudié d'une façon globale la nature dans la poésie arabe avant IBN KHAFADJA et nous avons essayé d'apparaître les étapes de développement dans cet art durant les

époques historiques de la poésie arabe, et nous avons saisi la corrélation profonde du poète arabe avec son environnement ; mais sa préoccupation sur les ressemblances objectives a influencé profondément sur la poésie descriptive en générale, et la poésie de la nature particulièrement.

Puis nous avons abordé le chapitre principale dans cet mémoire c'est à dire, la nature dans la poésie d'IBN KHAFADJA , où nous avons décrit la nature de son pays natal, et nous avons essayé d'établir une relation entre sa vie , son humeur et sa poésie d'une part, et la nature où il viva d'autre part . Il avait un sentiment profond sur la nature de son pays, et cette relation lui a permit de faire son œuvre dont la description de la nature résume.

Puis nous avons étudié sa description générale de la nature , à travers la description des jardins qui exprime les sentiments du poète envers la vie et la femme d'une manière attentive. Et nous avons essayé d'analyser cette description globale des jardins et voire la signification de ces éléments descriptives avec lesquels il a réussi à exprimer sa vue envers la femme qu'il a vu sans elle comme épouse, ainsi que son sentiment envers la vie qu'il aime profondément a été exprimée surtout par sa description sur l'arbre.

Et en ce qui concerne la description des montagnes, on a vu qu'il a déroulé un dialogue humain en essayant d'exprimer sa sensation de la mort et de la vie. Alors que sa description prolongée sur l'eau courant en ses différents périodes nous donne l'impression qu'il vivait dans une nature pleine d'eau. Il a exposé la mer en état d'agitation signifiant la peur du poète, ainsi , il a décrit la neige, alors que sa vue envers le phénomène du grêle était comme un châtement providenciel.

Pour sa description des phénomènes de l'univers, (la nuit, le jour, le soleil, la lune, les étoiles, le nuage, le tonnerre et l'éclair) nous avons conclu qu'il fuyait de la nuit, aimait le jour, et en ceci apparait sa sensation sur la vie et la mort. Pour la nature vivante, IBN KHAFADJA a exposé par sa description, le cheval et les

oiseaux chantants bien plus qu'autres éléments vivants, il nous a donné plusieurs images qui caractérisent les qualités psychosomatiques de son cheval, et se borna sur la description des chants d'oiseaux.

Ainsi, il a décrit quelques objets de sa civilisation, surtout l'épée, la bague, et la plume; le poète n'est intéressé sur la description de l'épée et le cheval dont il s'aperçoit leur importance pour se défendre contre les agressions du mouvement chrétien (la reconquête).

IBN KHAFADJA a employé dans la description de la nature vivante et la nature artificielle la nature morte, et ceci apparaît clair dans toutes ses sens poétiques; louange, élégie, blâme, la description du combat, du vin, des poèmes et la galanterie dont la description de l'amant a été basé sur la nature avec une grande proportion; de ceci nous avons saisi qu'il examinait la nature à travers les caractères vues de la femme, cette examination devenu -ici- pour la femme à travers la nature, et cette interference indique l'attachement du poète à la vie, en plus de son attachement au qualité esthétique qui les unit, il les considérait comme des symboles de la vie qu'il aimait, et s'attachait profondément.

Et le dernier chapitre comprend une étude globale sur l'art poétique d'IBN KHAFADJA où nous avons indiqué les sens suivants :

- 1- Il n'est pris soin de son style poétique, en choisissant des mots faciles, clairs, inspirants; et la musique a été bien entretenu; et grâce aux éléments précédants, sa poésie a eu un aspect facile à lire et harmonieux, en ajoutant que sa civilisation, sa culture vaste et sa sensibilité sentimentale, l'ont aidé bien à accomplir sa tâche.

- 2- Il a trop employé les ressemblances et les métaphores jusqu'à les assembler dans un seul vers, et cette méthode rend ses sens poétiques un peu obscurs. Ainsi qu'il a inspiré ses ressemblances et ses métaphores à partir de la nature harmonieuse qui l'entour.
- 3- Ses images poétiques étaient un moyen d'exprimer ses sentiments et sa vue envers la vie, la mort et la femme.
- 4- Dans la plupart des cas, sa description sur la nature était objective.
- 5- Pour établir son image poétique, il entremêle la réalité et l'imagination, cet entremêlement apparaît de façon évidente en humanisant la nature.
- 6- Il a toujours essayé d'établir l'unité entre les différents éléments de la nature d'une part, et entre la nature et l'être humain d'autre part, et cette qualité nous donne la sensation d'admiration, et c'est rarement que le poète expose des images exprimant le sens de la lutte, et s'il arrive où on en trouve, c'est qu'il reflète le sentiment de lutte entre une vie qu'il l'aime et la mort qui l'effraye.

Enfin on a essayé de classer le poète IBN KHAFADJA entre ses confrères descripteurs de la nature dans notre poésie de l'antiquité; et c'est une tentative très difficile; où on a signalé de façon générale aux points de rencontre et de diversité avec ceux qui l'ont précédé et ceux qui l'ont suivi dans ce domaine; et nous avons conclu qu'IBN KHAFADJA constituait un anneau principal dans la description de la nature en poésie arabe antique, et on a constaté, aussi qu'il a devancé les poètes romantiques en utilisant des sens sur la description de la nature depuis six siècles.

Et j'espère que j'ai réussi à exposer en vue claire la nature dans la poésie d'IBN KHAFADJA comme il l'a sentie et l'a exprimée.